موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء الثاني

الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله

تأليف
باقر شريف القرشي

تحقيق
مهدي باقر القرشي

مؤسسة الإمام الحسن عليه السلام
لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام

موسوعة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله

موسوعة

سيرة أهل البيت عليهم السلام

الجزء الثاني

الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله

تأليف

باقر شريف القرشي

تحقيق

مهدي باقر القرشي



موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام

تأليف : باقر شريف القرشي

تحقيق : مهدي باقر القرشي

الناشر : .... دار المعروف ـ مؤسّسة الإمام الحسن عليه السلام

المطبعة : .... ستار

الطبعة الثانية : .... ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م

عدد النسخ : .... ١٠٠٠ نسخة

ردمك الــــــدورة : ١ ـ ٤٢ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
ردمك الجـزء (٢) : ٥ ـ ٤٤ ـ ٨٢٧٥ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

عنوان الناشر : النجف الأشرف ـ شارع الرسول صلى الله عليه وآله

مكتبة الإمام الحسن عليه السلام ـ هاتف ٠٠٩٦٤٧٨٠٥٦٩٤٩٧٠


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

١ إنّ سيرة الرسول الأعظم ﷺ بما لها من أبعاد مشرقة في ميادين الإصلاح الاجتماعي والروحي قد أوجدت انقلاباً فكريّاً ، وتحوّلاً اجتماعيّاً في مجتمع كان في مستوى سحيق من مجاهل هذه الحياة ، وكان من سماته البارزة خمول في الفكر ، وانحطاط في السلوك ، ووأد للبنات ، وعبادة للأوثان والأصنام ، وغزو الأقوياء للضعفاء ، وسفك للدماء ، وانتهاك للحقوق ، فحوّل النبيّ ﷺ تلك الحياة البائسة التي لا ظلّ فيها للحقّ والعدل إلى حياة تسودها العدالة الاجتماعيّة ، فأقام نظاماً رائعاً متطوّراً ينعم فيه ابن آدم المجهود المكدود ، وتصان فيه الحقوق ، وتنتفي فيه الحاجة ، وتستقيم فيه حياة النّاس على اختلاف قوميّاتهم ولغاتهم ، فكان بحقّ من أعظم هبات الله تعالى وألطافه إلى عباده ، ومن أعظم تحوّل اجتماعي شاهدته الإنسانيّة في جميع مراحل تأريخها .

٢ إنّ من الصفحات المشرقة من تراث النبيّ ﷺ بعض وصاياه التي أدلى بها لوصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ولكوكبة من أصحابه ، وهي من غرر الحكم والآداب ، ومن أسمى أرصدته الروحيّة والاصلاحيّة التي عنت بتهذيب الإنسان ، واستقامة سلوكه .

كما أنّ من تراثه غرر الحكم والآداب ، وقصار الكلمات في محاسن الأعمال ،

وهي من ذخائر الفكر الإنساني ، ومن مناجم الأدب العربي ، وقد رصّعت بجواهر البلاغة والفصاحة .

٣ وحينما استقرّ النبيّ ﷺ في يثرب أخذ يعمل جاهداً على نشر الإسلام ، وإشاعة قيمه ، وبلورة أفكاره ، كما عمل على إبادة النعرات القبليّة التي كانت سائدة بين الأوس والخزرج ، والتي سفكت من أجلها الدماء ، وهاتان الأُسرتان يشكّلان معظم سكّان يثرب ، وبذلك فقد نزع فتيل العداء والأحقاد بينهما .

وشيء آخر جدير بالاهتمام هو أنّ النبيّ ﷺ آخى بين المسلمين من مهاجرين وأنصار ، وكانت هذه الاخوّة أقوى من رابطة النسب والدم ، وقد سادت بين المسلمين المودّة والرحمة ، والاخوّة الصادقة ، فكان المسلم يشارك أخاه المسلم في السرّاء والضرّاء ، وفي مكاره الحياة وغيرها من شؤون .

لقد اهتمّ النبيّ ﷺ اهتماماً بالغاً في عقد أواصر المحبّة والمودّة بين المسلمين ، ليكونوا يداً واحدة يشدّ بعضهم بعضاً ، لا يطمع فيهم طامع ، ولا ينال عدوّ لأي أحد منهم بمكروه أو سوء .

٤ وفزعت قريش من هجرة النبيّ ﷺ من مكّة إلى يثرب ، وساد الرعب والخوف في أوساطهم ؛ لأنّهم لم يتركوا لوناً من الأذى بالنبيّ إلّا اقترفوه ، فقد جهدوا على تكذيبه ومحاربته ، وتعذيب مَن آمن برسالته ، حتّى اضطرّ المؤمنون إلى الهجرة من ديارهم إلى الحبشة طلباً للأمن والعافية ، وقد نخر الحقد قلوب القرشيّين عليهم ، فأوفدوا عصابة منهم إلى ملك الحبشة ليطردهم من مملكته ، فلم يستجب لهم ، ومنحهم الإقامة فيها من دون أن يتعرّض لهم أحد بسوء ، وقد أوضحنا ذلك في فصول هذا الكتاب .

وعلى أيّ حال فقد أيقنت قريش بأنّ النبيّ ﷺ سوف ينتقم منهم ، ويُنزل بهم أقسى ألوان العذاب والتنكيل ، فهبّوا لمكافحة هذا الخطر الذي يهدّد حياتهم واقتصادهم ،

ويلحق بهم أفدح الخسائر ، وأخذوا يجمعون العدد والعدّة ، ويستنهضون القبائل لمساندتهم ، فكانت واقعة بدر التي انهزموا فيها شرّ هزيمة ، وكانت فاتحة النصر لعبد الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، وهذا ما سنتحدّث عنه في بحوث هذا الكتاب .

٥ وورمت أنوف القرشيّين ، وساد فيهم حزن عميق ، وألم ممضّ على الهزيمة الساحقة التي منوا بها في واقعة بدر ، فقد خسروا فيها أعزّ أبنائهم بالاضافة إلى ما تكبّدوه من الخسائر الماليّة الفادحة ، وقد ملئت بيوتهم بالثكل والحزن ، وكان الأمويّون أشدّ الأُسر القرشيّة حزناً على أبنائهم الذين قتلوا في المعركة ، وكانت هند أمّ معاوية تحرّض النساء والرجال على عدم البكاء على قتلاهم حتّى يبقى الحزن عليهم كامناً في دخائل نفوسهم ليأخذوا ثأرهم من النبيّ صلى الله عليه وآله .

وراحت قريش بلهفة تجمع الجموع ، وتستنهض القبائل ، وتثير العواطف بقيادة أبي سفيان حتّى هيّأت جيشاً مكثّفاً يفوق جيش المسلمين بعدده وسائر أسلحته ، فزحفت بهم إلى يثرب لاستئصال المسلمين ، والتحم الجيشان في المعركة التي عرفت بواقعة أُحد ، وقد مني المسلمون بخسائر فادحة ، فقد استشهد أهمّ قادتهم ، كان منهم الشهيد الخالد حمزة بن عبدالمطّلب عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله ، ومثّلت هند بجثمانه شرّ تمثيل ، ويوضّح هذا الكتاب تفصيل ذلك .

٦ وكان أعظم خطر محدقاً بالنبيّ صلى الله عليه وآله هم اليهود ، فكانوا يكيدون له في الليل إذا يغشى ، وفي النهار إذا تجلّى ، ويصدّون عن سبيل الله ، ويفتنون المسلمين عن دينهم ، ويمدّون القوى المعادية للإسلام بالمال والسلاح ، ويحرّضونهم على مناجزة النبيّ صلى الله عليه وآله ، كما كانوا مأوى للمنافقين يحيكون معهم المؤامرات ضدّ الإسلام ، وكانوا يقولون لعبدة الأوثان من قريش : إنّ دينكم خير من دينه ، وأنتم أوْلى بالحقّ منه ، وفيهم نزلت الآية الكريمة : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾

أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً ﴾[١].

وظلّ اليهود عنصراً مخرّباً، فناهضهم النبيّ صلى الله عليه وآله وقاومهم، ويقول الواقدي: «إنّ آخر وصيّة للنبيّ صلى الله عليه وآله وصّى بها أصحابه: أخرجوا اليهود من جزيرتكم».. وسنعرض لمناهضة النبيّ صلى الله عليه وآله لهم في غضون هذا الكتاب.

٧ ودمّر النبيّ صلى الله عليه وآله فلول الشرك، وحطّم أوثان الجاهليّة، وحرّر الأفكار، وأنار العقول، وأقام صروح الإيمان بالله تعالى، وقد نصره الله تعالى، وفتح له الفتح المبين، فاحتلّت قوّاته مكّة التي كانت قلعة للأصنام والأوثان، وطهّر البيت الحرام منها، وقد أصدر عفواً عامّاً عن أهلها الذين جهدوا على ظلمه والاعتداء عليه، وقد أعطى النبيّ صلى الله عليه وآله بعفوه درساً عن سماحة الإسلام وسعة رحمته.

إنّ فتح مكّة من الأحداث الجسام في تاريخ الإسلام، فقد خضعت الجزيرة العربيّة وغيرها لحكم الإسلام، وآمنت أنّه قوّة لا تقهر، وأنّ اعتناقه والدخول في حضيرته ضمان لحياتها، وسلامة لمستقبلها، كما وجدت في ظلاله الرخاء بعد العسر، والأمن بعد الخوف، والسعة بعد الضيق.

وإنّي آمل من الله تعالى أن تكون هذه الدراسة عن سيّد الكائنات صلوات الله عليه ذخراً لي يوم ألقى الله تعالى، وهو كلّ ما أتمنّاه.

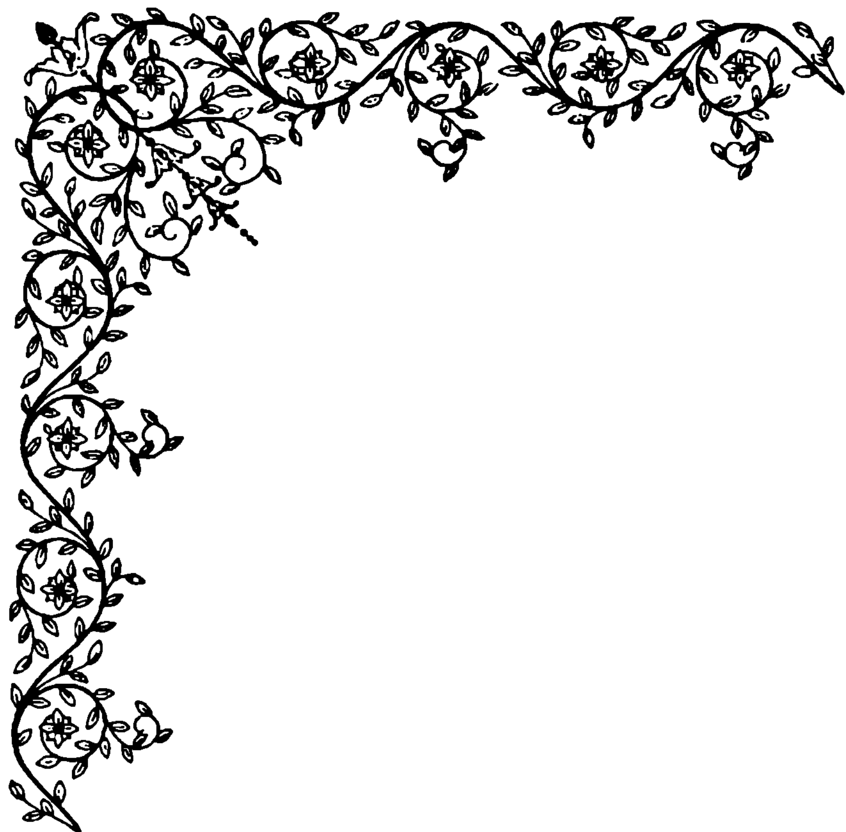
إنّه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه

مكتبة الإمام الحسن العامة
النجف الأشرف

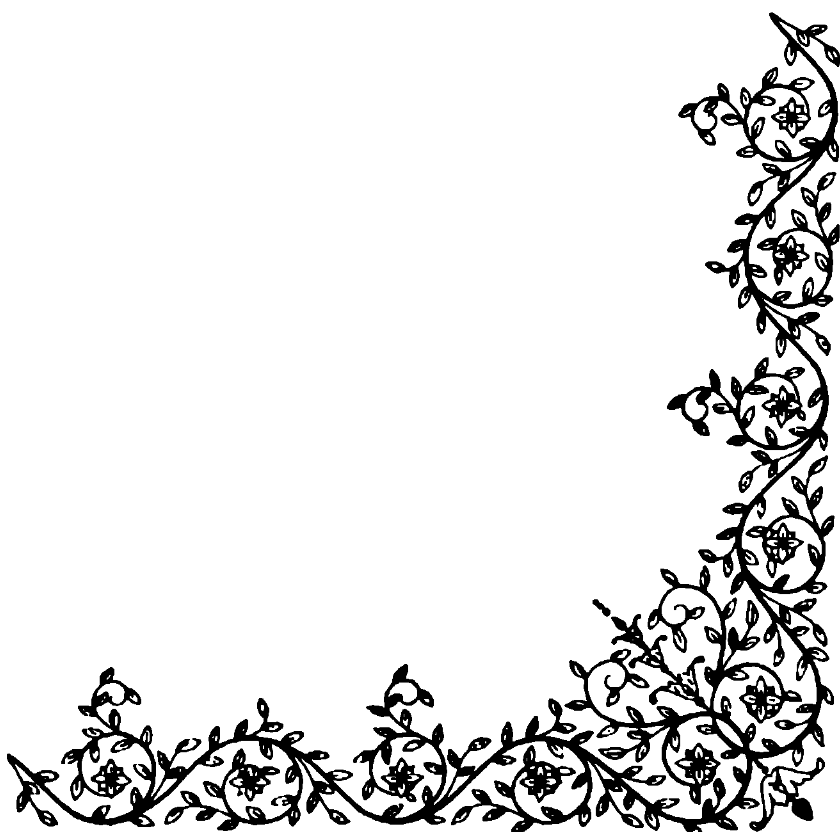
باقر شريف القرشي

---

(١) النساء ٤: ٥١ و ٥٢.



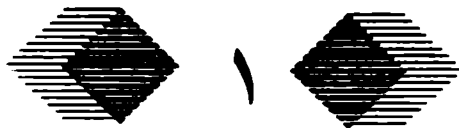
الوَصَايَا التَّرْبَوِيَّةُ



وكان من أهمّ ما عنى به الرسول ﷺ إقامة مجتمع متوازن في سلوكه ووعيه وقيمه وآدابه ، فزوّده بطاقات نديّة في ميادين التربية والتطوّر الاجتماعي التي تقيم الأودَ وتهدي للتي هي أقوم ، وكان من وصاياه الخالدة ما يلي :

وصاياه ﷺ للإمام علي عليه السلام

وزوّد الرسول ﷺ وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بكوكبة من الحِكم والآداب لتكون منهجاً مشرقاً لا له فحسب ، وإنّما لجميع المسلمين.. ونذكر قطعاً من تلك الوصايا من دون أن نذكر النصّ الكامل لها ، وفيما يلي ذلك :



من غرر وصايا الرسول ﷺ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه الوصيّة الذهبيّة .

قال ﷺ :

«يا عَلِيُّ ، إنَّ مِنَ الْيَقِينِ أَنْ لَا تُرْضِيَ أَحَداً بِسَخَطِ اللهِ ، وَلَا تَحْمَدَ أَحَداً بِما آتاكَ اللهُ ، وَلَا تَذُمَّ أَحَداً عَلىٰ ما لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ ، فَإِنَّ الرِّزْقَ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ ، وَلَا تَصْرِفُهُ كَراهَةُ كارِهٍ . إنَّ اللهَ بِحُكْمِهِ وَفَضْلِهِ جَعَلَ الرَّوْحَ وَالْفَرَحَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضا ، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ» .

حكى هذا المقطع بعض الأمور البالغة الأهمّية ، وهي :

١ ـ إنّه ليس من المنطق ، ولا من الفكر لأي إنسان أن يُرضي غيره ، ويتقرّب منه بسخط الله تعالى خالق الكون ، وواهب الحياة ، الذي ترجع إليه جميع مجريات الأحداث ، وغيره لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً .

٢ ـ إنّ الإنسان الذي يملك وعيه ورشده ليس له أن يمدح أو يذمّ غيره على متع الحياة الدنيا ، فإنّ الرزق لا يجلبه الحرص ، ولا تصرفه الكراهية ، وإنّما هو بيد الله تعالى يبسطه لمن يشاء ، ويقتره على من يشاء .

٣ ـ إنّ الله تعالى أناط الروح والفرج باليقين والرضا ، وأناط الهمّ والحزن بالشكّ والسخط . .

ولنستمع إلى بند آخر من هذه الوصيّة :

«يا عَلِيُّ ، إنَّه لا فَقْرَ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ ، وَلا مالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ ، وَلا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ ، وَلا مُظاهَرَةَ أَحْسَنُ مِنَ الْمُشاوَرَةِ ، وَلا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ ، وَلا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ ، وَلا عِبادَةَ كَالتَّفَكُّرِ» .

حفل هذا المقطع ببعض النصائح الذهبيّة التي تعود على الإنسان بأسمى المنافع ، وهي :

١ ـ إنّ الجهل آفة مدمّرة للإنسان ، ومهلكة له ، وأنّ أعظم ما يربحه هو أن يسير على ضوء العقل ، ويهتدي بهديه .

٢ ـ إنّ من مرديات الإنسان عُجبه بنفسه ، فإنّ ذلك يزهّده في مجتمعه ، ويجلب له الويل والعطب .

٣ ـ من محاسن الأُمور مشاورة الإنسان لغيره في مهامه ، وعدم استبعاده فيها ، فإنّ ذلك يجلب له الرأي الأصيل ، ويجنّبه الكثير من الأزمات .

٤ ـ إنّ تدبير الإنسان لشؤونه الاقتصاديّة والاجتماعيّة دليل على وفور عقله.

٥ ـ إنّ التفكّر في عجائب مخلوقات الله تعالى والتدبّر في شؤون المجرّات التي تذهل كلّ كائن حيّ، فإنّ ذلك من أفضل ألوان العبادة، فإنّها تقود إلى الإيمان المطلق بوجود الخالق العظيم.

ولننظر إلى فقرة أُخرى من هذه الوصيّة:

«يا عَلِيُّ، آفَةُ الْحَدِيثِ الْكِذْبُ، وَآفَةُ الْعِلْمِ النِّسْيانُ، وَآفَةُ الْعِبادَةِ الْفَتْرَةُ، وَآفَةُ السَّماحَةِ الْمَنُّ، وَآفَةُ الشَّجاعَةِ الْبَغْيُ، وَآفَةُ الْجَمالِ الْخُيَلاءُ، وَآفَةُ الْحَسَبِ الْفَخْرُ».

حوت هذه الفقرات الآفات والمضادّات للأُمور التاليّة، وهي:

١ ـ إنّ آفة الحديث الكذب، فإنّه لا يبق له أية مصداقيّة، ويجعله هباءً.

٢ ـ أمّا العلم فآفته الكبرى النسيان، فإنّه ينسفه ويجعله شعاعاً في الفضاء.

٣ ـ أمّا العبادة فآفتها عدم الاتّصال والاستمرار فيها.

٤ ـ أمّا آفة السماحة والبرّ فهي المنّ على مَن أحسن إليه وبرّ به.

٥ ـ أمّا الشجاعة فإنّها من مميّزات الإنسان، وآفتها البغي على الغير.

٦ ـ أمّا الجمال فآفته الكبرى الخيلاء على الغير.

٧ ـ من آفات الحسب الفخر على الغير.

وهذا بند آخر من وصيّته صلى الله عليه وآله:

«يا عَلِيُّ، عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ، وَلا تَخْرُجْ مِنْ فِيكَ كِذْبَةٌ أَبَداً، وَلا تَجْتَرِئَنَّ عَلىٰ خِيانَةٍ أَبَداً؛ وَالْخَوْفِ مِنَ اللهِ كَأَنَّكَ تَراهُ. وَابْذُلْ مالَكَ وَنَفْسَكَ دُونَ دِينِكَ، وَعَلَيْكَ بِمَحاسِنِ الْأَخْلاقِ فَارْكَبْها، وَعَلَيْكَ بِمَساوِي الْأَخْلاقِ فَاجْتَنِبْها».

أوصى النبيّ صلى الله عليه وآله وصيّه وباب مدينة علمه بالأُمور التالية:

١ ـ أوصاه بالصدق الذي هو من أفضل الصفات وأميزها، ونهاه عن الكذب الذي هو من أرذل الصفات.

٢ ـ حذّره من الخيانة لأي إنسان، صديقاً أو عدوّاً، فإنّها من مساوئ الصفات.

٣ ـ أوصاه بالخوف من الله تعالى، فإنّ مَن خافه لا يقترف أي مأثم من مآثم الحياة.

٤ ـ أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله على حماية الدين وصيانته، والذبّ عنه بجميع الوسائل؛ لأنّه جوهرة الحياة الرفيعة.

٥ ـ أوصى النبيّ صلى الله عليه وآله بالتحلّي بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، والاجتناب عن مساوئ الأخلاق..

وهذا بند آخر من هذه الوصيّة:

«يا عَلِيُّ، أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللهِ ـ تَعالىٰ ـ ثَلاثُ خِصالٍ: مَنْ أَتَى اللهَ بِما افْتَرَضَ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ، وَمَنْ وَرِعَ عَنْ مَحارِمِ اللهِ فَهُوَ مِنْ أَوْرَعِ النّاسِ، وَمَنْ قَنِعَ بِما رَزَقَهُ اللهُ فَهُوَ مِنْ أَغْنَى النّاسِ».

هذه الخصال الثلاث تقرّب الإنسان إلى ربّه، وتجعله في مصاف أوليائه، وتبعده عن مساوئ الحياة..

ومن بنود هذه الوصيّة قوله:

«يا عَلِيُّ، ثَلاثٌ مِنْ مَكارِمِ الْأَخْلاقِ: تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ».

إنّ مَن يتّصف بهذه الصفات الرفيعة فقد بلغ ذروة الكمال والفضل.. وهذه قطعة من الوصيّة:

«يا عَلِيُّ ، ثَلاثٌ مُنْجِياتٌ : تَكُفُّ لِسانَكَ ، وَتَبْكِي عَلىٰ خَطِيئَتِكَ ، وَيَسَعُكَ بَيْتُكَ».

إنّ مَن أخذ بهذه الوصيّة فقد نجا من شرّ النّاس ، وسلم من موبقاتهم وآثامهم .. وهذا بند آخر من الوصيّة :

«يا عَلِيُّ ، سَيِّدُ الْأَعْمالِ ثَلاثُ خِصالٍ : إِنْصافُكَ النّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَمُساواةُ الْأَخِ فِي اللهِ ، وَذِكْرُ اللهِ عَلىٰ كُلِّ حالٍ».

إنّ هذه الخصال الرفيعة من أفضل الصفات التي يسمو بها الإنسان ويتميّز على غيره . وهذه قطعة اُخرى من الوصيّة :

«يا عَلِيُّ ، ثَلاثَةٌ مِنْ حُلَلِ اللهِ : رَجُلٌ زارَ أَخاهُ الْمُؤْمِنَ فِي اللهِ فَهُوَ زَوْرُ اللهِ؛ وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُكرِمَ زَوْرَهُ وَيُعْطِيَهُ ما سَأَلَ ، وَرَجُلٌ صَلّىٰ ثُمَّ عَقَّبَ إِلَى الصَّلاةِ الْاُخْرىٰ فَهُو ضَيْفُ اللهِ؛ وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُكْرِمَ ضَيْفَهُ ، وَالْحاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ فَهُما وَفْدُ اللهِ؛ وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ يُكْرِمَ وَفْدَه».

إنّ هذه الخصال الثلاث من أبرز ألوان العبادة التي توصل الإنسان إلى الله تعالى ، وتقرّبه إليه ، وقد حثّ النبيّ ﷺ عليها؛ لأنّها من صفات الأبرار والمتّقين. وهذا بند آخر من الوصيّة :

«يا عَلِيُّ ، ثَلاثٌ ثَوابُهُنَّ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ : الْحَجُّ يَنْفِي الْفَقْرَ ، وَالصَّدَقَةُ تَدْفَعُ الْبَلِيَّةَ ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ».

إنّ هذه الخصال الثلاث من اتّصف بها فقد ظفر بخير الدنيا والآخرة. ولنستمع إلى قطعة اُخرى من الوصيّة :

«يا عَلِيُّ ، ثَلاثٌ مَنْ لَمْ يَكُنَّ فِيهِ لَمْ يَقُمْ لَهُ عَمَلٌ : وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَعاصِي

اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ السَّفِيهِ ، وَعَقْلٌ يُدارِي بِهِ النّاسَ ».

الورع عن محارم الله تعالى ، والعلم الذي يردّ به جهل السفيه ، والعقل الذي يداري به النّاس ، هذه الأُمور من تحلّى بها فقد فاز في الدنيا والآخرة .. وهذا بند آخر من الوصيّة :

« يا عَلِيُّ ، ثَلاثَةٌ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيامَةِ : رَجُلٌ أَحَبَّ لِأَخِيهِ ما أَحَبَّ لِنَفْسِهِ ، وَرَجُلٌ بَلَغَهُ أَمْرٌ فَلَمْ يَتَقَدَّمْ فِيهِ وَلَمْ يَتَأَخَّرْ حَتّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ في ذٰلِكَ الْأَمْرِ لِلّهِ رِضىً أَوْ سَخَطٌ ، وَرَجُلٌ لَمْ يَعِبْ أَخاهُ بِعَيْبٍ حَتّىٰ يُصْلِحَ ذٰلِكَ الْعَيْبَ مِنْ نَفْسِهِ ، فإِنَّهُ كُلَّما أَصْلَحَ مِنْ نَفْسِهِ عَيْباً بَدا لَهُ مِنْها آخَرُ؛ وَكَفىٰ بِالْمَرْءِ فِي نَفْسِهِ شُغْلاً ».

إنّ هذه الخصال من صميم الحكمة التي يتّصف بها الأولياء والمتّقون الذين وهبوا حياتهم لله تعالى ، وتجرّدوا من النزعات الماديّة .. ولننظر إلى مقطع آخر :

« يا عَلِيُّ ، ثَلاثٌ مِنْ أَبْوابِ الْبِرِّ : سَخاءُ النَّفْسِ ، وَطِيبُ الْكَلامِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذىٰ ».

بهذه الحِكم والآداب كان النبيّ ﷺ يغذّي بها وصيّه وباب مدينة علمه ليكون امتداداً مشرقاً للنبوّة . ولنستمع إلى مقطع آخر من هذه الوصيّة :

« يا عَلِيُّ ، في التَّوْراةِ أَرْبَعٌ إِلىٰ جَنْبِهِنَّ أَرْبَعٌ : مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيا حَرِيصاً أَصْبَحَ وَهُوَ عَلَى اللهِ ساخِطٌ ، وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَإِنَّما يَشْكُو رَبَّهُ ، وَمَنْ أَتىٰ غَنِيّاً فَتَضَعْضَعَ لَهُ(١) ذَهَبَ ثُلُثا دِينِهِ ، وَمَنْ دَخَلَ النّارَ مِنْ هٰذِهِ

---

(١) أي خضع وذلّ له.

الْأُمَّةِ فَهُوَ مِمَّنِ اتَّخَذَ آياتِ اللهِ هُزُواً وَلَعِباً.

أَرْبَعٌ إِلىٰ جَنْبِهِنَّ أَرْبَعٌ : مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَشِرْ يَنْدَمْ ، كَما تَدِينُ تُدانُ ، وَالْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ. فَقِيلَ لَهُ : الْفَقْرُ مِنَ الدِّينارِ وَالدِّرْهَمِ ؟ فَقالَ : الْفَقْرُ مِنَ الدِّينِ ».

وهذه الحِكم من حكم السيّد المسيح عليه السلام ، وقد أقرّها النبيّ صلى الله عليه وآله وأشاد بها؛ لأنّها من صميم الآداب والأخلاق. وهذا بند آخر من الوصيّة :

« يا عَلِيُّ ، كُلُّ عَيْنٍ باكِيَةٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلَّا ثَلاثَ أَعْيُنٍ : عَيْنٌ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ[1] ، وَعَيْنٌ غُضَّتْ عَنْ مَحارِمِ اللهِ ، وَعَيْنٌ فاضَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ».

إنّ هذه العيون الثلاث آمنت بالله ، وسهرت على طاعته ، وغضّت عن محارمه ، فهي لا تبكي من هول يوم القيامة ، وتكون في أمن من عذاب الله تعالى.. وهذا مقطع آخر من هذه الوصيّة :

« يا عَلِيُّ ، طُوبىٰ لِصُورَةٍ نَظَرَ اللهُ إِلَيْها تَبْكِي عَلىٰ ذَنْبٍ لَمْ يَطَّلِعْ عَلىٰ ذٰلِكَ الذَّنْبِ أَحَدٌ غَيْرُ اللهِ ».

إنّ مَن يقترف ذنباً وإثماً لم يطّلع عليه أحد إلّا الله تعالى ، وأخذ في الندم عليه ، وبكى على ذلك ، فإنّ الله تعالى يمنحه بلطفه وعفوه.. وهذا بند آخر من الوصيّة :

« يا عَلِيُّ ، ثَلاثٌ مُوبِقاتٌ وَثَلاثٌ مُنْجِياتٌ :

فَأَمَّا الْمُوبِقاتُ : فَهَوىً مُتَّبَعٌ ، وَشُحٌّ مُطاعٌ ، وَإِعْجابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ.

وَأَمَّا الْمُنْجِياتُ فَالْعَدْلُ فِي الرِّضا وَالْغَضَبِ ، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنىٰ وَالْفَقْرِ ،

---

(١) في سبيل الله : كالعبادة ، وقراءة القرآن ، ومطالعة العلوم الدينيّة.

وَخَوْفُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ كَأَنَّكَ تَراهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّه يَراكَ».

حفل هذا المقطع بالموبقات التي تسبّب هلاك النّاس، وبُعده عن الله، وهي:

١ـ اتّباع الهوى والشهوات، فمن غرق فيها فقد هلك.

٢ـ الشحّ، وهو البخل الذي يبخل به على أهله ونفسه، وعلى كلّ مشروع خير.

٣ـ إعجاب المرء بنفسه، فإنّه يصدّه عن كلّ خير، ويحجبه عن كلّ فضل.

وأمّا المنجيات من الأعمال والصفات فهي:

١ـ العدل الذي هو من أفضل الأعمال، العدل في الرضا والغضب.

٢ـ القصد وعدم الإسراف في حال الغنى والفقر، فإنّه يوجب عدم ضياع ثروات الإنسان.

٣ـ الخوف من الله تعالى في السرّ والعلانية، فإنّه يوجب مغفرة الله تعالى وعفوه.. وهذا بند آخر من الوصيّة:

«يا عَلِيُّ، ثَلاثٌ يَحْسُنُ فِيهِنَّ الْكِذْبُ: الْمَكِيدَةُ فِي الْحَرْبِ، وَعِدَتُكَ زَوْجَتَكَ، وَالْإِصْلاحُ بَيْنَ النّاسِ».

إنّ الكذب مقتضٍ للقبح والإثم، ولكنّه يزول قبحه وإثمه في المواضع الثلاثة التي ذكرها النبيّ صلى الله عليه وآله.. ولننظر إلى مقطع آخر من الوصيّة:

«يا عَلِيُّ، ثَلاثٌ يَقْبُحُ فِيهِنَّ الصِّدْقُ: النَّمِيمَةُ، وَإِخْبارُكَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِهِ بِما يَكْرَهُ، وَتَكْذِيبُكَ الرَّجلَ عَنِ الْخَيْرِ».

الصدق مقتضٍ للحسن، وصفة من أفضل الصفات، ولكنّه يذهب حسنه في هذه المواضع الثلاثة التي يترتّب على الكذب فيها الكثير من المنافع.. وهذا مقطع آخر من الوصيّة:

«يا عَلِيُّ ، أَرْبَعٌ يَذْهَبْنَ ضَلالاً ـ أي ضياعاً ـ : **الْأَكْلُ بَعْدَ الشَّبْعِ ، وَالسِّراجُ فِي الْقَمَرِ ، وَالزَّرْعُ فِي الْأَرْضِ السَّبْخَةِ ، وَالصَّنِيعَةُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِها»** .

إنّ هذه الأُمور الأربعة تذهب ضياعاً ولا أثر لها ، وتوجب الضرر والخسران ، كالزرع في الأرض السبخة ، والمعروف عند غير أهله .. وهذا بند آخر من الوصيّة :

«يا عَلِيُّ ، أَرْبَعٌ أَسْرَعُ شَيْءٍ عُقُوبَةً : رَجُلٌ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ فَكافَأَكَ بِالْإِحْسانِ إِساءَةً ، وَرَجُلٌ لا تَبْغِي عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْغي عَلَيْكَ ، وَرَجُلٌ عاقَدْتَهُ عَلىٰ أَمْرٍ فَمِنْ أَمْرِكَ الْوَفاءُ لَهُ وَمِنْ أَمْرِهِ الْغَدْرُ بِكَ ، وَرَجُلٌ تَصِلُهُ رَحِمُهُ وَيَقْطَعُها» .

إنّ هذه الأُمور يعجّل الله تعالى فيها العقوبة على مَن استحلّها وسار عليها ، فإنّها من موجبات النقمة والعذاب من الله تعالى .. وهذا بند آخر من الوصيّة :

«يا عَلِيُّ ، أَرْبَعٌ مَنْ يَكُنَّ فِيهِ كَمُلَ إِسْلامُهُ : الصِّدْقُ ، وَالشُّكْرُ ، وَالْحَياءُ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ» .

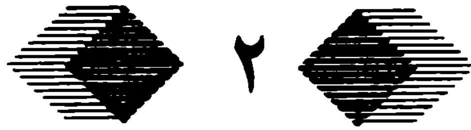
إنّ مَن يتّصف بهذه الصفات الرفيعة فقد كمل دينه وحسن إسلامه .. ولنستمع إلى الفقرة الأخيرة من هذه الوصيّة :

«يا عَلِيُّ ، قِلَّةُ طَلَبِ الْحَوائِجِ مِنَ النّاسِ هُوَ الْغِنَى الْحاضِرُ ، وَكَثْرَةُ الْحَوائِجِ إِلَى النّاسِ مَذَلَّةٌ وَهُوَ الْفَقْرُ الْحاضِرُ»(١) .

وانتهت بذلك هذه الوصيّة الذهبيّة التي تغذّى بها الإمام عليه السلام عملاق هذه الأُمّة ، ورائد حضارتها الفكريّة والعلميّة ، وقد غذّاه النبيّ صلى الله عليه وآله بها وبمواهبه وعبقرياته ، وأقامه عَلماً ومرشداً لأُمّته .

---

(١) تحف العقول : ٦ ـ ٩ .



من وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه الوصيّة الذهبيّة الموجزة :

قال صلى الله عليه وآله وسلم :

«يا عَلِيُّ ، لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةٌ ، إلاّ سُوء الْخُلُقِ ، فَإِنَّ صاحِبَهُ كُلَّما خَرَجَ مِنْ ذَنْبٍ دَخَلَ في ذَنْبٍ»(١) .

إنّ سوء الخُلق من أرذل الصفات ، ومن مساوئ الخصال التي تلحق الإنسان بقافلة الحيوان الأعجم ، وقد أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في كثير من أحاديثه على ضرورة الاتّصاف بالأخلاق الرفيعة ، والاجتناب عن الأخلاق السيّئة .



من الوصايا التربويّة للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه الوصيّة :

«يا عَلِيُّ ، أَفْضَلُ الجِهادِ مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِظُلْمِ أَحَدٍ .

يا عَلِيُّ ، مَنْ خافَ النّاسُ لِسانَهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النّارِ .

يا عَلِيُّ ، شَرُّ النّاسِ مَنْ أَكْرَمَهُ النّاسُ اتِّقاءَ فُحْشِهِ ، وَأَذىٰ شَرِّهِ .

يا عَلِيُّ ، شَرُّ النّاسِ مَنْ باعَ آخِرَتَهُ بِدُنْياهُ ، وَشَرٌّ مِنْهُ مَنْ باعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيا غَيْرِهِ»(٢) .

---

(١) مسند الإمام : ٤٧.

(٢) وسائل الشيعة : ٦ : ٣٣٣.

عرض الحديث إلى شرار النّاس ، وأكثرهم بُعداً عن الله تعالى ، وهم :

١ ـ مَن خاف النّاس سطوة لسانه .

٢ ـ مَن باع آخرته بدنياه .

٣ ـ مَن باع آخرته بدنيا غيره .

فهؤلاء ما لهم في الآخرة من نصيب ، ومصيرهم الخسران والعذاب .



من وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه الوصيّة . قال صلى الله عليه وآله :

«يا عَلِيُّ ، إنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ قَدْ أذْهَبَ بِالْإسْلَامِ نَخْوَةَ الْجاهِلِيَّةِ ، وَتَفاخُرَهُم بِآبائِهِم ، أَلَا وَإنَّ النّاسَ مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ ، وَأَكْرَمَهُم عِنْدَ اللهِ أَتْقاهُم »[١] .

إنّ الإسلام قد هدم الحواجز بين النّاس ، وألغى الفوارق والتفاضل بالأنساب ، وجعل التمايز بينهم بالتقوى والعمل الصالح الذي هو أعظم رصيد للإنسان .



قال صلى الله عليه وآله : **« ياعَلِيُّ ، أَنْهاكَ عَنْ ثَلاثِ خِصالٍ: الْحَسَدِ ، وَالْحِرْصِ ، وَالْكِبْرِ»**[٢] .

إنّ هذه الخصال من مساوئ الصفات التي تُلقي الإنسان في شرّ عظيم ، وتهبط به إلى مستوى سحيق ما له من قرار .

---

(١) و (٢) بحار الأنوار : ٧٧ : ٥٣ .



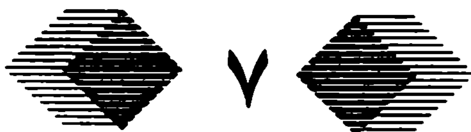
قال ﷺ : «**يا عَلِيُّ ، مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً لِيُماري بِهِ السُّفَهاءَ ، أَوْ يُجادِلَ بِهِ الْعُلَماءَ ، أَوْ لِيَدْعو النّاسَ إِلىٰ نَفْسِهِ ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النّارِ**»[1].

إنّ طلب العلم ينبغي أن يكون لكمال الإنسان ، وتهذيب سلوكه ، فإذا كان مشفوعاً بالأغراض الخاصّة التي مآلها إلى التراب ، فلا يترتّب عليه أجر ، ويعود بالإثم عليه ، ومن بين الأغراض التي ذكرها النبيّ ﷺ :

١ ـ طلب العلم لمماراة السفهاء ، والتغلّب عليهم ، فإنّ ذلك ينمّ عن مرض النفس ويُعدها عن الله تعالى .

٢ ـ طلب العلم لمجادلة العلماء ، وإظهار الشخص نفسه أمام المجتمع بأنّه من العلماء ، فإنّ الدافع لذلك حبّ الدنيا ، والتهالك على الجاه ، وحبّ الظهور .

٣ ـ طلب العلم لدعوة النّاس إليه ، والالتفاف حوله ، أعاذنا الله تعالى ـ بلطفه وفضله ـ من هذه الآفات التي تحول بين الإنسان وربّه .



قال ﷺ : «**يا عَلِيُّ ، بادِرْ بِأَرْبَعٍ قَبْلَ أَرْبَعٍ : شَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِناكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَحَياتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»[2].

إنّ مَن بادر لاعتناق هذه الصفات فقد فاز فوزاً مبيناً ، ونجا من مآثم الحياة .

---

(١) بحار الأنوار : ٧٧ : ٥٤ .

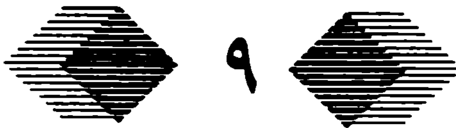
(٢) بحار الأنوار : ٧٧ : ٤٩ .



من وصايا النبيّ لوصيّه قوله عليه السلام :

«يا عَلِيُّ ، أَحْسِنْ خُلُقَكَ مَعَ أَهْلِكَ وَجِيرانِكَ وَمَنْ تُعاشِرُ ، وَتُصاحِبُ مِنَ النّاسِ تُكْتَبُ عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ فِي الدَّرَجاتِ الْعُلى»[1].

إنّ الأخلاق الكريمة من أبرز الصفات الرفيعة التي يتحلّى بها الإنسان ، ومن أجملها حُسن الأخلاق مع الأهل والجيران والأصحاب .



ومن غرر وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه الوصيّة :

«يا عَلِيُّ ، ثَلاثٌ مِنْ أَبْوابِ الْبِرِّ : سَخاءُ النَّفْسِ ، وَطِيبُ الْكَلامِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذىٰ»[2].

إنّ هذه الخصال الثلاثة من أبرز أبواب البرّ والإحسان ، فسخاء النفس ، وطيب الكلام والصبر على الأذى والمكروه هي من الأُسس التربويّة التي تبنّاها الإسلام .

هذه بعض وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله إلى باب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وكلّها تتعلّق بآداب السلوك ، ومحاسن الصفات والأعمال .

---

(١) بحار الأنوار : ٧٧ : ٦٧.

(٢) بحار الأنوار : ٧٧ : ٦٢.

وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لسيّدة النساء عليها السلام

من غرر الوصايا التي أوصى بها النبيّ صلى الله عليه وآله وصيّته لسيّدة نساء العالمين ابنته الوحيدة الزهراء سلام الله عليها هذه الوصيّة :

«لَيْسَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جارُهُ بَوائِقَهُ. ومَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلاَ يُؤْذِي جارَهُ. وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ يَسْكُتْ. إِنَّ اللهَ ـ تَعالىٰ ـ يُحِبُّ الْخَيِّرَ الْحَلِيمَ الْمُتَعَفِّفَ، وَيُبْغِضُ الْفاحِشَ الضَّنِينَ السّائِلَ الْمُلْحِفَ. إِنَّ الْحَياءَ مِنَ الْإِيمانِ، وَالْإِيمانُ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْفُحْشَ مِنَ الْبَذاءِ، وَالْبَذاءُ فِي النّارِ...»[1].

وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لقيس

وفد قيس بن عاصم مع جماعة من بني تميم على النبيّ صلى الله عليه وآله، وطلب منه أن يزوّده بوصيّة ينتفع بها؛ لأنّه يقطن في الصحراء، فقال صلى الله عليه وآله :

«يا قَيْسُ، إِنَّ مَعَ الْعِزِّ ذُلّاً، وَإِنَّ مَعَ الْحَياةِ مَوْتاً، وَإِنَّ مَعَ الدُّنْيا آخِرَةً، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً، وَعَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً، وَإِنَّ لِكُلِّ حَسَنَةٍ ثَواباً، وَلِكُلِّ سَيِّئَةٍ عِقاباً، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتاباً، وَإِنَّهُ لا بُدَّ لَكَ ـ يا قَيْسُ ـ مِنْ قَرِينٍ يُدْفَنُ مَعَكَ، وَهُوَ حَيٌّ وَأَنْتَ مَيِّتٌ، فَإِنْ كانَ كَرِيماً أَكْرَمَكَ، وَإِنْ كانَ لَئِيماً أَسْلَمَكَ، ثُمَّ لا يُحْشَرُ إِلَّا مَعَكَ، وَلا تُبْعَثُ إِلَّا مَعَهُ، وَلا تُسْأَلُ إِلَّا عَنْهُ، فَلا تَجْعَلْهُ إِلَّا صالِحاً، فَإِنَّهُ إِنْ

---

(١) حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام : ٥٤.

صَلَحَ أَنِسْتَ بِهِ ، وَإِنْ فَسَدَ لَا تَسْتَوْحِشُ إِلَّا مِنْهُ وَهُوَ فِعْلُكَ ».

وانبرى قيس قائلاً:

« يا نبيّ الله ، أُحبّ أن يكون هذا الكلام في أبيات من الشعر نفتخر به على من يلينا من العرب ، وندّخره . . » .

وأمر النبيّ ﷺ بإحضار حسّان الشاعر لينظم وصيّة النبيّ ﷺ ، وفكّر قيس فنظم وصيّة النبيّ له ، فقال :

« يا رسول الله ، قد حضرتني أبيات أحسبها توافق ما تريد » .

وأمر النبيّ بإنشاءها ، فقال :

تَخَيَّر خَليطاً[١] مِنْ فِعالِكَ إِنَّما — قَرينُ الفَتىٰ في القَبرِ ما كانَ يَفْعَلُ
وَلَا بُدّ بَعْدَ المَوتِ مِنْ أَنْ تَعدَّهُ — لِيَوم يُنادَى المَرءُ فيهِ فيُقبلُ
فَإنْ كُنتَ مَشْغولاً بشيءٍ فَلَا تَكُنْ — بغَيرِ الَّذي يَرضىٰ بِهِ اللهُ تُشغَلُ
فَلَنْ يصحَبَ الإنسانَ مِنْ بَعدِ مَوْتِهِ — وَمِنْ قَبْلِهِ إِلَّا الَّذي كانَ يَعْمَلُ
أَلا إِنَّما الْإِنْسانُ ضَيْفٌ لِأَهلِهِ — يُقيمُ قَليلاً بَينَهُم ثُمَّ يَرْحَلُ[٢]

وحكت هذه الأبيات وصيّة النبيّ ﷺ التي أناطت جزاء الإنسان في قبره بأعماله في دار الدنيا ، فإن كان عمله صالحاً فيرى الخير ، وإن كان شرّاً فيرى الشرّ ، وقد نطق الذكر الحكيم بذلك .

قال تعالى : ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ** ﴾[٣] .

---

(١) في بعض المصادر : « قريناً » بدل « خليطاً » .

(٢) بحار الأنوار : ٧٧ : ١١١ .

(٣) النجم ٥٣ : ٣٩ و ٤٠ .

وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لابن مسعود

أمّا عبدالله بن مسعود فهو عَلم من أعلام الإسلام في جهاده ، فقد أبلى في سبيل الله بلاءً حسناً ، وكان من ألمع الصحابة في قربه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ، وقد عذّب أقسى ألوان التعذيب من جبابرة قريش ، وقد أخلص له النبيّ صلى الله عليه وآله كأعظم ما يكون الإخلاص ، فزوّده بهذه الوصايا الخالدة ، وقد حدّث ابن مسعود عن السبب في وصيّة النبي له ، فقال : « دخلت أنا وخمسة رهط من أصحابنا يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد أصابتنا مجاعة شديدة ، ولم نكن ذقنا منذ أربعة أشهر إلّا الماء واللبن وورق الشجر ، فإلى متى نبقى على هذه المجاعة الشديدة ؟ » ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله :

« لَا تَزالُونَ فِيها ما عِشْتُم ، فَأَحْدِثوا للهِ شُكْراً ، فَإنِّي قَرَأْتُ كِتابَ اللهِ ـ تَعالىٰ ـ الَّذي اُنْزِلَ عَلَيَّ ، وَعَلىٰ مَنْ كانَ قَبْلي فَما وَجَدْتُ مَنْ يَدْخُلونَ الْجَنَّةَ إلَّا الصّابِرُونَ » .

ثمّ أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله يتحف ابن مسعود ومَن معه بهذه الوصايا .. ونحن نذكر بعضها :

« يابْنَ مَسْعُود ، قالَ اللهُ تَعالىٰ : ﴿ إنَّمَا يُوَفَّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[١] ، ﴿ أُولٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا ﴾[٢] ، ﴿ إنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾[٣] .

يابْنَ مَسْعُود ، قَوْلُ اللهِ تَعالىٰ : ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً ﴾[٤] ،

---

(١) الزُّمر ٣٩ : ١٠ .

(٢) الفرقان ٢٥ : ٧٥ .

(٣) المؤمنون ٢٣ : ١١١ .

(٤) الإنسان ٧٦ : ١٢ .

﴿ أُولَـٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا ﴾[١].

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ ﴾[٢].

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾[٣]».

وانبرى بعضهم قائلاً: «يا رسول الله، مَن الصابرون؟».

«الَّذِينَ يَصْبِرُونَ عَلىٰ طاعَةِ اللهِ، وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ، الَّذِينَ كَسَبُوا طَيِّباً، وَأَنْفَقُوا قَصْداً، وَقَدَّمُوا فَضْلاً، فَأَفْلَحُوا وَنَجَحُوا».

ألقى النبيّ ﷺ الأضواء على الصابرين الذين هم من خيرة النّاس في سلوكهم وآدابهم، ثمّ واصل النبيّ ﷺ حديثه مع ابن مسعود قائلاً:

«يابْنَ مَسْعُود، عَلَيْهِمُ -أي على الصابرين- **الْخُشُوعُ، وَالْوقارُ، وَالسَّكِينَةُ، وَالتَّفَكُّرُ، وَاللِّيْنُ، وَالْعَدْلُ، وَالتَّعْلِيمُ، وَالْإِعْتِبارُ، وَالتَّدْبِيرُ، وَالتَّقْوىٰ، وَالْإِحْسانُ، وَالتَّحَرُّجُ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ، وَأَداءِ الْأَمانَةِ، وَالْعَدْلِ في الْحُكْمِ، وَإِقامَةِ الشَّهادَةِ، وَمُعاوَنَةِ أَهْلِ الْحَقِّ، وَالْبَغْيَةِ عَلَى الْمُسيِّ، وَالْعَفْوِ لِمَنْ ظَلَمَ.**

يابْنَ مَسْعُود، إِذا ابْتُلوا صَبَرُوا، وَإِذا أُعْطُوا شَكَرُوا، وَإِذا حَكَمُوا عَدَلُوا،

---

(١) القصص ٢٨: ٥٤.

(٢) البقرة ٢: ٢١٤.

(٣) البقرة ٢: ١٥٥.

وَإِذا قالُوا صَدَقُوا ، وَإِذا عاهَدوا وَفُوا ، وَإِذا أَساؤُوا اسْتَغْفَرُوا ، وَإِذا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا ، وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً ، وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً ، وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً ، وَيَقُولُونَ لِلنّاسِ حُسْناً .

يابْنَ مَسْعُود ، وَالَّذي بَعَثَني بِالْحَقِّ إِنَّ هؤُلَاءِ هُمُ الْفائِزُونَ » .

حكى هذا المقطع الصفات الرفيعة الماثلة في الصابرين الذين هم من صفوة النّاس ، ومن خيارهم أدباً وسلوكاً وتحرّجاً في الدين ، وهم الفائزون في الدنيا والآخرة . . وواصل النبيّ ﷺ حديثه قائلاً :

« يابْنَ مَسْعُود ، ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِن رَبِّهِ ﴾[1] ، فَإِنَّ النُّورَ إِذا وَقَعَ في الْقَلْبِ انْشَرَحَ وَانْفَسَخَ » .

وانبرى بعض الحاضرين فقال :

« يا رسول الله ، هل لذلك من علامة ؟ » .

« نَعَمْ ، التَّجافي عَنْ دارِ الْغُرورِ ، وَالْإِنابَةُ إِلىٰ دارِ الْخُلُودِ ، وَالْإِسْتِعْدادِ لِلْمَوتِ قَبْلَ نُزُولِ الْفَوْتِ . فَمَنْ زَهِدَ في الدُّنْيا قَصَّرَ أَمَلَهُ فيها وَتَرَكَها لِأَهْلِها » .

وفي هذا المقطع الحديث عمّن شرح الله صدره للإسلام ، فإنّه على نور من ربّه ، فإنّ الإسلام يبدّد ظلمات الجهل في أعماق النفس ، ويفتح له آفاقاً مشرقة من الوعي تجعله في قمّة الأفذاذ والمتّقين والصالحين . . ثمّ ذكر النبيّ ﷺ علامات المتّقين ، وهي التجافي عن دار الدنيا ، والإقبال على العمل الصالح الذي هو الزاد لدار الآخرة ، ثمّ ذكر علامة الزهد في الدنيا وهي قصر الأمل فيها وتركها لأهلها . . ثمّ

---

(١) الزُّمر ٣٩ : ٢٢ .

واصل النبيّ ﷺ حديثه قائلاً:

«يابْنَ مَسْعُود، قَوْلُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[1]، يَعْني أَيُّكُمْ أَزْهَدُ في الدُّنيا. إِنَّها دارُ الْغُرورِ، وَدارُ مَنْ لا دارَ لَهُ، وَلَها يَجْمَعُ مَنْ لا عَقْلَ لَهُ. إِنَّ أَحْمَقَ النّاسِ مَنْ طَلَبَ الدُّنيا. قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَراً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[2]، قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[3]، يَعْني الزُّهْدَ في الدُّنْيا، وَقالَ اللهُ تَعالىٰ لِمُوسىٰ: يا مُوسىٰ، إِنَّهُ لَنْ يَتَزَيَّنَ الْمُتَزَيِّنُونَ بِزِينَةٍ أَزْيَنَ في عَيْني مِثْلَ الزُّهْدِ. يا مُوسىٰ، إِذا رَأَيْتَ الْفَقْرَ مُقْبِلاً فَقُلْ مَرْحَباً بِشِعارِ الصّالِحِينَ، وَإِذا رَأَيْتَ الْغِنى مُقْبِلاً فَقُلْ: ذَنْبٌ عُجِّلَتْ عُقُوبَتُهُ».

في هذا المقطع الدعوة إلى الزهد في الدنيا، والإقبال على الدار الآخرة التي أعدّها الله تعالى للمتّقين من عباده، والتي هي دار البقاء والخلود. ويستمرّ النبيّ ﷺ في حديثه مع ابن مسعود قائلاً:

«يابْنَ مَسْعُود، قَوْلُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ

---

(١) هود ١١: ٧. المُلك ٦٧: ٢.

(٢) الحديد ٥٧: ٢٠.

(٣) مريم ١٩: ١٢.

رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١] ، وَقَوْلُهُ : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَّدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً ﴾[٢] » .

إنّ الله تعالى خالق الكون بمجرّاته وكواكبه ، وجباله وسهوله ، وغير ذلك من العجائب ، وكلّها بمرئً من الإنسان ، والجاحد لربّه يعدّ من الحيوانات السائمة التي لا تعي ولا تعقل ، وهو في مستوى سحيق من الغباء والجهل ، ولا يشعر إلّا بمصالحه الضيّقة الفانية في الدنيا ، وأنّ ألطاف الله تعالى التي لا نهاية لها لو شاءت لأمدّتهم بجميع ألوان النِّعم ، ثمّ بعد ذلك يلاقون أعمالهم في الدار الآخرة . . ويستمرّ النبيّ صلى الله عليه وآله في وصيّته لابن مسعود قائلاً :

« يابْنَ مَسْعُود ، مَنِ اشْتاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سارَعَ في الْخَيْراتِ ، وَمَنْ خافَ النّارَ تَرَكَ الشَّهَواتِ ، وَمَنْ تَرَقَّبَ الْمَوْتَ أَعْرَضَ عَنِ اللَّذّاتِ ، وَمَنْ زَهِدَ في الدُّنْيا هانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيباتُ » .

من المؤكّد أنّ مَن يشتاق إلى الجنّة التي أُعدّت للمتّقين والصالحين ، فإنّه يسارع في فعل الخيرات ، واجتناب المآثم ، وزهد عن متع الحياة ورغائبها ، وهذا بند آخر من هذه الوصيّة يقول صلى الله عليه وآله :

« يابْنَ مَسْعُود ، قَوْلُهُ تَعالىٰ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾[٣] » .

---

(١) الزخرف ٤٣ : ٣٣ ـ ٣٥.

(٢) الإسراء ١٧ : ١٨ و ١٩.

(٣) آل عمران ٣ : ١٤.

حكت الآية ما فُطر عليه النّاس من حبّهم العارم للشهوات التي منها النساء والبنين والأموال والخيل، وكلّ ما يحقّق رغباتهم، ومن بنود هذه الوصية قوله:

«يابْنَ مَسْعُود، إنَّ اللهَ اصْطَفىٰ مُوسىٰ بِالْكَلَامِ وَالْمُناجاةِ، حِينَ تَرىٰ خُضْرَةَ الْبَقْلِ مِنْ بَطْنِهِ مِنْ هُزالِهِ[1]، وَما سَأَلَ مُوسىٰ حِينَ تَولّىٰ إِلَى الظِّلِّ إِلَّا طَعاماً يَأْكُلُهُ مِنْ جُوعٍ.

يابْنَ مَسْعُود، إنْ شِئْتَ نَبَّأْتُكَ بِأَمْرِ نُوحٍ نَبِيِّ اللهِ، إِنَّهُ عاشَ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عاماً يَدْعُو إِلَى اللهِ، فَكانَ إِذا أَصْبَحَ قالَ: لَا أُمْسِي، وَإِذا أَمْسىٰ قالَ: لَا أُصْبِحُ، فَكانَ لِباسُهُ الشَّعْرَ، وَطَعامُهُ الشَّعِيرَ.

وَإِنْ شِئْتَ نَبَّأْتُكَ بِأَمْرِ داودَ عليه السلام خَلِيفَةُ اللهِ في الْأَرْضِ، وَكانَ لِباسُهُ الشَّعْرَ، وطعامُهُ الشَّعيرَ.

وَإِنْ شِئْتَ نَبَّأْتُكَ بِأَمْرِ سُلَيْمانَ عليه السلام مَعَ ما كانَ فِيْهِ مِنَ الْمُلْكِ، كانَ يَأْكُلُ الشَّعِيرَ، وَيُطْعِمُ النّاسَ الْحُوّارى[2]، وَكانَ لِباسُهُ الشَّعْرَ، وَكانَ إِذا جَنَّهُ اللَّيْلُ شَدَّ يَدَهُ إِلىٰ عُنُقِهِ فَلَا يَزالُ قائِماً يُصَلِّي حَتّىٰ يُصْبِحَ.

وَإِنْ شِئْتَ نَبَّأْتُكَ بِأَمْرِ إِبْراهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمٰنِ عليه السلام، كانَ لِباسُهُ الصُّوفَ، وَطَعامُهُ الشَّعِيرَ.

وَإِنْ شِئْتَ نَبَّأْتُكَ بِأَمْرِ يَحْيىٰ عليه السلام، كانَ لِباسُهُ اللِّيفَ، وَكانَ يَأْكُلُ

---

(١) **الهزال**: قلّة اللحم.

(٢) **الحوارى**: الدقيق الأبيض.

وَرَقَ الشَّجَرِ.

وَإِنْ شِئْتَ نَبَّأْتُكَ بِأَمْرِ عِيسىٰ عليه السلام بْنِ مَرْيَمَ ، وَهُوَ الْعَجَبُ ،كانَ يَقُولُ : إِدامي الْجُوعُ ، وَشَعارِيَ الْخَوْفُ[1] ، وَلِباسيَ الصُّوفُ ، وَدابَّتي رِجْلَاي ، وَسِراجِيَ بِاللَّيْلِ الْقَمَرُ ، وَصَلَايَ في الشِّتاءِ مَشارِقَ الشَّمْسِ ، وَفاكِهَتي وَرَيْحانَتي بُقُولُ الْأَرْضِ مِمّا يأْكُلُ الْوُحُوشُ وَالْأَنْعامُ ، وَأَبيْتُ وَلَيْسَ لي شَيْءٌ ، وَأُصْبِحُ وَلَيْس لي شَيْءٌ ، وَلَيْسَ عَلىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَغْنىٰ مِنِّي » .

لقد تحدّث النبيّ صلى الله عليه وآله عن سيرة اخوانه أنبياء الله تعالى ، وزهدهم في الدنيا ، وإعراضهم عن مباهجها وزينتها ليعتبر بذلك ابن مسعود وغيره من المسلمين ، ثمّ واصل النبيّ صلى الله عليه وآله حديثه عن أنبياء الله تعالى قائلاً:

« يابْنَ مَسْعُود ، كُلُّ هٰذا مِنْهُم ـ أي أنبياء الله تعالى ـ يُبْغِضُونَ ما أَبْغَضَ اللهُ ، وَيُصَغِّرُونَ ما صَغَّرَ اللهُ ، وَيُزَهِّدُونَ ما أَزْهَدَ اللهُ ، وَقَدْ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِم في مُحْكَمِ كِتابِهِ ، فَقالَ لِنُوحٍ : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً ﴾[2] .

وَقالَ لِإبْراهِيمَ : ﴿ وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾[3] .

وَقالَ لِداودَ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾[4] .

وَقالَ لِمُوسىٰ : ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً ﴾[5] .

---

(١) **الخوف** : هو من الله تعالى .

(٢) الإسراء ١٧ : ٣.

(٣) النساء ٤: ١٢٥.

(٤) ص ٣٨: ٢٦.

(٥) النساء ٤: ١٦٤.

وَقالَ أَيْضاً لِمُوسىٰ: ﴿ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً ﴾[١].

وَقالَ لِيَحْيىٰ: ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً ﴾[٢].

وَقالَ لِعِيسىٰ: ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ﴾[٣].

وَقَالَ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[٤]».

وقد ذكر النبيّ ﷺ في هذا المقطع ثناء الله تعالى على أنبيائه، وتمجيده لهم؛ لأنّهم أخلصوا لله تعالى، وأنابوا اليه، فشكرهم تعالى وأثابهم بألطافه وفضله، ويستمرّ النبيّ في حديثه مع الأنبياء: ، قائلاً:

«يابْنَ مَسْعُود، كُلُّ ذلِكَ لِما خَوَّفَهُمُ اللهُ في كِتابِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾[٥]، قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٦]».

عرض النبيّ ﷺ في هذه الكلمات إلى خوف الأنبياء: من الله تعالى، فقد

---

(١) مريم ١٩: ٥٢.

(٢) مريم ١٩: ١٢.

(٣) المائدة ٥: ١١٠.

(٤) الأنبياء ٢١: ٩٠.

(٥) الحجر ١٥: ٤٣ و ٤٤.

(٦) الزُّمر ٣٩: ٦٩.

خافوا شدّة عقابه وعذابه، فأنابوا إليه وأطاعوه، ويأخذ النبيّ في حديثه قائلاً:

«يابْنَ مَسْعُود، النّارُ لِمَنْ رَكِبَ مُحَرَّماً، وَالْجَنَّةُ لِمَنْ تَرَكَ الْحَلالَ، فَعَلَيْكَ بِالزُّهدِ، فَإِنَّ ذلِكَ مِمّا يُباهي اللهُ بِهِ الْمَلائِكَةَ، وَبِهِ يُقْبِلُ عَلَيْكَ بِوَجْهِهِ، وَيُصَلّي عَلَيْكَ الْجَبّارُ».

حكت هذه الكلمات أنّ الله تعالى خلق نار جهنّم ـ أعاذنا الله منها ـ لمن اقترف محرماً وارتكب ذنباً كما خلق الجنّة التي تجري من تحتها الأنهار لمن ترك ما أحلّه الله تعالى وزهد في الدنيا، ثمّ يأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بسرد الأحداث التي تجري على أُمّته:

«يابْنَ مَسْعُود، سَيَأْتي مِنْ بَعْدي أَقْوامٌ يَأْكُلُونَ طَيِّبَ الطَّعامِ وَأَلْوانَها، وَيَرْكَبُونَ الدَّوابَّ، وَيَتَزَيَّنُونَ بِزينَةِ الْمَرْأَةِ لِزَوْجِها، وَيَتَبَرَّجُونَ تَبَرُّجَ النِّساءِ، وَزيّهِنَّ مِثْلَ زَيِّ الْمُلُوكِ الْجَبابِرَةِ، وَهُمْ مُنافِقُو هٰذِهِ الأُمَّةِ في آخِرِ الزَّمانِ، شارِبُونَ لِلْقَهَواتِ[(١)]، لاعِبُونَ بِالْكِعابِ[(٢)]، راكِبُونَ الشَّهَواتِ، تارِكُونَ الْجَماعاتِ، راقِدُونَ عَنِ الْعَتَماتِ[(٣)]، مُفَرِّطُونَ فِي الْعَدَواتِ، يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾[(٤)].

يابْنَ مَسْعُود، مَثَلُهُمْ مَثَلُ الدَّفْلى[(٥)]، زَهْرَتُها حَسَنَةٌ، وَطَعْمُها مُرٌّ، كَلامُهُمُ

---

(١) **القهوات**: هي الخمر.

(٢) **الكعاب**: النرد.

(٣) لم يصلّوا العتمة وناموا عنها.

(٤) مريم ١٩: ٥٩.

(٥) **الدفلى**: شجر فيه كثير من الورد الأحمر الجميل إلّا أنّه لا رائحة منه.

الْحِكْمَةُ ، وَأَعْمالُهُمْ داءٌ لَا يَقْبَلُ الدَّواءَ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[١]».

حكى هذا المقطع ما يجري على أُمّته من الشقاء والبعد عن الله تعالى في آخر الزمان ، من إقبالهم على أطيب الطعام إلّا أنّ ذلك ليس محرّماً ، وإنّما يتناولوه من طرق الحرام ، وأنّ شريحة منهم يتزيّنون تزيّن المرأة ، وهو ما نشاهده من بعض السفلة من الشباب المنحرف الغارق في الشهوات الذي يحكي في لباسه النساء لاغراءهن وجرّهنّ إلى ميدان الدعارة والمجون ، أنقذ الله المسلمين من هذه الأوضاع الشاذّة.. ويستمرّ النبيّ في وصيّته قائلاً:

«يابْنَ مَسْعُود ، ما يُغْني مَنْ يَتَنَعَّمُ في الدُّنْيا إذا أُخْلِدَ في النّارِ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[٢] ، يَبْنُونَ الدُّورَ ، وَيُشَيِّدُونَ الْقُصورَ ، وَيُزَخْرِفُونَ الْمَساجِدَ ، وَلَيْسَتْ هِمَّتُهُمْ إِلَّا الدُّنْيا ، عاكِفُونَ عَلَيْها ، مُعْتَمِدُونَ فِيها ، آلِهَتُهُمْ بُطُونُهُم.

قالَ اللهُ تَعالىٰ : ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾[٣].

قالَ اللهُ تَعالىٰ : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٤] ،

---

(١) محمّد ﷺ ٤٧: ٢٤.

(٢) الروم ٣٠: ٧.

(٣) الشعراء ٢٦: ١٢٩ ـ ١٣١.

(٤) الجاثية ٤٥: ٢٣.

وَما هُوَ إِلَّا مُنافِقٌ جَعَلَ دِينَهُ هَواهُ ، وَإِلٰهَهُ بَطْنَهُ ، كُلَّما اشْتَهىٰ مِنَ الْحَلالِ وَالْحَرامِ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْهُ.

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾(١).

يابْنَ مَسْعُود ، مَحارِيبُهُمْ نِساؤُهُمْ ، وَشَرَفُهُمُ الدَّراهِمُ وَالدَّنانِيرُ ، وَهِمَّتُهُمْ بُطُونُهُمْ ، أُوْلٰئِكَ هُم شَرُّ الْأَشْرارِ ، الْفِتْنَةُ مَعَهُمْ ، وإِلَيْهِم تَعُودُ.

يابْنَ مَسْعُود ، قَوْلُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾(٢).

يابْنَ مَسْعُود ، أَجْسادُهُمْ لا تَشْبَعُ ، وَقُلوبُهُمْ لا تَخْشَعُ ».

تحدّث النبيّ صلى الله عليه وآله عن شريحة من النّاس لا إرب لها في الحياة سوى تحقيق رغباتها وشهواتها ، وهم في غفلة عن شؤون آخرتهم قد انصرفوا عنها ، وهاموا في الدنيا أُولئك هم الخاسرون ، ويتحدّث النبيّ صلى الله عليه وآله عن أُمّته في آخر الزمان. يقول صلى الله عليه وآله :

« يابْنَ مَسْعُود ، الْإِسْلامُ بَدَأَ غَرِيباً ، وَسَيَعُودُ غَرِيباً كَما بَدَأَ ، فَطُوبىٰ لِلْغُرَباءِ ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذٰلِكَ الزَّمانَ مِنْ أَعْقابِكُمْ فَلَا تُسَلِّمُوا في نادِيهِمْ ، وَلَا تُشَيِّعُوا جَنائِزَهُمْ ، وَلَا تَعُودُوا مَرْضاهُمْ ، فَإِنَّهُمْ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِكُمْ ، وَيَظْهَرُونَ بِدَعْواكُمْ ، وَيُخالِفُونَ أَفْعالَكُمْ ، فَيَمُوتُونَ عَلىٰ غَيْرِ مِلَّتِكُمْ ، أُولٰئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلا أَنا مِنْهُمْ ، فَلَا تَخافَنَّ أَحَداً غَيْرَ اللهِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿ أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ

---

(١) الرعد ١٣ : ٢٦.

(٢) الشعراء ٢٦ : ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ ﴾[١].

وَيَقُولُ: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُورِكُمْ ﴾ -إلى قوله :- ﴿ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[٢]».

عرض النبيّ ﷺ في هذا المقطع إلى المنحرفين عن الإسلام في آخر الزمان الذين لم ينفذ الإسلام إلى دخائل نفوسهم، وأعماق قلوبهم، فالزم بمقاطعتهم ونبذهم؛ لأنّهم يشكّلون خطراً على الإسلام وعلى المسلمين. ومن بنود هذه الوصيّة قوله ﷺ:

يابْنَ مَسْعُود مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ يُرِيدُ بِهِ الدُّنْيا، وَآثَرَ عَلَيْهِ حُبَّ الدُّنْيا وَزِينَتَها اسْتَوْجَبَ سَخَطَ اللهِ عَلَيْهِ، وَكانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصارى الَّذِينَ نَبَذُوا كِتابَ اللهَ تَعالىٰ، قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[٣].

يابْنَ مَسْعُود، مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ لِلدُّنْيا وَزِينَتَها حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ.

حكى هذا المقطع أنّ طلب العلم ينبغي أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، لا يُراد به عرض الدنيا. أمّا مَن يبتغي غير ذلك فقد ظلّ سواء السبيل، ومن بنود هذه الوصيّة قوله ﷺ:

(١) النساء ٤: ٧٨.

(٢) الحديد ٥٧: ١٣ـ ١٥.

(٣) البقرة ٢: ٨٩.

يابْنَ مَسْعُود ، مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَلَمْ يَعْمَلْ بما فِيهِ حَشَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمىٰ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ رِياءً وَسُمْعَةً يُريدُ بِهِ الدُّنْيا نَزَعَ اللهُ بَرَكَتَهُ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ مَعيشَتَهُ ، وَوَكَلَهُ اللهُ إِلىٰ نَفْسِهِ ، وَمَنْ وَكَلَهُ اللهُ إِلىٰ نَفْسِهِ فَقَدْ هَلَكَ ، قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾[١].

يابْنَ مَسْعُود ، فَلْيَكُنْ جُلَساؤُكَ الْأَبْرارُ ، وَإِخْوانُكَ الْأَتْقِياءُ وَالزُّهّادُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعالىٰ قالَ في كِتابِهِ: ﴿ الْأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾[٢].

تحدّث النبيّ صلى الله عليه وآله في آخر هذا المقطع عن الصاحب والجليس ، وأنّهما لا بدّ أن يكونا من الأخيار والصالحين ، فإنّ الحياة الاجتماعيّة حياة تأثير وتأثّر ، فكلّ إنسان يتأثّر فيمن حوله ، ويؤثّر فيمن حوله ، فينبغي أن يكون الصاحب مثالاً للكرامة والإنسانيّة ، وأن يكون في سلوكه قدوة حسنة للغير ، وهنا بحوث جليلة عرض لها الرسول صلى الله عليه وآله في هذا المقطع لم نذكرها ؛ لأنّا آثرنا الايجاز في هذه البحوث ، ولنقرأ بنداً آخر من هذه الوصيّة التربويّة . يقول صلى الله عليه وآله :

يابْنَ مَسْعُود ، عَلَيْكَ بِخَشْيَةِ اللهِ وَأَداءِ الْفَرائِضِ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾[٣].

وَيَقُولُ: ﴿ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[٤].

---

(١) الكهف ١٨: ١١٠.

(٢) الزخرف ٤٣: ٦٧.

(٣) المدّثر ٧٤: ٥٦.

(٤) البيّنة ٩٨: ٨.

حكت هذه الكلمات اهتمام النبيّ ﷺ بتقوى الله تعالى ، وخشيته في السرّ والعلانية ، وأداء الفرائض ليكون الإنسان بمنجى من عذاب الله تعالى . ومن بنود هذه الوصيّة قوله :

يابْنَ مَسْعُود ، دَعْ عَنْكَ ما لَا يُعْنِيكَ ، وَعَلَيْكَ بِما يُغْنيك ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(١).

من آداب الإسلام أن يجتنب المسلم كلّ ما لا يعنيه ، وأن لا يكون فضوليّاً في شؤون الغير ، وإنّما عليه أن يهتمّ بما يعنيه .

ويستمرّ النبيّ ﷺ في وصيّته قائلاً:

يابْنَ مَسْعُود ، إِيّاكَ أَنْ تَدَعَ طاعَةً وَتَقْصِدَ مَعْصِيَةً شَفَقَةً عَلىٰ أَهْلِكَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾(٢).

حكت هذه الكلمات أن يُعنى الإنسان بتقوى الله تعالى ، وأن لا يؤثر أبناءه وأهله على طاعته تعالى ، وينساب في معصيته ، فإنّ الأهل لا يغنونه شيئاً يوم حشر الإنسان إلى الله تعالى .

ويأخذ النبيّ ﷺ في وصيّته قائلاً:

يابْنَ مَسْعُود ، احْذَرِ الدُّنْيا وَلَذّاتِها وَشَهَواتِها وَزِينَتِها ، وَأَكْلَ الْحَرامِ ،

---

(١) عبس ٨٠: ٣٧.

(٢) لقمان ٣١: ٣٣.

وَالذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، وَالْمَراكِبَ ، وَالنِّساءَ ، وَالْبَنِينَ ، وَالْقَناطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَالْأَنْعامِ ، وَالْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا ، وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ﴾[١].

دعا النبيّ صلى الله عليه وآله ابن مسعود إلى الزهد في الدنيا ، والإعراض عن مباهجها وزينتها ، والإقبال على طاعة الله تعالى التي هي ذخر للإنسان في يوم حشره . وهذا بند آخر من الوصيّة :

يابْنَ مَسْعُود ، لَا تَغْتَرَّنَّ بِاللهِ ، وَلَا تَغْتَرَّنَّ بِصَلَاتِك وَعَمَلِكَ وَبِرِّكَ وَعِبادَتِك .

أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله في هذه الكلمات على الإخلاص في العمل ، وأن لا يغترّ الإنسان بصلاته وسائر عبادته إذا لم يخلص فيها .

ثمّ يقول صلى الله عليه وآله :

يابْنَ مَسْعُود ، إذا تَلَوْتَ كِتابَ اللهِ تَعالىٰ فَأَتَيْتَ عَلىٰ آيَةٍ فِيها أَمْرٌ وَنَهْيٌ فَرَدِّدْها نَظَراً وَاعْتِباراً فِيها ، وَلَا تَسْهُ عَنْ ذلِك ، فَإِنَّ نَهْيَهُ يَدُلُّ عَلىٰ تَرْكِ الْمَعاصي ، وَأَمْرَهُ يَدُلُّ عَلىٰ عَمَلِ الْبِرِّ وَالصَّلَاحِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٢].

أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالتدبّر والإيمان بآيات الكتاب العزيز ، وأن يقف القارئ لها على كلّ آية فيمعن في الأوامر والنواهي ، وما يدعوان له من أعمال البرّ والاجتناب عن

---

(١) آل عمران ٣ : ١٥ .

(٢) آل عمران ٣ : ٢٥ .

مآثم الحياة.

ويأخذ النبيّ ﷺ في وصيّته قائلاً:

يابْنَ مَسْعُود، لَا تُحَقِّرَنَّ ذَنْباً، وَلَا تُصَغِّرَنَّهُ، وَاجْتَنِبِ الْكَبائِرَ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذا نَظَرَ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلىٰ ذُنُوبِهِ دَمِعَتْ عَيْناهُ قَيْحاً وَدَماً، يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾[1].

إنّ الإنسان المسلم ينبغي له أن لا يحتقر ذنباً، فإنّه لا يعلم أنّه يعصي به الخالق العظيم، وأنّ أعماله سوف تعرض عليه تعالى، فيحاسب عليها ويجازى بما عمله من سوء أو خير.

ومن فقرات هذه الوصيّة قوله ﷺ:

يابْنَ مَسْعُود، إذا قِيلَ لَكَ اتَّقِ اللهَ فَلَا تَغْضَبْ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾[2].

إنّ الأمر بتقوى الله تعالى دعوة إلى الفلاح والنجاح، ولكن بعض الطغاة والجبّارين إذا أُمروا بذلك أخذتهم العزّة بالإثم، وقد نقل الرواة عن عبدالملك بن مروان أنّه قال: «مَن أمرنا بتقوى الله تعالى ضربنا عنقه»، إنّ هذه الكلمة ثقيلة وبغيضة على العتاة الجبّارين.

ومن فقرات هذه الوصيّة الذهبيّة قوله ﷺ:

---

(١) آل عمران ٣: ٣٠.

(٢) البقرة ٢: ٢٠٦.

يابْنَ مَسْعُود ، قَصِّرْ أَمَلَكَ ، فَإذا أَصْبَحْتَ فَقُلْ : إنِّي لا اُمْسي ، وَإذا أَصْبَحْتَ فَقُلْ : لا اُصْبِحُ ، وَاعْزِمْ عَلىٰ مُفارَقَةِ الدُّنْيا ، وَأَحِبَّ لِقاءَ اللهِ ، وَلا تَكْرَه لِقاءَهُ ، فَإنَّ اللهَ يُحِبُّ لِقاءَ مَنْ أَحَبَّ لِقاءَهُ ، وَيَكْرَهُ لِقاءَ مَنْ يَكْرَهُ لِقاءَهُ .

إنّ الإنسان في هذه الحياة ينبغي له أن يقصر أمله ، ويبني على مفارقته للحياة ، فإنّه إذا أقرّ بذلك كان من أولياء الله تعالى الذين لا يقترفون ذنباً ولا إثماً . ومن فقرات هذه الوصيّة قوله صلى الله عليه وآله :

يابْنَ مَسْعُود ، وَالَّذي بَعَثَني بِالْحَقِّ لَيَأْتي عَلَى النّاسِ زَمانٌ يَسْتَحِلُّونَ الْخَمْرَ يُسَمّونَهُ النَّبيذَ ، عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ ، أَنا مِنْهُمْ بَريءٌ وَهُمْ مِنّي بُراءُ .

يابْنَ مَسْعُود ، الزّاني بِأُمِّهِ أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِمَّنْ يُدْخِلُ في مالِهِ مِنَ الرِّبا مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ، وَمَنْ شَرِبَ الْمُسْكِرَ قَليلاً أَوْ كَثيراً فَهُوَ أَشَدُّ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَكْلِ الرِّبا؛ لِأَنَّهُ مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ .

وحذّر النبيّ صلى الله عليه وآله من شرب الخمر الذي يعود بالأضرار الهائلة على الإنسان ، ويسبّب له الكثير من مشاكل الحياة[١] ، كما حذّر من الربا الذي يوجب شيوع الفقر والفاقة عند النّاس ، وتكدّس الثراء الفاحش عند ذوي الأطماع والمستغلّين . ومن فقرات هذه الوصيّة قوله صلى الله عليه وآله :

يابْنَ مَسْعُود ، إذا عَمِلْتَ عَمَلاً فَاعْمَلْ للهِ خالِصاً؛ لِأَنَّهُ لا يَقْبَلُ مِنْ عِبادِهِ الْأَعْمالَ إلّا ما كانَ خالِصاً ، فَإنَّهُ يَقولُ : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴾

---

(١) عرضنا لأضرار الخمر الهائلة في كتابنا : العمل وحقوق العامل في الإسلام .

إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾[١].

إنّ كلّ عمل صالح يعمله الإنسان إذا لم يكن مشفوعاً بالإخلاص لله تعالى فإنّه لا ينفع صاحبه، فإنّ الإخلاص هو من شروط قبول الأعمال. ومن فقرات هذه الوصيّة قوله صلى الله عليه وآله:

يابْنَ مَسْعُود، دَعْ نَعِيمَ الدُّنْيا وَأَكْلَها وَحَلَاوَتَها، وحارَّها وَبارِدَها، وَلِينَها وَطِيبها، وَأَلْزِمْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَنْها، فَإِنَّكَ مَسْؤُولٌ عَنْ ذلِكَ كُلِّهِ، قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٢].

يابْنَ مَسْعُود، فَلَا تُلْهِيَنَّكَ الدُّنْيا وَشَهواتِها، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[٣].

يابْنَ مَسْعُود، إِذا عَمِلْتَ عَمَلاً مِنَ الْبِرِّ وَأَنْتَ تُرِيدُ بِذلِكَ غَيْرَ اللهِ فَلَا تَرْجُ بِذلِكَ مِنْهُ ثَواباً، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[٤].

حكت هذه الكلمات الدعوة إلى الزهد في الدنيا، ونبذ مباهجها وملذّاتها؛ لأنّه يسأل عنها يوم القيامة، كما حكت ضرورة الإخلاص لله في الأعمال الخيّرة، وأنّ كلّ عمل إذا لم يقصد به وجه الله تعالى فهو عبث لا فائدة فيه. ويستمرّ النبيّ صلى الله عليه وآله فى وصيّته لابن مسعود قائلاً:

يابْنَ مَسْعُود، إِذا مَدَحَكَ النّاسُ فَقالُوا: إِنَّكَ تَصُومُ النَّهارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ،

---

(١) الليل ٩٢: ١٩ ـ ٢١.

(٢) التكاثر ١٠٢: ٨.

(٣) المؤمنون ٢٣: ١١٥.

(٤) الكهف ١٨: ١٠٥.

وَأَنْتَ عَلىٰ غَيْرِ ذٰلِكَ فَلَا تَفْرَحْ بِذٰلِكَ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١].

إنّ مدح الإنسان بأعمال الخير ، وهو لم يأتِ بها ينبغي أن لا يغرّه الاطراء والمدح بما لم يعمله ، وإذا صدق ذلك فإنّه لا ينجو من عذاب الله تعالى ونقمته . وهذا بند آخر من الوصيّة :

يابْنَ مَسْعُود ، أَكْثِر مِنَ الصّالِحاتِ وَالْبِرِّ ، فَإِنَّ الْمُحْسِنَ وَالْمُسِيءَ يَنْدَمانِ ، يَقُولُ الْمُحْسِنُ : يا لَيْتَني ازْدَدْتُ مِنَ الْحَسَناتِ ، وَيَقُولُ الْمُسِيءُ : قَصَّرْتُ وَتَصْديقُ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعالىٰ : ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[٢].

يابْنَ مَسْعُود ، لَا تُقَدِّمِ الذَّنْبَ ، وَلَا تُؤَخِّرِ التَّوْبَةَ ، وَلٰكِنْ قَدِّمِ التَّوْبَةَ ، وَأَخِّرِ الذَّنْبَ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ في كِتابِهِ : ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾[٣].

دعت هذه الوصيّة إلى المزيد من أعمال البرّ والخير ، والاجتناب عن السيّئات ؛ لأنّ الإنسان يجد يوم القيامة ما عمله حاضراً ، ولا يظلم ربّك أحداً . ومن بنود هذه الوصيّة قوله صلى الله عليه وآله :

يابْنَ مَسْعُود ، إِيّاكَ أَنْ تَسِنَّ سُنَّةَ بِدْعَةٍ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذا سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً لَحِقَهُ

---

(١) آل عمران ٣ : ١١.

(٢) القيامة ٧٥: ٢.

(٣) القيامة ٧٥: ٥.

وِزْرُها ، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِها .

قالَ اللهُ تَعالىٰ : ﴿ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾[١] .

وَقالَ سُبْحانَهُ : ﴿ يُنَبَّؤُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾[٢] .

إنّ الإنسان محاسب أمام الله تعالى عن جميع أعماله ، والتي منها من سنّ سيّئة فإنّ وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة تلاحقه ويطوّق بها ، حسب ما تظافرت الأخبار بذلك .

ومن بنود هذه الوصيّة هذه الكلمات :

يابْنَ مَسْعُود ، لَا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيا ، وَلَا تَطْمَئِنَّ إِلَيْها فَسَتُفارِقُها عَنْ قَلِيلٍ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقولُ : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[٣] ، ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾[٤] .

يابْنَ مَسْعُود ، اذْكُرِ الْقُرُونَ الْماضِيَةِ ، وَالْمُلُوكَ الْجبابِرَةِ الَّذينَ مَضَوا ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ : ﴿ وَعَاداً وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذٰلِكَ كَثِيراً ﴾[٥] .

حكت هذه الكلمات الزهد في الدنيا ، وعدم الافتتان بها ، فإنّ مصيرها إلى الفناء والزوال ، وعلى الإنسان أن ينظر بعمق إلى الملوك الذين مضوا ، فقد طحنهم الموت ، وزال جبروتهم وملكهم .

---

(١) يس ٣٦ : ١٢ .

(٢) القيامة ٧٥ : ١٣ .

(٣) الشعراء ٢٦ : ٥٧ .

(٤) الشعراء ٢٦ : ١٤٨ .

(٥) الفرقان ٢٥ : ٣٨ .

ولنستمع إلى فصل آخر من هذه الوصيّة :

يابْنَ مَسْعُود ، انْظُرْ أَنْ تَدعَ الذَّنْبَ سِرّاً وَعَلا نِيَةً ، صَغِيراً وَكَبِيراً ، فَـإِنَّ اللهَ تَعالىٰ حَيْثُ ما كُنْتَ يَراكَ وَهُوَ مَعَكَ ،فاجْتَنِبْها .

يابْنَ مَسْعُود ، اتَّقِ اللهَ في السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، وَاللَّيْلِ وَالنَّـهارِ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾(١) .

إنّ الله تعالى هو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد ، وهو مطّلع على خفايا النفوس ودخائل القلوب ، فعلى الإنسان أن يتّقِ ربّه ، ويخلص في عمله في خلواته وإعلانه .

وعرض النبيّ صلى الله عليه وآله في وصيّته الذهبيّة لابن مسعود إلى التحذير من كيد الشيطان الرجيم ، قائلاً :

يابْنَ مَسْعُود ، اتَّخِذِ الشَّيْطانَ عَدُوّاً ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً ﴾(٢) .

وَيَقُولُ عَنْ إِبْلِيسَ : ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾(٣) ، وَيَقُولُ : ﴿ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٤) .

---

(١) المجادلة ٥٨ : ٧.

(٢) فاطر ٣٥ : ٦.

(٣) الأعراف ٧ : ١٧.

(٤) ص ٣٨ : ٨٤ و ٨٥.

إنّ الشيطان هو العدوّ الماكر للإنسان ، الذي يكيد له وضح النهار وفي غلس الليل ، ويرديه صريع شهواته ، ويصرفه عن الطريق القويم ، فلذا حذّر منه النبيّ ﷺ ، وأهاب بالمسلمين من اتّباعه .

ويستمرّ النبيّ ﷺ في وصيّته :

يابْنَ مَسْعُود ، فانْظُرْ أَنْ لَا تَأْكُلِ الْحَرامَ ، وَلَا تَلْبَسِ الْحَرامَ ، وَلَا تَأْخُذْ مِنَ الْحَرامِ ، وَلَا تَعْصِ اللهَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ لإبْلِيسَ: ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً﴾[١].

وَقالَ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ﴾[٢].

حذّر النبيّ ﷺ من أكل الحرام ، فإنّه يعود على الإنسان بالمضاعفات السيّئة ، ويجرّ له الويل والدمار ، ويسلّط عليه إبليس فيصدّه عن الله تعالى ، وعن كلّ عمل خير .

ويستمر النبيّ ﷺ في وصيّته قائلاً:

يابْنَ مَسْعُود ، لَا تَقْرَبَنَّ مِنَ الْحَرامِ مِنَ الْمالِ وَالنِّساءِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٣] ، وَلَا تُؤْثِرَنَّ الْحَياةَ الدُّنْيا عَلَى الْآخِرَةِ بِاللَّذّاتِ وَالشَّهَواتِ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىَ يَقُولُ في كتابِهِ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ

---

(١) الإسراء ١٧ : ٦٤.

(٢) لقمان ٣١ : ٣٣. فاطر ٣٥ : ٥.

(٣) الرحمٰن ٥٥ : ٤٦.

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾(١) يَعْنِي الدُّنْيا الْمَلْعُونَةَ ، وَالْمَلْعُونُ ما فِيها إِلَّا ما كانَ لِلَّهِ.

إنّ تقوى الله تعالى فيها النجاة من الهلاك ، والظفر بنِعم الله تعالى في الدار الآخرة التي أُعدّت للمتّقين ، وأمّا من اتّبع هواه ، وآثر الحياة الدنيا على الآخرة ، فمصيره إلى النّار.

ومن بنود هذه الوصيّة قوله :

يابْنَ مَسْعُود ، لَا تَخُونَنَّ أَحَداً في مالٍ يَضَعُهُ عِنْدَكَ أَوْ أَمانَةٍ ائْتَمَنَكَ عَلَيْها ، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾(٢).

إنّ أداء الأمانة إلى أهلها ، وعدم التصرّف فيها من القيم الرفيعة التي تبنّاها الإسلام ، وألزم بها..

ومن بنود هذه الوصيّة قوله :

يابْنَ مَسْعُود ، لَا تَتَكَلَّمْ إِلَّا بِالْعِلْمِ بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ وَرَأَيْتَهُ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقولُ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾(٣).

وَقالَ : ﴿ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾(٤).

وَقالَ : ﴿ إِذْ يَتَلَقَّي الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ

---

(١) النازعات ٧٩ : ٣٧ ـ ٣٩.

(٢) النساء ٤ : ٥٨.

(٣) الإسراء ١٧ : ٣٦.

(٤) الزخرف ٤٣ : ١٩.

إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[١].

وَقالَ: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِن حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[٢].

حذّر النبيّ ﷺ من القول بغير علم ويقين، فإنّه مسؤول عن ذلك أمام الله تعالى، وقد استشهد بكوكبة من الآيات دلّت على ذلك.

ومن فقرات هذه الوصيّة:

يابْنَ مَسْعُود، لَا تَهْتَمَّنَّ لِلرِّزْقِ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا ﴾[٣].

وَقالَ: ﴿ وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾[٤].

وَقالَ: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٥].

إنّ الأرزاق بيد الله تعالى، فهو الذي يهب لمن يشاء من عباده، مؤمناً كان أو كافراً، بغير حساب، فلا يجهد الإنسان نفسه على شيء ليس بيده، وإنّما هو بيد الله تعالى.

ويقول الرسول ﷺ في وصيّته:

يابْنَ مَسْعُود، وَالَّذي بَعَثَني بِالْحَقِّ نَبِيّاً، إِنَّ مَنْ يَدَعِ الدُّنْيا وَيُقْبِلْ عَلىٰ

---

(١) ق ٥٠: ١٧ و ١٨.

(٢) ق ٥٠: ١٦.

(٣) هود ١١: ٦.

(٤) الذاريات ٥١: ٢٢.

(٥) الأنعام ٦: ١٧.

تِجارَةِ الْآخِرَةِ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَتَّجِرُ لَهُ مِنْ وَراءِ تِجارَتِهِ، وَيُرْبِحِ اللهُ تِجارَتَهُ. يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾(١).

فانبرى ابن مسعود قائلاً: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، كيف لي بتجارة الآخرة؟ وأرشد النبيّ ﷺ إلى تلك التجارة الرابحة،

فقال:

لَا تُرِيحَنَّ لِسانَكَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وَذلِكَ أَنْ تَقولَ: سُبْحانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَهٰذِهِ التِّجارَةُ الْمُرْبِحَةُ.

يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ يَرْجُونَ تِجَارَةً لَن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِن فَضْلِهِ ﴾(٢).

يابْنَ مَسْعُود، كُلَّما أَبْصَرْتَهُ بِعَيْنِكَ، وَاسْتَحْلَاهُ قَلْبُكَ، فَاجْعَلْهُ لِلهِ، فَذلِكَ تِجارَةُ الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ ﴾(٣).

ومن بنود هذه الوصيّة قوله:

يابْنَ مَسْعُود، أَحِبَّ الصّالِحِينَ، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّهُ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلىٰ أَعْمالِ الْبِرِّ فَأَحِبَّ الْعُلَماءِ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ

---

(١) النور ٢٤: ٣٧.

(٢) فاطر ٣٥: ٢٩ و ٣٠.

(٣) النحل ١٦: ٩٦.

وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً ﴾[١].

أمر النبيّ ﷺ بمودّة الصالحين والأخيار؛ لأنّهم أفذاذ المجتمع الذين يضيئون بسلوكهم وإيمانهم حياة النّاس.

ومن فقرات هذه الوصيّة قوله ﷺ:

يابْنَ مَسْعُود، إيّاكَ أَنْ تُشْرِكْ بِاللهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَإِنْ نُشِرْتَ بِالْمِنْشارِ، أَوْ قُطِعْتَ أَوْ صُلِبْتَ أَوْ اُحْرِقْتَ بِالنّارِ. يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[٢].

إنّ الشرك بالله تعالى من أعظم الكبائر، فإنّ الله تعالى لا يغفر لمن يشرك به، ويخلده في نار جهنّم، وبئس مثواه.

ومن فقرات هذه الوصيّة قوله:

يابْنَ مَسْعُود، اصْبِرْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرونَ اللهَ وَيُسَبِّحُونَهُ وَيُهَلِّلُونَهُ وَيَحْمِدُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِطاعَتِهِ، وَيَدْعُونَهُ بُكْرَةً وَعَشِيّاً، فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾[٣]، ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾[٤].

أمر النبيّ ﷺ ابن مسعود أن يتّخذ الصالحين والمنيبين إلى الله تعالى قدوة

---

(١) النساء ٤: ٦٩.

(٢) الحديد ٥٧: ١٩.

(٣) الكهف ١٨: ٢٨.

(٤) الأنعام ٦: ٥٢.

يسير على هداهم، ويقتدي بسلوكهم..

ومن فقرات هذه الوصيّة قوله:

يابْنَ مَسْعُود، لَا تَخْتَارَنَّ عَلىٰ ذِكْرِ اللهِ شَيْئاً فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ ﴾(١).

وَيَقُولُ: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾(٢).

وَيَقُولُ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٣).

وَيَقُولُ: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٤).

أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله في وصيّته على ذكر الله تعالى الذي هو مفتاح لكلّ خير، وسبب لكلّ نجاة، فما ذكره تعالى أكبر من كلّ شيء..

ومن بنود هذه الوصيّة قوله:

يابْنَ مَسْعُود، عَلَيْكَ بِالسَّكِينَةِ وَالْوِقارِ، وَكُنْ سَهْلاً، لَيِّناً، عَفِيفاً، مُسْلِماً، تَقِيّاً، نَقِيّاً، بارّاً، طاهِراً، مُطَهَّراً، صادِقاً، خالِصاً، سَلِيماً، صَحِيحاً، لَبِيباً، صالِحاً، صَبُوراً، شَكُوراً، مُؤْمِناً، وَرِعاً، عابِداً، زاهِداً، رَحِيماً، عالِماً، فَقِيهاً، يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾(٥).

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

---

(١) العنكبوت ٢٩: ٤٥.

(٢) البقرة ٢: ١٥٢.

(٣) البقرة ٢: ١٨٦.

(٤) غافر ٤٠: ٦٠.

(٥) هود ١١: ٧٥.

سَلاماً * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً ﴾[١].

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً ﴾[٢].

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِن أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ﴾[٣].

وَيَقُولُ اللهُ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[٤].

يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ أُولَـٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴾[٥].

وَقَالَ: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *

---

(١) الفرقان ٢٥: ٦٣ و ٦٤.

(٢) الفرقان ٢٥: ٧٣.

(٣) الفرقان ٢٥: ٧٤ ـ ٧٦.

(٤) المؤمنون ٢٣: ١ ـ ١١.

(٥) المعارج ٧٠: ٣٥.

أُوْلٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[١].

أمر النبيّ ﷺ ابن مسعود أن يتحلّى بكلّ فضيلة ليكون اُنموذجاً مشرقاً للمسلمين في سلوكه وآدابه وورعه وتقواه، وهذا بند آخر من هذه الوصيّة. يقول ﷺ:

يابْنَ مَسْعُود، لَا تَحْمِلَنَّكَ الشَّفَقَةُ عَلىٰ أَهْلِكَ وَوَلَدِكَ عَلَى الدُّخُولِ في الْمَعاصي وَالْحَرامِ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٢]، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللهِ، وَالْعَمَلِ الصّالِحِ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَواباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾[٣].

ينبغي للمسلم أن لا تأخذه الشفقة على أهل بيته، فلا يزجرهم من اقتراف المحرّمات، وإنّما عليه أن ينصحهم ويهديهم للتي هي أقوم.

قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٤]**، فالواجب على المسلم أن يردع أهله من ارتكاب الحرام، وإلّا فإنّه المسؤول عنهم عند الله تعالى.

ومن فقرات هذه الوصيّة قوله:

يابْنَ مَسْعُود، لَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ يَهْدي النّاسَ إِلَى الْخَيْرِ، وَيَأْمُرُهُم بِالْخَيْرِ وَهُوَ

---

(١) الأنفال ٨: ٢ ـ ٤.

(٢) الشعراء ٢٦: ٨٨ و ٨٩.

(٣) الكهف ١٨: ٤٦.

(٤) التحريم ٦٦: ٦.

غافِلٌ عَنْهُ.

يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[١].

إنّه ليس من الإنسانيّة في شيء أن يأمر الشخص بفعل الخير وهو لا يعمله، وينهاهم عن المنكر وهو يقترفه، فإنّ نصحه وإرشاده لا يجديان شيئاً ما لم يطبّق ذلك على نفسه...

ومن فقرات هذه الوصيّة قوله:

يابْنَ مَسْعُود، عَلَيْكَ بِحِفْظِ لِسانِكَ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٢].

يابْنَ مَسْعُود، عَلَيْكَ بِالسَّرائِرِ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾[٣].

حكت هذه الكلمات ضرورة أن يحفظ الإنسان لسانه عن كلمات السوء، والقذف والغيبة، والنميمة، وغير ذلك ممّا يبعده عن الله تعالى، كما حكت لزوم الحفّاظ على السرائر، وأن تكون مصونة بتقوى الله تعالى.

ومن فقرات وصيّته قوله:

يابْنَ مَسْعُود، احْذَرْ يَوْماً تُنْشَرُ فِيهِ الصَّحائِفُ، وَتُظْهَرُ فِيهِ الْفَضائِحُ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ

---

(١) البقرة ٢: ٤٤.

(٢) يس ٣٦: ٦٥.

(٣) الطارق ٨٦: ٩ و ١٠.

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾[١].

يابْنَ مَسْعُود ، اخْشَ اللهَ تَعالىٰ بِالْغَيْبِ كَأَنَّكَ تَراهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ .

يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ : ﴿ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴾[٢].

حفلت هذه الكلمات بالتحذير من ارتكاب المعاصي التي تعرض على الله تعالى ، ويفتضح بها الإنسان أمام الخلق ، كما حفلت بلزوم الخشية والتقوى من الله تعالى ، فإنّه يرى العبد في خلوته ، ويعلم ما انطوت عليه نفسه ... ومن محتويات هذه الوصيّة :

يابْنَ مَسْعُود ، انْصِفِ النّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَانْصَحِ الْأُمَّةَ وَارْحَمْهُمْ ، فَإذا كُنْتَ كَذلِكَ وَغَضِبَ اللهُ عَلىٰ أَهْلِ بَلْدَةٍ وَأَنْتَ فِيها ، وَأَرادَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْعَذابَ نَظَرَ إِلَيْكَ فَرَحِمَهُمْ بِكَ .

يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[٣].

إنّ إنصاف النّاس ونصحهم ورحمتهم من موجبات التقوى والإنابة إلى الله تعالى ، وأنّه تعالى يرفع العذاب عن بلد يقيم فيه هذا الشخص تكريماً له ...

ومن فقرات هذه الوصيّة قوله :

---

(١) الأنبياء ٢١ : ٤٧.

(٢) ق ٥٠ : ٣٣ و ٣٤.

(٣) هود ١١ : ١١٧.

يابْنَ مَسْعُود ، إيّاكَ أَنْ تُظْهِرَ مِنْ نَفْسِكَ الْخُشُوعَ وَالتَّواضُعَ لِلْآدَمِيِّينَ وَأَنْتَ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ مُصِرٌّ عَلَى الْمَعاصي وَالذُّنُوبِ. يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾[١]. يابْنَ مَسْعُود ، فَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يُشَدِّدُ عَلَى النّاسِ وَيُخَفِّفُ عَلىٰ نَفْسِهِ. يَقُولُ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[٢].

حكت هذه الكلمات أنّ الإنسان المؤمن بربّه لا يكون مرائياً فيظهر للنّاس شيئاً من التقوى والتواضع وهو يعصي الله تعالى ،كما ينبغي له أن لا يشدّد على النّاس في أمور الدين وهو يخفّف على نفسه ..

ومن محتويات هذه الوصيّة قوله :

يابْنَ مَسْعُود ، إذا عَمِلْتَ عَمَلاً فَاعْمَلْ بِعِلْمٍ وَعَقْلٍ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْمَلَ عَمَلاً بِغَيْرِ تَدبيرٍ وَعِلْمٍ ، فَإِنَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً ﴾[٣].

وفي هذه الكلمات النصيحة لكلّ مَن يعمل عملاً أن يكون عن علم وعقل وتدبير ، ولا يكون ناشئاً عن الرغبات النفسيّة التي لا تمَت إلى العقل بصلة .

ولنستمع إلى هذه الفقرات الأخيرة من هذه الوصيّة المشرقة ، يقول صلى الله عليه وآله :

يابْنَ مَسْعُود ، عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ ، وَلَا تُخْرِجَنَّ مِنْ فِيكَ كِذْبَةً أَبَداً ، وَأَنْصِفِ النّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَأَحْسِنْ ، وَادْعُ النّاسَ إِلَى الْإِحْسانِ ، وَصِلْ رَحِمَكَ ،

---

(١) غافر ٤٠ : ١٩.

(٢) الصفّ ٦١ : ٢.

(٣) النحل ١٦ : ٩٢.

وَلَا تَمْكُرِ النّاسَ ، وَأَوْفِ النّاسَ بِما عاهَدْتَهُمْ ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]»[٢].

وانتهت هذه الوصيّة التي هي من ذخائر الفكر الإسلامي ، فقد حفلت بجميع مقوّمات الحياة ، وآداب السلوك ، ومحاسن الأعمال .

إنّها نفحة من نفحات النبوّة التي أضاءت الحياة الدنيا ، وأقامت صروحه .

وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لأبي ذرّ رضي الله عنه

أمّا أبو ذرّ فقد وعى الإسلام ، وآمن بقيمه ، وجاهد في سبيله ، وأبلى بلاءً حسناً في الدفاع عنه ، وقد ناهض الردّة الجاهليّة في أيّام الحكم الأموي الذي اتّخذ أموال الله تعالى دولاً ، وعباده خولاً ، فقام يشيع القيم الأصيلة التي جاء بها الإسلام في مناهضة الاستبداد والطغيان ممّا أغضب عثمان بن عفّان عميد الأُسرة الأمويّة ، فأقام عليه حكماً ظالماً ، وسدّ عليه جميع منافذ الحياة ، فسيّره إلى الربذة ، وفرض عليه الإقامة الجبريّة فيها ، والربذة أمحل بقعة في الجزيرة العربيّة ، ليس فيها أيّ رصيد للحياة ، فمات فيها جائعاً ، وعند لصوص الأمويّين ذَهَب المسلمين ينفقونه على شهواتهم ولياليهم الحمراء ، وكانت حادثة أبي ذرّ ومأساته من الأحداث المروّعة في الإسلام .

وعلى أيّ حال ، فقد كان أبو ذرّ أثيراً عند النبيّ صلى الله عليه وآله ، ومن أقرب أصحابه إليه ، وقد زوّده بهذه الوصيّة القيّمة التي حفلت بآداب الإسلام وقيمه وتعاليمه ،

---

(١) النحل ١٦: ٩٠.

(٢) بحار الأنوار: ٧٧: ٩٢ ـ ١١٠.

وقد تحدّث أبو ذرّ عن سبب هذه الوصيّة، قال: دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول الله ﷺ في مسجده، فلم أرَ أحداً من النّاس سوى النبيّ والإمام أمير المؤمنين إلى جنبه، فاغتنمت خلوة المسجد فقلت:

«يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، أوصني بوصيّة ينفعني الله بها».

ورحّب النبيّ ﷺ بأبي ذرّ، وأجابه إلى ذلك وقال له:

«نَعَمْ، وَأَكْرِمْ بِكَ يا أَبا ذَرٍّ. إِنَّكَ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَإِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ فاحْفَظْها، فَإِنَّها جامِعَةَ لِطُرُقِ الْخَيْرِ وَسُبُلِهِ، فَإِنَّكَ إِنْ حَفِظْتَها كانَ لَكَ بِهَا كِفْلَانِ.

وأخذ النبيّ يتلو عليه وصيّته القيّمة قائلاً:

يا أَبا ذَرّ، اُعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَراهُ فَإِنْ كُنْتَ لَا تَراهُ فَإِنَّهُ يَراكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ عِبادَةِ اللهِ الْمَعْرِفَةُ بِهِ، فَهُوَ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْفَرْدُ فَلَا ثانِيَ لَهُ، وَالْباقِي لَا إِلىٰ غايَةٍ، فاطِرُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ، وَما فِيهِما وَما بَيْنَهُما مِنْ شَيْءٍ، وَهُوَ اللهُ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ، وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ثُمَّ الْإِيمانُ بِي، وَالْإِقْرارُ بِأَنَّ اللهَ تَعالىٰ أَرْسَلَنِي إِلىٰ كافَّةِ النّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَداعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ، وَسِراجاً مُنِيراً، ثُمَّ حُبُّ أَهْلِ بَيْتِي الَّذِينَ أَذْهَبَ اللهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيراً.

وَاعْلَمْ يا أَبا ذَرّ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ أَهْلَ بَيْتِي فِي أُمَّتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَها نَجا، وَمَنْ رَغِبَ عَنْها غَرِقَ، وَمِثْلَ بابِ حِطَّةَ فِي بَنِي إِسْرائِيلَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً.

حكى هذا المقطع أموراً بالغة الأهمّية ، وهي :

١ ـ أن يعبد الإنسان ربّه خالق الكون ، وواهب الحياة ، عبادة عن فكر ووعي وإيمان ، فيعبد الله تعالى كأنّه يراه .

٢ ـ حفلت هذه الوصيّة ببعض صفات الله تعالى ، وهي :

- أنّه تعالى الأوّل قبل كلّ شيء .
- الفرد الصمد الذي لا ثاني له .
- أنّه الباقي بعد فناء كلّ شيء .
- أنّه خالق السماوات والأرض وما بينهما .

٣ ـ من محتويات هذا المقطع الإيمان بالرسول الأعظم باعث العلم في الأجيال ، وأنّ الله تعالى أرسله إلى أمم العالم وشعوب الأرض نذيراً وبشيراً وهادياً .

٤ ـ الإيمان بأهل بيت النبوّة ومراكز الوحي ، دعاة الإصلاح الاجتماعي في الأرض ، وأنّ من يتمسّك بهم فقد فاز فوزاً عظيماً ، ومَن حاد عنهم غرق في متاهات سحيقة من مآثم الحياة .. ثمّ شرع النبيّ صلى الله عليه وآله في بيان وصيّته قائلاً :

يا أَبا ذَرّ ، احْفَظْ ما أُوْصِيكَ بِهِ تَكُنْ سَعِيداً في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ .

يا أَبا ذَرّ ، نِعْمَتانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النّاسِ : الصِّحَّةُ وَالْفَراغُ .

إنّ من أعظم نِعم الله تعالى على الإنسان الصحّة ، وخلو البدن من الأمراض والأسقام ، وعليه أن يستغلّ هذه الفرصة بطاعة الله تعالى قبل أن تهجم الليالي وتواريه في الثرى ، وكذلك من نِعم الله الفراغ ، وعليه أن يستغلّه الإنسان في تهذيب نفسه بمعارف الإسلام وحكمه وتعاليمه .. ومن فقرات هذه الوصيّة قوله :

يا أَبا ذَرّ ، اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : شَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ

سَقْمِكَ، وَغِناكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفراغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَياتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ.

إنّ الإنسان إذا اغتنم هذه الأمور فقد فاز فوزاً مبيناً، ويلغ غاية المجد، وطوّر حياته على أساس من الكرامة والنبل.. ومن بنود هذه الوصيّة قوله:

يا أَبا ذَرّ، إِيّاكَ وَالتَّسْويفَ بِأَمَلِكَ، فَإِنَّكَ بِيَوْمِكَ، وَلَسْتَ بِما بَعْدَهُ، فَإِنْ يَكُنْ غَدٌ لَكَ فَكُنْ في الْغَدِ كَما كُنْتَ في الْيَوْمِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَدٌ لَكَ لَمْ تَنْدَمَ عَلىٰ ما فَرْطَّتَ في الْيَوْمِ.

يا أَبا ذَرّ، كَمْ مِنْ مُسْتَقِبلٍ يَوْماً لَا يَسْتَكْمِلُهُ، وَمُنْتَظِرٍ غَداً لَا يَبْلُغُهُ.

يا أَبا ذَرّ، لَوْ نَظَرْتَ إِلَى الْأَجَلِ وَمَصِيرِهِ لَأَبْغَضْتَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ.

دعا النبيّ ﷺ إلى الإسراع في قضاء مهام الإنسان، خصوصاً الخيّرة، وليس له من سبيل في التسويف بها. يقول أبو الحسن التهامي:

فاقْضوا مآرِبَكُم عُجالاً   إنّما أعْمارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الأسْفارِ

والإنسان في هذه الحياة يجهل أحداث يومه وغده، فقد لا يتمّ يومه عليه، وينتقل إلى الله تعالى خالق الكون وواهب الحياة، ولو أمعن الإنسان في ذلك، وفكّر لأبغض الأمل وغروره.. ومن فصول هذه الوصيّة قوله عليه الصلاة والسلام:

يا أَبا ذَرّ، كُنْ كَأَنَّكَ في الدُّنْيا غَرِيبٌ، أَوْ كَعابِرِ سَبِيلٍ، وَعِدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَصْحابِ الْقُبُورِ.

يا أَبا ذَرّ، إِذا أَصْبَحْتَ فَلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَساءِ، وَإِذا أَمْسَيْتَ فَلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّباحِ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَحَياتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْري ما اسْمُكَ غَداً.

دعا النبيّ ﷺ أبا ذرّ إلى الزهد في الدنيا، وعدم الاحتفاء بـملاذها ورغـباتها، وأن يحسب نفسه من الراحلين عن هذه الحياة، وأنّه لا يدري ما اسمه في الأيـام القريبة منه، فقد يتبدّل الاسم منه إلى الجنازة، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.. وهذا فصل آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، إِيّاكَ أَنْ تَدْرِكُكَ الصِّـرْعَةُ عِـنْدَ الْـعَثْرَةِ، فَـلَا تُـقالُ الْـعَثْرَةُ[1]، وَلَا تُمَكَّنْ مِنَ الرَّجْعَةِ، وَلَا يَحْمِدُكَ مَنْ خَلَّفْتَ بِما تَرَكْتَ، وَلَا يَعْذِرُكَ مَـنْ تَقَدَّمَ عَلَيْهِ بِما اشْتَغَلْتَ بِهِ.

يا أَبا ذَرّ، كُنْ عَلىٰ عُمُرِكَ أَشَحَّ مِنْكَ عَلىٰ دِرْهَمِكَ وَدِينارِكَ.

حذّر النبيّ ﷺ من العثرة التي لا تقال، فإنّ أمام الإنسـان الحسـاب والسـؤال، فلا يعذره الله تعالى عن عثرته، ولا تقال له، كما دعا إلى صرف الوقت في اكتساب الفضائل، فإنّه أثمن من الذهب، ولا ثمن يقابل به... وهذا فصل آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، هَلْ يَنْتَظِرُ أَحَدٌ إِلَّا غِنىً مُطْغِياً، أَوْ فَقْراً مُنْسِياً، أَوْ مَرَضاً مُفْسِداً، أَوْ هَرَماً مُفْنِداً، أَوْ مَوْتاً مُجْهِزاً، أَوِ الدَّجّالَ، فَإِنَّهُ شَرُّ غـائِبٍ يُـنْتَظَرُ، أَوِ السّـاعَةَ فَالسّاعَةُ أَدْهىٰ وَأَمَرُّ.

حكى هذا المقطع أحوال النّاس في حـاضرهم ومسـتقبلهم، فـبين مـن يـطغيه غناؤه، وبين فقير منسيّ، وبين مريض أو هرم أو ميّت، وهذه الأحوال هي السائدة في جميع المجتمعات التي يمرّ بها الإنسان. ثمّ تـحدّث النـبيّ ﷺ عـن الدجّـال المفسد الذي يظهر في آخر الزمان، والذي يدعو النّاس إلى الضلال، وأدهى مـن جيع هذه الأحداث هي الساعة، أي يوم القـيامة التـي يـذهل فـيها كـلّ إنسـان..

---

(١) **العثرة**: الزلّة والخطيئة. **الصِّرعة** ـ بكسر الصاد ـ: المرّة من الصرع. **الإقالة**: الفسخ.

وهذا بند آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ شَرَّ النّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ عالِمٌ لا يُنْتَفَعُ بِعِلْمِهِ، وَمَنْ طَلَبَ عِلْماً لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النّاسِ إِلَيْهِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ.

يا أَبا ذَرّ، مَنِ ابْتَغَى الْعِلْمَ لِيَخْدَعَ بِهِ النّاسَ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ.

يا أَبا ذَرّ، إِذا سُئِلْتَ عَنْ عِلْمٍ لا تَعْلَمُهُ فَقُلْ: لا أَعْلَمُهُ تَنْجُ مِنْ تَبِعَتِهِ، وَلا تُفْتِ بِما لا عِلْمَ لَكَ بِهِ تَنْجُ مِنْ عذابِ اللهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ.

إنّ على العالم أن يشيع علمه بين النّاس لينتفعوا به، فإذا لم يقم بذلك فإنّه محاسب عليه عند الله تعالى، كما أنّ مَن طلب العلم ليخدع به النّاس فإنّه على ضلال وإثم.. وهذا فصل آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، يَطَّلِعُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلىٰ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ النّارِ فَيَقُولُونَ: ما أَدْخَلَكُمُ النّارَ وَقَدْ دَخَلْنا الْجَنَّةَ لِفَضْلِ تَأْدِيبِكُمْ وَتَعْلِيمِكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: إِنّا كُنّا نَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَلا نَفْعَلُهُ.

إنّ أخسر النّاس مكانة عند الله تعالى هو من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو لا يطبق ذلك على نفسه، فيقترف الحرام ويترك الواجب، في حين أنّ غيره يستفيد من وعظه ويهتدي بقوله.. وهذا فصل آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ حُقُوقَ اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَقُومَ بِها الْعِبادُ وَإِنَّ نِعَمَ اللهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصِيها الْعِبادُ، وَلٰكِنْ أَمْسُوا وَأَصْبِحُوا تائِبِينَ.

إنّ نِعم الله تعالى على عباده، وألطافه عليهم لا تحصى ولا تعدّ، ولكن من المؤسف أنّهم قابلوها بالمعاصي والآثام.. وهذا فصل آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، إِنَّكُمْ في مَمَرِّ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ في آجالٍ مَنْقُوصَةٍ، وَأَعْمالٍ مَحْفُوظَةٍ، وَالْمَوْتُ يَأْتي بَغْتَةً، وَمَنْ يَزْرَعْ خَيْراً يوشَكُ أَنْ يَحْصِدَ خَيْراً، وَمَنْ يَزْرَعْ شَرّاً يُوشَكُ أَنْ يَحْصِدَ نَدامَةً، وَلِكُلِّ زارِعٍ مِثْلَ ما زَرَعَ.

إنّ هذه الحكم الرائعة لو يطبّقها الإنسان على حياته، ويسير على ضوئها لبلغ أرقى مراتب الفضل والكمال. إنّ هذه الدنيا مزرعة، فمن زرع خيراً حصد خيراً، ومن زرع شرّاً حصد شرّاً، ولا يظلم ربّك أحداً.. وهذا بحث آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، لَا يُسْبَقُ بَطيءٌ بِحَظِّهِ، وَلَا يُدْرِكُ حَريصٌ ما لَمْ يُقَدَّر لَهُ، وَمَنْ أُعْطِيَ خَيْراً فَإِنَّ اللهَ أَعْطاهُ، وَمَنْ وُقِيَ شَرّاً فَإِنَّ اللهَ وَقاهُ.

أمّا بنود هذا المقطع فهي:

١ ـ إنّ الحظّ لا يسبق الإنسان إلى غايته إذا كان بطيئاً في مسيرته.

٢ ـ إنّ الحريص لا ينال غايته، ما لم يقدر الله تعالى له.

٣ ـ إنّ مَن يعطي خيراً لا بسعيه وإنّما الله تعالى هو الذي أعطاه، كما أنّ مَن وقى شرّاً فإنّه ليس بإرادته، وإنّما الله تعالى هو الذي وقاه.. وهذا فصل آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، الْمُتَّقُونَ سادَةٌ، وَالْفُقَهاءُ قادَةٌ، ومُجالَسَتُهُم زِيادَةٌ. إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَرىٰ ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ تَحْتَ صَخْرَةٍ يَخافُ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنْ الْكافِرَ لَيرى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ ذُبابٌ مَرَّ عَلىٰ أَنْفِهِ.

حكت هذه الكلمات الأمور التالية:

١ ـ إنّ المتّقين هم سادة المجتمع؛ لأنّهم مصدر فيض وعطاء إلى النّاس في سلوكهم وهديهم.

٢ - إنّ الفقهاء هم القادة والموجّهون للنّاس، والمعلّمون والمرشدون لهم، وإنّ مجالستهم توجب الوعي وتهذيب النفس.

٣ - إنّ المؤمن إذا أذنب يرى ذنبه كابوساً عليه يخاف منه بعكس الكافر فإنّه لا يرى ذلك.. وهذا فصل آخر من هذه الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، إنَّ الله تَبارَكَ وَتَعالىٰ إذا أَرادَ بِعَبْدٍ خَيْراً جَعَلَ ذُنُوبَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُمَثَّلَةً، وَالْإِثْمَ عَلَيْهِ ثَقِيلاً وَبِيلاً[1]، وَإِذا أَرادَ بِعَبْدٍ شَرّاً أَنْساهُ ذُنُوبَهُ.

إنّ الإيمان إذا استحكم في دخائل النفس وأعماق القلب، فإنّه يستعظم ذنوبه، ويفزع منها، ويعكسه مَن كان بعيداً عن الله تعالى، فإنّه ينسى ذنوبه ولا يقيم لها وزناً.. وهذا بند آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، لَا تَنْظُرْ إلىٰ صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلٰكِنْ انْظُرْ إلىٰ مَنْ عَصَيْتَ.

ما أروع هذه الحكمة، فإنّ الإنسان إذا تأمّل ونظر إلى مَن يعصي فإنّه حتماً يرتدع عن ذنبه.. ومن مقاطع هذه الوصيّة قوله:

يا أَبا ذَرّ، إنَّ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ أَشَدُّ ارْتِكاضاً مِنَ الْخَطِيئَةِ مِنَ الْعُصْفُورِ حِينَ يُقْذَفُ بِهِ في شَرَكِهِ[2].

تحدّث النبيّ ﷺ عن المؤمن الذي أُترعت نفسه بالتقوى والإنابة إلى الله تعالى، إنّه يضطرب من الذنب، وتضيق عليه الأرض بما رحبت، وحاله حال العصفور السجين في الشرك.. ومن جملة هذه الوصيّة:

---

(١) **الوبيل**: الوخيم.

(٢) **الارتكاض**: الاضطراب. **الشَّرَك**: حبالة الصيد.

يا أَبا ذَرّ ، مَنْ وافَقَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَذاكَ الَّذي أَصابَ حَظَّهُ ، وَمَنْ خالَفَ قَوْلُهُ فِعْلَهُ فَإِنَّما يُوَبِّخُ نَفْسَهُ.

إنّ الرجل الرشيد الكامل هو الذي تتّفق أقواله مع أفعاله ، وإذا شذّ عن ذلك فهو يعيب على نفسه بارتكاب هذا الخطأ.. من حكم هذه الوصيّة قوله :

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ رِزْقَهُ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ.

ورد في بعض الأدعية الاستعاذة بالله تعالى من الذنوب التي تمنع الرزق ، ولا إشكال في أنّ لها أثراً وضعيّاً في حرمان الإنسان من رزقه.. يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

يا أَبا ذَرّ ، دَعْ ما لَسْتَ مِنْهُ في شَيْءٍ ، وَلَا تَنْطِقْ فِيما لَا يَعْنِيك ، وَاخْزِنْ لِسانَكَ كَما تَخْزِنُ وَرَقَكَ.

إنّ من آداب السلوك الإسلامي أن يترك الإنسان ما لا صلة به ، وأن لا يتدخّل فيما لا يعنيه ، فإنّه أسلم له.. يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ الله جَلَّ ثناؤُهُ لَيُدْخِلَ قَوْماً الْجَنَّةَ فَيُعْطِيهُمْ حَتّى يَمُلّوا ، وَفَوْقَهُمْ قَوْمٌ في الدَّرَجاتِ الْعُلىٰ ، فَإِذا نَظَرُوا إِلَيْهِمْ عَرَفُوهُمْ فَيَقُولُونَ : رَبَّنا إِخْوانُنا كُنّا مَعَهُمْ في الدُّنْيا فَبِمَ فَضَّلْتَهُمْ عَلَيْنا ؟ فَيُقالُ : هَيْهاتَ هَيْهاتَ ، إِنَّهُمْ كانُوا يَجُوعُونَ حِينَ تَشْبَعُونَ ، وَيَظْمَؤُونَ حِينَ تروونَ ، وَيَقُومُونَ حِينَ تَنامُونَ ، وَيَشْخَصُونَ حِينَ تَخْفَظُونَ.

عرض هذا المقطع إلى تفاوت النّاس في درجاتهم يوم القيامة؛ وذلك لتفاوت أعمالهم في دار الدنيا.. يقول صلى الله عليه وآله وسلم :

يا أَبا ذَرّ ، جَعَلَ اللهُ جَلَّ ثناؤُهُ قُرَّةَ عَيْني في الصَّلَاةِ ، وَحَبَّبَ إِلَيَّ الصَّلَاةَ

كَما حَبَّبَ إِلَى الْجائِعِ الطَّعامَ ، وَإِلَى الظَّمْآنِ الْماءَ ، وَإِنَّ الْجائِعَ إِذا أَكَلَ شَبِعَ ، وَإِنَّ الظَّمْآنَ إِذا شَرِبَ رَوِيَ ، وَأَنا لا أَشْبَعُ مِنَ الصَّلاةِ.

تحدّث النبيّ ﷺ عن رغبته الملحّة وحبّه العارم للصلاة التي هي « قربان كلّ تقيّ » ، وبلغ من كثرة صلاته أنّ قدميه قد ورمتا من كثرة الصلاة.. ويقول ﷺ :

يا أَبا ذَرّ ، أَيُّما رَجُلٍ تَطَوَّعَ في يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ اثْنَتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً سِوى الْمَكْتُوبَةَ كانَ لَهُ حَقّاً واجِباً بَيْتٌ في الْجَنَّةِ.

يا أَبا ذَرّ ، ما دُمْتَ في الصَّلاةِ فَإِنَّكَ تَقْرَعُ بابَ الْمَلِكِ الْجَبّارِ ، وَمَنْ يُكْثِرْ قَرْعَ بابِ الْمَلِكِ يُفْتَحُ لَهُ.

يا أَبا ذَرّ ، ما مِنْ مُؤْمِنٍ يَقُومُ مُصَلّياً إِلّا تَناثَرَ عَلَيْهِ الْبِرُّ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَرْشِ ، وَوُكِّلَ بِهِ مَلَكٌ يُنادي : يابْنَ آدَمَ ، لَوْ تَعْلَمُ ما لَكَ في الصَّلاةِ وَمَنْ تُناجي ما انْفَتَلْتَ[١].

يا أَبا ذَرّ ، طُوبىٰ لِأَصْحابِ الْأَلْوِيَةِ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَحْمِلُونَها فَيَسْبِقُونَ النّاسَ إِلَى الْجَنَّةِ ، أَلا وَهُمُ السّابِقُونَ إِلَى الْمَساجِدِ بِالْأَسْحارِ وَغَيْرِ الْأَسْحارِ.

يا أَبا ذَرّ ، الصَّلاةُ عِمادُ الدِّينِ ، وَاللِّسانُ أَكْبَرُ ، وَالصَّدَقَةُ تَمْحُو الْخَطِيئَةَ ، وَاللِّسانُ أَكْبَرُ ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النّارِ ، وَاللِّسانُ أَكْبَرُ ، وَالْجِهادُ نَباهَةٌ[٢] ، وَاللِّسانُ أَكْبَرُ.

---

(١) **انفتل** : انصرف.

(٢) **النباهة** : الفتنة والشرف.

حكى المقطع أهميّة الصلاة ، وأنّها قربان كلّ تقي ، وأنّها الصلة بين العبد وربّه .. ومن بنود هذه الوصيّة قوله :

يا أَبا ذَرّ ، الدَّرَجَةُ في الْجَنَّةِ كَما بَيْنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَرْفَعُ بَصَرَهُ فَيَلْمَعُ لَهُ نورٌ يَكادُ يَخْطَفُ بَصَرَهُ فَيَفْزَعُ لِذلِكَ ، فَيَقُولُ : ما هٰذا ؟ فَيُقالُ : هٰذا نورُ أَخِيكَ ، فَيَقُولُ : أَخي فُلان كُنّا نَعْمَلُ جَمِيعاً في الدُّنْيا ، وَقَدْ فُضِّلَ عَلَيَّ هٰكَذا ؟ فَيُقالُ لَهُ : إِنَّهُ كانَ أَفْضَلَ مِنْكَ عَمَلاً ، ثُمَّ يُجْعَلُ في قَلْبِهِ الرِّضىٰ حَتّى يَرْضىٰ .

النّاس في دار الآخرة درجات ، فالمؤمنون درجات ، بعضهم أسمى من بعض؛ وذلك لكثرة عمله الصالح ، كما أنّ الأشرار درجاتهم في العذاب مختلفة ، فمن كان متمادياً في الإثم واقتراف الحرام ، فإنّ عقابه أشدّ من غيره .. ومن محتويات هذه الوصيّة قوله :

يا أَبا ذَرّ ، الدُّنْيا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكافِرِ ، وَما أَصْبَحَ فِيها مُؤْمِنٌ إِلّا حَزِيناً ، فَكَيْفَ لا يَحْزَنُ الْمُؤْمِنُ وَقَدْ أَوْعَدَهُ اللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ ، أَنَّهُ وارِدٌ جَهَنَّمَ وَلَمْ يَعِدْهُ أَنَّهُ صادِرٌ عَنْها ، وَلَيَلْقَيَنَّ أَمْراضاً وَمُصِيباتٍ وَأُموراً تَغِيظُهُ ، وَلَيُظْلَمَنَّ فَلا يَنْتَصِر ، يَبْتَغي ثَواباً مِنَ اللهِ تَعالىٰ ، فَما يَزالُ فِيها حَزِيناً حَتّىٰ يُفارِقَها ، فَإِذا فارَقَها أَفْضىٰ إِلَى الرّاحَةِ وَالْكَرامَةِ .

حكى هذا المقطع حال المؤمن في دار الدنيا ، وما يعانيه فيها من صنوف الآلام وأنواع العذاب حتّى يفد إلى الله تعالى ، فيفيض عليه بألطافه وعطائه اللّامحدود .. وهذا فصل آخر من الوصيّة :

يا أَبا ذَرّ ، ما عُبِدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلىٰ مِثْلِ طُولِ الْحُزْنِ .

يا أَبا ذَرّ ، مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ ما لَا يُبْكِيهِ لَحَقِيقٌ أَنْ يَكُونَ قَدْ أُوتِيَ عِلْمَ ما لَا يَنْفَعُهُ؛ لِأَنَّ اللهَ نَعَتَ الْعُلَماءَ فَقالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾(١).

يا أَبا ذَرّ ، مَنِ اسْتَطاعَ أَنْ يَبْكي فَلْيَبْكِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيُشْعِرْ قَلْبَهُ الْحُزْنَ وَلْيَتَباكَ ، إِنَّ الْقَلْبَ القاسي بَعِيدٌ مِنَ اللهِ تَعالىٰ وَلٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ.

دعا النبيّ ﷺ إلى الإنابة والبكاء من خشية الله تعالى ، والتضرّع إليه ، فهو مصدر الخير والفيض والعطاء.. ومن بنود هذه الوصيّة قوله :

يا أَبا ذَرّ ، وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَوْ أَنَّ الدُّنْيا كانَتْ تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ أَوْ ذُبابٍ ما سَقَى الْكافِرَ مِنْها شَرْبَةً مِنْ ماءٍ.

حكى هذا المقاطع هوان الدنيا عند الله تعالى ، ولو كانت عنده أيّة أهمّية لما سقى الكافر فيها شربة ماء.. وبنود هذه الوصيّة هذه النصائح والمواعظ :

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ أَوْحىٰ إِلىٰ أَخي عِيسىٰ عليه السلام : يا عِيسىٰ ، لَا تُحِبَّ الدُّنْيا ، فَإِنّي لَسْتُ أُحِبُّها ، وَأَحِبَّ الْآخِرَةَ ، فَإِنَّما هِيَ دارُ الْمَعادِ.

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ جَبْرائِيلَ أَتاني بِخَزائِنِ الدُّنْيا عَلىٰ بَغْلَةٍ شَهْباء فَقالَ لي: يا مُحَمَّد ، هٰذِهِ خَزائِنُ الدُّنْيا وَلَا يَنْقُصُكَ مِنْ حَظِّكَ عِنْدَ رَبِّكَ ، فَقُلْتُ: يا حَبِيبي جَبْرائِيلَ ، لَا حاجَةَ لِيَ فِيها ، إِذا شَبِعْتُ شَكَرْتُ رَبّي ، وَإِذا

---

(١) الإسراء ١٧ : ١٠٧ ـ ١٠٩.

جِعْتُ سَأَلْتُهُ.

يا أَبا ذَرّ، إِذا أَرادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ فـي الدِّيـنِ، وَزَهَّـدَهُ فـي الدُّنْيا، وَبَصَّرَهُ بِعُيوبِ نَفْسِهِ.

يا أَبا ذَرّ، ما زَهِدَ عَبْدٌ في الدُّنْيا إِلَّا أَنْبَتَ اللهُ الْحِكْمَةَ في قَلْبِهِ، وَأَنْطَقَ بِها لِسانَهُ، وَيُبَصِّرُهُ عُيوبَ الدُّنْيا وَداءَها وَدواءَها، وَأَخْرَجَهُ مِنْها سـالِماً إِلىٰ دارِ السَّلَامِ.

يا أَبا ذَرّ، إِذا رَأَيْتَ أَخاكَ قَدْ زَهِدَ فـي الدُّنْـيا فَـاسْتَمِعْ مِـنْهُ، فَـإِنَّهُ يُـلْقي الْحِكْمَةَ.

فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَزْهَدُ النّاسِ؟ فَقالَ:

مَنْ لَمْ يَنْسَ الْمَقابِرَ وَالْبِلىٰ، وَتَرَكَ فَضْلَ زينَةِ الدُّنْيا، وَآثَرَ ما يَبْقىٰ عَلىٰ ما يَفْنىٰ، وَلَمْ يَعِدَّ غَداً مِنْ أَيّامِهِ، وَعَدَّ نَفْسَهُ في الْمَوْتىٰ.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ لَمْ يُوحِ إِلَيَّ أَنْ أَجْمَعَ الْمالَ، وَلـٰكِنْ أَوْحىٰ إِلَيَّ أَنْ: ﴿فَسَبِّحْ بِـحَمْدِ رَبِّكَ وَكُـن مِّـنَ السَّـاجِدِينَ * وَاعْـبُدْ رَبَّكَ حَـتَّىٰ يَأْتِـيَكَ الْيَقِينُ﴾[١].

يا أَبا ذَرّ، إِنِّي أَلْبَسُ الْغَلِيظَ، وَأَجْـلِسُ عَـلَى الْأَرْضِ، وَأَلْـعَقُ أَصـابِعي، وَأَرْكَبُ الْحِمارَ بِغَيْرِ سَرْجٍ، وَأُرْدِفُ خَلْفي، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتي فَلَيْسَ مِنّي.

يا أَبا ذَرّ، حُبُّ الْمالِ وَالشَّرَفِ أَذْهَبُ لِدِينِ الرَّجُلِ مِنْ ذِئْبَينِ ضارِيَيْنِ في

---

(١) الحجر ١٥: ٩٨ و ٩٩.

زَرْبِ[١] الْغَنَمِ ، فَأَغارا فِيها حَتّىٰ أَصْبَحا فَماذا أَبْقَيا مِنْها .

قال : قلت : يا رسول الله ، الخائفون الخائضون المتواضعون الذاكرون لله كثيراً ، أهم يسبقون النّاس إلى الجنّة ؟ فقالَ :

لَا ، وَلٰكِنْ فُقَراءُ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُم يَتَخَطَّونَ رِقابَ النّاسِ ، فَيَقُولُ لَهُمْ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ كَما أَنْتُمْ حَتّىٰ[٢] تُحاسَبُوا ، فَيَقُولُونَ : بِمَ نُحاسَبُ ؟ فَوَاللهِ! ما مَلَكْنا فَنَجُودُ وَنَعْدِلُ ، وَلَا أُفِيضَ عَلَيْنا فَنَقْبِضُ وَنَبْسُطُ وَلٰكِنّا عَبَدْنا رَبَّنا حَتّىٰ دَعانا فَأَجَبْنا .

وفي هذه المقاطع دعوة الرسول ﷺ إلى الزهد في الدنيا ، وعدم التهالك على مباهجها وزينتها ، وقد أخذ بها الصحابي العظيم أبو ذرّ ، فقد رفض الدنيا كما رفضها رسول الله ﷺ ووصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فقد أبى أن يساير الحكم الأموي الذي عرض عليه الأموال الهائلة فرفضها وآثر رضا الله تعالى حتّى مات فقيراً بائساً في بقعة مجرّدة من جميع وسائل الحياة وهي الربذة ، وهكذا كان أبو ذرّ زعيم الفقراء والبؤساء ، وهذا لفصل آخر من الوصيّة :

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ الدُّنْيا مَشْغَلَةٌ لِلْقُلُوبِ وَالْأَبْدانِ ، وَإِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ سائِلُنا عَمّا نَعَّمَنا في حَلَالِهِ ، فَكَيْفَ بِما نَعَّمَنا في حَرامِهِ .

يا أَبا ذَرّ ، إِنِّي قَدْ دَعَوْتُ اللهَ جَلَّ ثَناؤُهُ أَنْ يَجعَلَ رِزْقَ مَنْ يُحِبُّنِي الْكَفافَ ، وَأَنْ يُعْطي مَنْ يُبْغِضُني كَثْرَةَ الْمالِ وَالْوَلَدِ .

يا أَبا ذَرّ ، طُوبىٰ لِلزّاهِدِينَ في الدُّنْيا ، الرّاغِبِينَ في الْآخِرَةِ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا

---

(١) **الزرب** : موضع المواشي .

(٢) **المراد** : قفوا مكانكم .

أَرْضَ اللهِ بِساطاً ، وتُرابَها فِراشاً ، وَماءَها طِيباً ، وَاتَّخَذُوا كِتابَ اللهِ شِعاراً ، وَدُعاءَهُ دِثاراً ، يَقْرِضُونَ الدُّنْيا قَرْضاً .

يا أَبا ذَرّ ، حَرْثُ الْآخِرَةِ الْعَمَلُ الصّالِحُ ، وَحَرْثُ الدُّنْيا الْمالُ وَالْبَنُونَ .

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ رَبِّي أَخْبَرَني فَقالَ : وَعِزَّتي وَجَلالي ، ما أَدْرَكَ الْعابِدُونَ دَرْكَ الْبُكاءِ(١) ، وَإِنِّي لَأَبْني لَهُمْ في الرَّفِيقِ الْأَعْلىٰ قَصْراً لا يُشارِكُهُم فِيهِ أَحَدٌ .

قال قلت : يا رسول الله ، أي المؤمنين أكيس ؟ قالَ :

أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْراً ، وَأَحْسَنُهُمْ لَهُ اسْتِعْداداً .

يا أَبا ذَرّ ، إِذا دَخَلَ النُّورُ الْقَلْبَ انْفَسَخَ الْقَلْبُ وَاسْتَوْسَعَ .

وانبرى أبو ذرّ قائلاً : فما علامة ذلك بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ؟ فأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله :

الْإِنابَةُ إِلىٰ دارِ الْخُلُودِ ، وَالتَّجافي عَنْ دارِ الْغُرُورِ ، وَالْإِسْتِعْدادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزولِهِ .

يا أَبا ذَرّ ، اتَّقِ اللهَ وَلاَ تُري النّاسَ أَنَّكَ تَخْشى اللهَ فَيُكْرِمُوكَ وَقَلْبُكَ فاجِرٌ .

وفي هذه الكلمات دعوة ملحّة إلى العمل الصالح ، والزهد في الدنيا الفانية ، وإرشاد إلى سلامة النيّة ، وأن لا يرى الإنسان نفسه للغير أنه من الصالحين وقلبه منطوٍ على الفسق والفجور . . وهذه مقتطفات أُخرى من الوصيّة :

يا أَبا ذَرّ ، رَكْعَتانِ مُقْتَصِدَتانِ في تَفَكُّرٍ خَيْرٌ مِنْ قِيامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ ساهٍ .

إنّ التوجّه في العبادة ، والإقبال على الله تعالى بنيّة صادقة خير بكثير من عمل

---

(١) البكاء من خشية الله تعالى .

ليس فيه التوجّه والإخلاص.

يا أَبا ذَرّ، الْحَقُّ مُرٌّ، وَالْباطِلُ خَفِيفٌ حُلْوٌ، وَرُبَّ شَهْوَةِ ساعَةٍ تُورِثُ حُزْناً طَويلاً.

الحقّ ثقيل، ويؤيّده قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ما ترك الحقّ لي من صديق»، أمّا الباطل فهو خفيف حلو تعشقه النفوس التي ليس عندها رصيد من التقوى، أمّا الفقرة الأخيرة في الحديث: «**وَرُبَّ شَهْوَةِ ساعَةٍ تُورِثُ حُزْناً طَويلاً**» وذلك كالمنجرفين في شرب الخمر والزنا وغيرهما من الموبقات، فإنّها تورث حزناً طويلاً يلاحق الإنسان في فترات حياته.. وهذه فقرات أُخرى من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، حاسِبْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُحاسَبَ، فَهُوَ أَهْوَنُ لِحِسابِكَ غَداً، وَزِنْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ، وَتَجَهَّزْ لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ تُعْرَضُ، لَا تَخْفىٰ عَلَى اللهِ خافِيَةٌ.

يا أَبا ذَرّ، مَثَلُ الَّذي يَدْعُو بِغَيْرِ عَمَلٍ كَمَثَلِ الَّذي يَرْمي بِغَيْرِ وَتَرٍ.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ اللهَ يُصْلِحُ بِصَلَاحِ الْعَبْدِ، وُلْدَهُ وَوُلْدَ وُلْدِهِ، وَيَحْفَظُهُ في دُوَيْرَتِهِ وَالدُّورِ حَوْلَهُ ما دامَ فِيهِم.

حفل المقطع الأوّل بأن الدعاء من غير عمل لا أثر له، ولا يستجاب لصاحبه، وإنّما يستجاب إذا كان مشفوعاً بالعمل الصالح.

وحكى المقطع الثاني بأنّ الرجل المؤمن الصالح ينعم عليه بإصلاح ذرّيّته وعقبه، وأنّ المجاورين له يفوزون بدفع البلاء عنهم.. ومن فصول هذه الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، الْجَلِيسُ الصّالِحُ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ، وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ، وَإِمْلَاءِ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلَاءِ الشَّرِّ.

إنّ الجليس الصالح يستفاد منه الكلام الطيّب ، والحديث الحسن ، والجلوس معه خير من الوحدة ، كما أنّها خير من جليس السوء الذي هو شعلة من نار الجهل ، ولا يتلفّظ إلّا بكلمات الفحش والسوء .. ومن بنود هذه الوصيّة قوله :

يا أَبا ذَرّ ، لَا تُصاحِبْ إِلَّا مُؤْمِناً ، وَلَا يَأْكُلْ طَعامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ ، وَلَا تَأْكُلْ طَعامَ الْفاسِقِينَ .

يا أَبا ذَرّ ، أَطْعِمْ طَعَامَكَ مَنْ تُحِبُّهُ في اللهِ ، وَكُلْ طَعامَ مَنْ يُحِبُّكَ في اللهِ عَزَّ وَجَلَّ .

حكى المقطع الأوّل الاجتناب عن مصاحبة الفاسقين ، فإنّ الإنسان يتأثّر ويؤثّر في أخلاق جليسه ، كما يقول علماء الاجتماع ، كما حكى هذا المقطع بأن لا يطعم الإنسان زاده إلّا المؤمنين الأخيار ، فإنّه يثاب بذلك .. ومن بنود هذه الوصيّة :

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ لِسانِ كُلِّ قائِلٍ ، فَلْيَتَّقِ اللهَ امْرُؤٌ وَلْيَعْلَمْ ما يَقُول .

يا أَبا ذَرّ ، اتْرُكْ فُضُولَ الْكَلَامِ ، وَحَسْبُكَ مِنَ الْكَلَامِ ما تَبْلُغُ بِهِ حاجَتَكَ .

يا أَبا ذَرّ ، كَفىٰ بِالْمَرْءِ كِذْباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما يَسْمَعُ .

يا أَبا ذَرّ ، ما مِنْ شَيْءٍ أَحَقُّ بِطولِ السِّجْنِ مِنَ اللِّسانِ .

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ تَعالىٰ إِكْرامَ ذي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَإِكْرامَ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ الْعامِلِينَ ، وَإِكْرامَ السُّلْطانِ الْمُقْسِطِ .

يا أَبا ذَرّ ، ما عَمِلَ مَنْ لَمْ يَحْفَظْ لِسانَهُ .

هذه الكلمات حفلت بلزوم المحافظة على اللسان وصيانته من النطق بالباطل ،

وأن لا يقول إلّا الحقّ ، كما حفلت بلزوم إكرام ذي الشيبة المسلم ، وإكرام حملة القرآن العاملين بما فيه ، وإكرام السلطان العادل . . ومن بنود هذه الوصيّة قوله :

يا أَبا ذَرّ ، لَا تَكُنْ عَيّاباً ، وَلَا مَدّاحاً ، وَلَا طَعّاناً ، وَلَا مُمارِياً .

يا أَبا ذَرّ ، لَا يَزالُ الْعَبْدُ يَزْدادُ مِنَ اللهِ بُعْداً ما ساءَ خُلُقُهُ .

يا أَبا ذَرّ ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَخْطُوها إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ .

دعت هذه الفقرات إلى التحلّي بمكارم الأخلاق ، ومحاسن الصفات التي تسمو بالإنسان إلى الكمال المطلق . . ومن فصول هذه الوصيّة قوله :

يا أَبا ذَرّ ، مَنْ أَجابَ داعِيَ اللهِ ، وَأَحْسَنَ عِمارَةَ مَساجِدِ اللهِ كانَ ثَوابُهُ مِنَ اللهِ الْجَنَّةَ .

فقال أبو ذرّ : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، كيف تعمر مساجد الله ؟ فأجابه المصطفى ﷺ :

لَا تُرْفَعُ فِيها الْأَصْواتُ ، وَلَا يُخاضُ فِيها بِالْباطِلِ ، وَلَا يُشْتَرىٰ فِيها وَلَا يُباعُ ، وَاتْرُكِ اللَّغْوَ ما دُمْتَ فِيها ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَلَا تَلُومَنَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِلَّا نَفْسَكَ .

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُعْطِيكَ ما دُمْتَ جالِساً في الْمَسْجِدِ بِكُلِّ نَفَسٍ تَنَفَّسْتَ دَرَجَةً في الْجَنَّةِ ، وَتُصَلِّي عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةُ ، وَتُكْتَبُ لَكَ بِكُلِّ نَفَسٍ تَنَفَّسْتَ فِيهِ عَشْرُ حَسَناتٍ ، وَتُمْحىٰ عَنْكَ عَشْرُ سَيِّئاتٍ .

حكت هذه الكلمات آداب المساجد وبعض أحكامها ، وأنّ الذي يجلس فيها فعليه أن يراعي مكانتها ، ولا يهتك حرمتها . ثمّ عرض فصل آخر من هذه الوصيّة :

يا أَبا ذَرّ، أَتَعْلَمُ في أَيِّ شَيْءٍ اُنْزِلَتْ هٰذِهِ الْآيَةُ: ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١)؟

فقال أبو ذرّ: «لا أدري»، فقال صلى الله عليه وآله: **في انْتِظارِ الصَّلَاةِ خَلْفَ الصَّلَاةِ.**

إنّ انتظار الصلاة من أفضل الأعمال خصوصاً في انتظار صلاة الجماعة والجمعة.. وهذا فصل آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، إِسْباغُ الْوُضُوءِ في الْمَكارِهِ مِنَ الْكَفّاراتِ، وَكَثْرَةُ الْإِخْتِلَافِ إِلَى الْمَساجِدِ فَذٰلِكُمُ الرِّباطُ.

يا أَبا ذَرّ، يَقُولُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالىٰ: إِنَّ أَحَبَّ الْعِبادِ إِلَيَّ الْمُتَحابُّونَ مِنْ أَجْلي، الْمُتَعَلِّقَةُ قُلُوبُهُمْ بِالْمَساجِدِ، وَالْمُسْتَغْفِرُونَ بِالْأَسْحارِ، اُولٰئِكَ إِذا أَرَدْتُ بِأَهْلِ الْأَرْضِ عُقُوبَةً ذَكَرْتُهُم فَصَرَفْتُ الْعُقُوبَةَ عَنْهُم.

يا أَبا ذَرّ، كُلُّ جُلُوسٍ في الْمَسْجِدِ لَغْوٌ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: قِراءَةُ مُصَلٍّ، أَوْ ذِكْرُ اللهِ، أَوْ سائِلٌ عَنْ عِلْمٍ.

عرضت معظم هذه الكلمات إلى آداب المساجد، وإلى بعض الأعمال المندوبة التي تقرّب الإنسان إلى الله تعالى.. ومن فصول هذه الوصيّة قوله:

يا أَبا ذَرّ، كُنْ بِالْعَمَلِ بِالتَّقْوىٰ أَشَدَّ اهْتِماماً مِنْكَ بِالْعَمَلِ، فَإِنَّهُ لَا يَقِلُّ عَمَلٌ بِالتَّقْوىٰ، وَكَيْفَ يَقِلُّ عَمَلٌ يُتَقَبَّلُ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾(٢).

---

(١) آل عمران ٣: ٢٠٠.

(٢) المائدة ٥: ٢٧.

يا أَبا ذَرّ، لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتّىٰ يُحاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحاسَبَةِ الشَّرِيكِ شَرِيكَهُ، فَيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمَهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَشْرَبَهُ، وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسَهُ، أَمِنْ حِلٍّ ذلِكَ أَمْ مِنْ حَرامٍ.

يا أَبا ذَرّ، مَنْ لَمْ يُبالِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ الْمالَ لَمْ يُبالِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَيْنَ أَدْخَلَهُ النّارَ.

يا أَبا ذَرّ، مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النّاسِ فَلْيَتَّقِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللهِ جَلَّ ثَناؤُهُ أَكْثَرُكُمْ ذِكْراً لَهُ، وَأَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَتْقاكُمْ لَهُ، وَأَنْجاكُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ أَشَدُّكُمْ لَهُ خَوْفاً.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الشَّيْءِ الَّذي لَا يُتَّقىٰ مِنْهُ خَوْفاً مِنَ الدُّخُولِ في الشُّبْهَةِ.

يا أَبا ذَرّ، مَنْ أَطاعَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ ذَكَرَ اللهَ وَإِنْ قَلَّتْ صَلاتُهُ وَصِيامُهُ وَتِلاوَتُهُ لِلْقُرْآنِ.

وحفلت هذه الكلمات بالدعوة إلى تقوى الله تعالى والحثّ على طاعته، والتحذير من عقابه، وأن يكون يقظاً يحاسب نفسه على كلّ بادرة تصدر منه خوفاً من سخط الله تعالى، ومن بنود هذه الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، أَصْلُ الدِّينِ الْوَرَعُ، وَرَأْسُهُ الطّاعَةُ.

يا أَبا ذَرّ، كُنْ وَرِعاً تَكُنْ أَعْبَدَ النّاسِ، وَخَيْرُ دينِكُمُ الْوَرَعُ.

يا أَبا ذَرّ، فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبادَةِ، وَاعْلَمْ أَنَّكُمْ لَوْ صَلَّيْتُمْ حَتّىٰ

تَكُونُوا كَالْحَنايا (١) **، وَصُمْتُمْ حَتّىٰ تَكُونُوا كالْأَوْتارِ ما يَنْفَعُكُمْ ذٰلِكَ إِلّا بِوَرَعٍ.**

الورع عن محارم الله تعالى هو جوهر العبادة ، وبه يصل الإنسان إلى أسمى مراتب المتّقين .. وهذا فصل آخر :

يا أَبا ذَرّ ، إِنَّ أَهْلَ الْوَرَعِ وَالزُّهْدِ في الدُّنْيا هُم أَوْلِياءُ اللهِ حَقّاً.

يا أَبا ذَرّ ، مَنْ لَمْ يَأْتِ يَوْمَ الْقِيامَةِ بِثَلاثٍ فَقَدْ خَسِرَ.

فقال أبو ذرّ : « وما الثلاثة فداك أبي وأُمّي ؟ » ، فقال صلّى الله عليه وآله :

وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَمّا حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ، وَحِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ السَّفِيهِ ، وَخُلُقٌ يُدارى بِهِ النّاسَ.

ومن روائع هذه الوصيّة قوله :

يا أَبا ذَرّ ، إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَكُونَ أَقْوىٰ النّاسِ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ، وَإِنْ سَرَّكَ أَنْ تَكُونَ أَكْرَمَ النّاسِ فَاتَّقِ اللهَ ، وَإِنْ سَرَّكَ أَنْ تَكُونَ أَغْنَى النّاسِ فَكُنْ بِما في يَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْثَقَ مِنْكَ بِما في يَدَيْكَ.

يا أَبا ذَرّ ، لَوْ أَنَّ النّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهٰذِهِ الْآيَةِ لَكَفَتْهُم ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴾ (٢).

حكت هذه الكلمات روائع الحكمة ، وآيات الكمال ، وهي من آداب النبوّة ،

---

(١) **الحنايا** : جمع حنيّة ، ما كان منحنياً كالقوس.

(٢) الطلاق ٦٥ : ٢ و ٣.

وبرامج حياة المتّقين.. وهذه كلمات أُخر من هذه الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَناؤُهُ: وَعِزَّتي وَجَلَالي، لَا يُؤْثِرُ عَبْدي هَوايَ عَلىٰ هَواهُ إِلَّا جَعَلْتُ غِناهُ في نَفْسِهِ، وَهُمُومُهُ في آخِرَتِهِ، وَضَمَّنْتُ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ رِزْقُهُ، وَكَفَفْتُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَكُنْتُ لَهُ مِنْ وَراءِ تِجارَةِ كُلِّ تاجِرٍ.

يا أَبا ذَرّ، لَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ فَرَّ مِنْ رِزْقِهِ كَما يَفِرُّ مِنَ الْمَوْتِ لَأَدْرَكَهُ رِزْقُهُ كَما يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ.

حكى هذا المقطع أنّ مَن يتّقي الله تعالى، ويُخلص في طاعته وعبادته، فإنّ الله تعالى يكفيه مؤونة نفسه، وما يحتاج إليه، وسخّر له كلّ شيء.. كما حكى المقطع الأخير أنّ رزق الإنسان مضمون له.

يا أَبا ذَرّ، إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ لَا يَنْظُرُ إِلىٰ صُوَرِكُم وَلَا إِلىٰ أَمْوالِكُمْ، وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلىٰ قُلُوبِكُم وَأَعْمالِكُمْ.

يا أَبا ذَرّ، التَّقوىٰ هاهُنا، التَّقْوىٰ هاهُنا ـ وَأَشارَ إِلىٰ صَدْرِهِ ـ.

إنّ الله تعالى لا ينظر إلى صورة الإنسان ولا إلى أمواله ولا إلى حسبه ونسبه، ولكنّه ينظر إلى أعماله التي هي المقياس في موازين العدل الإلهي.. كما أنّ التقوى لا تكمن بالألفاظ، وإنّما في صدور النّاس وقلوبهم.. وهذا فصل آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، أَرْبَعٌ لَا يُصِيبُهُنَّ إِلَّا مُؤْمِنٌ: الصَّمْتُ وَهُوَ أَوَّلُ الْعِبادَةِ، وَالتَّواضُعُ للهِ سُبْحانَهُ، وَذِكْرُ اللهِ تَعالىٰ عَلىٰ كُلِّ حالٍ، وَقِلَّةُ الشَّيْءِ يَعْني قِلَّةُ الْمالِ.

يا أَبا ذَرّ، هِمَّ بِالْحَسَنَةِ وَإِنْ لَمْ تَعْمَلْها لِكَيْلا تُكْتَبَ مِنَ الْغافِلِينَ.

إنّ هذه الخصال الأربع من تحلّى بها فقد فاز برضا الله تعالى أوّلاً، ونجا ثانياً من

أشرار خلق الله تعالى .. وهذا فصل آخر من الوصيّة :

يا أَبا ذَرّ ، إِيّاكَ وَالغيبَةُ ، فَإِنَّ الغيبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزِّنا .

فقال أبو ذرّ : « يا رسول الله ، ولِمَ ذاك ؟ » ، فقال ﷺ :

لِأَنَّ الرَّجُلَ يَزْني فَيَتُوبُ إِلَى اللهِ فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ ، وَالْغيبَةُ لا تُغْفَرُ حَتّى يَغْفِرَها صاحِبُها .

يا أَبا ذَرّ ، سِبابُ الْمُسْلِمِ فُسوقٌ ، وَقِتالُهُ كُفْرٌ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مِنْ مَعاصي اللهِ ، وَحُرْمَةُ مالِهِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ .

فقال أبو ذرّ : « يا رسول الله ، ما الغيبة ؟ » ، فقال ﷺ :

ذِكْرُكَ أَخاكَ بِما يَكْرَهُ .

فقال أبو ذرّ : « فإن كان فيه ذاك الذي يذكر به ؟ » ، فقال ﷺ :

اعْلَمْ أَنَّكَ إِذا ذَكَرْتَهُ بِما هُوَ فِيهِ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ، وَإِذا ذَكَرْتَهُ بِما لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ .

يا أَبا ذَرّ ، مَنْ ذَبَّ عَنْ أَخيهِ الْمُسْلِمِ الغيبَةُ كانَ حَقّاً عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النّارِ .

يا أَبا ذَرّ ، مَنْ اغْتيبَ عِنْدَهُ أَخوهُ الْمُسْلِمِ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ فَنَصَرَهُ نَصَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، فَإِنْ خَذَلَهُ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ نَصْرَهُ خَذَلَهُ اللهُ في الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ .

الغيبة من أفحش المحرّمات؛ لأنّها تؤدّي إلى هدر كرامة الإنسان المسلم

والحطّ من قيمته ، والإسلام يحرص على صيانته والحفاظ على شخصيّته ، وسلامة المجتمع من التصدّع .. ومن فصول هذه الوصيّة قوله ﷺ :

يا أَبا ذَرّ ، لَا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ قَتّاتٌ.

فقال أبو ذرّ : « ما القتّات ؟ » ، قال ﷺ : **النَّمّامُ.**

يا أَبا ذَرّ ،صاحِبُ النَّمِيمَةِ لَا يَسْتَرِيحُ مِنْ عَذابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ في الْآخِرَةِ.

إنّ النمّام من أفحش خلق الله ، ومَن أسقط النّاس ، وليس له ضمير فهو أداة شرّ يشيع الفاحشة ، ويلقي العداء بين النّاس .. ومن بنود هذه الوصيّة قوله :

يا أَبا ذَرّ ، مَنْ كانَ ذا وَجْهَيْنِ وَلِسانَيْنِ في الدُّنْيا فَهُوَ ذو لِسانَيْنِ في النّارِ.

إنّ من سمات المنافقين كونهم ذو وجهين ولسانين ، وهم من أراذل المجتمع وسقطة النّاس .. ولنستمع إلى فصل آخر من الوصيّة :

يا أَبا ذَرّ ، الْمَجالِسُ بِالْأَمانَةِ ، وَإِفْشاءُ سِرِّ أَخِيكَ خِيانَةٌ ، فاجْتَنِبْ ذلِكَ ، وَاجْتَنِبْ مَجْلِسَ الْعَشِيرَةِ.

إنّ من الآداب الاجتماعيّة التي سنّها الإسلام أن لا يفشي الإنسان المسلم سرّ أخيه ، فإن فعل ذلك فهو من الخيانة التي يعاقب عليها .. ومن فصول هذه الوصيّة قوله :

يا أَبا ذَرّ ، تُعْرَضُ أَعْمالُ أَهْلِ الدُّنْيا عَلَى اللهِ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ في يَوْمَيْنِ : الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إِلَّا عَبْداً كانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْناءَ[١] فَقالَ : اتْرُكُوا عَمَلَ هـٰذَيْنِ حَتّىٰ يَصْطَلِحا.

---

(١) **الشحناء** : العداوة التي امتلئت منها النفس.

يا أَبا ذَرّ، إِيّاكَ وَهِجْرانُ أَخِيكَ، فَإِنَّ الْعَمَلَ لا يُتَقَبَّلُ مِنَ الْهِجْرانِ.

يا أَبا ذَرّ، أَنْهاكَ عَنِ الْهِجْرانِ، وَإِنْ كُنْتَ لا بُدَّ فاعِلاً فَلَا تَهْجُرْهُ فَوْقَ ثَلاثَةِ أَيّامٍ كَمَلاً، فَمَنْ ماتَ فِيها مُهاجِراً لِأَخِيهِ كانَتِ النّارُ أَوْلىٰ بِهِ.

إنّ الإسلام حثّ المسلمين على الترابط بينهم وشيوع المودّة والإخاء في صفوفهم ليكونوا يداً واحدة على من سواهم، والهجران يجافي ذلك، فلذا شجبه النبيّ ﷺ.. ومن بنود هذه الوصيّة قوله ﷺ:

يا أَبا ذَرّ، مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجالُ قِياماً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ.

إنّ التكبّر على خلق الله تعالى من أفحش المحرّمات، وكان الإمام الرضا عليه السلام في أيّام ولايته للعهد لا يسمح بأن تسير أمامه الرجال ولا من خلفه، وقال: «**إنّ مشي الرجال خلف الرجل فتنة للمتبوع، ومذلّة للتابع**»، وهكذا كان جدّه رائد العدالة الكبرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد نفر من ذلك، وكرهه.. ونتابع فصلاً آخر من الوصيّة:

يا أَبا ذَرّ، مَنْ ماتَ وَفي قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ لَمْ يَجِدْ رائِحَةَ الْجَنَّةِ إِلّا أَنْ يَتوبَ قَبْلَ ذٰلِكَ.

فقال أبو ذرّ: «يا رسول الله، إنّي ليعجبني الجمال حتّى وددت أن علاقة سوطي، وقبال نعلي حسن، فهل يرهب على ذلك؟»، فقال ﷺ:

كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ؟

قال: «أجده عارفاً للحقّ، مطمئنّاً إليه»، قال ﷺ:

لَيْسَ ذٰلِكَ بِالْكِبْرِ وَلٰكِنَّ الْكِبْرَ أَنْ تَتْرُكَ الْحَقَّ، وَتَتَجاوَزَهُ إِلىٰ غَيْرِهِ، وَتَنْظُرَ إِلَى النّاسِ وَلَا تَرىٰ أَنَّ أَحَداً عِرْضَهُ كَعِرْضِكَ وَلَا دَمَهُ كَدَمِكَ.

يا أَبا ذَرّ ، أَكْثَرُ مَنْ يَدْخُلِ النّارِ الْمُسْتَكْبِرُونَ.

وتحدّث النبيّ ﷺ عن الكبرياء ، وأنّه من أرذل الصفات ، وأكثرها مقتاً عند الله ، ونطوي هذه الوصيّة الخالدة بهذه الكلمات المشرقة :

يا أَبا ذَرّ ، طُوبىٰ لِمَنْ تَواضَعَ للهِ تَعالىٰ في غَيْرِ مَنْقَصَةٍ ، وَأَذَلَّ نَفْسَهُ في غَيْرِ مَسْكَنَةٍ ، وَأَنْفَقَ مالاً جَمَعَهُ في غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالْمَسْكَنَةِ ، وَخالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ. طُوبىٰ لِمَنْ صَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَحَسُنَتْ عَلانِيَتُهُ ، وَعَزَلَ عَنِ النّاسِ شَرَّهُ. طُوبىٰ لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ »[١].

وانتهى بذلك معظم هذه الوصيّة الذهبيّة ، والتي حفلت بكنوز من الحكمة وذخائر البيان وآداب السلوك ، ومحاسن الأعمال ، ولم يترك النبيّ ﷺ صفة شريفة ، وعملاً صالحاً ، إلّا زوّد به أبا ذرّ صاحبه وخليله الذي تربّى على هديه وآدابه ، وسار على ضوء تعاليمه وقيمه.

وصيّة أُخرى لأبي ذرّ رضي الله عنه

التفت النبيّ ﷺ إلى أبي ذرّ فقال له :

« أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِنَّ ؟ ».

فقال أبو ذرّ رضي الله عنه : « بلى يا رسول الله ».

«احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخاءِ

---

(١) بحار الأنوار : ١٧ : ٧٤ ـ ٨٤. الأمالي : ٢ : ١٣٨ ـ ١٤٨.

يَعْرِفُكَ فِي الشِّدَّةِ ، وَإذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، فَقَدْ جَرَى الْقَلَمُ بِما هُوَ كائِنٌ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، فَلَوْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُم جَهِدُوا أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يُكْتَبْ لَكَ ما قَدَروا عَلَيْهِ »(١).

إنّ جميع مجريات الأحداث بيد الله تعالى ، ولا شأن لإرادة الإنسان فيها مطلقاً فإذا أراد بعبدٍ خيراً لا يتمكّن أي أحد أن يحول بينه وبينه وإذا أراد به شرّاً فكذلك ، فعلى الإنسان أن يصرف فكره وقوّاه تجاه خالقه العظيم .

وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لمعاذ بن جبل

ولمّا بعث النبيّ صلى الله عليه وآله معاذ بن جبل والياً على اليمن زوّده بهذه الوصيّة المشرقة التي هي من البنود السياسيّة في الإسلام ، وهذا نصّها :

يا مُعاذُ ، عَلِّمْهُمْ كِتابَ اللهِ ، وَأَحْسِنْ أَدبَهُمْ عَلَى الْأَخْلاقِ الصّالِحَةِ ، وَأَنْزِلِ النّاسَ مَنازِلَهُمْ ـ خَيْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ ـ ، وَأَنْفِذْ فِيهِمْ أَمْرَ اللهِ ، وَلا تُحاشِ فِي أَمْرِهِ ، وَلا مالِهِ أَحَداً؛ فَإِنَّها لَيْسَتْ بِوِلايَتِكَ وَلا مالِكَ ، وَأَدِّ إِلَيْهِمُ الْأَمانَةَ فِي كُلِّ قَلِيلٍ وَكَثِيرٍ ، وَعَلَيْكَ بِالرِّفْقِ وَالْعَفْوِ فِي غَيْرِ تَرْكٍ لِلْحَقِّ ، وَاعْتَذِرْ إِلىٰ أَهْلِ عَمَلِكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ خَشِيتَ أَنْ يَقَعَ إِلَيْكَ مِنْهُ عَيْبٌ حَتّى يَعْذِرُوكَ ، وَأَمِتْ أَمْرَ الْجاهِلِيَّةِ إِلّا ما سَنَّهُ الْإِسلامُ ، وَأَظْهِرْ أَمْرَ الْإِسلامِ كلَّهُ ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ ، وَلْيَكُنْ أَكْثَرُ هَمِّكَ الصَّلاةَ؛ فَإِنَّها رَأْسُ الْإِسلامِ بَعْدَ الْإِقْرارِ بِالدِّينِ ، وَذَكِّرِ النّاسَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَاتَّبِعِ الْمَوْعِظَةَ؛ فَإِنَّهُ أَقْوىٰ لَهُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِما يُحِبُّ اللهُ ، ثُمَّ بُثَّ فِيهِمُ

(١) بحار الأنوار: ٩٠: ٤٢٤.

الْمُعَلِّمِينَ، وَاعْبُدِ اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تَرْجَعُ، وَلَا تَخَفْ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِمٍ.

وأُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَالْوَفاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَداءِ الْأَمـانَةِ، وَتَرْكِ الْخِيانَةِ، وَلِينِ الْكَلامِ، وَبَذْلِ السَّلَامِ، وَحِفْظِ الْجارِ، وَرَحْمَةِ الْيَتِيمِ، وَحُسْنِ الْعَمَلِ، وَقَصْرِ الْأَمَلِ، وَحُبِّ الْآخِرَةِ، وَالْجَزَعِ مِنَ الْحِسابِ، وَلُزُومِ الْإِيمانِ، وَالْفِقْهِ فِي الْقُرْآنِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَخَفْضِ الْجَناحِ.

وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتِمَ مُسْلِماً، أَوْ تُطِيعَ آثِماً، أَوْ تَعْصِيَ إِماماً عادِلاً، أو تُكَذِّبَ صادِقاً، أَوْ تُصَدِّقَ كاذِباً، وَاذْكُرْ رَبَّكَ عِنْدَ كُلِّ شَجْرٍ وَحَجَرٍ، وَأَحْدِثْ لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةً، السِّرُّ بِالسِّرِّ وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ.

يا مُعاذُ، لَوْلَا أَنِّي أَرىٰ أَلَّا نَلْتَقِيَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ، لَقَصَّرْتُ فِي الْوَصِيَّةِ، وَلـٰكِنَّنِي أَرىٰ أَنْ لَا نَلْتَقِيَ أَبَداً، ثُمَّ اعْلَمْ يا مُعاذُ أَنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ يَلْقانِي عَلىٰ مِثْلِ الْحالِ الَّتِي فارَقَنِي عَلَيْها[(١)].

وحفلت هذه الوصيّة بجميع مقوّمات العدل السياسي، والعدل الاجتماعي، وأعطت صورة واضحة إلى رحمة الإسلام ورأفته على النّاس جميعاً، وقد ذكرنا هذه الوصيّة في البحوث السابقة، وحلّلنا بعض أبعادها.

وصيّته صلى الله عليه وآله لسلمان الفارسي رضي الله عنه

أوصى النبيّ صلى الله عليه وآله صاحبه سلمان الفارسي بسبع خصال، وأمره أن لا يدعها، وهي حسب قول سلمان:

---

(١) بحار الأنوار: ٧٧: ١٢٧.

«أَوْصاني أَنْ أَنْظُرَ إِلىٰ مَنْ هُوَ دُونِي ، وَلَا أَنْظُرَ إِلىٰ مَنْ هُوَ فَوْقِي ، وَأَنْ أُحِبَّ الْفُقَراءَ ، وَأَدْنُوَ مِنْهُمْ ، وَأَنْ أَقُولَ الْحَقَّ وَإِنْ كانَ مُرّاً ، وَأَنْ أَصِلَ رَحِمي وَإِنْ كانَتْ مُدْبِرَةً ، وَلَا أَسْأَلَ النّاسَ شَيْئاً ، وَأَوْصاني أَنْ أُكْثِرَ مِنْ قَوْلِ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، فَإِنَّها كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ»[١].

إنّ هذه الخصال السبع من كنوز الحكمة التي تضمن للإنسان سعادته في دنياه وآخرته.

وصيّته صلى الله عليه وآله للفضل بن العبّاس

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في حاجة له ، فرأى الفضل ابن عمّه العبّاس ، فأمر أن يحمل معه ، فحُمِل ، والتفت إليه النبيّ صلى الله عليه وآله فزوّده بالوصايا التالية قائلاً :

«يا غُلَامُ ، خِفِ اللهَ تَجِدْهُ أَمامَكَ .

يا غُلَامُ ، خِفِ اللهَ يُكْفِكَ ما سِواهُ ، وَإِذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ ، وَإِذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ اجْتَمَعُوا عَلىٰ أَنْ يَصْرِفُوا عَنْكَ شَيْئاً قَدْ قُدِّرَ لَكَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا ، وَلَوْ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ اجْتَمَعُوا عَلىٰ أَنْ يَصْرِفُوا إِلَيْكَ شَيْئاً لَمْ يُقَدَّرْ لَكَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ الْيُسْرَ مَعَ الْعُسْرِ ، وَكُلُّ ما هُوَ آتٍ قَرِيبٌ . إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يَقُولُ : وَلَوْ أَنَّ قُلُوبَ عِبادي اجْتَمَعَتْ عَلىٰ قَلْبِ أَشْقىٰ عَبْدٍ لي ما نَقَصَ ذٰلِكَ مِنْ سُلْطاني جَناحَ بَعُوضَةٍ ، وَلَوْ أَنَّ قُلُوبَ عِبادي اجْتَمَعَتْ عَلىٰ قَلْبِ أَسْعَدِ عَبْدٍ لي ما زادَ

---

(١) بحار الأنوار : ٧٧ : ١٢٩.

ذلِكَ في سُلْطاني جَناحَ بَعُوضَةٍ ، وَلَوْ أَنِّي أَعْطَيْتُ كُلَّ عَبْدٍ ما سَأَلَني ما كانَ ذلِكَ إلَّا مِثْلَ إبْرَةٍ جاءَها عَبْدٌ مِنْ عِبادي فَغَمَسَها في الْبَحْرِ ، وَذلِكَ أَنَّ عَطائي كَلامٌ ، وَعِدَتي كَلامٌ ، وَإنَّما أَقُولُ لِشَيْءٍ : كُنْ فَيَكُونُ»[١].

إنّ جميع مجريات الأحداث ، وشؤون الكون كلّها بيد الخالق العظيم الذي يقول للشيء كن فيكون .

وصيّته ﷺ لخالد بن زيد[٢]

وفد خالد بن زيد على رسول الله ، وطلب منه أن يزوّده بوصيّة موجزة ، فقال ﷺ :

«أُوْصِيكَ بِخَمْسٍ : بِالْيَأْسِ عَمّا في أَيْدِي النّاسِ ، فَإنَّهُ الْغِنىٰ ، وَإيّاكَ وَالطَّمَعَ ، فَإنَّهُ الْفَقْرُ الْحاضِرُ ، وَصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ ، وَإيّاكَ وَما تَعْتَذِرُ مِنْهُ ، وَأَحِبَّ لأَخِيكَ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ...».

حكت هذه الخصال محاسن الصفات ، وأفضل الأعمال التي تسمو بالإنسان وترفع مستواه .

وصيّته ﷺ لحرملة العنبري

طلب حرملة العنبري من النبيّ ﷺ أن يدلّه على شيء ينفعه ، فقال ﷺ :

«اُنْظُرْ ما تَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِهِ النّاسُ ، فَإذا خَلَوْتَ فَلا تَفْعَلْهُ»[٣].

وهذه الكلمة من روائع الحكم التي تعني بحسن السلوك والآداب .

---

(١) بحار الأنوار : ٧٧ : ١٣٦ .

(٢) وسائل الشيعة : ١١ : ٣٢٢ . الحديث ٩ .

(٣) التذكرة الحمدونيّة : ٢ : ٢٣٢ .

وصيّته ﷺ لأبي أُميّة

وفد على النبيّ ﷺ رجل من بني تميم يقال له أبو أُميّة ، فقال له :

« إِلَى مَ تدعو النّاسَ يا مُحمّدُ ؟ » .

فأجابه النبيّ ﷺ بجوهر الإسلام وحقيقتها قائلاً:

« ﴿ **أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾[(١)] ، **وَأَدْعُو إِلىٰ مَنْ إذا أَصابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ ، وَإِنِ اسْتَعَنْتَ بِهِ وَأَنْتَ مَكْرُوبٌ أَعانَكَ ، وَإِنْ سَأَلْتَهُ وَأَنْتَ مُقِلٌّ أَغْناكَ** » .

واحتلّت هذه الكلمات عواطفه ، فقال النبيّ ﷺ :

« أوصني يا محمّد ؟ » .

« **لا تَغْضَبْ** » .

« زِدْنِي » .

« **إِرْضَ مِنَ النّاسِ بِما تَرْضىٰ لَهُمْ بِهِ عَنْ نَفْسِكَ** » .

« زِدْنِي » .

« **لَا تَسُبَّ النّاسَ فَتَكْتَسِبَ الْعَداوَةَ مِنْهُمْ** » .

« زِدْنِي » .

« **لَا تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ عِنْدَ أَهْلِهِ** » .

« زِدْنِي » .

---

(١) يوسف ١٢ : ١٠٨.

«تَحَبَّبْ إِلَى النّاسِ يُحِبُّوكَ ، وَالْقَ أَخاكَ بِوَجْهٍ مُنْبَسِطٍ ، وَلا تَضْجَرْ فَيَمْنَعَكَ الضَّجَرُ مِنَ الْآخِرَةِ وَالدُّنْيا ، وَائتَزِرْ إِلىٰ نِصْفِ السّاقِ ، وَإِيّاكَ وَإِسْبالَ الْإِزارِ وَالْقَميصِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنَ الْمَخيلَةِ ، وَاللهُ لا يُحِبُّ الْمَخيلَةَ»[١].

حفلت هذه الوصيّة بمعالي الأخلاق ومحاسن الصفات التي يسعد بها الإنسان في دنياه وآخرته.

وصيّته ﷺ لرجل

طلب رجل من النبيّ ﷺ أن يزوّده بوصيّة تنفعه ، فقال ﷺ :

«أَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ يَسْلُكَ عَنِ الدُّنْيا[٢] ، وَعَلَيْكَ بِالشُّكْرِ فَإِنَّهُ يَزيدُ فِي النِّعْمَةِ ، وَأَكْثِرْ مِنَ الدُّعاءِ فَإِنَّكَ لا تَدْري مَتىٰ يُسْتَجابُ لَكَ ، وَإِيّاكَ وَالْبَغْيَ فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ قَضىٰ أَنَّهُ مَنْ ﴿بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ﴾[٣] ، وَقالَ : ﴿يا أَيُّهَا النّاسُ إِنَّما بَغْيُكُمْ عَلىٰ أَنفُسِكُم﴾[٤] ، وَإِيّاكَ وَالْمَكْرَ ، فَإِنَّ اللهَ قَضىٰ أَنْ ﴿لا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلّا بِأَهْلِهِ﴾[٥]»[٦].

حكت هذه الوصيّة محاسن الصفات ، ومعالي الأخلاق التي ينعم بها الإنسان في دنياه ، ويتميّز على غيره ، ويسمو على من سواه.

---

(١) تحف العقول : ٤١ ـ ٤٢.

(٢) أي ينزعك منها.

(٣) الحجّ ٢٢ : ٦٠.

(٤) يونس ١٠ : ٢٣.

(٥) فاطر ٣٥ : ٤٣.

(٦) تحف العقول : ٣٥.

وصيّته صلى الله عليه وآله لرجل آخر

وفد عليه رجل، فقال له: «يا رسول الله، أوصني ؟»، فقال صلى الله عليه وآله:

«لَا تُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئاً وَإِنْ حُرِّقْتَ بِالنّارِ، وَإِنْ عُذِّبْتَ، إِلَّا وَقَلْبُكَ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ. وَوَالِدَيْكَ فَأَطِعْهُما، وَبَرَّهُما حَيَّيْنِ أَوْ مَيِّتَيْنِ،، فَإِنْ أَمَراكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمالِكَ فَافْعَلْ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنَ الْإِيمانِ، وَالصَّلاةَ الْمَفْرُوضَةَ فَلا تَدَعْها مُتَعَمِّداً، فَإِنَّهُ مَنْ تَرَكَ صَلاةً فَرِيضَةً مُتَعَمِّداً فَإِنَّ ذِمَّةَ اللهِ مِنْهُ بَرِيئَة. وَإِيّاكَ وَشُرْبَ الْخَمْرِ وَكُلَّ مُسْكِرٍ فَإِنَّهُما مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ»[١].

حفلت هذه الوصيّة بالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى، والبرّ بالوالدين وطاعتهما، والمحافظة على الصلوات المفروضة، فإنّها من دعائم الدين، والنهي عن شرب الخمر الذي هو مفتاح كلّ شرّ.

وصيّته صلى الله عليه وآله لرجل

طلب رجل من النبيّ صلى الله عليه وآله أن يتفضّل عليه بوصيّة تنفعه، فقال صلى الله عليه وآله:

«لَا تَغْضِبْ».

وأعاد الرجل عليه القول فأجابه: **«لَا تَغْضَبْ»**، ثُمَّ عقب كلامه، قال: **«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّما الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»**[٢].

الغضب مفتاح كلّ شرّ، ومصدر لكلّ جريمة.

---

(١) تحف العقول: ٤١.

(٢) تحف العقول: ٤٧.

وصيّته ﷺ لرجل

وفد عليه رجل وطلب منه أن يزوّده بوصيّة ، فقال ﷺ له :

« إحْفَظْ لِسانَكَ » .

ثُمَّ قال له : « يا رسول اللهِ ، أَوْصني ؟ » .

قال ﷺ : **« إحْفَظْ لِسانَكَ »** .

ثمّ قال : « يا رَسُولَ اللهِ ، أوْصني ؟ » .

فَقالَ ﷺ : **« وَيْحَكَ ، وَهَلْ يَكُبُّ النّاسَ عَلىٰ مَناخِرِهِمْ فِي النّارِ إلَّا حَصائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟ »**[1] .

وصيّته ﷺ لرجل

طلب منه رجل أن يزوّده بوصيّة تنفعه ، فقال ﷺ :

« عَلَيْكَ بِالْيَأْسِ عَمّا في أَيْدي النّاسِ ، فَإِنَّهُ الْغِنَى الْحاضِرُ » .

« زدني يا رسول الله ؟ » .

« إيّاكَ وَالطَّمَعُ ، فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحاضِرُ » .

« زدني يا رسول الله ؟ » .

« إذا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَتَدَبَّرْ عاقِبَتَهُ ، فَإنْ يَكُ خَيْراً وَرُشْداً فاتَّبِعْهُ ، وَإنْ يَكُ غَيّاً فَدَعْهُ » .

---

(١) تحف العقول : ٥٦ .

ما أروع هذه الوصيّة التي تضمن للإنسان كرامته وشرفه ، وتصونه عن رذائل الأعمال .

وصيّته صلى الله عليه وآله لرجل

روى الصحابي الجليل أبو ذرّ الغفاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل يوصيه :

«أَقْلِلِ الشَّهَواتِ يَسْهُلْ عَلَيْكَ الْفَقْرَ ، وَأَقْلِلْ مِنَ الذُّنُوبِ يَسْهُلْ عَلَيْكَ الْمَوْتَ ، وَقَدِّمْ مالَكَ أَمامَكَ يَسُرُّكَ اللَّحاقُ بِهِ ، وَاقْنَعْ بِما أُوتِيتَهُ يُخفُّ عَلَيْكَ الْحِسابُ ، وَلَا تَتَشاغَلْ عَمّا فُرِضَ عَلَيْكَ ، بِما قَدْ ضُمِنَ لَكَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِفائِتِكَ ما قَدْ قُسِمَ لَكَ ، وَلَسْتَ بِلَاحِقٍ ما قَدْ زُوِيَ عَنْكَ ، فَلَا تَكُ جاهِداً فِيما أَصْبَحَ نافِذاً ، وَاسْعَ لِمُلْكٍ لَا زَوالَ لَهُ فِي مَنْزِلٍ لَا انْتِقالَ عَنْهُ»[1] .

وحفلت وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله بكلّ ما يسمو به الإنسان ويسعد به في دنياه وآخرته .

وصيّته صلى الله عليه وآله بالنساء

أمّا النساء فكنّ موضع اهتمام النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقد قال :

«إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُوصِيكُمْ بِالنِّساءِ خَيْراً ، فَإِنَّهُنَّ أُمَّهاتُكُمْ ، وَبَناتُكُمْ وَخالَاتُكُمْ»[2] .

وقال صلى الله عليه وآله : **«اتَّقُوا اللهَ فِي النِّساءِ ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوانٌ»**[3] .

---

(١) بحار الأنوار : ٧٧ : ١٨٧ .

(٢) كنز العمّال : ١٦ : ٣٧٤ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل : ٥ : ٧٣ . دعائم الإسلام : ٢ : ٢١٤ .

وقال ﷺ : «**خِيارُكُمْ خِيارُكُمْ لِنِسائِهِمْ**»[١].

وقال ﷺ : «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنا خَيْرُكُمْ لِأَهْلي ، ما أَكْرَمَ النِّساءَ إِلَّا كَرِيمٌ ، وَلَا أَهانَهُنَّ إِلَّا لَئِيمٌ**»[٢].

وصيّة عامّة للمسلمين

أوصى النبيّ ﷺ اُمّته في جميع مراحل تأريخها بهذه الوصيّة ، قال ﷺ :

«**اُوصي الشّاهِدَ مِنْ اُمَّتي وَالْغائِبَ مِنْهُمْ وَمَنْ في أَصْلَابِ الرِّجالِ وَأَرْحامِ النِّساءِ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ أَنْ يَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ كانَتْ مِنْهُ عَلىٰ مَسيرَةِ سَنَةٍ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنَ الدِّينِ**»[٣].

إنّ في صلة الرحم تأكيداً للترابط الاجتماعي الذي تبنّاه الإسلام؛ لأنّ فيه قوّة للمسلمين.

الوصيّة بكتاب الله والعترة

قال ﷺ : «**اُوصيكُمْ بِكتابِ اللهِ وَأَهْلِ بَيْتي ، فَإِنِّي سَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُفَرِّقَ بَيْنَهُما حَتَّىٰ يُورِدَهُما عَلَيَّ الْحَوْضَ ، فَأَعْطاني ذٰلِكَ**»[٤].

إنّ التمسّك بالثقلين ضمان من الهلاكة ونجاة للاُمّة في جميع مراحل تأريخها.

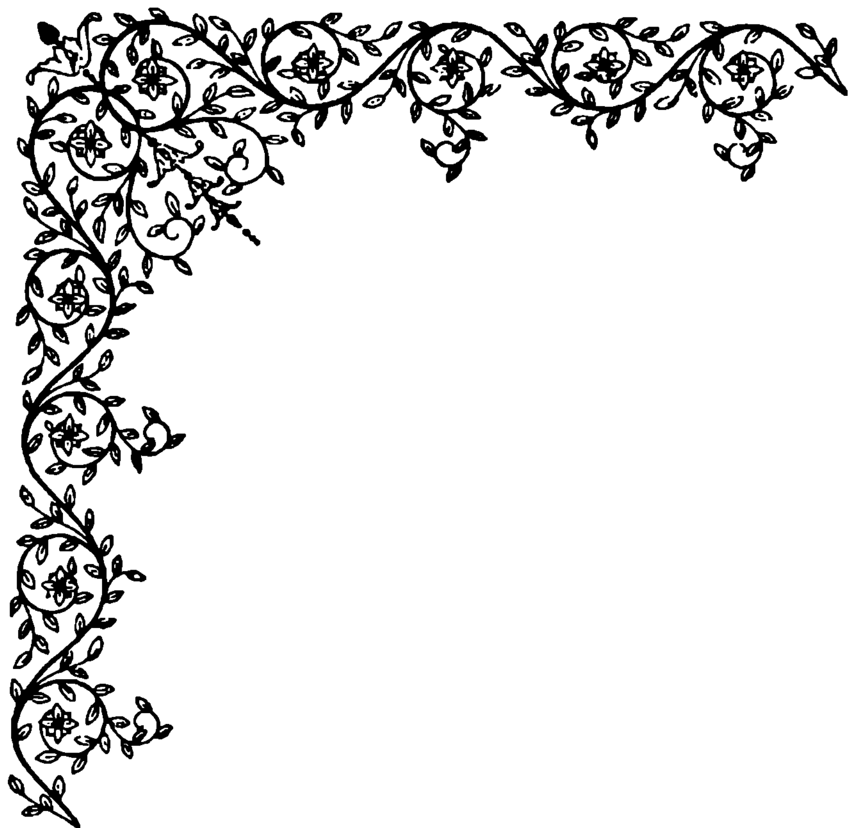
---

(١) سنن ابن ماجة : ١ : ٦٣٦.

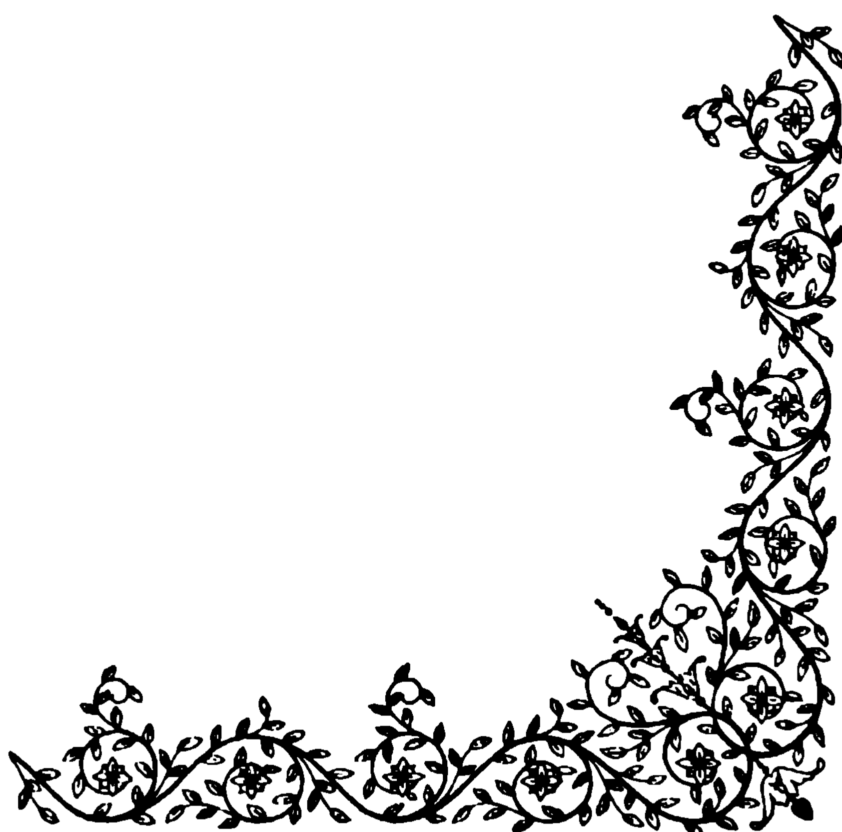
(٢) كنز العمّال : ١٦ : ٤٠٨.

(٣) اُصول الكافي : ٢ : ١٥٨.

(٤) اُصول الكافي : ١ : ٣٤٧.



المواعظ والنصائح



اهتمّ النبيّ ﷺ اهتماماً بالغاً بالوعظ الذي هو بلسم للنفوس الحائرة يهديها للتي هي أقوم ، وتشرق به آفاق النفس ، وتصونها من مآثم الحياة ، وقد أُثرت عنه كوكبة من المواعظ ،كان منها ما يلي :

١ ـ التحذير من حبّ الدنيا

حذّر النبيّ ﷺ من حبّ الدنيا ، والتهالك على مباهجها ، قال ﷺ :

«ما لِي أرىٰ حُبَّ الدُّنْيا قَدْ غَلَبَ عَلىٰ كَثِيرٍ مِنَ النّاسِ؛ حَتّىٰ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِي هٰذِهِ الدُّنْيا عَلىٰ غَيْرِهِمْ كُتِبَ. وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِي هٰذِهِ الدُّنْيا عَلىٰ غَيْرِهِمْ وَجَبَ ، كَأَنَّ ما يَسْمَعُونَ مِنْ خَبَرِ الْأَمْواتِ قَبْلَهُمْ عِنْدَهُمْ كَسَبِيلِ قَوْمٍ سَفْرٍ عَمّا قَلِيلٍ إِلَيْهِمْ راجِعُونَ ، وَبُيُوتهُم الْأَجْداثُ ، وَتَأْكُلُونَ تُراثَهُمْ وَأَنْتُمْ مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ. هَيْهاتَ ، هَيْهاتَ ، أَما يَتَّعِظُ آخِرُهُمْ بِأَوَّلِهِمْ ، لَقَدْ جَهِلُوا وَنَسُوا كُلَّ مَوْعِظَةٍ فِي كِتابِ اللهِ ، وَأَمِنُوا شَرَّ كُلِّ عاقِبَةِ سُوْءٍ ، وَلَمْ يَخافُوا نُزُولَ فادِحَةٍ ، وَلَا بَوائِقَ كُلِّ حادِثَةٍ. طُوبىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ خَوْفُ اللهِ عَنْ خَوْفِ النّاسِ.

طُوبىٰ لِمَنْ طابَ كَسْبُهُ ، وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ ، وَحَسُنَتْ عَلَانِيَتُهُ ، وَاسْتَقامَتْ خَلِيقَتُهُ.

طُوبىٰ لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ.

طُوبىٰ لِمَنْ تَواضَعَ للهِ عَزَّ ذِكْرُهُ، وَزَهَدَ فِيما أَحَلَّ لَهُ مِنْ غَيْرِ رَغْبَةٍ عَنْ سُنَّتِي، وَرَفَضَ زَهْرَةَ الدُّنْيا مِنْ غَيْرِ تَحَوُّلٍ عَنْ سُنَّتِي، وَاتَّبَعَ الْأَخْيارَ مِنْ عِتْرَتِي مِنْ بَعْدِي، وَخالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ، وَرَحِمَ أَهْلَ الْمَسْكَنَةِ.

طُوبىٰ لِمَنِ اكْتَسَبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مالاً مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَأَنْفَقَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَعادَ بِهِ عَلىٰ أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ، وَجانَبَ أَهْلَ الْخُيَلاءِ وَالتَّفاخُرِ وَالرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيا، الْمُبْتَدِعِينَ خِلَافَ سُنَّتِي، الْعامِلِينَ بِغَيْرِ سِيرَتِي.

طُوبىٰ لِمَنْ حَسَّنَ مَعَ النّاسِ خُلُقَهُ، وَبَذَلَ لَهُمْ مَعُونَتَهُ، وَعَدَلَ عَنْهُمْ شَرَّهُ»[١].

وأنت ترى في هذه الموعظة التحذير الكامل من شرور الدنيا وآثامها، فقد هام النّاس بحبّها، ونسوا الموت المحتّم الذي يحصدهم، ويبعث بهم إلى قبورهم، لقد أعرضوا عن ذلك، وأقبلوا بنهم على منافعها الزائلة، وقد أعرضوا عن كلّ موعظة في كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه، ولم يلتفتوا إلى الدار الآخرة، ثمّ ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله المتّقين وبشّرهم بلطف الله عليهم ورحمته.

٢ ـ مَن حسن عمله

من مواعظ الرسول صلى الله عليه وآله قوله:

«طُوبىٰ لِمَنْ طالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ، فَحَسُنَ مُنْقَلَبُهُ إِذْ رَضِيَ عَنْهُ رَبُّهُ.

---

(١) تحف العقول: ٢٩ و ٣٠.

وَوَيْلٌ لِمَنْ طالَ عُمْرُهُ ، وَساءَ عَمَلُهُ ، فَساء مُنْقَلَبُهُ إِذْ سَخِطَ عَلَيْهِ رَبُّهُ »[١].

إنّ أسعد النّاسِ وأوفرهم حظّاً مَن طالت أيّامه ، وَتقرّب إلى الله تعالى بالمبرّات والحسنات ، والويل والشقاء لمن طال عمره ، وقضاه بالمآثم والذُّنوب .

٣ ـ الخصال الشريفة

ومن نصائح النبيّ ﷺ لأمّته قوله :

« تَقَبَّلُوا لي بِسِتٍّ أَتَقَبَّلُ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ : إذا حَدَّثْتُمْ فَلَا تُكْذِبُوا ، وَإذا وَعَدْتُمْ فَلَا تَخْلِفُوا ، وَإذا ائْتُمِنْتُمْ فَلَا تَخُونُوا ، وَغُضُّوا أَبْصارَكُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُجَكُمْ ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ »[٢].

إنّ من يلتزم بهذه الخصال الكريمة فقد ضمن له الرسول ﷺ الفردوس الأعلى يتبوّء فيه حيثما شاء .

٤ ـ الهوى وطولُ الأمل

من نصائح النبيّ ﷺ للمسلمين قوله :

« إنّ أَخْوَفَ ما أخافُ عَلى أُمَّتي : الهَوى وَطولُ الأمَلِ . أَمَّا الْهَوىٰ فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَأَمّا طُولُ الْأَمَلِ فَيُنْسي الْآخِرَةَ .. وَهٰذِهِ الدُّنْيا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً ، وَهٰذِهِ الْآخِرَةُ قَدِ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً ، وَلِكُلٍّ واحِدٍ مِنْهُما بَنُونَ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنْ أَبْناءِ الْآخِرَةِ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْناءِ الدُّنْيا ، فَافْعَلُوا ، فَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ في

---

(١) بحار الأنوار : ٧٧ : ١١٢ .

(٢) بحار الأنوار : ٧٧ : ١١٢ .

دارِ عَمَلٍ وَلَا حِسابٍ ، وَأَنْتُمْ غداً في دارِ حِسابٍ وَلَا عَمَلٍ...»[١].

لقد حذّر النبيّ ﷺ من الهوى الذي يصدّ الإنسان عن الطريق المستقيم ، ويصرفه عن الله تعالى ، كما حذّر من طول الأمل الذي يُنسي الإنسان الآخرة ، ويبعثه إلى التكالب على الدنيا .

٥ ـ أشد النّاس بلاءً

من مواعظ النبيّ ﷺ قوله ـ حيث سُئل عن أشدّ النّاس بلاءً في الدنيا ـ :

«النَّبِيُّونَ ، ثُمَّ الْأَماثِلُ فَالْأَماثِلُ ، وَيُبْتَلَى الْمُؤْمِنُ عَلىٰ قَدْرِ إِيمانِهِ ، وَحُسْنِ عَمَلِهِ ، فَمَنْ صَحَّ إِيمانُهُ ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ ، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَمَنْ سَخُفَ إِيمانُهُ ، وَضَعُفَ عَمَلُهُ قَلَّ بَلاؤُهُ»[٢].

إنّ الأنبياء دعاة الإصلاح الاجتماعي ينصبّ عليهم البلاء من الطغاة والجبّارين ، وكذلك يلاقى نفس المصير المؤمنون بأهدافهم وقيمهم ، والسائرين على نهجهم .

٦ ـ الأعمال المقرّبة للجنّة والنّار

قال ﷺ : **«إِنَّهُ واللهِ ما مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النّارِ إِلَّا وَقَدْ نَبَّأْتُكُمْ بِهِ وَنَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَما مِنْ عَمَلٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ نَبَّأْتُكُمْ بِهِ وَأَمَرْتُكُمْ بِهِ ، فَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ : لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَها ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطاءُ شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوا ما عِنْدَ**

---

(١) بحار الأنوار : ٧٧ : ١١٧ .

(٢) تحف العقول : ٣٩ .

اللهِ إلَّا بِمَعاصِيهِ ، فَإنَّهُ لَا يُنالُ ما عِنْدَ اللهِ إلَّا بِطَاعَتِهِ »(١) .

لقد بلغ النبيّ ﷺ أُمّته بجميع ما يقرّبهم إلى الله زلفى ، ونهاهم عن كلّ ما يبعدهم عن الله تعالى ، وحذّرهم من اقترافهم ، كما دعا ﷺ أُمّته إلى الإجمال في طلب الرزق ، وعدم التهالك على طلبه ، فإنّه مقسوم لكلّ أحد من قِبل الله تعالى .

٧ ـ ما بعد الدنيا إمّا الجنّة أو النّار

من مواعظ النبيّ ﷺ هذه الموعظة العظيمة ، قال ﷺ :

« يا أَيُّهَا النّاسُ ، إنَّ لَكُمْ مَعالِماً فَانْتَهُوا إلىٰ مَعالِمِكُمْ ، وَإنَّ لَكُمْ نِهايَةً فَانْتَهُوا إلىٰ نِهايَتِكُمْ ، إنَّ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخافَتَيْنِ :

بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضىٰ لَا يَدْرِي ما اللهُ صانِعٌ فِيهِ ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لَا يَدْرِي ما اللهُ قاضٍ فِيهِ؛ فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ، وَمِنْ دُنْياهُ لِآخِرَتِهِ ، وَمِنَ الشَّيْبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ ، وَمِنَ الْحَياةِ قَبْلَ الْمَوْتِ . فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، ما بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ ، وَلَا بَعْدَ الدُّنْيا مِنْ دارٍ إلَّا الْجَنَّةِ أَوِ النّارِ »(٢) .

حكت هذه الكلمة دعوة الرسول ﷺ إلى العمل الصالح الذي يسعد به الإنسان ، والحذر من الأعمال المجافية للدين ، ففيها الهلاك ، وإنّ الإنسان ما دام في دار الدنيا فهو مدعو بالنظر إلى نفسه وما ينجيها وينقذها من أهوال المحشر ، فإنّه ليس بعد الموت من دار يسكن فيها أمّا الجنّة إذا عمل صالحاً ، أو النّار إذا كان عمله ليس صحيحاً .

---

(١) تحف العقول : ٤٠ .

(٢) التذكرة الحمدونيّة : ١ : ٣٧ .

٨ ـ الانقطاع إلى الله تعالى

ومن مواعظ النبيّ صلى الله عليه وآله هذه الموعظة القيّمة :

«مَنِ انْقَطَعَ إلىَ اللهِ كَفاهُ اللهُ كُلَّ مؤُونَةٍ. ومَنِ انْقَطَعَ إلَى الدُّنْيا وَكَلَهُ اللهُ إلَيْها. وَمَنْ حاوَلَ أمْراً بِمَعْصِيَةِ اللهِ كانَ أَبْعَدَ لَهُ مِمّا رَجا ، وَأقْرَبَ مِمّا اتّقىٰ. ومَنْ طَلَبَ مَحامِدَ النّاسِ بِمَعاصِي اللهِ عادَ حامِدُهُ مِنْهُمْ ذامّاً. وَمَنْ أَرْضَى النّاسَ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ إلَيْهِمْ ، وَمَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النّاسِ كَفاهُ اللهُ شَرَّهُمْ. وَمَنْ أحْسَنَ فيما بَيْنَهُ وبَيْنَ الله كَفاهُ اللهُ مابَيْنَهُ وبينَ النّاسِ. ومَنْ أصْلَحَ سَريرَتَهُ أصْلَحَ اللهُ عَلانِيَتَهُ. ومَنْ عَمِلَ لآخِرَتِه كَفاهُ اللهُ أَمْرَ دُنْياهُ»(١).

إنّ ارتباط الإنسان بالله تعالى يكفيه كلّ ما أهمّه من أمر آخرته ودنياه ، فإنّ جميع شؤون الكون بيده تعالى ، فعلى الإنسان أن لا يكل اُموره إلى غيره تعالى .

٩ ـ ذكر الموت

ومن غرر مواعظ النبيّ صلى الله عليه وآله هذه الموعظة :

«أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هادِمِ اللَّذّاتِ ، فَإنَّكُمْ إنْ ذَكَرْتُمُوهُ في ضِيقٍ وَسَعَةٍ عَلَيْكُمْ فَرَضِيتُمْ بِهِ اُجِرْتُمْ ، وَإنْ ذَكَرْتُمُوهُ في غِنىً بَغضَهُ إلَيْكُمْ فَجُدْتُمْ بِهِ اُثِبْتُمْ ، إنَّ الْمَنايا قاطِعاتٍ لِلأَعْمالِ ، واللَّيالي مُدْنِياتٍ لِلآجالِ ، وَإنَّ الْمَرْءَ بَيْنَ يَوْمَيْنِ : يَوْمٌ مَضىٰ اُحْصِيَ فِيهِ عَمَلُهُ فَخُتِمَ عَلَيْهِ ، وَيَوْمٌ قَدْ بَقِيَ لَعَلَّهُ لا يَصِلُ إلَيْهِ ، إنَّ الْعَبْدَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ ، وَحُلُولِ رَمْسِهِ ، يَرىٰ جَزاءَ ما أَسْلَفَ ، وَقِلَّةِ غَناءِ

---

(١) التذكرة الحمدونيّة : ١ : ٣٨.

ما خَلَّفَ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ باطِلٍ جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ »[١] .

إنّ ذكر الموت خير واعظ للإنسان ، فهو يضعه أمام الأمر الواقع الذي لا مفرّ منه ، وهو مفارقته للدنيا ، ومن السخف أن لا يتّعظ ولا يحسن سلوكه ، ولا ينزجر عمّا حرّم الله .

١٠ ـ مع الموت

من غرر مواعظ النبيّ ﷺ هذه الموعظة التي ألقاها وهو راكب على ناقته الجدعاء ، فقال :

« أَيُّها النّاسُ ، كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيها ـ أي في الدنيا ـ **عَلىٰ غَيْرِهِمْ كُتِبَ . وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيها عَلىٰ غَيْرِنا وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذي نُشَيِّعُ مِنَ الْأَمْواتِ سَفَرٌ عَمّا قَليلٌ إِلَيْنا راجِعُونَ ، نَبُوئُهُمْ أَجْداثَهُمْ ، وَنَأْكُلُ تُراثَهُمْ ، كَأَنّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ ، قَدْ نَسِينا كُلَّ واعِظَةٍ ، وَأَمِنّا كُلَّ جائِحَةٍ .**

طُوبىٰ لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النّاسِ ، وَأَنْفَقَ مِنْ مالٍ كَسْبِهِ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ ، وَخالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ .

طُوبىٰ لِمَنْ أَذَلَّ نَفْسَهُ ، وَحَسَّنَ خَلِيقَتَهُ ، وَأَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ ، وَعَزَلَ عِنِ النّاسِ شَرَّهُ .

طُوبىٰ لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ ، وَلَمْ يَتَعَدَّها إِلَي الْبِدْعَةِ »[٢] .

---

(١) و (٢) التذكرة الحمدونيّة : ١ : ٣٨ .

وفي هذه الكلمات المشرقة الدعوة إلى ذكر الموت الذي يصدّ الإنسان عن اقتراف ما لا يرضي الله تعالى، كما فيه الحثّ على التحلّي بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات.

١١ ـ المسارعة إلى الخيرات

ومن مواعظ النبيّ صلى الله عليه وآله قوله:

«مَنْ اشْتاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سارَعَ إِلَى الْخَيْراتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النّارِ لَهىٰ عَنِ الشَّهَواتِ، وَمَنْ تَرَقَّبَ المَوْتَ لَهىٰ عَنِ اللَّذّاتِ، وَمَنْ زَهِدَ في الدُّنْيا هانَتْ عَلَيْهِ المُصيباتُ. وَمَنْ فُتِحَ لَهُ بابٌ مِنْ خَيْرٍ فَلْيَنْتَهِزهُ فَإِنَّهُ لا يَدْري مَتىٰ يُغْلَقُ عَلَيْهِ»[١].

إنّ مَن يشتاق إلى الفردوس الأعلى مقرّ الأنبياء والصالحين، فإنّه يسارع إلى المبرّات وأعمال الخير، كما أنّ مَن يخاف النار فإنّه يهرب من الشهوات وعن كلّ ما يقرّبه إلى النّار، كما أنّ من يزهد في الدنيا فانّ مصائبها تهون عليه، وما أبدع قوله صلى الله عليه وآله: **«وَمَنْ فُتِحَ لَهُ بابٌ مِنْ خَيْرٍ فَلْيَنْتَهِزهُ فَإِنَّهُ لا يَدْري مَتىٰ يُغْلَقُ عَنْهُ»**، ففيه الحثّ على صنع المعروف وإسداء الخير على النّاس، فإنّ الشخص لا يعلم متى يسدّ ذلك الباب عليه.

١٢ ـ الدنيا دار التواء

ومن مواعظه صلى الله عليه وآله هذه الموعظة القيّمة:

«أَيُّها النّاسُ، إِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيا دارُ التواءٍ لا دارُ اسْتِواءٍ، وَمَنْزِلُ تَرَحٍ لا مَنْزِلُ

---

(١) كشف الخفاء: ٢: ٣٠٥. التذكرة الحمدونيّة: ١: ٤٦.

فَرَحٍ ، فَمَنْ عَرَفَها لَمْ يَفْرَحْ لِرَخاءٍ ، وَلَمْ يَحْزَنْ لِشَقاءٍ ، أَلَا وَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ خَلَقَ الدُّنْيا دارَ بَلْوىٰ ، وَالْآخِرَةَ دارَ عُقْبىٰ ، فَجَعَلَ بَلْوَى الدُّنْيا لِثَوابِ الْآخِرَةِ سَبَباً ، وَثَوابَ الْآخِرَةِ مِنْ بَلْوىٰ الدُّنْيا عِوَضاً ، فَيَأْخُذُ لِيُعْطِي ، وَيَبْتَلِي لِيُجْزِي ، وَإِنَّها لَسَرِيعَةُ الذَّهابِ ، وَشِيْكَةُ الْإِنْقِلَابِ ، فَاحْذَرُوا حَلَاوَةَ رِضاعِها لِمَرارَةِ فِطامِها ، وَاهْجُروا لَذيذَ عاجِلِها لِكَرِيهِ آجِلِها ، وَلَا تَسْعُوا فِي عُمْرانِ دارٍ قَدْ قُضِيَ خَرابُها ، وَلَا تُواصِلُوها وَقَدْ أَرادَ مِنْكُمُ اجْتِنابَها ، فَتَكُونُوا لِسَخَطِهِ مُتَعَرِّضِينَ ، وَلِعُقُوبَتِهِ مُسْتَحِقِّينَ »[١] .

حذّر النبيّ ﷺ من الدنيا التي ليست بدار قرار ، وأنّ الإنسان فيها ضيف لا يلبث أن يرحل عنها ، ولو عرفها الإنسان حقّ معرفتها لما فرح برخائها وأمنها .

١٣ ـ حبّ الدنيا

من مواعظ النبيّ ﷺ التحذير من حبّ الدنيا وذكر مضاعفاتها السيّئة . قال ﷺ :

« إِنَّهُ ما سَكَنَ حُبُّ الدُّنْيا قَلْبَ عَبْدٍ إِلَّا الْتاطَ بِثَلَاثٍ : شُغْلٌ لَا يَنْفَدُ عَناؤُهُ ، وَفَقْرٌ لَا يُدْرَكُ غِناهُ ، وَأَمَلٌ لَا يُدْرَكُ مُنْتَهاهُ . إِنَّ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ طالِبَتانِ وَمَطْلُوبَتانِ ، فَطالِبُ الْآخِرَةِ تَطْلُبُهُ الدُّنْيا حَتّىٰ يَسْتَكْمِلَ رِزْقَهُ ، وَطالِبُ الدُّنْيا تَطْلُبُهُ الْآخِرَةُ حَتّىٰ يَأْخُذَ الْمَوْتُ عُنُقَهُ ، أَلَا وَإِنَّ السَّعِيدَ السَّعِيدَ مَنِ اخْتارَ باقِيَةً يَدُومُ نَعِيمُها ، عَلىٰ فانِيَةٍ لَا يَنْفَدُ عَذابُها ، وَقَدَّمَ لِما يَقْدِمُ عَلَيْهِ مِمّا هُوَ الْآنَ في

---

(١) التذكرة الحمدونيّة : ١ : ٥٢ .

يَدَيْهِ أَنْ يُخَلِّفَهُ لِمَنْ يَسْعَدُ بِإِنْفاقِهِ ، وَقَدْ شَقِيَ بِجَمْعِهِ وَاحْتِكارِهِ »(١).

إنّ مَن يبتلى بحبّ الدنيا فإنّه يمنى ببلاء عارم ، وشقاء متّصل ، والسعيد من آثر الآخرة وسعى لها ، وطلب مرضاة الله تعالى .

١٤ - تعزية وموعظة

توفّي ابن لمعاذ ، فكتب إليه النبيّ ﷺ يعزّيه ويعظه بهذه الكلمات :

« مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلىٰ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ :

سَلامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللهَ الَّذي لا إِلـهَ إِلَّا هُوَ - أَمّا بَعْدُ - فَقَدْ بَلَغَنِي جَزَعُكَ عَلىٰ وَلَدِكَ الَّذِي قَضَى اللهُ عَلَيْهِ وَإِنَّما كانَ ابْنُكَ مِنْ مَواهِبِ اللهِ الْهَنِيئَةِ ، وَعَوارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ عِنْدَكَ ، فَمَتَّعَكَ اللهُ بِهِ إِلىٰ أَجَلٍ ، وَقَبَضَهُ لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ ، فَإِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ، لا يُحْبِطَنَّ جَزَعُكَ أَجْرَكَ وَلَوْ قَدِمْتَ عَلىٰ ثَوابِ مُصِيبَتِكَ ، لَعَلِمْتَ أَنَّ الْمُصِيبَةَ قَدْ قَصُرَتْ لِعَظِيمِ ما أَعَدَّ اللهُ عَلَيْها مِنَ الثَّوابِ لِأَهْلِ التَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لا يَرُدُّ مَيِّتاً ، وَلا يَدْفَعُ قَدَراً ، فَأَحْسِنِ الْعَزاءَ ، وَتَنَجَّزِ الْمَوْعُودَ ، فَلا يَذْهَبَنَّ أَسَفُكَ عَلىٰ ما لازِمٌ لَكَ وَلِجَمِيعِ الْخَلْقِ نازِلٌ بِقَدَرِهِ ، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ »(٢).

وحكت هذه الرسالة أسمى ألوان التعزية والمواساة كما حكت أجمل ألوان الموعظة التي تبعث إلى التوازن والاستقامة في هذه الحياة .

---

(١) محاضرات الأبرار : ٢ : ٢٧٣ . التذكرة الحمدونيّة : ١ : ٥٤ .

(٢) تحف العقول : ٥٩ .

١٥ ـ إدبار الدنيا

من مواعظ النبيّ صلى الله عليه وآله هذه الموعظة الثمينة. قال صلى الله عليه وآله:

«أَلَا إِنَّ الدُّنْيا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، وَالْآخِرَةَ قَدِ احْتَمَلَتْ مُقْبِلَةً، أَلَا وَإِنَّكُمْ في يَوْمِ عَمَلٍ لَا حِسابَ فِيهِ، وَيُوشَكُ أَنْ تَكُونُوا في يَوْمِ حِسابٍ لَيْسَ فِيهِ عَمَلٌ، وَإِنَّ اللهَ يُعْطي الدُّنْيا مَنْ يُحِبُّ وَيُبْغِضُ، وَلَا يُعْطي الْآخِرَةَ إِلَّا لِمَنْ يُحِبُّ، وَإِنَّ لِلدُّنْيا أَبْناءً، وَلِلْآخِرَةِ أَبْناءً، فَكُونُوا مِنْ أَبْناءِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْناءِ الدُّنْيا، إِنَّ شَرَّ ما أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ اتِّباعُ الْهَوىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ، فَاتِّباعُ الْهَوىٰ يَصْرِفُ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَطُولُ الْأَمَلِ يَصْرِفُ هِمَمَكُمْ إِلَى الدُّنْيا، وَما بَعْدَهُما لِأَحَدٍ مِنْ خَيْرٍ يَرْجاهُ في دُنْيا وَلَا آخِرَةٍ»[1].

وحفلت هذه الموعظة بما ينفع الإنسان في آخرته ودنياه، ويبعده عن مآثم هذه الحياة، ويوجّهه نحو العمل الصالح الذي به نجاته.

١٦ ـ مع ملك الموت

ومن مواعظ النبيّ صلى الله عليه وآله هذه الموعظة التي حكت مرور ملك الموت على بيوت النّاس، وندائه لهم، وهم لا يحسّون به. قال صلى الله عليه وآله:

«ما مِنْ بَيْتٍ إِلَّا وَمَلَكُ الْمَوْتِ يَقِفُ عَلىٰ بابِهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرّاتٍ، فَإِذا وَجَدَ الْإِنْسانَ قَدْ نَفَدَ أَجَلُهُ، وَانْقَطَعَ أُكُلُهُ، أَلْقىٰ عَلَيْهِ الْمَوْتَ فَغَشِيَتْهُ كُرُباتُهُ، وَغَمَرَتْهُ غَمَراتُهُ، فَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ النّاشِرَةُ شَعْرَها، وَالضّارِبَةُ وَجْهَها، الصّارِخَةُ

(١) بحار الأنوار: ٧٧: ١٨٨.

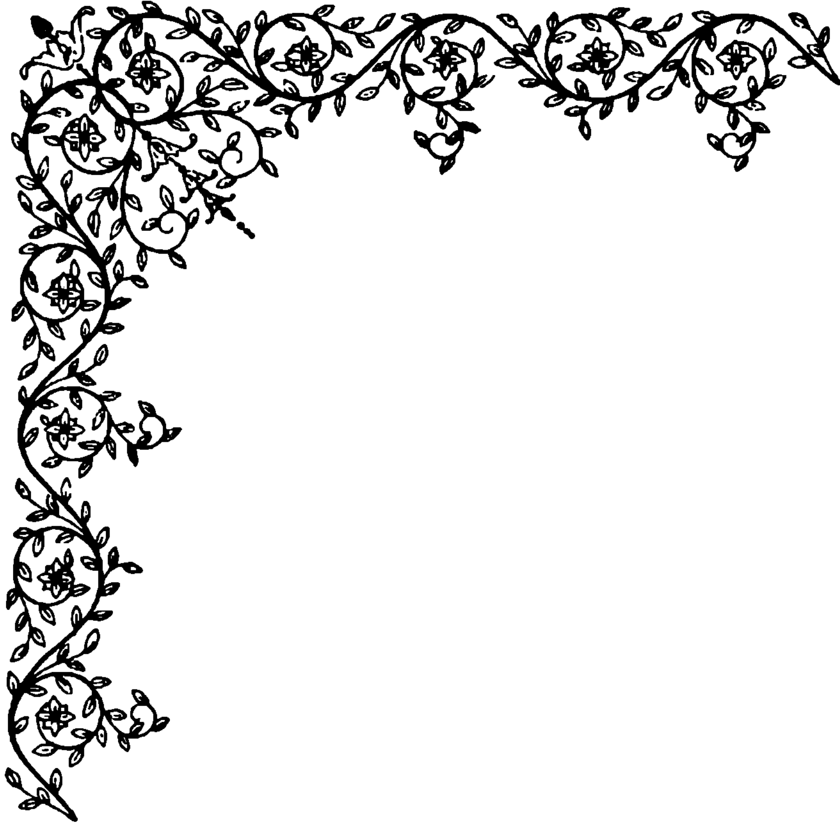
بِوَيْلِها ، الْباكِيَةُ بِشَجْوِها ، فَيَقُولُ مَلَكُ الْـمَوْتِ : وَيْـلَكُمْ مِـمَّ الْـجَزَعُ ؟ وَفِـيمَ الْفَزَعُ ؟ وَاللهِ! ما أَذْهَبْتُ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ مالاً ، وَلَا قَرَّبْتُ لَهُ أَجلاً ، وَلَا أَتَيْتُهُ حَـتّىٰ أُمِرْتُ ، وَلَا قَبَضْتُ رُوحَهُ حَتّىٰ اسْتُأْمِرْتُ ، وَإِنَّ لي إِلَيْكُمْ عَوْدَةً ثُمَّ عَوْدَةً ، حَتّىٰ لَا أُبْقِي مِنْكُمْ أَحَداً » .

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

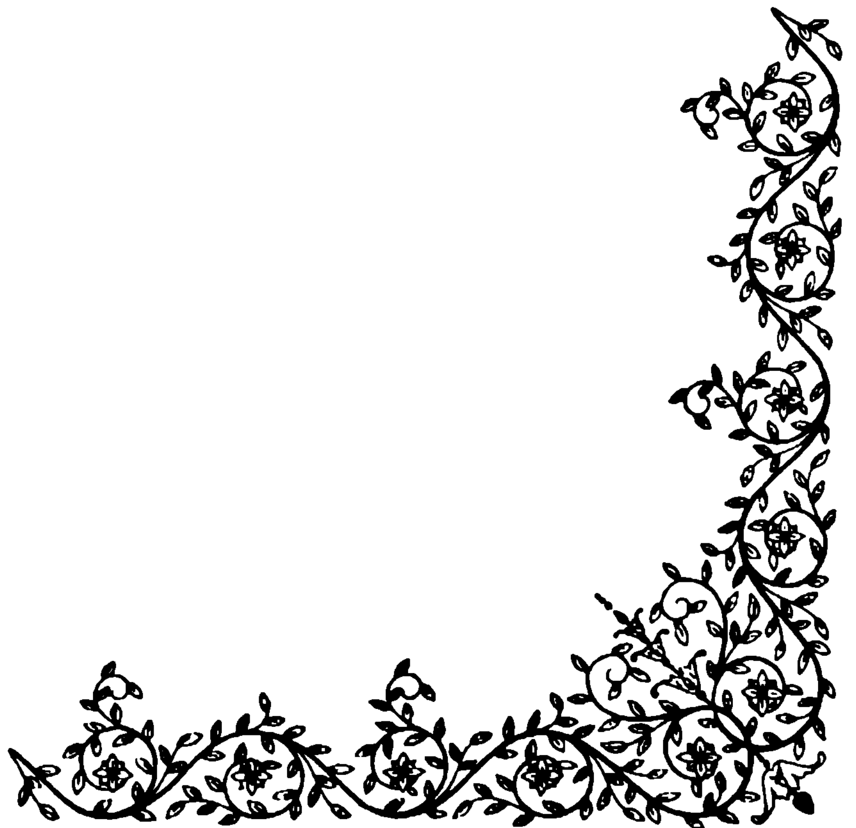
« وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ ، لَوْ يَرَوْنَ مَكانَهُ ، وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ لَذُهِلُوا عَنْ مَيِّتِهِمْ ، وَبَكَوا عَلىٰ نُفُوسِهِمْ ، حَتّىٰ إِذا حُمِلَ الْمَيِّتُ عَلىٰ نَعْشِهِ رَفْرَفَ بِرُوحِهِ فَـوْقَ النَّعْشِ ، وَهُوَ يُنادي : يا أَهْلي وَوُلْدي ، لَا تَلْعَبَنَّ بِكُمُ الدُّنْيا كَما لَـعِبَتْ بـي ، جَمَعْتُهُ - أي المال - مِنْ حِلِّهِ ، وَمِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، وَخَـلَّفْتُهُ لِـغَيْري ، وَالْـمَهْنَأُ لَـهُ ، وَالتَّبِعاتُ عَلَيَّ ، فَاحْذَرُوا عَنْ مِثْلِ ما نَزَلَ »[١] .

إنّ الإنسان قد طبع على الجشع وحبّ المال ، لا يحيد عنه حتّى يوارى في الثرى رمسه ، فيستيقظ حينئذاك ، وهذا لا يجديه شيئاً .

(١) بحار الأنوار : ٧٧ : ١٨٨ ـ ١٨٩ .



مِنْ خُطَبِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله



ألقى النبيّ ﷺ بعض الخطب في مكّة دعا فيها القرشيّين إلى اعتناق الإسلام، والإيمان برسالته الخالدة، كما ألقى كوكبة من الخطب في المدينة وغيرها، وقد حفلت بعضها بإبراز القيم الأصلية في الإسلام، ونعرض لتلك الخطب التي هي من ذخائر الفكر الإنساني، ومن مناجم الأدب العربي فيما حوته من روائع البلاغة والبيان، وفيما يلي ذلك:

١ ـ خطابه ﷺ في مكّة

ولمّا نزل الوحي على النبيّ ﷺ بإنذار عشيرته، وإبلاغهم بنبوّته، دعاهم إلى بيته، وأقام لهم مائدة، فلمّا فرغوا من تناول الطعام قام فيهم خطيباً، فقال ـ بعد حمد الله والثناء عليه ـ:

«إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَٱللهِ! لَوْ كَذَبْتُ النّاسَ جَمِيعاً ما كَذَبْتُكُمْ، وَلَوْ غَرَرْتُ النّاسَ جَمِيعاً ما غَرَرْتُكُمْ.

وَاللهِ! الَّذي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ خاصَّةً، وَإِلَى النّاسِ كافَّةً.

وَاللهِ! لَتَمُوتُنَّ كَما تَنامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَما تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحاسَبُنَّ بِما تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَونَ بِالْإِحْسانِ إِحْساناً، وَبِالسُّوءِ سُوءاً، وَإِنَّها الْجَنَّةُ أَبَداً،

أَوِ النّارُ أَبَداً»[١].

حفل هذا الخطاب بإبلاغ أُسرته بنبوّته، وأنّه قد بعث لهم وللنّاس جميعاً، وأخبرهم بأنّ بعد هذا العالم عالم آخر يجازى فيه المحسن بإحسانه، والمذنب بذنبه.

٢ ـ خطابه صلى الله عليه وآله بالمدينة

وهي أوّل خطبة خطبها في يثرب، وقد جاء فيها بعد حمد الله تعالى والثناء عليه:

«أَمّا بَعْدُ أَيُّها النّاسُ فَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ، تَعْلَمُنَّ وَاللهِ لَيُصْعَقَنَّ أَحَدُكُمْ ثُمَّ لَيَدَعَنَّ غَنَمَهُ لَيْسَ لَها راعٍ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ، وَلَيْسَ لَهُ تُرْجُمانٌ وَلا حاجِبٌ يَحْجُبُهُ دُونَهُ، أَلَمْ يَأْتِكَ رَسُولي فَبَلَّغَكَ، وَآتَيْتُكَ مالاً، وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ، فَما قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ؟ فَلَيَنْظُرَنَّ يَميناً وَشِمالاً، فَلا يَرىٰ شَيْئاً، ثُمَّ لَيَنْظُرَنَّ قُدّامَهُ فَلا يَرىٰ غَيْرَ جَهَنَّمَ، فَمَنِ اسْتَطاعَ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ مِنَ النّارِ وَلَوْ بِشِقٍّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَكَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ، فَإِنَّ بِها تُجْزَى الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثالِها إِلىٰ سَبْعَمائَةِ ضِعْفٍ.

وَالسَّلامُ عَلَيْكُمْ وَعَلىٰ رَسُولِ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ»[٢]

وفي هذه الخطبة الدعوة إلى البرّ والإحسان، ومن لم يستطع ذلك فعليه أن يتكلّم بكلمة طيّبة فيها إصلاح وموعظة للنّاس:

---

(١) السيرة الحلبيّة: ١: ٢٧٢. الكامل في التاريخ: ٢: ٢٧.

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام: ١: ٣٠٠. جمهرة خطب العرب: ١: ٥٥.

٣ ـ خطبة الجمعة بالمدينة

ألقى هذه الخطبة بالمدينة في يوم الجمعة، وهي أوّل صلاة جمعة أقامها النبيّ ﷺ في المدينة، وهذا نصّها:

«الْحَمْدُ للهِ أَحْمَدُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ، وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَسْتَهْدِيهِ، وَأُؤْمِنُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ، وَأُعادي مَنْ يَكْفُرُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدىٰ وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ عَلىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَقِلَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَضَلَالَةٍ مِنَ النّاسِ، وَانْقِطاعٍ مِنَ الزَّمانِ، وَدُنُوٍّ مِنَ السَّاعَةِ، وَقُرْبٍ مِنَ الْأَجَلِ، مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِما فَقَدْ غَوىٰ وَفَرَطَ، وَضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً، وَأُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ تَعالىٰ، فَإِنَّهُ خَيْرُ ما أَوْصىٰ بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ، أَنْ يَحُضَّهُ عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِتَقْوَى اللهِ.

فَاحْذَرُوا ما حَذَّرَكُمُ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ نَصِيحَةً، وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ ذِكْراً، وَإِنَّ تَقْوَى اللهِ لِمَنْ عَمِلَ بِهِ عَلىٰ وَجَلٍ وَمَخافَةٍ مِنْ رَبِّهِ عَوْنُ صِدْقٍ عَلىٰ ما تَبْغُونَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَمَنْ يُصْلِحِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لَا يَنْوِي بِذلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللهِ يَكُنْ لَهُ ذِكْراً فِي عاجِلِ أَمْرِهِ، وَذُخْراً فِيما بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلىٰ ما قَدَّمَ، وَما كانَ مِنْ سِوىٰ ذلِكَ يَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً، وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ، وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبادِ، وَالَّذِي صَدَّقَ قَوْلَهُ وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ، لَا خُلْفَ لِذلِكَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾(١).

فَاتَّقُوا اللهَ في عاجِلِ أَمْرِكُمْ وَآجِلِهِ في السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئاتِهِ ، وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً ، وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً ، وَإِنَّ تَقْوى اللهِ يُوَقّي مَقْتَهُ ، وَيُوَقّي عُقُوبَتَهُ ، وَيُوَقّي سَخَطَهُ ، وَإِنَّ تَقْوى اللهِ يُبَيِّضُ الْوُجُوهَ ، وَيُرْضي الرَّبَّ ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ ، خُذُوا بِحَظِّكُمْ وَلا تُفَرِّطُوا في جَنْبِ اللهِ ، قَدْ عَلَّمَكُمُ اللهُ كِتابَهُ ، ونَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ ، لِيَعْلَمَ الَّذينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكاذِبِينَ ، فَأَحْسِنُوا كَما أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكُمْ ، وَعادُوا أَعْداءَهُ ، وَجاهِدُوا في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ ، هُوَ اجْتَباكُمْ وَسَمّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَيَحْيا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، فَأَكْثِروا ذِكْرَ اللهِ ، وَاعْمَلُوا لِما بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ يَكْفِهِ اللهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ النّاسِ ، ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ يَقْضي عَلَى النّاسِ وَلا يَقْضُونَ عَلَيْهِ ، وَيَمْلِكُ مِنَ النّاسِ وَلا يَمْلِكُونَ مِنْهُ .

اللهُ أَكْبَرُ ، وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَظِيمِ »(٢)

وفي هذه الخطبة دعوة ملحّة من النبيّ ﷺ إلى المسلمين بتقوى الله تعالى ، والتمسّك بطاعته ، فإنّه حصن منيع للمسلم في دنياه وآخرته ، وأنّ الانحراف عن العبوديّة لله تعالى ، والصدّ عن طاعته إلقاء للنفس في المهالك والعذاب الدائم .

---

(١) ق ٥٠ : ٢٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك : ٢ : ١١٥.

٤ ـ خطبته ﷺ بالخيف

خطب النبيّ ﷺ بالخيف من منى دعا فيها إلى إخلاص العمل لله تعالى، والنصيحة لأولي الأمر، وهذا نصّها:

«نَضَّرَ اللهُ عَبْداً سَمِعَ مَقالَتي فَوَعاها، ثُمَّ أَدّاها إِلىٰ مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ بِقَلْبِ الْمُؤْمِنِ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ تَعالىٰ، وَالنَّصِيحَةُ لِأُولي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ الْجَماعَةِ. إِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونَ مِنْ وَرائِهِ، وَمَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ جَمَعَ اللهُ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِناهُ في قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيا وَهيَ راغِمَةٌ، وَمَنْ كانَ هَمُّهُ الدُّنْيا فَرَّقَ اللهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ الدُّنْيا إِلَّا ما كُتِبَ لَهُ»(١).

حكت هذه الخطبة الأعمال التي تقرّب الإنسان إلى ربّه زلفى، وتبعّده عن الصفات الموبقة.

٥ ـ خطبته ﷺ في التحذير من الدنيا

حذّر النبيّ ﷺ من الخداع بالدنيا واتّباع الهوى. قال ﷺ:

«أَلَا وَالدُّنْيا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، أَلَا وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها فَناظِرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فاتَّقُوا الدُّنْيا، وَاتَّقُوا النِّساءَ، أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلاً مَخافَةَ النّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذا عَلِمَهُ».

ولم يزل النبيّ ﷺ يخطب حتّى لم تبق من الشمس إلّا حمرة على أطراف السعف، فقال:

---

(١) إعجاز القرآن: ٥: ٢٥٥.

«إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيا فِيما مَضىٰ إِلَّا لِما بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هٰذا فِيما مَضىٰ»[١].

وفي هذه الخطبة الدعوة الملحّة من النبيّ ﷺ على قول الحقّ وعدم الاعتناء بمخافة النّاس.

٦ ـ خطبته ﷺ في حجّة الوداع

حجّ النبيّ ﷺ حجّة الوداع، وهي الحجّة الأخيرةالتي انتقل بعدها إلى حضيرة القدس، وقد خطب في مكّة في البيت الحرام هذه الخطبة البليغة التي وضع فيها المنهاج السليمة لصيانة اُمّته من الزيغ والانحراف، وقد ألقى هذه الخطبة بصوت خافت وربيعة بن اُميّة ينقل كلماته إلى الجماهير. قال ﷺ:

«الْحَمْدُ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا، وَمِنْ سَيِّئاتِ أَعْمالِنا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

اُوصِيكُمْ عِبادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَأَحُثُّكُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِطاعَتِهِ، وَأَسْتَفْتِحُ اللهَ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ.

أَمّا بَعْدُ أَيُّها النّاسُ، إِسْمَعُوا مِنِّي اُبَيِّنْ لَكُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقاكُمْ بَعْدَ عامِي هٰذا، فِي مَوْقِفِي هٰذا.

أَيُّها النّاسُ، إِنَّ دِماءَكُمْ وَأَمْوالَكُمْ حَرامٌ عَلَيْكُمْ إِلىٰ أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذا، فِي بَلَدِكُمْ هٰذا. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ. فَمَنْ كانَتْ عِنْدَهُ

---

(١) إعجاز القرآن: ١١٣.

أَمانَةٌ فَلْيُؤَدِّها إِلىٰ مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْها ، وَإِنَّ كُلَّ رِبا الْجاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ ، وَإِنَّ أَوَّلَ رِباً أَبْدَأُ بِهِ رِبا الْعَبّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَإِنَّ دِماءَ الْجاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ نَبْدَأُ بِهِ دَمَ عامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَإِنَّ مـآثِرَ الْـجاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ غَيْرَ السِّدانَةِ وَالسِّقايَةِ . وَالْعَمْدُ قَوَدٌ[١] وَشِبْهُ الْعَمْدِ ما قُتِلَ بِـالْعَصا وَالْحَجَرِ ، وَفِيهِ مِائَةُ بَعِيرٍ ، فَمَنِ زادَ فَهُوَ مِنَ أَهْلِ الْجاهِلِيَّةِ .

أَيُّها النّاسُ ، إِنَّ الشَّيْطانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ في أَرْضِكُمْ هـٰذِهِ وَلـٰكِـنَّهُ قَـدْ رَضِيَ أَنْ يُطاعَ فِيما سِوىٰ ذٰلِكَ فِيما تَحْقِرُونَ مِنْ أَعْمالِكُمْ .

أَيُّها النّاسُ ، ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ﴾[٢] ، وَإِنَّ الزَّمانَ قَدِ اسْتَدارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمـٰاواتِ وَالْأَرْضَ ، وَ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾[٣] ، ثَلاثَةٌ مُتَوالِيَةٌ ، وَواحِدٌ فَرْدٌ : ذُوالْقِعْدَةِ ، وَذُوالْـحِجَّةِ ، وَالْـمُحَرَّمُ وَرَجَبُ بَـيْنَ جُـمادىٰ وَشَـعْبانَ . أَلَا هَـلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ .

أَيُّها النّاسُ ، إِنَّ لِنِسائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، حَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ أَحَداً فُرُشَكُمْ ، وَلَا يُدْخِلَنَّ أَحَـداً تَكْـرَهُونَهُ بُـيُوتَكُمْ إِلَّا بِـإِذْنِكُمْ ، وَأَلَّا يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ؛ فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ وَتَهْجُرُوهُنَّ

---

(١) **القود** : القصاص .

(٢) التوبة ٩ : ٣٧ .

(٣) التوبة ٩ : ٣٦ .

فِي الْمَضاجِعِ وَتَضرِبُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنِ انْتَهَيْنَ وَأَطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَإِنَّما النِّساءُ عِنْدَكُمْ عَوانٌ[١] لا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئاً، أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّساءِ، وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْراً. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللّٰهُمَّ اشْهَدْ.

أَيُّها النّاسُ، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٢]، وَلَا يَحِلُّ لامْرِئٍ مالُ أَخِيهِ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللّٰهُمَّ اشْهَدْ.

فَلَا تَرْجِعُنَّ كُفّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ ما إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللّٰهُمَّ اشْهَدْ.

أَيُّها النّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ واحِدٌ، وَإِنَّ أَباكُمْ واحِدٌ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣]، وَلَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلىٰ أَعْجَمِيٍّ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوىٰ. أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟

فصاح الجمهور: نعم. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله:

فَلْيُبَلِّغِ الشّاهِدُ الْغائِبَ.

أَيُّها النّاسُ، إِنَّ اللهَ قَسَمَ لِكُلِّ وارِثٍ نَصِيبَهُ مِنَ الْمِيراثِ، وَلَا تَجُوزُ لِوارِثٍ وَصِيَّةٌ فِي أَكْثَرَ مِنَ الثُّلُثِ. وَالْوَلَدُ لِلْفِراشِ وَلِلْعاهِرِ الْحَجَرُ، مَنِ ادَّعىٰ إِلىٰ غَيْرِ أَبِيهِ، وَمَنْ تَوَلّىٰ غَيْرَ مَوالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ،

---

(١) **العوان**: الأسيرات.

(٢) الحجرات ٤٩: ١٠.

(٣) الحجرات ٤٩: ١٣.

وَلَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفاً وَلَا عَدْلاً[١] ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ»[٢].

وانتهى هذا الخطاب بقيم الإسلام وحدوده التي تضمن للمسلمين سعادتهم ووحدتهم ، وما يصبون إليه في هذه الحياة من العزّة والكرامة .

٧ ـ خطابه صلى الله عليه وآله في غدير خم

ولمّا انتهى الرسول صلى الله عليه وآله من حجّه قفل راجعاً إلى المدينة ، وحينما انتهى إلى غدير خم نزل عليه الوحي برسالة من السماء ، برسالة بالغة الخطورة ، وهي إقامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده ، وقائداً عامّاً لأُمّته ، وكانت رسالة السماء هذه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾[٣].

وانبرى الرسول صلى الله عليه وآله بعزم ثابت وإرادة صلبة إلى تنفيذ أمر الله تعالى ، فوضع أعباء المسير ، وحطّ رحله في رمضاء الهجير ، وأمر قوافل الحجّاج أن تفعل مثل ذلك وكان الوقت قاسياً في شدّة حرارته ، حتّى كان الرجل يضع طرف ردائه تحت قدميه ليتّقي به من الحرّ ، وبعد ما اجتمع الحجّاج الذين كان عددهم ـ فيما يقول المؤرّخون ـ مائة ألف أو يزيدون ، قام النبيّ صلى الله عليه وآله خطيباً فقال :

«الْحَمْدُ للهِ نَسْتَعِينُهُ ، وَنُؤْمِنُ بِهِ ، وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنا ، وَمِنْ سَيِّئاتِ أَعْمالِنا ، الَّذي لَا هادِيَ لِمَنْ ضَلَّ ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدىٰ .

---

(١) **العدل** : الفديه .

(٢) البيان والتبيين : ٢ : ١٥ . تاريخ الأُمم والملوك : ٣ : ١٦٨ . الكامل في التاريخ : ٢ : ١٤٦ .

(٣) المائدة ٥ : ٦٧ ، نصّ على نزول الآية في يوم الغدير كلّ من الواحدي في أسباب النزول : ١٥٠ ، والرازي في تفسيره : ٣ : ٦٣٦ ، وغيرهما .

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ: أَيُّها النّاسُ، قَدْ نَبَّأَنِيَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ أَنَّهُ لَمْ يُعَمَّرْ نَبِيٌّ إِلَّا مِثْلَ نِصْفِ عُمُرِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَإِنِّي أُوْشِكُ أَنْ أُدْعىٰ فَأُجِيبَ، وَإِنِّي مَسْؤُولٌ، وَأَنْتُم مَسْؤُولُونَ، فَماذا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟».

وهتفوا جميعاً: «نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً».

وواصل النبيّ صلى الله عليه وآله حديثه قائلاً:

«أَلَسْتُمْ تَشْهَدُونَ أَن لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ جَنَّتَهُ حَقٌّ، وَأَنَّ نارَهُ حَقٌّ، وأَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيها، وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ...؟».

وصاحوا من جميع جنبات الحفل بلهجة واحدة قائلين: «بلى، نشهد بذلك».

ورفع الرّسول صلى الله عليه وآله رأسه إلى السماء قائلاً: «**اللّٰهُمَّ اشْهَدْ...**».

ثمّ انبرى النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبته قائلاً: «**أَيُّها النّاسُ أَلَا تَسْمَعُونَ؟**».

فقالوا: «نعم».

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله:

«إِنِّي فرطٌ عَلَى الْحَوْضِ، وَأَنْتُمْ وارِدُونَ عَلَيَّ الْحَوْضَ، وَإِنَّ عَرْضَهُ ما بَيْنَ صَنْعاءَ وَبُصْرَىٰ[1]، فِيهِ أَقْداحٌ عَدَدَ النُّجُومِ مِن فِضَّةٍ، فانْظُرُوا كَيْفَ تُخَلِّفُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ؟...».

---

(١) **صنعاء**: عاصمة اليمن. **بصرى**: قصبة من أعمال دمشق.

فناداه منادٍ من القوم : « ما الثقلان يا رسول الله ؟ » .

فأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله :

« الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ كِتابُ اللهِ ، طَرَفٌ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُم فَتَمَسَّكُوا بِهِ لَا تَضِلُّوا ، وَالْآخَرُ الْأَصْغَرُ عِتْرَتي ، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي أَنَّهُما لَنْ يَتَفَرَّقا حَتّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، فَسَأَلْتُ ذٰلِكَ لَهُما رَبِّي ، فَلَا تَقَدَّمُوهُما فَتَهْلَكُوا ، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُما فَتَهْلَكُوا . . . » .

ثمّ أخذ بيد وصيّه ، وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ففرض ولايته على جميع المسلمين ، وأخذ بيد عليّ حتّى بان بياض إبطيهما ، ورفع صوته قائلاً :

« أَيُّها النّاسُ ، مَنْ أَوْلَى النّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِم ؟ . . . » .

فانبروا قائلين : « الله ورسوله أعلم ؟ » .

فقال صلى الله عليه وآله :

« إِنَّ اللهَ مَوْلَايَ ، وَأَنا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنا أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ » . قال ذلك ثلاث مرّات .

ثمّ قال :

« اللّٰهُمَّ والِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ ، وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، وَأَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ ، أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغائِبَ . . . » .

وانتهى بذلك الخطاب الجليل الذي أدّى فيه النبيّ صلى الله عليه وآله رسالة ربّه ، فنصب فيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة على المسلمين ، وأقبل الحاضرون على مبايعة الإمام

أمير المؤمنين عليه السلام.

وانبرى عمر بن الخطّاب فبايعه وهنّاه، وقال له: «هنيئاً يابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة».

وانبرى حسّان بن ثابت فاستأذن النبيّ صلى الله عليه وآله بتلاوة أبيات له تصوّر الحادثة قائلاً:

يُنادِيْهُمُ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيُّهُمْ ... بِخُمٍّ وأَسْمِعْ بالرسولِ مُناديا

فَقالَ فَمَنْ مَوْلاكُمُ وَنَبِيُّكُمْ ... فقالُوا وَلَمْ يُبْدُوا هُنَاكَ التَّعامِيا

إلٰهُكَ مَوْلانا وَأَنْتَ نَبِيُّنا ... وَلَمْ تَلْقَ مِنّا فِي الْوِلَايةِ عاصِيا

فَقالَ لَهُ: قُمْ يا عَلِيُّ فَإنَّني ... رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إماماً وَهادِيا

فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهٰذا وَلِيُّهُ ... فَكُونُوا لَهُ أَتْباعَ صِدْقٍ مَوالِيا

هُنَاكَ دَعا اللّٰهُمَّ والِ وَلِيَّهُ ... وَكُنْ لِلَّذِي عادىٰ عَلِيّاً مُعادِيا (١)

لقد وضع النبيّ صلى الله عليه وآله المنهج الكامل لسعادة اُمّته ووقايتها من التردّي في مآثم الحياة.. إنّ البيعة للإمام عليه السلام في يوم عيد الغدير جزء من رسالة الإسلام، وركن من أركان الدين، فمن أنكرها فقد أنكر الإسلام، كما يقول العلّامة العلائلي.

النبيّ صلى الله عليه وآله مع الحارث بن النعمان الفهري

ونقم الحارث بن النعمان على النبيّ صلى الله عليه وآله في أخذه البيعة للإمام أمير المؤمنين، فأقبل يشتدّ نحو النبيّ، وقد رفع عقيرته قائلاً: «يا محمّد، أمرتنا عن الله أن نشهد أنْ لا إله إلّا الله، وأنّك رسول الله، فقبلناه، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا بالزكاة فقبلنا، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا، وأمرتنا بالحجّ فقبلنا، ثمّ لم ترضَ بهذا حتّى رفعت بضبعي ابن عمّك ففضّلته علينا، وقلت: من كنت مولاه

---

(١) موسوعة الغدير / العلّامة الأميني: ١: ١١.

فعليٌّ مولاه ، فهذا شيء منك أم من الله عزّ وجلّ ؟ ».

وأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله بتأثّر قائلاً:

« وَالَّذي لَا إِلـٰهَ إِلَّا هُوَ إِنَّ هـٰذا مِنَ اللهِ ».

وخرج الوغد غضباناً قد نخر الحسد للإمام عليه السلام قلبه قائلاً:

« اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ».

وسار في طريقه وقد ورم أنفه من الغيظ ، فرماه الله تعالى على يد بعض ملائكته بحجر فسقط على هامته ، ووقع على الأرض جثّة هامدة ، وأنزل الله تعالى على نبيّه الآية : ﴿ **سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ** ﴾[١] [٢].

٨ ـ خطبته صلى الله عليه وآله في استقبال شهر رمضان

ومن روائع خطب النبيّ صلى الله عليه وآله خطبته في استقبال شهر رمضان المبارك ، وقد خطبها في آخر جمعة من شهر شعبان ، وقد حثّ فيها على التقوى والبرّ وعمل الخير ، وقد رواها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذا نصّها :

« أَيُّها النّاسُ ، إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ ، شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلُ الشُّهورِ ، وَأَيّامُهُ أَفْضَلُ الْأَيّامِ ، وَلَيالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيالي ، وَساعاتُهُ أَفْضَلُ السّاعاتِ ، هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلىٰ ضِيافَةِ اللهِ ، وَجُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرامَةِ اللهِ ، أَنْفاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ ، وَنَوْمُكُمْ فِيهِ عِبادَةٌ ، وَعَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ ،

---

(١) المعارج ٧٠: ١.

(٢) موسوعة الغدير: ١: ٢٤٠ ، وذكر كوكبة من المصادر التي أعلنت ذلك.

وَدُعاؤُكُمْ فيهِ مُسْتَجابٌ ، فَاسْأَلُوا اللهَ رَبَّكُمْ بِنِيّاتٍ صادِقَةٍ ، وَقُلُوبٍ طاهِرَةٍ أَنْ يُوَفِّقَكُمْ لِصِيامِهِ ، وَتِلاوَةِ كِتابِهِ ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ غُفْرانَ اللهِ في هٰذَا الشَّهْرِ الْعَظيمِ ، وَاذْكُروا بِجُوعِكُمْ وَعَطَشِكُمْ فيهِ جوعَ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَعَطَشِهِ ، وَتَصَدَّقوا عَلى فُقَرائِكُمْ وَمَساكينِكُمْ ، وَوَقِّرُوا كِبارَكُمْ ، وَارْحَمُوا صِغارَكُمْ ، وَصِلوا أَرْحامَكُمْ ، وَاحْفَظوا أَلْسِنَتَكُمْ ، وَغُضُّوا عَمّا لا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ أَبْصارَكُمْ ، وَعَمّا لا يَحِلُّ الْإِسْتِماعُ إِلَيْهِ أَسْماعَكُمْ ، وَتَحَنَّنوا عَلىٰ أَيْتامِ النّاسِ يُتَحَنَّنُ عَلىٰ أَيْتامِكُمْ ، وَتُوبُوا إِلَى اللهِ تَعالىٰ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ، وَارْفَعُوا إِلَيْهِ أَيْدِيَكُمْ بِالدُّعاءِ في أَوْقاتِ صَلَواتِكُمْ ، فَإِنَّها أَفْضَلُ السّاعاتِ يَنْظُرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فيها بِالرَّحْمَةِ إِلىٰ عِبادِهِ؛ يُجيبُهُمْ إِذا ناجَوْهُ ، وَيُلَبِّيهُمْ إِذا نادَوْهُ ، وَيَسْتَجيبُ لَهُمْ إِذا دَعَوْهُ .

أَيُّها النّاسُ ، إِنَّ أَنْفُسَكُمْ مَرْهُونَةٌ بِأَعْمالِكُمْ فَفُكُّوها بِاسْتِغْفارِكُمْ ، وَظُهُورَكُمْ ثَقيلَةٌ مِنْ أَوْزارِكُمْ فَخَفِّفُوا عَنْها بِطُولِ سُجُودِكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ تَعالىٰ ذِكْرُهُ أَقْسَمَ بِعِزَّتِهِ أَنْ لا يُعَذِّبَ الْمُصَلِّينَ وَالسّاجِدِينَ ، وَأَنْ لا يَدْعُوهُمْ بِالنّارِ يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ .

أَيُّها النّاسُ ، مَنْ فَطَّرَ مِنْكُم صائِماً مُؤْمِناً في هٰذَا الشَّهْرِ كانَ لَهُ بِذلِكَ عِنْدَ اللهِ تَعالىٰ عِتْقُ رَقَبَةٍ وَمَغْفِرَةٌ لِما مَضىٰ مِنْ ذُنُوبِهِ » .

قيل : « يا رسول الله ، وليس كلّنا يقدر على ذلك ؟ » .

فقال صلى الله عليه وآله : « اتَّقُوا النّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، اتَّقُوا النّارَ وَلَوْ بِشَرْبَةٍ مِنْ ماءٍ .

أَيُّها النّاسُ ، مَنْ حَسَّنَ مِنْكُمْ في هٰذَا الشَّهْرِ خُلُقَهُ كانَ لَهُ جَوازاً عَلىٰ

الصِّراطِ يَوْمَ تَزِلُّ فيهِ الْأَقْدامُ ، وَمَنْ خَفَّفَ في هـٰذا الشَّهْرِ عَمّا مَلَكَتْ يَمينُهُ خَفَّفَ اللهُ عَلَيْهِ حِسابَهُ ، وَمَنْ كَفَّ فيهِ شَرَّهُ كَفَّ اللهُ تَعالىٰ عَنْهُ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقاهُ ، وَمَنْ أَكْرَمَ فيهِ يَتيماً أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ يَلْقاهُ ، وَمَنْ وَصَلَ فيهِ رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللهُ تَعالىٰ بِرَحْمَتِهِ يَوْمَ يَلْقاهُ ، وَمَنْ قَطَعَ فيهِ رَحِمَهُ قَطَعَ اللهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقاهُ ، وَمَنْ تَطَوَّعَ فيهِ بِصَلاةٍ كَتَبَ اللهُ لَهُ بَراءَةً مِنَ النّارِ ، وَمَنْ أَدّىٰ فيهِ فَرْضاً كانَ لَهُ ثَوابَ مَنْ أَدّىٰ سَبْعينَ فَريضَةً فيما سِواهُ مِنَ الشُّهُورِ ، وَمَنْ أَكْثَرَ فيهِ مِنَ الصَّلاةِ عَلَيَّ ثَقَّلَ اللهُ ميزانَهُ يَوْمَ تَخِفُّ الْمَوازينُ ، وَمَنْ تَلا فيهِ آيَةً مِنَ الْقُرآنِ كانَ لَهُ مِثْلَ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرآنَ في غَيْرِهِ مِنَ الشُّهورِ.

أَيُّها النّاسُ ، إِنَّ أَبْوابَ الْجِنانِ في هـٰذَا الشَّهْرِ مُفَتَّحَةٌ فَسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يَغْلِقَها عَلَيْكُمْ ، وَأَبْوابَ النِّيرانِ مُغَلَّقَةٌ فَسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لا يَفْتَحَها عَلَيْكُمْ ، وَالشَّياطِينَ مَغْلُولَةٌ فَسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُسَلِّطَها عَلَيْكُمْ ».

وانبرى إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقال له :

« يا رَسُولَ اللهِ ، ما أَفْضَلُ الْأَعْمالِ في هـٰذَا الشَّهْرِ ؟ ».

« يا أَبا الْحَسَنِ ، أَفْضَلُ الْأَعْمالِ في هـٰذَا الشَّهْرِ الْوَرَعُ عَنْ مَحارِمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ».

ثمّ بكى النبيّ صلى الله عليه وآله وسارع الإمام قائلاً:

« يا رَسُولَ اللهِ ، ما يُبْكِيكَ ؟ ».

« يا عَلِيُّ ، أَبْكي لِما يُسْتَحَلُّ مِنْكَ في هـٰذَا الشَّهْرِ ، كَأَنّي بِكَ وَأَنْتَ تُصَلّي

لِرَبِّكَ وَقَدِ انْبَعَثَ أَشْقَى الْأَوَّلينَ شَقيقُ عاقِرِ ناقَةِ ثَمُودَ فَضَرَبَكَ ضَرْبَةً عَلىٰ قَرْنِكَ فَخَضَّبَ مِنْها لِحْيَتَكَ..».

وراح الإمام عليه السلام يقول برضى وثقة وإيمان:

«وَذلِكَ في سَلامَةٍ مِنْ ديْني ؟».

ولم يحفل بما سيلاقيه من القتل إلّا أنّ الذي كان يشغل فكره السلامة في دينه، فأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله:

«نَعَمْ، في سَلامَةٍ مِنْ دِيْنِكَ. يا عَلِيُّ مَنْ قَتَلَكَ فَقَدْ قَتَلَني، وَمَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَني، وَمَنْ سَبَّكَ فَقَدْ سَبَّني، لِأَنَّكَ مِنّي كَنَفْسي، رُوْحُكَ مِنْ رُوْحِي، وَطِيْنَتُكَ مِنْ طِيْنَتي، إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالىٰ خَلَقَني وَإِيّاكَ، وَاصْطَفانِي وَإِيّاكَ، وَاخْتارَني لِلنُّبُوَّةِ وَاخْتارَكَ لِلْإِمامَةِ، وَمَنْ أَنْكَرَ إِمامَتَكَ فَقَدْ أَنْكَرَ نُبُوَّتي.

يا عَلِيُّ، أَنْتَ وَصيِّي وَأَبُو وُلْدِي، وَزَوْجُ ابْنَتي، وَخَلِيْفَتي عَلىٰ أُمَّتي في حَياتِي وَبَعْدَ مَوْتي، أَمْرُكَ أَمْري، وَنَهْيُكَ نَهْيي، أُقْسِمُ بِالَّذي بَعَثَني بِالنُّبُوَّةِ وَجَعَلَني خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَنَّكَ لَحُجَّةُ اللهِ عَلىٰ خَلْقِهِ، وَأَمِيْنُهُ عَلىٰ سِرِّهِ، وَخَلِيفَتُهُ عَلىٰ عِبادِهِ»(١).

حكى هذا الخطاب قدسيّة شهر رمضان المبارك، وما ينبغي فيه من الأعمال الصالحة والمبرّات التي تقرّب الإنسان إلى الله تعالى، وأنّ الأعمال الصالحة يضاعف فيه أجرها؛ وذلك لعظيم حرمته عند الله تعالى.

---

(١) بحار الأنوار: ٩٣: ٢١٨ ـ ٢١٩. عيون الأخبار: ١: ٢٩٥ ـ ٢٩٧. أمالي الصدوق: ٥٧ ـ ٥٨.

٩ ـ خطبته صلى الله عليه وآله في مرضه:

خطب النبيّ صلى الله عليه وآله بعض الخطب وهو على فراش الموت، كان منها ما يلي:

١ ـ الوصيّة بالإمام عليه السلام

ألمّ المرض بالنبيّ صلى الله عليه وآله فهرع المسلمون لعيادته، وقد خيّم عليهم الأسى والذهول، فنعى إليهم نفسه وقال:

«أَيُّها النَّاسُ، يُوشِكُ أَنْ أُقْبَضَ قَبْضاً سَرِيعاً فَيُنْطَلَقُ بِي، وَقَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ الْقَوْلَ مَعْذِرَةً إِلَيْكُمْ، أَلَا إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيْكُمْ كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي...».

ثمّ أخذ بيد وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً:

«هٰذا عَلِيٌّ مَعَ الْقُرآنِ، وَالْقُرآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَا يَفْتَرِقانِ حَتّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ»[1].

وقرّر بهذه الكلمات أهمّ القضايا المصيريّة لأُمّته، فقد عيّن لها القائد الذي يهديها للتي هي أقوم.

٢ ـ إعطاء القصاص من نفسه صلى الله عليه وآله

واستدعى النبيّ صلى الله عليه وآله الفضل بن العبّاس، فلمّا مثل عنده قال له:

«خُذْ بِيَدِي يا فَضْلُ». فأخذ بيده وانطلق به إلى الجامع، وأمره أن ينادي في النّاس الصلاة جامعة، فنادى، فهرعت الجماهير نحو الجامع، فاعتلى صلى الله عليه وآله المنبر

---

(١) حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام: ٢٨٤، نقلاً عن الصواعق المحرقة.

وخطب فيهم قائلاً:

«أَيُّها النَّاسُ ، إِنَّهُ قَدْ دَنا مِنِّي خُلُوفٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ، وَلَنْ تَرَوْنِي فِي هٰذَا الْمَقامِ فِيْكُم ، وَقَدْ كُنْتُ أَرىٰ أَنَّ غَيْرَهُ غَيْرُ مُغْنٍ عَنِّي حَتّىٰ أُقَوِّمَهُ فِيْكُمْ ، أَلَا فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْراً فَهٰذا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ ، وَمَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ مالاً فَهٰذا مالِي فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضاً فَهٰذا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ... وَلَا يَقُولَنَّ قائِلٌ: أَخافُ الشَّحْناءَ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ، أَلَا وَإِنَّ الشَّحْناءَ لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِي وَلَا مِنْ خُلُقِي ، وَإِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقّاً كانَ لَهُ عَلَيَّ ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عِنْدِي مَظْلِمَةٌ ...».

يا لها من كلمات أسّست معالم العدل ، وأقامت معاني الحقّ ، لقد جهد النبيّ صلى الله عليه وآله أن يخرج من هذه الدنيا وليس لأي أحد عليه حقّ أو تبعة ، ولمّا أنهى الرسول كلامه انبرى إليه رجل فقال له :

«لي عندك ثلاثة دراهم».

فقال له النبيّ :

«أَمّا أَنا فَلا أُكَذِّبُ قائِلاً ، وَلَا مُسْتَحْلِفُهُ عَلىٰ يَمِينٍ ، فَبِمَ كانَتْ لَكَ عِنْدِي ؟».

فأجابه الرجل : «أما تذكر أنّه مرّ بك سائل فأمرتني أن أعطيه ، فأعطيته ثلاثة دراهم ؟».

وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله الفضل بإعطائه الدراهم ، ثمّ استمرّ النبيّ في خطابه قائلاً:

«مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْغُلُولِ شَيْءٌ فَلْيَرُدَّهُ ...».

فقام إليه رجل فقال له : «يا رسول الله ، عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله».

«لِمَ غَلَلْتَها ؟».

«كنت محتاجاً إليها».

فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله الفضل باستلامها منه، فأخذها وعاد النبيّ في خطابه قائلاً:

«أَيُّها النَّاس، مَنْ أَحَسَّ فِي نَفْسِهِ شَيْئاً فَلْيَقُمْ أَدْعُ اللهَ لَهُ ...».

فقام إليه رجل فقال له: «يا رسول الله، إنّي لمنافق، وإنّي لكذوب، وإنّي لشؤوم».

فزجره عمر وقال له بعنف:

«ويحك، لقد سترك الله، لو سترت على نفسك».

فصاح به النبيّ:

«صَهْ يابْنَ الْخَطَّابِ! فُضُوحُ الدُّنْيا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الْآخِرَةِ».

ثمّ دعا النبيّ قائلاً:

«اللّٰهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقاً وَإِيماناً، وَأَذْهِبْ عَنْهُ الشُّؤْمَ»[1].

وانبرى رجل من أقصى القوم يقال له سوادة بن قيس فقال له:

«يا رسول الله، إنّك ضربتني بالسوط على بطني، وأنا أُريد القصاص منك».

فأمر النبيّ بلالاً بإحضار السوط ليقتصّ منه سوادة، وانطلق بلالاً وهو خائر القوى، رافعاً عقيرته قائلاً:

«أيّها الناس، اعطوا القصاص من أنفسكم في دار الدنيا، فهذا رسول الله قد أعطى القصاص من نفسه».

وأخذ بلال السوط من بيت النبيّ، وأعطاه إلى سوادة، فأقبل به صوب النبيّ صلى الله عليه وآله وقد ألمّ به المرض، فقال له:

---

(١) البداية والنهاية: ٥: ٢٣١.

« يا رسول الله ، اكشف لي عن بطنك ».

فكشف الرسول عن بطنه ، وقد ساد الوجوم والبكاء في جميع جنبات المسجد .

وقال سوادة للنبيّ بصوت خافت :

« يا رسول الله ، أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك ؟ ».

فأذن له النبيّ ، فوضع سواده فمه على بطن رسول الله وأخذ يوسعها تقبيلاً ، ودموعه تتبلور على سحنات وجهه قائلاً :

« أعوذ بموضع القصاص من رسول الله من النار يوم النار ».

وانبرى الرسول قائلاً :

« أَتَعْفُو يا سَوادَةُ أَمْ تَقْتَصُّ ؟ ».

« بل أعفو يا رسول الله ».

فرفع النبيّ صلى الله عليه وآله يديه بالدعاء له قائلاً :

« اللّهُمَّ اعْفُ عَنْ سَوادَةَ كَما عَفا عَنْ نَبِيِّك ... »[١].

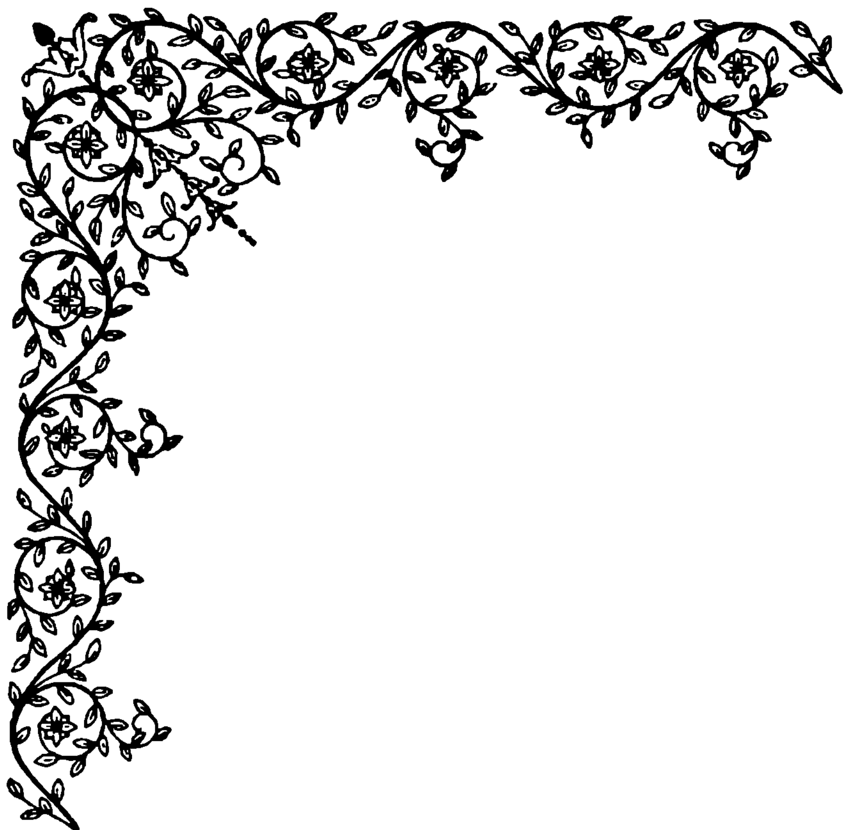
وهام الحاضرون بتيّارات من الأسى والحزن ، وأيقنوا بنزول الرزء القاسم ، وأنّ النبيّ فارقهم[٢].

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض خطب النبيّ صلى الله عليه وآله .

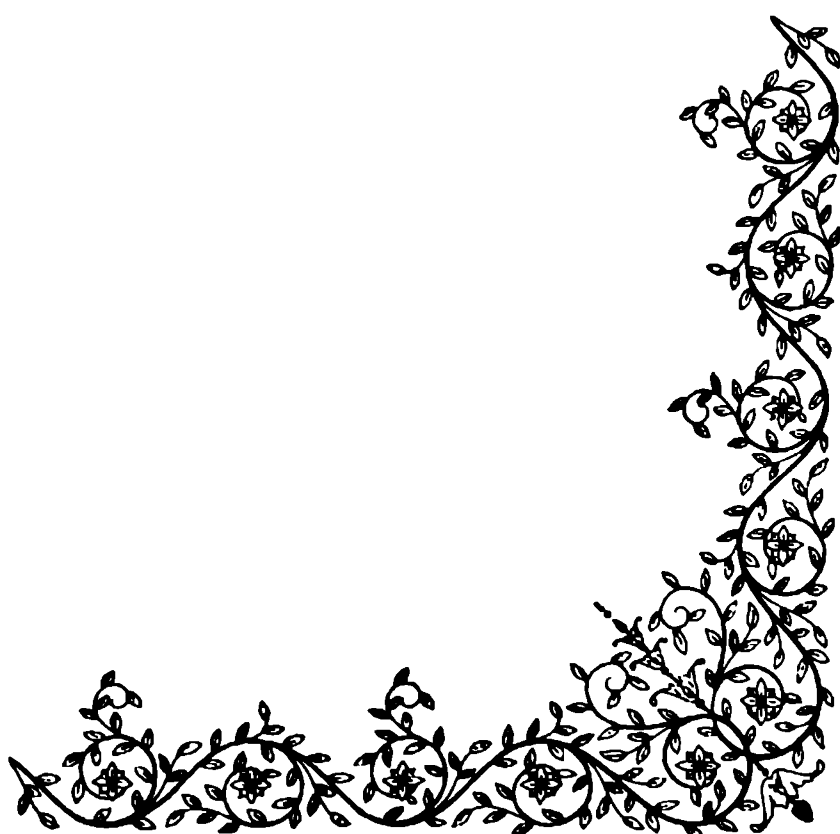
---

(١) بحار الأنوار : ٢٢ : ٥٠٢.

(٢) حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام : ٢٨٨ ـ ٢٩١.



رَوَائِعُ الحِكَمِ وَالآدَابِ



وضع النبيّ ﷺ مناهج رائعة للتربية والآداب وحسن السلوك. لقد كانت حِكَم النبيّ ﷺ منهجاً متكاملاً لما يسمو به الإنسان وتتطوّر به حياته في دنيا الفضائل، ويكون خليقاً بأن يكون خليفة لله تعالى في الأرض.

إنّ حِكَم النبيّ ﷺ جزء من الأرصدة الإسلاميّة التي عالجت جميع قضايا الإنسان، ووضعت الحلول الحاسمة لجميع ما يعاني منه من الأزمات الاجتماعيّة والنفسيّة، ونعرض لبعض نماذجها:

الأخلاق الحسنة

وتبنّى النبيّ ﷺ بصورة إيجابيّة الدعوة إلى حسن الأخلاق التي يتميّز بها الإنسان، فقد كانت هذه الظاهرة من أهمّ ما عنى به، وقد أُثر عنه القول: «**إنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخْلَاقِ**»، وهذا عرض لبعض أحاديثه في سموّ الأخلاق:

١ ـ قال ﷺ: «**أَحْسَنُ النّاسِ إِيماناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَأَحْسَنُكُمْ خُلُقاً أَلْطَفُكُمْ بِأَهْلِهِ، وَأَنا أَلْطَفُكُم بِأَهْلِهِ**»[١].

إنّ حسن الأخلاق من الإيمان؛ لأنّه عنوان مشرق للفضائل والآداب التي تجمع

---

(١) ربيع الأبرار: ١: ٥٠.

النّاس على صعيد المحبّة والألفة ، ومن أسمى صوره حسن المعاشرة مع الأهـل ، وكان النبيّ ﷺ من أبرّ النّاس بأهله .

٢ ـ قال ﷺ : « **إنَّ أكْثَرَ ما يُدْخِلُ الجَنَّةَ النَّاسَ تَقْوى اللهِ ، وَحُسْنُ الخُلُقِ** »(١) .

إنّ حسن الخُلق من أبواب الجنّة ، ومن موجبات الرحمة والرضوان ، كتقوى الله تعالى .

٣ ـ قال ﷺ لأصحابه : « **أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنّي مَجالِسَ يَوْمَ الْقِيامَةِ ، أَحاسِنُكُمْ أخْلاقاً ، الَّذينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ** »(٢) .

إنّ أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ مَن كان يتمتّع بالأخلاق الفاضلة التي تطيب بها النفوس ، ولا تنفر منها الطباع .

٤ ـ قال ﷺ : « **إنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النّاسَ بِأَمْوالِكُمْ وَلٰكِنْ سَعُوهُمْ بِأَخْلاقِكُمْ** »(٣) .

إنّ حسن الأخلاق يسع النّاس ، ويجمعهم على صعيد المحبّة والأُلفة ، وهو أكثر شموليّة من بذل الأموال .

٥ ـ قال ﷺ : « **حُسْنُ الخُلُقِ نِصْفُ الدِّينِ** »(٤) .

إنّ الإسلام بُني على حسن الأخلاق ، فهو من عناصره ، ومن ذاتيّاته ، وبه استطاع الرسول ﷺ أن يؤلّف بين القلوب ، ويجمع النّاس على كلمة التوحيد .

٦ ـ قال ﷺ : « **أَوَّلُ ما يُوضَعُ في الْمِيزانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ** »(٥) .

---

(١) ربيع الأبرار : ٢ : ٥٠ .

(٢) التذكرة الحمدونيّة : ٢ : ١٧٢ . أدب الدنيا والدين : ٢٣٧ .

(٣) كنز العمّال : ٣ : ٦ . عين الأدب والسياسة : ١٣٤ . سراج الملوك : ٢٤٩ .

(٤) كنز العمّال : ٣ : ٥١٤١ . التذكرة الحمدونيّة : ٢ : ١٧٤ .

(٥) كنز العمّال : ٣ : ٧ . التذكرة الحمدونيّة : ٢ : ١٧٤ .

إنّ الخلق الحسن أوّل ما يوضع في ميزان الأعمال، وبه يرجح على غيره من الصفات الكريمة والأعمال الحسنة.

٧ ـ قال ﷺ: «**لَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ**»[١].

إنّ حسن الأخلاق هو المجد الرفيع، والحسب الأصيل للإنسان، وبه يتميّز ويسمو على غيره.

٨ ـ قال ﷺ: «**حُسْنُ الْخُلُقِ يَبْلُغُ بِصاحِبِهِ دَرَجَةَ الصّائِمِ الْقائِمِ**». فَقِيلَ لرسول ﷺ: ما أَفْضَلُ ما أُعْطِيَ الْعَبْدُ؟ قالَ: «**حُسْنُ الْخُلُقِ**»[٢].

إنّ حسن الأخلاق عبادة، وفضله وأجره عند الله تعالى كفضل الصائم نهاره، والقائم بالعبادة في ليله.

٩ ـ قال ﷺ: «**حُسْنُ الخُلُقِ يُثْبِتُ المَوَدَّةَ**»[٣].

إنّ حسن الخلق يثبت المودّة، ويشيع المحبّة والألفة بين النّاس.

١٠ ـ قال ﷺ: «**إِنَّ أَكْمَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِيماناً أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقاً**»[٤].

إنّ أكمل النّاس مؤمنين وغيرهم من كان يتمتّع بالأخلاق الفاضلة التي تجذب القلوب والعواطف، والتي هي بلسم للنفوس.

هذه بعض الكلمات التي أدلى بها النبيّ ﷺ في مدح الأخلاق الفاضلة التي كانت من عناصره وذاتيّاته، وقد مدحه الله تعالى بهذه الخصلة الكريمة.

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٥].

---

(١) الجامع الصغير: ٢: ٢٠٣.

(٢ ـ ٤) تحف العقول: ٤٥.

(٥) القلم ٦٨: ٤.

البشاشة

من الصفات النبيلة التي دعا إليها النبيّ ﷺ البشاشة والابتسام لكلّ شخص يستقبل شخصاً آخر. قال ﷺ: **«مِنْ أَخْلاقِ النَّبِيّينَ وَالصِّدِّيقِينَ: الْبَشاشَةُ إذا تَزاوَروا، وَالْمُصافَحَةُ إذا تَلاقُوا»**[١].

وقال ﷺ: **«حُسْنُ الْبِشْرِ يُذْهِبُ بِالسَّخِيْمَةِ[٢]»**[٣].

إنّ البشاشة تجلب المودّة والمحبّة في قلوب النّاس، وهي من أخلاق النبيّين والصدّيقين.

سوء الخُلق

نهى النبيّ ﷺ عن سوء الخُلق؛ لأنّه من مساوئ الصفات.

قال ﷺ: **«سُوءُ الخُلُقِ شُؤْمٌ»**[٤].

إنّ سوء الخُلق يلقي الإنسان في أزمات، ويخلق له الأعداء، ويلقيه في شرّ عظيم.

العقل

من مكوّنات الإنسان العقل الذي هو هبة من الله تعالى لعباده: يقيم أودهم، ويرشدهم للتي هي أقوم. وقد أُثرت عن النبيّ ﷺ كوكبة من الأحاديث في فضله وأهمّيته البالغة، كان منها:

---

(١) ربيع الأبرار: ٢: ٢٨٩.

(٢) **السخيمة**: الضغينة والحقد.

(٣) تحف العقول: ٤٥.

(٤) تحف العقول: ٤٤.

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما قَسَمَ اللهُ لِلْعِبادِ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ، فَنَوْمُ الْعاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سَهَرِ الْجاهِلِ، وَإِقامَةُ الْعاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ شُخُوصِ الْجاهِلِ[١]، وَلَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً وَلَا رَسُولاً حَتّىٰ يَسْتَكْمِلَ الْعَقْلَ، وَيَكُونَ عَقْلُهُ أَفْضَلَ مِنْ جَمِيعِ عُقُولِ أُمَّتِهِ، وَما يُضْمِرُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله في نَفْسِهِ أَفْضَلَ مِنِ اجْتِهادِ الْمُجْتَهِدِينَ، وَما أَدَّى الْعَبْدُ فَرائِضَ اللهِ حَتّىٰ عَقَلَ عَنْهُ، وَلَا بَلَغَ جَمِيعُ الْعابِدِينَ في فَضْلِ عِبادَتِهِمْ ما بَلَغَ الْعاقِلُ، وَالْعُقَلاءُ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ الَّذِينَ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٢]»[٣].

وفي هذا الحديث إشادة مهمّة بفضل العقل، وتميّزه على غيره، فهو دليل الإنسان وربّانه لكل خير رائد ينجيه وينقذه من شرور الحياة وويلات الآخرة.

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الْعَقْلُ هَدِيَّةٌ»[٤].

٣ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صَدِيقُ كُلِّ امْرِءٍ عَقْلُهُ، وَعَدُوُّهُ جَهْلُهُ»[٥].

العقل هدية من الله تعالى وهبة منه لعباده، وهو الصديق الحميم والوفي للإنسان إذا سار على هديه، وفيه يقول أبو العلاء حكيم المعرّة:

فَإِذا ما أَطَعْتُهُ جَلَبَ الرَّحْـمَةَ ... عِـنْدَ المَسِـيرِ وَالإِرْسـاءِ

٤ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قَسَّمَ اللهُ الْعَقْلَ ثَلاثَةَ أَجْزاءٍ، فَمَنْ كُنَّ فيهِ كَمُلَ عَقْلُهُ، وَمَنْ لَمْ تَكُنْ فيهِ فَلا عَقْلَ لَهُ: حُسْنُ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ تَعالىٰ، وَحُسْنُ الطّاعَةِ للهِ، وَحُسْنُ الصَّبْرِ عَلىٰ أَمْرِ اللهِ»[٦].

---

(١) **الشخوص**: هو الخروج من البلد لطلب العلم وغيره. والمراد: أنّ شخوص العاقل لهذه المهمّة خير من شخوص الجاهل.

(٢) البقرة ٢: ٢٦٩.

(٣) أصول الكافي: ١: ٦٠.

(٤) و (٥) بحار الأنوار: ٧٧: ١٧٤.

(٦) بحار الأنوار: ٧٧: ١٥٨. نهاية الارب: ٣: ٢٣. الخصال: ١٠٢.

إنّ من توفّرت فيه هذه الخصال فقد بلغ الذروة في كمال عقله ، وسموّ ذاته .

٥ ـ قال رسول الله ﷺ : **« إذا بَلَغَكُمْ عَنْ رَجُلٍ حُسْنُ حالٍ فَانْظُروا في حُسْنِ عَقْلِهِ ، فَإِنَّما يُجازىٰ بِعَقْلِهِ »**(١) .

إنّ المقياس في كمال الإنسان هو كمال عقله ، ولا أهمّية لغيره في ميدان التمايز .

٦ ـ قال رسول الله ﷺ : **« إذا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ كَثِيرَ الصَّلاةِ ، وَكَثِيرَ الصِّيامِ فَلا تُباهُوا بِهِ ، حَتّى تَنْظُرُوا كَيْفَ عَقْلُهُ »**(٢) .

إنّ كثرة الصلاة والصيام لا يدلّان على كمال الشخص ، وإنّما الذي يدلّ عليه وفور العقل وكماله .

٧ ـ قال رسول الله ﷺ : **« أَوَّلُ ما خَلَقَ اللهُ الْعَقْلَ ، قالَ لَهُ : أَقْبِلْ فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قالَ : وَعِزَّتي وَجَلالي ، ما خَلَقْتُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ ، بِكَ آخُذُ ، وَبِكَ أُعْطي ، وَبِكَ أُثيبُ ، وَبِكَ أُعاقِبُ »**(٣) .

إنّ العقل هو أفضل مخلوقات الله تعالى : به يثيب ، وبه يعاقب .

٨ ـ قال ﷺ : **« ما اكْتَسَبَ رَجُلٌ مِثْلَ فَضْلِ عَقْلٍ يَهْدي صاحِبَهُ إِلىٰ هُدىً ، وَيَرُدُّهُ عَنْ رَدىً ، وَما تَمَّ إِيمانُ عَبْدٍ ، وَلَا اسْتَقامَ دِيْنُهُ حَتّىٰ يَكْمُلَ عَقْلُهُ »**(٤) .

إنّ العقل هو الذي يهدي للتي هي أقوم ، وفي بعض الأخبار أنّه الرسول الباطني ، وبه كمال الدين ، وتمام الإيمان .

٩ ـ روت عائشة ، قالت : قلت : يا رسول الله ، بأي شيء تفاضل النّاس في

---

(١) أصول الكافي : ١ : ٥٩ .

(٢) أصول الكافي : ١ : ٧٤ .

(٣) نهاية الارب : ٣ : ٢٣٠ . التذكرة الحمدونيّة : ٣ : ٢٣٠ .

(٤) محاضرات الراغب : ١ : ١٤ . إحياء العلوم : ١ : ١٠٠ .

الدنيا ؟ قال : « **بِالْعَقْلِ** » ، قلت : وفي الآخرة ؟ قال : « **بِالْعَقْلِ** » ، قلت : أليس إنّما يجزون بأعمالهم ؟ فقال : « **يا عائِشَةُ ، وَهَلْ عَمِلوا إلّا بِقَدَرِ ما أَعْطاهُمْ اللهُ تَعالىٰ مِنَ الْعَقْلِ ؟ فَبِقَدَرِ ما أُعْطُوا مِنَ الْعَقْلِ كانَتْ أَعْمالُهُمْ ، وَبِقَدَرِ ما عَمِلُوا يُجْزَونَ** »(١) .

إنّ الإنسان يوفّى أجره يوم القيامة على قدر كمال عقله ، وسموّ فكره ... هذه بعض الأخبار التي أُثرت عن النبيّ ﷺ في فضل العقل .

الحمق

أمّا الحمق فهو من مساوئ الصفات وأراذلها ، وقد أُثر عن النبيّ ﷺ أنّه قال : « **إنَّ الْأَحْمَقَ يُصيبُ بِحُمْقِهِ أَعْظَمَ مِنْ فُجُورِ الْفاجِرِ** »(٢) .

إنّ الحمق ضرب من الجنون ، وكان يضرب المثل في الحمق بعجل بن لجيم ، فقد قيل له إنّ لكلّ فرس جواد اسماً ، فسم فرسك ، ففقأ إحدى عينيه ، وقال : سمّيته الأعور وفيه يقول الشاعر :

رَمَتْني بَنو عِجلٍ بِداءِ أَبيهِمُ ... وَهل أَحَدٌ في النّاسِ أَحْمَقُ مِنْ عِجلِ
أَلَيْسَ أَبوهُمْ عارُ عَينِ جَوادِهِ ... فَسارَتْ بِهِ الأَمثالُ في الناسِ بالجَهلِ(٣)

العلم

العلم أهمّ ركيزة تقام عليه حضارة الأُمّة ، وتقدّمها في ميادين الحضارة والتطوّر ، ومن المستحيل أن تحتلّ أيّة أُمّة مركزاً كريماً تحت الشمس وهي ترزح في قيود الجهل .

---

(١) نهاية الارب : ٣ : ٢٣١ . إحياء العلوم : ١ : ١٠٠ .
(٢) محاضرات الراغب : ١ : ١٤ . ربيع الأبرار : ٣ : ١٣٧ .
(٣) التذكرة الحمدونيّة : ٣ : ٢٤٧ .

وقد تبنّى الإسلام بصورة إيجابيّة الدعوة الملحّة إلى طلب العلم وجعله فريضة على كلّ مسلم، وبذلك فقد أقام مجتمعه على العلم الشامل لجميع أنواعه عدا العلوم التي لا تنفع، كالسحر والغناء، وهذا عرض لبعض ما أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله في تمجيد العلم، وأهمّية طلّابه:

أهمّية العلم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«طَلَبُ الْعِلْمِ فَريضَةٌ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، أَلَا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ بُغاةَ[١] الْعِلْمِ»**[٢].

لقد جعل النبيّ صلى الله عليه وآله طلب العلم فريضة، والفريضة يسئل المسلمون عنها، وليس لهم التهاون عنها؛ لأنّ العلم مصدر تقدّمهم وتطوّر حياتهم. ومن الجدير بالذكر أنّ الألف واللام في العلم تفيد الشمول ولا تخصّ علماً دون غيره.

ثواب العالم

روى الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فيهِ عِلْماً سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتها لِطالِبِ الْعِلْمِ رِضاً بِهِ، وَأَنَّهُ يَسْتَغْفِرُ لِطالِبِ الْعِلْمِ مَنْ في السَّماءِ وَمَنْ في الْأَرْضِ حَتّى الْحوتُ في الْبَحْرِ، وَفَضْلُ الْعالِمِ عَلَى الْعابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلىٰ سائِرِ النُّجُومِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَإِنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِياءِ. إِنَّ الْأَنْبِياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا ديناراً وَلَا دِرْهَماً، وَلٰكِنْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وافِرٍ»**[٣].

أرأيتم هذه الإشادة بطلّاب العلم، ومدى أهمّيتهم البالغة عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّهمّ حرّاس الإسلام وطلائعه المقدّسه، والقدوة الحسنة لكلّ مسلم ومسلمة.

---

(١) **البغاة**: الطلّاب.

(٢) أُصول الكافي: ١: ٧٩.

(٣) المصدر المتقدّم: ٨٤.

عقاب التارك لعلمه

كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يحدّث عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، ويروي بعض كلماته ، وقد نقل عنه عقاب التارك لعلمه ، قال عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **« الْعُلَماءُ رَجُلانِ : رَجُلٌ عالِمٌ أَخَذَ بِعِلْمِهِ فَهٰذا ناجٍ ، وَعالِمٌ تارِكٌ لِعِلْمِهِ فَهٰذا هالِكٌ ، وَأَنَّ أَهْلَ النّارِ لَيَتَأَذَّوْنَ مِنْ رِيحِ الْعالِمِ التّارِكِ لِعِلْمِهِ ، وَأَنَّ أَشَدَّ أَهْلَ النّارِ نَدامَةً وَحَسْرَةً رَجُلٌ دَعا عَبْداً إِلَى اللهِ سُبْحانَهُ فَاسْتَجابَ لَهُ وَقَبِلَ مِنْهُ فَأَطاعَ اللهَ ، فَأَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ ، وَأَدْخَلَ الدّاعِيَ النّارَ بِتَرْكِهِ عِلْمَهُ ، وَاتِّباعِهِ الْهَوىٰ ، وَطُولَ الْأَمَلِ ، وَأَمّا اتِّباعُ الْهَوىٰ فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ ، وَطُولُ الْأَمَلِ يُنْسِي الْآخِرَةَ »**(١) .

إنّ العالم إذا لم يهتد بعلمه فقد هلك ، وهلك مَن يسير بسيرته ، ويقتدي بسلوكه ، وهو في يوم القيامة من أشدّ النّاس حسرة على ما فرّط في أمر نفسه .

صلاح الأُمّة بالعلماء والأُمراء

أعلن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ صلاح الأُمّة بعلمائها وأُمرائها . قال :

« صِنْفانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلُحا صَلُحَ النّاسُ وَإذا فَسَدا فَسَدَ النّاسُ : الْعُلَماءُ وَالْأُمَراءُ »(٢) .

إنّ هلاك المجتمع وفساده بفساد الأمراء ، والعلماء الذين هم من وعّاظ السلاطين ، وأنّ تطوّره وازدهاره بصلاحهم .

الفقهاء أُمناء الرُّسل

روى الإمام أبو عبدالله عليه السلام ، عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : **« الْفُقَهاءُ أُمَناءُ الرُّسُلِ ما لَمْ يَدْخُلُوا في الدُّنْيا »** ، قيل : يا رسول الله ، وما دخولهم في الدنيا ؟ قال : **« اتِّباعُ**

---

(١) أُصول الكافي : ١ : ٩٤ .

(٢) جامع بيان العلم : ١ : ١٨٤ .

السُّلْطانِ ، فَإِذا فَعَلوا ذلِكَ فاحْذَروهُم عَلىٰ دينِكُم »[١].

إنّ الفقهاء إنّما يكونوا دعاة للاصلاح فيما إذا تجرّدوا عن الدنيا الفانية ، ولم يكونوا من حواشي السلاطين وأذنابهم الذين لا يقيمون وزناً للحقّ .

تعلّم العلم

دعا النبيّ ﷺ إلى تعلّم العلم ونشره بين النّاس؛ لأنّه الركيزة لتطوّر المجتمع ، وإشاعة الفضيلة بين النّاس . قال ﷺ :

« تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ حَسَنَةٌ ، وَمُدارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهادٌ ، وَتَعْلِيمَهُ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ؛ لِأَنَّهُ مَعالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرامِ ، وَسالِكٌ بِطالِبِهِ سُبُلَ الْجَنَّةِ ، وَمُونِسٌ فِي الْوَحْدَةِ ، وَصاحِبٌ فِي الْغُرْبَةِ ، وَدَلِيلٌ عَلَى السَّرّاءِ ، وَسِلَاحٌ عَلَى الْأَعْداءِ ، وَزَيْنُ الْأَخِلّاءِ ، يَرْفَعُ اللهُ تَعالىٰ بِهِ أَقْواماً يَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ أَئِمَّةً يُقْتَدىٰ بِهِمْ ، تُرْمَقُ[٢] **أَعْمالُهُمْ ، وَتُقْتَبَسُ آثارُهُمْ ، وَتَرْغَبُ الْمَلَائِكَةُ فِي خُلَّتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ حَياةُ الْقُلُوبِ ، وَنُورُ الْأَبْصارِ مِنَ الْعَمىٰ ، وَقُوَّةُ الْأَبْدانِ مِنَ الضَّعْفِ ، وَيُنْزِلُ اللهُ حامِلَهُ مَنازِلَ الْأَحِبّاءِ ، وَيَمْنَحُهُ مُجالَسَةَ الْأَبْرارِ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ .**

بِالْعِلْمِ يُطاعُ اللهُ وَيُعْبَدُ ، وَبِالْعِلْمِ يُعْرَفُ اللهُ وَيُوَحَّدُ ، وبِهِ تُوصَلُ الْأَرْحامُ ، وَيُعْرَفُ الْحَلَالُ وَالْحَرامُ ، وَالْعِلْمُ إِمامُ الْعَقْلِ »[٣].

لقد أشاد النبيّ ﷺ بالعلم ، وذكر خصائصه ، وأنّه باب من أبواب الرحمة والرضوان ، فمن سلكه فقد فاز في دنياه وآخرته ، وظفر بالخير بجميع مفاهيمه وصوره .

---

(١) أصول الكافي : ١ : ٩٧.

(٢) رمق : أي نظر .

(٣) تحف العقول : ٢٨.

موت العالِم

ذكر النبيّ ﷺ الخسارة التي يمنى بها المجتمع في فقْد العلماء. قال:

« لَا يُقْبَضُ الْعِلْمُ انْتِزاعاً مِنَ النّاسِ، وَلٰكِنَّهُ يُقْبَضُ الْعُلَماءُ، حَتّىٰ إذا لَمْ يَبْقَ عالِمٌ اتَّخَذَ النّاسُ رُؤَساءَ جُهّالاً، اسْتَفْتَوْا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا »(١).

إنّ الخسارة العظمى التي يمنى بها المجتمع موت العلماء، وتصدّي الجهّال من الرؤساء لقضايا النّاس، وهم يفتون بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

العلم خزائن

حثّ النبيّ ﷺ على السؤال من أهل العلم، والتبصّر في أُمور الدين، قال:

« الْعِلْمُ خَزائِنٌ وَمَفاتِيحُهُ السُّؤالُ، فَاسْأَلُوا رَحِمَكُمُ اللهُ، فَإِنَّهُ يُؤْجَرُ أَرْبَعَةٌ: السّائِلُ، وَالْمُتَكَلِّمُ، وَالْمُسْتَمِعُ، وَالْمُحِبُّ لَهُمْ »(٢).

وقال ﷺ في الحثّ على السؤال:

« سائِلُوا الْعُلَماءَ، وَخاطِبُوا الْحُكَماءَ، وَجالِسُوا الْفُقَراءَ »(٣).

التقوى بغير علم

حذر النبيّ ﷺ من الفتوى بغير علم قال:

« مَنْ أَفْتَى النّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَعَنَتْهُ مَلائِكَةُ السَّماءِ وَالْأَرْضِ »(٤).

إنّ الفتوى بغير علم تحلّل الحرام وتحرم الحلال، وتلقي النّاس في الإثـم فـلذا حرّم الإسلام من الفتوى بغير علم.

---

(١) تحف العقول: ٣٧.

(٢ ـ ٤) تحف العقول: ٤١.

العلم للمباهاة

منع النبيّ صلى الله عليه وآله من تعلّم العلم للمماراة والمباهاة. قال صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُمارِيَ بِهِ السُّفَهاءَ، أَوْ يُباهِيَ بِهِ الْعُلَماءَ، أَوْ يَصْرِفَ وُجُوهَ النّاسِ إِلَيْهِ لِيُعَظِّمُوهُ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّارِ، فَإِنَّ الرِّئاسَةَ لا تَصْلُحُ إِلَّا للهِ وَلِأَهْلِها. وَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ فِيهِ مَقَتَهُ اللهُ، وَمَنْ دَعا إِلىٰ نَفْسِهِ فَقالَ: أَنا رَئِيسُكُمْ وَلَيْسَ هُوَ كَذٰلِكَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ حَتّىٰ يَرْجِعَ عَمّا قالَ وَيَتُوبَ إِلَى اللهِ مِمّا ادَّعىٰ»(١).

إنّ طلب العلم يجب أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى غير مشفوع بالأغراض التي يؤول أمرها إلى التراب، فمن طلب العلم ليعظمه النّاس فقد باء بغض من الله تعالى، وهكذا حال من تعلّم ليماري السفهاء أو يباهي العلماء.

التعليم برفق

أمّا منهج التعليم في الإسلام فينبغي أن يكون برفق لا بعنف، وقد أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: **«عَلِّمُوا وَلَا تُعَنِّفُوا، فَإِنَّ الْمُعَلِّمَ الْعالِمَ خَيْرٌ مِنَ الْمُعَنِّفِ»**(٢).

ذمّ الجهل

الجهل آفة مدمّرة للمجتمع، وقد أهاب النبيّ صلى الله عليه وآله بأُمّته أن لا ترزح في هذا الكابوس المظلم، وقد أُثر عنه القول بصفة الجاهل الصفة الممقوتة.

قال صلى الله عليه وآله: **«وَصِفَةُ الْجاهِلِ: أَنْ يَظْلِمَ مَنْ خالَطَهُ، وَيَتَعَدّىٰ عَلىٰ مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَيَتَطاوَلَ عَلىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، كَلامُهُ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ، إِنْ تَكَلَّمَ أَثِمَ، وَإِنْ سَكَتَ سَها،**

---

(١) تحف العقول: ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ٧٧: ١٧٥.

وَإِنْ عَرَضَتْ لَهُ فِتْنَةٌ سارَعَ إِلَيْها فَأَرْدَتْهُ ، وَإِنْ رَأىٰ فَضِيلَةً أَعْرَضَ وَأَبْطَأَ عَنْها ، لا يَخافُ ذُنُوبَهُ الْقَدِيمَةَ ، وَلَا يَرْتَدِعُ فِيما بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ مِنَ الذُّنُوبِ ، يَتَوانىٰ عَنِ الْبِرِّ وَيُبْطِئُ عَنْهُ ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ لِما فاتَهُ مِنْ ذٰلِكَ أَوْ ضَيَّعَهُ ، فَتِلْكَ عَشْرُ خِصالٍ مِنْ صِفَةِ الْجاهِلِ الَّذِي حُرِمَ الْعَقْلَ »[١] .

وهذه الصفات الممقوتة من أبرز صفات الجاهل الذي حرم العقل والعلم ، وباء بسخط الله تعالى .

التدبّر في الأُمور

حثّ النبيّ ﷺ المسلمين على التدبّر والتفكّر في الأُمور قبل الإقدام عليها ، فقد وفد شخص عليه فقال له :

« يا رسول الله ، أوصني . . . » .

فقال له النبيّ ﷺ :

« فَهَلْ أَنْتَ مُسْتَوْصٍ ؟ » ـ أي تعمل بوصيّتي ـ ، وقال ذلك له ثلاث مرّات .

« نعم ، يا رسول الله » .

فأوصاه النبيّ بهذه الوصيّة الثمينة قائلاً :

« إِنّي أُوْصِيكَ إِذا أَنْتَ هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَتَدَبَّرْ عاقِبَتَهُ ، فَإِنْ يَكُ رُشْداً فَامْضِهِ ، وَإِنْ يَكُ غَيّاً فَانْتَهِ عَنْهُ »[٢] .

يا لها من وصيّة تضمن لمن أخذ بها السعادة والخير العميم ، فإنّ الإقدام على شيء مجهول عواقبه يجرّ الويل والعطب .

---

(١) تحف العقول : ٢٩ .

(٢) روضة الكافي : ١٥٠ .

الصلة والعفو

من المكارم والأخلاق الفاضلة التي أوصى بها النبيّ ﷺ هي الصلة والعفو. قال ﷺ: **«صِلْ مَنْ قَطَعَكَ وَأعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»**(١).

هذه الكلمات أهمّ الركائز التي تبنى عليها الحضارة الإنسانيّة المتطوّرة التي تعنى بالقيم الكريمة التي يتحلّى بها الإنسان.

الإشادة بالمعروف

أشاد النبيّ ﷺ بالذين يسدون المعروف، ويصنعون البرّ إلى النّاس. قال ﷺ:

«إنَّ اللهَ تَعالىٰ جَعَلَ لِلْمَعْرُوفِ وُجُوهاً مِنْ خَلْقِهِ حَبَّبَ اِلَيْهِمُ الْمَعْرُوفَ وَحَبَّبَ اِلَيْهِمْ فِعالَهُ، وَوَجَّهَ طُلاّبَ المَعْرُوفِ إِلَيْهِمْ وَيَسَّرَ عَلَيْهِمْ إعْطاءَهُ كَما يَسَّرَ الْغَيْثَ إِلَى الْأَرْضِ الْجَدْبَةِ لِيُحْيِيها وَيُحْيِيَ بِها أَهْلَها وَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ جَعَلَ لِلْمَعْرُوفِ أَعْداءَ مِنْ خَلْقِهِ بَغَّضَ إِلَيْهِمُ الْمَعْرُوفَ، وَبَغَّضَ إِلَيْهِمْ فِعالَهُ، وَحَظَرَ عَلىٰ طُلّابِ الْمَعْرُوفِ الطَّلَبَ إِلَيْهِمْ، وَحَظَرَ عَلَيْهِم إِعْطاءَهُ كَما يَحْظُرُ الغَيْثَ عَنِ الْأَرْضِ الْجَدْبَةِ لِيُهْلِكَها وَيُهْلِكَ بِها أَهْلَها، وما يَعْفو اللهُ أَكْثَر. وَإِنَّ صَنائِعَ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصارِعَ السُّوءِ. وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ في الدُّنْيا أَهْلُ الْمَعْرُوفِ في الآخِرَة. وَإِنَّ أَوَّلَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولاً هُمْ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ. إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ لَتَزِيدُ في الْعُمْرِ»(٢).

النّاس صنفان: صنف طُبع على المعروف، وكان ذلك من خصائصهم، وقد ميّزهم الله تعالى على خلقه، ووفّقهم لصنع الخير، وصنف عادوا المعروف ونفروا منه، وهؤلاء عليهم غضب الله ونقمته، لا يوفّقون للخير.

---

(١) ربيع الأبرار: ٢: ٤٦.

(٢) الجامع الصغير: ١: ٦٩. رسائل ابن أبي الدنيا: ٧٤.

آداب النفس

وضع النبيّ ﷺ منهجاً لآداب النفس وتحلّيها بالفضائل. قال ﷺ:

«لَا مالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ. وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ الْعُجْبِ. وَلاَ عَقْلَ كَالتَّدْبُّرِ. ولا حَزْمَ كَالتَّقْوىٰ، وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَلَا مِيزانَ كَالْأَدَبِ، وَلَا فائِدَةَ كَالتَّوْفيقِ، وَلَا تِجارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَا رِبْحَ كَثَوابِ اللهِ، وَلَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ، وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ في الْحَرامِ، وَلَا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ، وَلَا عِبادَةَ كَأَداءِ الْفَرائِضِ، وَلَا إِيمانَ كَالْحَياءِ وَالصَّبْرِ، وَلَا حَسَبَ كَالتَّواضُعِ، وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ، وَلَا مَظاهِرَ كَالْمُشاوَرَةِ، فاحْفَظِ الرَّأْسَ وَما حَوىٰ، وَالْبَطْنَ وَما وَعىٰ، وَاذْكُرِ الْمَوْتَ وَطُولَ الْبِلىٰ»[١].

وحفل هذا الحديث بالآداب الرفيعة التي يسمو بها الإنسان ويبلغ ذروة الكمال.

السخاء

حثّ النبيّ ﷺ على التحلّي بالسخاء الذي هو أبرز الصفات الحسنة. قال ﷺ:

«إِنَّ اللهَ ـ تعالىٰ ـ اسْتَخْلَصَ هٰذَا الدِّينَ لِنَفْسِه، وَلَا يَصْلُحُ لِدينِكُمْ إِلَّا السَّخاءُ وَحُسْنُ الخُلُقِ أَلَا فَزَيِّنُوا دينَكُمْ بِهِما»[٢].

السخاء من نبل النفس وكمالها، وهو من الصفات الرفيعة التي يشرّف بها الإنسان، وكان رسول الله ﷺ يقدّم الكريم في العطاء على غيره، فقد وفد عليه وفد من العرب فأعطاهم، وفضّل عليهم رجلاً منهم، فقيل له في ذلك، فقال: **«كُلُّ الْقَوْمِ عِيالٌ عَلَيْهِ»**[٣].

---

(١) نثر الدرر: ١: ١٧١. أمثال الماوردي: ٥٥. التذكرة الحمدونيّة: ٢: ٣٥٧.

(٢) سراج الملوك: ٢٤٧.

(٣) التذكرة الحمدونيّة: ٢: ٢٨٦.

فعل الخير

ندب النبيّ ﷺ المسلمين لفعل الخير.

قال ﷺ: «**إِفْعَلُوا الْخَيْرَ دَهْرَكُم، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحاتِ رَحْمَةِ اللهِ، فَإِنَّ للهِ نَفَحاتٌ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصيبُ بِها مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ، وَسَلوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوْراتِكُمْ، وَيُؤمِنَ رَوْعاتِكُمْ**»[١].

إنّ فعل الخير من ذخائر الأعمال الصالحة التي ندب إليها الإسلام. قال تعالى: ﴿**فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ**﴾[٢].

وقد حثّ النبيّ ﷺ على كلمة الخير التي توجب الاصلاح بين النّاس.

قال ﷺ: «**كَلِمَةٌ مِنَ الْخَيْرِ يَسْمَعُها الْمُؤْمِنُ، وَيَعْمَلُ بِها، وَيُعَلِّمُها، خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سَنَةٍ**»[٣].

إنّ الحثّ على عمل الخير من أهمّ الأهداف الأصيلة التي ينشدها الإسلام.

الإحسان

الإحسان إلى النّاس من الخصال الكريمة التي ندب إليها النبيّ ﷺ.

قال: «**جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلىٰ حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ اِلَيْها وَبُغْضِ مَنْ أَساءَ اِلَيْها**»[٤].

إنّ النفوس قد جُبلت على حبّ مَن أسدى إليها معروفاً وإحساناً، كما جُبلت على بغض وكراهية مَن أساء إليها.

---

(١) الشهاب: ١٢.

(٢) البقرة ٢: ١٤٨.

(٣) التذكرة الحمدونيّة: ١: ٥٣.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ٢: ٢٥٤. أمثال الماوردي: ٥٦. محاضرات الراغب: ١: ٦٤٨.

صفات ذميمة ومحرّمة

حذّر النبيّ ﷺ من بعض الصفات الذميمة التي تجرّ للإنسان الويل والدمار، كان منها ما يلي:

النِّفاق

النِّفاق من أرذل الصفات التي يجب على المسلم التخلّص منه. قال ﷺ:
«إنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عَلىٰ أُمَّتي كُلُّ مُنافِقٍ عَليمِ اللِّسانِ»(١).

إنّ المنافق يشكّل خطراً على المجتمع الإسلامي، وما أُصيب الإسلام بكارثة كالمنافقين المندسّين في صفوف المجتمع.

الغدر

من الصفات الذميمة التي حاربها الإسلام: الغدر، فقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: **«إنَّ الْغادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِواءٌ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَيُقالُ أَلَا هٰذِه غَدْرَةُ فُلانِ ابْنِ فُلانٍ»**(٢).

ونظراً لتشديد الإسلام في حرمة الغدر فقد امتنع الشهيد الخالد مسلم بن عقيل من اغتيال المجرم الأثيم ابن زياد حينما كان في دار هانئ بن عروة.

خيانة الأمانة

من الصفات الذميمة التي حاربها الإسلام خيانة الأمانة، فقد أُثر عن النبيّ ﷺ أنّه قال: **«يُؤْتىٰ بِصاحِبِ الْأَمانَةِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَيُقالُ: أَدِّ أَمانَتَكَ، فَيَقُولُ: يا رَبِّ، قَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيا، فَيُقالُ: اذهَبوا بِهِ إِلَى الْهاوِيَةِ، فَيَهْوي فيها حَتّىٰ يَنْتَهي إِلىٰ قَعْرِها، فَيَجِدُها هُناكَ**

---

(١) كشف الخفاء: ١: ٧٠. الجامع الصغير: ١: ١٤.

(٢) كنز العمّال: ٣: ٥١٧.

كَهَيْئَتِها ، فَيَحْمِلُها فَيَضَعُها عَلىٰ عاتِقِهِ ، ثُمَّ يَصْعَدُ بِها حَتّىٰ إذا رَأىٰ قَدْ خَرَجَ زَلَّتْ فَهَوَتْ ، وَهَوىٰ في أَثَرِها أَبَدَ الآبِدينَ »[١].

إنّ خيانة الأمانة فحش وظلم وسرقة ، وأنّ الله تعالى يعاقب الخائنين بأقسى العقوبات .

شهادة الزور

ومن بين الصفات التي مقتها الإسلام ، وتواعد على عقابها بالنّار هي شهادة الزور التي تذهب بحقوق النّاس ، وقد تحدّث النبيّ ﷺ عن العقاب المذهل الذي يمنى به شاهد الزور .

قال ﷺ : **« إنَّ الطَّيْرَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لَتَضْرِبُ بِمَناقِيرِها ، وَتَقْذِفُ بِما في حَواصِلِها ، وَتُحَرِّكُ أَذْنابَها مِنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيامَةِ ، وَما يُكَلِّمُ شاهِدُ الزُّورِ ، وَلَا تَقَرُّ قَدَماهُ في الْأَرْضِ حَتّىٰ يُقْذَفَ بِهِ فِي النّارِ »**[٢].

البغي

من الصفات التي حرّمها الإسلام : البغى ، وقد حرّمه النبيّ ﷺ وشدّد في تحريمه ، قال : **« أَعْجَلُ الْأَشْياءِ عُقُوبَةً الْبَغْي »**[٣].

وقال ﷺ : **« ما مِنْ ذَنْبٍ أَدْنىٰ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ في الدُّنْيا مَعَ ما يُدَّخَرُ لَهُ في الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطيعَةِ الرَّحِمِ »**[٤].

---

(١) الجامع الصغير : ٢ : ٨٥. التذكرة الحمدونيّة : ٣ : ٩.

(٢) مجمع الزوائد : ٤ : ٢٠٠.

(٣) المستطرف : ٦ : ٢٠٨. ربيع الأبرار : ٢ : ٨٢٣.

(٤) بهجة المجالس : ١ : ٤٠٦.

الشماتة

من الصفات المكروهة في الإسلام هي الشماتة. قال ﷺ:

«لا تُظْهِرِ الشَّماتَةَ لِأَخِيكَ فَيُعافِيهِ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ»[١].

إنّ الشماتة من صفات الأنذال الذين لم تهذّبهم الأيّام، ولم تصقلهم التجارب، وقد أقام الإسلام مجتمعه على النبل والشرف والكرامة.

التكبّر

من الصفات التي مقتها الإسلام وذمّها التكبّر على الخلق، وقد أُثر عن النبيّ ﷺ الذمّ والمقت له.

قال ﷺ: **«مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ»**[٢].

وقال ﷺ: **«لَا يَدْخُلِ الْجَنَّةَ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ كِبْرٍ»**[٣].

وقال ﷺ: **«مَنْ تَعَظَّمَ في نَفْسِهِ، وَاخْتالَ في مِشْيَتِهِ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبانٌ»**[٤].

إنّ التكبّر من صفات الجبّارين الذين ملئت نفوسهم بالظلم والطغيان.

السعاية

حرّم الإسلام سعاية المسلم بأخيه المسلم إلى السلطة، فإنّها من أفحش الموبقات

---

(١) الجامع الصغير: ٢: ٢٠١. كشف الخفاء: ٢: ٤٧٩. محاضرات الراغب: ٢: ٥٠١.

(٢) نهاية الارب: ٣: ٣٧٠.

(٣) مجمع الزوائد: ١: ٩٨. مجموعة ورّام: ١: ٢٠٣.

(٤) مجمع الزوائد: ١: ٩٨.

والمحرّمات. قال النبيّ ﷺ: «لُعِنَ الْمُثَلِّثُ»، فقيل: ما المثلث يا رسول الله؟ قال: «الَّذي يَسْعىٰ بِصاحِبِهِ إِلىٰ سُلْطانِهِ، فَيُهْلِكُ نَفْسَهُ وَصاحِبَهُ وَسُلْطانَهُ»[١].

وقال ﷺ: «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَرْفَعَنَّ إِلَيْنا عَوْرَةَ أَخيهِ الْمُؤْمِنِ»[٢].

الحسد

حذّر النبيّ ﷺ من الحسد الذي هو من أرذل النزعات الشريرة.

قال ﷺ: «إِنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْحَسَناتِ كَما تَأْكُلُ النّارُ الْحَطَبَ»[٣].

إنّ الحسد قد جرّ الويلات والخطوب إلى النّاس، وألقاهم في شرّ عظيم، وكان من نتائجه الشريرة إبعاد العترة الطاهرة عن الخلافة، فقد رفعوا عقيرتهم قائلين: «لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد»، وقد أُقصيت عترة النبيّ ﷺ عن الحياة السياسيّة، وقد عانت الأمّة من جرّاء ذلك أشقّ ألوان الأزمات والخطوب.

المكر

أمّا المكر فإنّه من أفحش الموبقات، وقد حذّر النبيّ ﷺ منه.

قال ﷺ: «إِيّاكَ وَالْمَكْرَ، فَإِنَّ اللهَ قَدْ قَضىٰ أَنْ لا يَحيقَ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»[٤].

إنّ المكر من أرذل الصفات ومن أخسّها، ولا يتّصف به إلّا من تخلّى عن الإنسانيّة.

---

(١) سراج الملوك: ٢٦٧. ربيع الأبرار: ٣: ٦٤٤.

(٢) نهاية الارب: ٣: ٢٨٩.

(٣) كنز العمّال: ٣: ٤٦١. أدب الدنيا والدين: ٢٦٤. المستطرف: ١: ٢١٤.

(٤) التذكرة الحمدونيّة: ١: ٤٨.

الكذب

أمّا الكذب، فإنّه من الموبقات، وقد حذّر منه النبيّ ﷺ.

قال: «**إِيّاكُمْ وَالْكِذْبَ، فَإِنَّهُ يَهْدي إِلَى الْفُجورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدي إِلَى النّارِ، وَتَحَدَّثُوا الصِّدْقَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدي إِلَى الْجَنَّةِ**»(١).

إنّ الكذب من الآفات المدمّرة التي تجرّ الويل والدمار للإنسان، وقد حرّم الإسلام في القرآن العظيم الكذب، وشدّد في عقاب الكافرين.

الحرص

من الصفات المذمومة التي حاربها الإسلام: الحرص.

قال ﷺ: «**ما ذِئْبانِ جائِعانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ فَأَفْسَداها أَشَدَّ مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلىٰ الْمالِ**»(٢).

وقال ﷺ: «**يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ، وَتَشِبُّ مَعَهُ اثْنَتانِ: الْحِرْصُ عَلَى الْمالِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمْرِ**»(٣).

إنّ الحرص ظاهرة يمنى بعض النّاس بها، فتصدّهم عن المعروف وإسداء الخير إلى الفقراء والبؤساء.

الفخر

أُثرت عن النبيّ ﷺ كوكبة من الأحاديث في ذمّ الفخر، وهذه بعضها:

---

(١) مجمع الزوائد: ١: ٩٣. ربيع الأبرار: ٢: ٦٣٩. غرر الخصائص: ٥٢.

(٢) مجمع الزوائد: ١٠: ٢٥٠.

(٣) نهاية الإرب: ٣: ٣٧٦.

١ ـ قال ﷺ: «أَنا سَيِّدُ وُلْدِ آدَمَ وَلَا فَخْر»[١].

٢ ـ قال ﷺ: «النّاسُ لِآدَمَ وَحوّاء، كَطَفِّ الصّاعِ لَنْ تَمْلَؤُهُ. إنَّ اللهَ لَا يَسْأَلُ عَنْ أَحْسابِكُمْ، وَلَا يَسْأَلُ إلَّا عَنْ أَعْمالِكُمْ. إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ»[٢].

٣ ـ قال ﷺ: «إنَّ نَبِيَّكُمْ واحِدٌ، وَإنَّ أَباكُمْ واحدٌ، وَإنَّهُ لَا فَضْلَ لِلْأَسْوَدِ عَلىٰ الْأَحْمَرِ، وَلَا عَرَبيٍّ عَلىٰ أَعْجَمِيٍّ، إلَّا بِالتَّقْوىٰ»[٣].

٤ ـ قال ﷺ: «إنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عَيْبَةَ الْجاهِلِيَّةِ وَفَخْرَها بِالْآباءِ. النّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفاجِرٌ شَقِيٌّ، وَلَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوامٌ يَفْخَرُونَ بِرِجالِهِم، إنَّما هُمْ فَحَمٌ مِنْ فَحَمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الْجِعْلانِ الَّتي تَدْفَعُ النَّتْنَ بِأَنْفِها، وَقَدْ قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾[٤]»[٥].

وحطّم الإسلام التفاخر بالآباء الذي يتّخذ للعلوّ والفخر على الغير، ولم يسمح الإسلام بحال من الأحوال بهذه الظاهرة التي تنمّ عن الجهل.

الظلم

أمّا الظلم فهو ممّا حرّمه الله تعالى، وشدّد في العقوبة عليه.

قال رسول الله ﷺ: «إذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ نادىٰ مُنادٍ: أَيْنَ الظَّلَمَةُ، وَأَعْوانُ الظَّلَمَةِ، وَأَشْباهُ الظلمة، حَتّىٰ مَنْ بَرىٰ لَهُمْ قَلَماً أَوْ لاقَ لَهُمْ دواةً، فَيَجْتَمِعُونَ في تابوتِ حَديدٍ

---

(١) مجمع الزوائد: ١: ٣٧٦. محاضرات الراغب: ٢: ٣١٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٤: ١٤٥.

(٣) فصل من خطبة الوداع.

(٤) هود ١١: ٤٦.

(٥) سنن أبي داود: ٢: ٦٢٤. مسند أحمد بن حنبل: ٢: ٣٦١.

ثُمَّ يُلْقىٰ بِهِمْ في جَهَنَّمَ»(١).

وقد أمر النبيّ ﷺ أن يسارع الظالم إلى المظلوم ويطلب منه العفو.

قال ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ عَبْداً كانَ لِأَخيهِ قِبَلَهُ مَظْلِمَةٌ في عِرْضٍ أَوْ مالٍ، فَأَتاهُ فَحَلَّلَهُ مِنْها قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمُ الْقِيامَةِ لَيْسَ مَعَهُ دينارٌ وَلَا دِرْهَمٌ**»(٢).

وهدّد النبيّ ﷺ الإمام الظالم بأنّه لا تناله شفاعته.

قال ﷺ: «**رَجُلانِ مِنْ أُمَّتي لا تَنالُهُما شَفاعَتي: إِمامٌ ظَلومٌ غَشومٌ، وَغالٍ في الدّينِ مارِقٌ مِنْهُ**»(٣).

مَن يتّقى لسانه

من الصفات التي مقتها الإسلام هو الشرّ الذي يحدث من اللسان، فيتّقي منه الناس خوفاً من شرّه واعتدائه، وقد روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**إِنَّ شَرَّ النّاسِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ مَنْ وَدَعَهُ النّاسُ لِاتِّقاءِ فُحْشِهِ**»، وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ شِرارِ النّاسِ الَّذينَ يُكْرَمُونَ اتِّقاءَ أَلْسِنَتِهِمْ**»(٤).

إنّ هؤلاء حصب جهنّم، فهم يذمّون ويمدحون من أجل أغراضهم الخاصّة والظفر بالمادة، وهم دوماً يجرحون عواطف النّاس، ويعتدون عليهم إرضاء لرغباتهم.

ذو الوجهين

كره الإسلام أن يكون المسلم ذا وجهين، وينبغي له أن يكون ذا وجه واحد قوّال

---

(١) ربيع الأبرار: ٢: ٨٣٤.

(٢) المصدر المتقدّم: ٨١٥.

(٣) المصدر المتقدّم: ٤٩٧.

(٤) المصدر المتقدّم: ٤٨.

بالحقّ ، ذاماً للباطل . قال ﷺ : « **لَا يَنْبَغي لَذي الْوَجْهَين أَنْ يَكُونَ أَميناً عِنْدَ اللهِ** »[١] ، وقال ﷺ : « **مَنْ كانَ لَهُ وَجْهانِ في الدُّنْيا كانَ لَهُ يَـوْمَ الْـقِيامَةِ لِسـانانِ مِـنْ نـارٍ** »[٢] ، وقال ﷺ : « **ذُو الْوَجْهَين لا يَكُونُ وَجيهاً** »[٣] .

ضعف اليقين

إنّ ضعف اليقين في العقيدة مـن الأخـطار المـدمّرة للـمجتمع ، وقـد أُثـر عـن النبيّ ﷺ القول : « **ما أَخافُ عَلىٰ أُمَّتي إلّا ضَعْفَ الْيَقينِ** »[٤] .

الإعانة على الباطل

حرّم الإسلام الإعانة على الباطل ، فقد قال النبيّ ﷺ :

« **مَن أَعانَ عَلىٰ باطِلٍ لِيَدْحَضَ بِباطِلِهِ حَقّاً فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ** »[٥] .

وقال ﷺ : « **مَنْ مَشىٰ مَعَ ظالِمٍ لِيُعينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ ظالِمٌ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسلامِ** »[٦] .

إنّ الإسلام يطلب من المسلم أن يعين أخاه المسلم على الحقّ ، ولا يعينه على الظلم والباطل ، فإنّ فعل ذلك فقد خرج عن الإسلام .

مدح الفاسق

نهى النبيّ ﷺ عن مدح الفاسق؛ لأنّ فيه إماتة للعدل ، ومعصية لله تعالى .

---

(١) السنن الكبرى : ١ : ٢٤٦.

(٢) سنن أبي داود : ٢ : ٤٥.

(٣) الشفاء / القاضي عيّاض : ١ : ٧٨.

(٤) ربيع الأبرار : ٢ : ٦٤.

(٥) مجمع الزوائد : ٤ : ٢٠٥ و : ٥ : ٢١١.

(٦) مجمع الزوائد : ٤ : ٢٠٥.

قال ﷺ: «**إِذا مُدِحَ الْفاسِقُ اهْتَزَّ لِذلِكَ الْعَرْشُ، وَغَضِبَ لَهُ الرَّبُّ تَعالىٰ**»[١].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ إِذا مُدِحَ الْفاسِقُ**»[٢].

إنّ الإسلام أهاب بالمسلمين أن يمدحوا الفاسقين والظالمين، وأن ينشدوا الحقّ ولا يحيدون عنه.

إخافة المسلم

وحرّم الإسلام إخافة المؤمن.

قال رسول الله ﷺ: «**حَسْبُ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يُخيفَ أَخاهُ الْمُسْلِمَ**»[٣].

إنّ ذعر الإنسان المسلم لأخيه، وإدخال الرعب عليه من أفحش المحرّمات والموبقات، والتي بها تتصدّع الوحدة الإسلاميّة.

وبهذا ينتهي بنا الحديث عن بعض الصفات المذمومة والمحرّمة التي أُثرت عن النبيّ ﷺ.

خصال محمودة

ندب الإسلام إلى بعض الصفات الكريمة التي يسمو بها الإنسان، وقد أُثرت عن النبيّ ﷺ:

خمس خصال

أدلى النبيّ ﷺ بخمس خصال توجب كمال الإنسان وصدق إيمانه.

قال ﷺ: «**لَا يَكْمِلُ عَبْدٌ الْإِيمانَ حَتّىٰ يَكُونَ فيهِ خَمْسُ خِصالٍ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ،**

---

(١) كنز العمّال: ١: ٤١٨. الجامع الصغير: ١: ٣٥.

(٢) التذكرة الحمدونيّة: ١: ٥١.

(٣) ربيع الأبرار: ٢: ٤٩٢. المستطرف: ١: ١٥٥.

وَالتَّفْويضُ إِلَى اللهِ ، وَالتَّصْديقُ لِأَمْرِ اللهِ ، وَالرِّضىٰ بِقَضاءِ اللهِ ، وَالصَّبْرُ عَلىٰ بَلَاءِ اللهِ ، إِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ للهِ ـ تعالىٰ ـ وَأَبْغَضَ للهِ ، وَأَعْطىٰ للهِ ، وَمَنَعَ للهِ ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمانَ »[١] .

إنّ من يتحلّى بهذه الخصال فقد كمل إيمانه .

أربع خصال

قال ﷺ : **« أَرْبَعٌ مَنْ أُوتيهُنَّ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ : قَلْباً شاكِراً ، وَلِساناً ذاكِراً ، وَبَدَناً مِنَ الْبَلَاءِ صابِراً ، وَزَوْجَةً لَا تَبْغيهِ في نَفْسِهِ وَمالِهِ خَوَناً »**[٢] .

إنّ هذه الخصال من موجبات السعادة ومن مكمّلات الإيمان .

القناعة

من الصفات الكريمة التي يسعد بها الإنسان : القناعة ، التي هي كنز لا يُفنى ، وقد أكّد النبيّ ﷺ على التحلّي بها .

قال ﷺ : **« قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرُزِقَ كَفافاً ، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِما آتاهُ »**[٣] .

إنّ القناعة هي السعادة ، وأفضل صفة يتّصف بها الإنسان ، وقد قال النبيّ ﷺ فيها : **« الْقَناعَةُ مالٌ لَا يَنْفَدُ »**[٤] .

الاقتصاد

حثّ النبيّ ﷺ على الاقتصاد ، فقال : **« ما عالَ مَنِ اقْتَصَدَ »**[٥] .

---

(١) اللآلي المصنوعة : ١ : ٣٠٢ ، لكن عدّه من الموضوعات .

(٢) التذكرة الحمدونيّة : ١ : ٤٤ .

(٣) التذكرة الحمدونيّة : ٣ : ٢١١ .

(٤) نهاية الارب : ٣ : ٢٤٧ . المستطرف : ١ : ٦٧ .

(٥) الجامع الصغير : ٢ : ١٤٦ . نهاية الإرب : ٣ : ٣٤٧ .

إنّ الذي يقتصد في صرفه فلا يمنى بعيلولة ، ويكون دوماً بمأمن من ضيق الحياة وبؤسها .

طاعة الله عزّ وجلّ

من أفضل الأعمال وأسماها طاعة الله تعالى ، فهي عزّ للإنسان ، وشرف وذخيرة له يوم يلقى الله تعالى .

قال ﷺ : **« مَنْ نَقَلَهُ اللهُ مِنْ ذُلِّ الْمَعاصي إلىٰ عِزِّ التَّقْوىٰ أَغْناهُ بِلا مالٍ ، وَأَعَزَّهُ بِلَا عَشيرَةٍ ، وَآنَسَهُ بِلَا أَنيسٍ . مَنْ خافَ اللهَ ـ تَعالىٰ ـ أَخافَ اللهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ »**[1] .

الاستغفار

إنّ الاستغفار من الذنب يزيله ، فقد تلطّف الله وتفضّل على عباده بالمغفرة والرحمة لكلّ من أذنب إذا تاب واستغفر .

قال النبيّ ﷺ : **« إنَّ العَبْدَ لَيُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيَدْخُلُ بِهِ الجَنَّةَ »** ، قالوا : يا رسول الله ، كيف يدخله الجنّة ؟

قال : **« يَكُونُ نَصْبَ عَيْنَيْهِ تائِباً عَنْهُ مُسْتَغْفِراً حَتّىٰ يَدْخُلَ بِهِ الجَنَّةَ »**[2] .

وقد حثّ النبيّ ﷺ على الاستغفار وندب إليه .

قال ﷺ : **« مَنْ لَزِمَ الْإِسْتِغْفارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجاً وَمَخْرَجاً ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ »**[3] .

---

(١) التذكرة الحمدونيّة : ١ : ٤٨ .

(٢) محاضرات الراغب : ١ : ٤٠٨ .

(٣) الترغيب والترهيب : ١٥١ .

حرمة المؤمن

نظر النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الكعبة فقال: «مَرْحَباً مِنْ بَيْتٍ، ما أَعْظَمَكَ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكَ، وَاللهِ! إنَّ الْمُؤْمِنَ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللهِ مِنْكَ، لِأَنَّ اللهَ حَرَّمَ مِنْكَ واحِدَةً، وَمِنَ الْمُؤْمِنِ ثَلاثاً: دَمَهُ، وَمالَهُ، وَأَنْ يُظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ»[١].

إنّ المؤمن له الحرمة الكاملة عند الله تعالى، فقد حرّم نفسه ودمه وعِرضه، وأحاطه بهالة من التعظيم والتكريم.

إقالة العثرة

حثّ النبيّ صلى الله عليه وآله على إقالة عثرة المسلم، فقال: «أَقِيلُوا عَثَراتِ ذَوي الْهَيْئاتِ عَثَراتِهِمْ، إلَّا مِنَ الْحُدودِ»[٢]، وقال صلى الله عليه وآله: «مَنِ اعْتَذَرَ إلَيْهِ أَخُوهُ فَلَمْ يَقْبَلْ لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ»[٣].

إنّ إقالة العثرة تطيّب القلوب، وتنعش النفوس، وتعود بالخير على النّاس، فلذا أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله عليها.

بغض أهل المعاصي

أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله على بغض أهل المعاصي والابتعاد عنهم.

قال صلى الله عليه وآله: «تَقَرَّبُوا إِلَى اللهِ تَعالىٰ بِبُغْضِ أَهْلِ الْمَعاصي، وَالْتَمِسُوا رِضْوانَهُ بِالتَّباعُدِ مِنْهُم»، قالوا: فمن نجالس؟ قال: «مَنْ تُذَكِّرُكُمْ بِاللهِ تَعالىٰ رُؤْيَتُهُ، وَيَزيدُ في فَهْمِكُمْ

---

(١) ربيع الأبرار: ٢: ٧٩٩.

(٢) بهجة المجالس: ١: ٣٧٠.

(٣) نهاية الارب: ٣: ٢٥٨.

مَنْطِقُهُ ، وَيُرَغِّبُكُمْ في الآخِرَةِ عَمَلُهُ »[١].

إنّ الابتعاد عن العصاة ردع للمنكر وأمر بالمعروف ، وإذلال لهم ، وهو ما يريده الإسلام من إشاعة الفضيلة والآداب بين النّاس .

أحبّ النّاس للنبيّ ﷺ

تحدّث النبيّ ﷺ عن أحبّ أوليائه وأعزّهم عنده ، قال :

« أَغْبَطُ النّاسِ عِنْدِيْ مُؤْمِنٌ خَفِيْفُ الْحالِ ، ذُوْ حَظٍّ مِنْ صَلَاةٍ ، وَكانَ رِزْقُهُ كَفافاً فَصَبَرَ عَلَيْهِ حَتّىٰ يَلْقَى اللهَ ، وَأَحْسَنَ عَبادَةَ رَبِّهِ وَأَطاعَهُ في السِّرِّ ، وَكانَ غامِضاً فِي النّاسِ ، عُجِّلَتْ مَنِيَّتُهُ وَقَلَّ تُراثُهُ وَقَلَّتْ بَواكِيهِ »[٢]

إنّ مَن يتّصف بهذه الصفات فهو من الزاهدين في الدنيا ، والمنيبين إلى الله تعالى ، وما أقلّهم .

الحكمة ضالّة المؤمن

حثّ النبيّ ﷺ على طلب الحكمة التي هي نور وهدى .

قال ﷺ : **« الحِكْمَةُ ضالَّةُ الْمُؤْمِنِ »**[٣].

الحكمة تورث وعياً ونوراً في النفس ، وهي ضالّة كلّ مؤمن رشيد .

الحثّ على قراءة القرآن

حثّ النبيّ ﷺ على قراءة القرآن الكريم الذي هو المنهاج الكامل لإصلاح

---

(١) نهاية الارب : ٥ : ٢٤٥ .

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٥ : ٥٢ . مجموعة ورّام : ١ : ١٨٢ . الجامع الصغير : ١ : ٨٨ .

(٣) كشف الخفاء : ١ : ٤٣٥ . المقاصد الحسنة : ١٩١ .

الحياة ، وسعادة الإنسان ، وتطوّر حياته على أُسس التقوى والإيمان .

قال ﷺ لِأنس : « **يا بُنَيَّ ، لَا تَغْفَلْ عَنْ قِراءَةِ الْقُرْآنِ إذا أَمْسَيْتَ ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ يُحْيي الْقَلْبَ الْمَيِّتَ ، وَيَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ** »[١] .

إنّ قراءة القرآن الكريم تفتح آفاقاً للوعي والفكر ، وتهدي للتيَ هي أقوم .

الرفق

أمر النبيّ ﷺ بالرفق وجعله منهجاً من مناهج التربية الإسلاميّة ، فقد استأذن عليه رهط من اليهود ، فقالوا : « السام[٢] عليك » ، فقال ﷺ : « **وَعَلَيْكُم** » ، وانبرت عائشة مغيظة فقالت لهم : « بل عليكم السام واللعنة » ، فقال ﷺ لها : « **يا عائِشَة ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الْأَمْرِ كُلِّهِ** » ، فقالت : « ألم تسمع ما قالوا ؟ فقال : « **قَدْ قُلْتُ : وَعَلَيْكُم** »[٣] .

وقال ﷺ : « **مَنْ رَفِقَ بِأُمَّتي رَفِقَ اللهُ بِهِ ، ومَنْ شَقَّ عَلىٰ أُمَّتي شَقَّ اللهُ عَلَيْهِ** »[٤] .

إنّ الرفق يطيّب النفوس ، ويقضي على الشحناء ، وهو من أهمّ الوسائل في التربية الإسلاميّة .

فائدة الصوم

تحدّث النبيّ ﷺ عن فائدة الصوم ، فقال : « **زَكاةُ الْجَسَدِ الصِّيامُ** »[٥] .

---

(١) التذكرة الحمدونيّة : ١ : ٥٤ .

(٢) **السام** : الموت .

(٣) ربيع الأبرار : ٢ : ٤٤ .

(٤) ربيع الأبرار : ٢ : ٤٥ .

(٥) ربيع الأبرار : ٢ : ١١٦ .

وقال ﷺ: «**لِلصّائِمِ فَرْحَتانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ الإِفْطارِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقاءِ رَبِّهِ**»[١].

إنّ للصوم فوائد كثيرة، ومنافع مهمّة، فهو من الوسائل الناجحة للقضاء على السمنة التي تسبّب للإنسان تصلّب الشرايين وارتفاع الضغط الدموي وغيرها.

الصلاة

أمّا الصلاة فهي عمود الدين، وقربان كلّ تقيّ، ونظراً لأهمّيتها البالغة كان النبيّ ﷺ إذا حزنه أمر فزع إلى الصلاة[٢].

المواساة في الطعام

ندب النبيّ ﷺ إلى بذل الطعام لمن يراه فقال: «**مَنْ أَكَلَ وَذُو عَيْنَيْنِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَلَمْ يُواسِهِ ابْتُلِيَ بِداءٍ لا دَواءَ لَهُ**»[٣].

إنّ عدم المواساة لمن ينظر إلى الطعام، لا سيّما إذا كان فيه ألوان شهيّة، فإنّه ينمّ عن الجشع، ويترك الحسرة في نفس الناظر.

الاقتصاد في الطعام

حثّ النبيّ ﷺ على الاقتصاد في الطعام، وعدم الإسراف فيه؛ لأنّه موجب للابتلاء بكثير من الأمراض.

قال ﷺ: «**ما زَيَّنَ اللهُ رَجُلاً بِزينَةٍ أَفْضَلَ مِنْ عَفافِ بَطْنِهِ**»[٤].

---

(١) ربيع الأبرار: ٢: ١١٦.

(٢) ربيع الأبرار: ٢: ٩٧.

(٣) ربيع الأبرار: ٢: ٦٧٩.

(٤) ربيع الأبرار: ٢: ٦٧٤.

وقال ﷺ : « مَنْ قَلَّ طَعامُهُ صَحَّ بَطْنُهُ ، وَصَفا قَلْبُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ طَعامُهُ سَقُمَ بَطْنُهُ ، وَقَسا قَلْبُهُ »(١).

وقال ﷺ : « ما مَلَأَ ابن آدَمَ وِعاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ . حَسْبُ الرَّجُلِ مِنْ طَعْمِهِ ما أَقامَ صُلْبَهُ ، أَمّا إذا أَبى ابْنُ آدَمَ فَثُلُثٌ طَعامٌ ، وَثُلُثٌ شَرابٌ ، وَثُلُثٌ نَفَسٌ »(٢).

تكريم الشيخ

من الآداب التي حثّ عليها النبيّ ﷺ تكريم الشيخ ، قال :

« مِنْ إِجْلالِ اللهِ إِجْلالِ ذي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ »(٣).

من الروابط الاجتماعيّة التي أقامها الإسلام تكريم الشيخ الطاعن في السنّ ، فإنّ ذلك ينمّ عن الآداب وسموّ الأخلاق التي يريدها الإسلام للمسلمين.

المجالس أمانة

من الآداب الإسلاميّة أن لا يشيع الرجل حديثاً جرى بينه وبين شخص آخر؛ لأنّه قد يكون ضرر في إشاعته ، وقد أُثر عن النبيّ ﷺ :

« الْمَجالِسُ أَمانَةٌ »(٤).

ومن الطريف أنّ عبدالملك بن مروان قد انقطع في طريقه عن حرّاسه وحمايته ، فرأى أعرابياً فقال له : « أتعرف عبدالملك ؟ » ، فقال الأعرابي : « جائر بائر » ، فقال له : « ويحك ، أنا عبدالملك » ، وأخذ الرجل في انتقاصه وذمّه ، ولمّا وصلت حمايته قال له الرجل : « يا أمير المؤمنين ، اكتم ما جرى ، فإنّ المجالس أمانة ».

---

(١) و (٢) ربيع الأبرار : ٢ : ٦٧٦.

(٣) محاضرات الراغب : ٢ : ٣٢٣.

(٤) ربيع الأبرار : ٢ : ٣٢٣.

المشورة

من تعاليم الإسلام أن يستشير المرء في أُموره، ولا يستبدّ بها خوفاً من أن يقع فيما لا يحمد عقباه.

قال النبيّ ﷺ: **«ما خابَ مَنِ اسْتَخارَ، وَلَا نَدِمَ مَنِ اسْتَشارَ، وَلَا افْتَقَرَ مَنِ اقْتَصَدَ»**[١].

يا لها من كلمات قد حوت الحكمة وفصل الخطاب، فقد أمر الله تعالى نبيّه ﷺ بمشاورة أصحابه؛ لأنّ فيها الخير وإشاعة المودّة بين النّاس، وقد أُثر عن الإمام الصادق عليه السلام عملاق هذه الأُمّة ورائد نهضتها العلميّة هذا القول: **«مَنِ اسْتَشارَ لَمْ يُعْدِمْ عِنْدَ الصَّوابِ مادِحاً، وَعِنْدَ الْخَطأ عاذِراً»**.

وقد كان النبيّ ﷺ يستشير أصحابه في معظم أُموره، ففي واقعة بدر نزل في أدنى ماء منها، فقال له الحبّاب من المنذر: «يا رسول الله، هل أمرك الله تعالى بالنزول في هذا المنزل فليس لك أن تتقدّمه وتتأخّره، فقال ﷺ: **«بَلْ هُوَ الرَّأيُ»**، فقال له: «يا رسول الله، إنّ هذا ليس بمنزل، فارحل بالنّاس حتّى نأتي أدنى ماء من القوم فتنزله، ثمّ نبني عليه حوضاً، فتملأه ماء، ثمّ تقاتل القوم، فتشرب ولا يشربون»، فقال النبيّ ﷺ: **«لَقَدْ أَشَرْتَ بِالرَّأيِ»**، وفعل ما أشار به[٢].

الجماعة

من الآداب التي قنّنها النبيّ ﷺ وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم، وقد أوصى بالاجتماع ونهى عن الفرقة، وهذه بعض أحاديثه:

---

(١) مجمع الزوائد: ٢: ٢٨٠. نهاية الارب: ٦: ٦٩. المستطرف: ١: ٧٣.

(٢) نهاية الارب: ٦: ٧٢ ـ ٧٣.

١ ـ قال ﷺ : « **الجَماعَةُ رَحْمَةٌ وَالفُرْقَةُ عَذابٌ** »[١].

٢ ـ قال ﷺ : « **مَنْ فارَقَ الجَماعَةَ ماتَ مِيْتَةً جاهِلِيَّةً** »[٢].

٣ ـ قال ﷺ : « **مَنْ فارَقَ الجَماعَةَ شِبْراً خَلَعَ اللهُ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ** »[٣].

وكثير من أمثال هذه الأحاديث أُثرت عن النبيّ ﷺ ، وهي تلزم المسلمين بالوحدة والاجتماع ، وتنهى عن الفرقة التي توجب انهيارهم ، وتدمير كلمتهم ، وطمع العدوّ فيهم .

الجهاد في سبيل الله تعالى

من أفضل الأعمال وأحبّها عند الله تعالى الجهاد في سبيل الله تعالى لنشر كلمة الحقّ ، وإماتة الباطل ، وهذه بعض أحاديث النبيّ ﷺ فيه :

١ ـ قال رسول الله ﷺ : « **أَقْرَبُ العَمَلِ إِلَى اللهِ الْجِهادُ فِي سَبيلِ اللهِ وَلَا يُقارِبُهُ شَيْءٌ** »[٤].

٢ ـ قال ﷺ : « **إِنَّ أَفْضَلَ عَمَلِ الْمُؤْمِنِ الْجِهادُ في سَبِيلِ اللهِ** »[٥].

٣ ـ قال ﷺ : « **جاهِدُوا الْمُشْرِكينَ بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ** »[٦].

---

(١) كنز العمّال : ٧ : ٥٥٨.

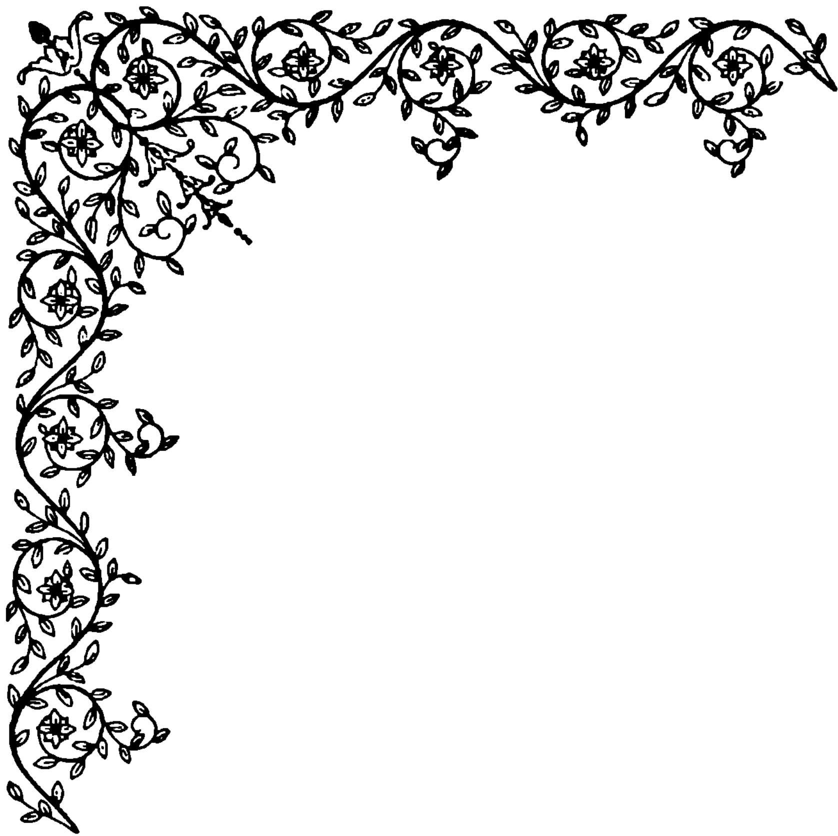
(٢) صحيح البخاري : ٨ : ٨٧.

(٣) سنن أبي داود : ٢ : ٤٢٦.

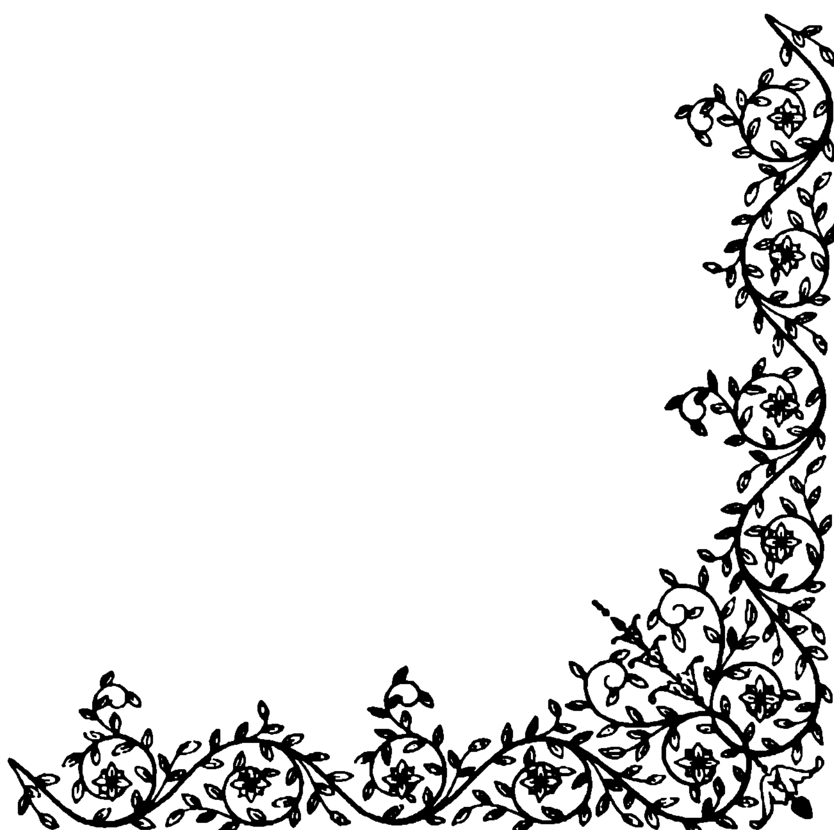
(٤) كنز العمّال : ٤ : ٢٨٥.

(٥) كنز العمّال : ١٣ : ٣٠٧.

(٦) مسند أحمد بن حنبل : ٣ : ١٢٤. كنز العمّال : ٤ : ٢٩٧. سنن أبي داود : ١ : ٥٦٢.



الكَلِمَاتُ القِصَارُ



أُثرت عن النبيّ ﷺ كوكبة من الحكم القصار التي هي من ذخائر البيان، ومن مناجم الأدب والحكمة، وهي على إيجازها تمثّل روعة البلاغة والفصاحة، وقد حكت الآداب الإسلاميّة الحافلة بمقوّمات الارتقاء والنهوض، وهذا عرض لبعضها:

١ «أَبْعَدُكُمْ بِي شَبَهاً الْبَخِيلُ الْبَذِيُّ الْفَاحِشُ».

٢ «أَبْغَضُ الرِّجالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ».

٣ «ابْغُونِي الضُّعَفاءَ فَإِنَّما تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفائِكُمْ».

٤ «أَتُحِبُّ أَنْ يَلينَ قَلْبُكَ، وَتُدْرِكَ حاجَتَكَ؟ اِرْحَمِ الْيَتِيمَ، وَامْسَحْ رَأْسَهُ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعامِكَ يَلِنْ قَلْبُكَ، وَتُدْرِكْ حاجَتَكَ».

٥ «اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ كَما تُحِبُّونَ أَنْ يَبَرُّوكُمْ».

٦ «اتَّقُوا فَراسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ».

٧ «اجْتَنِبِ الْغَضَبَ».

٨ «اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّها مِفْتاحُ كُلِّ شَرٍّ».

٩ «اجْتَنِبُوا كُلَّ مُسْكِرٍ».

١٠ «أَحَبُّ الْأَعْمالِ إِلَى اللهِ أَدْوَمُها وَإِن قَلَّ».

١١ «أَحَبُّ الْأَعْمالِ إِلَى اللهِ مَنْ أَطْعَمَ مِنْ جُوعٍ، أَوْ دَفَعَ عَنْهُ مَغْرَماً، أَوْ كَشَفَ عَنْهُ كَرْباً».

١٢ «أَحَبُّ الْأَعْمالِ إِلَى اللهِ حِفْظُ اللِّسانِ».

١٣ «أَحَبُّ الْحَديثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ».

١٤ «أَحَبُّ الطَّعامِ إِلَى اللهِ ما كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدي».

١٥ «أَحَبُّ بُيُوتِكُمْ إِلَى اللهِ بَيْتٌ فيهِ يَتيمٌ مُكَرَّمٌ».

١٦ «أَحَبُّ عِبادِ اللهِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعبادِهِ، وَأَقْوَمُهُمْ بِحَقِّهِ، الَّذِينَ يُحَبِّبُ إِلَيْهِمُ الْمَعْرُوفَ وَفِعالَهُ».

١٧ «احْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ».

١٨ «أُحْثُوا التُّرابَ فِي وُجُوه الْمَدّاحينَ».

١٩ «أَحْزَمُ النّاسِ أَكْظَمُهُمْ لِلْغَيْظِ».

٢٠ «أَحْسِنُوا جِوارَ نِعَمِ اللهِ لَا تُنْفِرُوها فَقَلَّما زالَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعادَتْ إِلَيْهِمْ».

٢١ «احْفَظْ لِسانَكَ».

٢٢ «أَدِّ الْأَمانَةَ إِلىٰ مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خانَكَ».

٢٣ «ادْرَؤُا الْحُدُودَ بِالشُّبُهاتِ، وَأَقيلُوا الكِرامَ عَثَراتِهِمْ إلّا في حَدٍّ

مِنْ حُدُودِ اللهِ».

٢٤ «أُدْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ بِالْإِجابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعاءً مِنْ قَلْبٍ غافِلٍ لَاهٍ».

٢٥ «إذا آتاكَ اللهُ مالاً فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ وَكَرامَتِهِ».

٢٦ «إذا أَرادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً صَيَّرَ حَوائِجَ النّاسِ إِلَيْهِ».

٢٧ «إذا أَرادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ في الدِّينِ، وَزَهَّدَهُ فِي الدُّنْيا، وَبَصَّرَهُ عُيُوبَهُ».

٢٨ «إذا أَرادَ اللهُ بِأَهلِ بَيتٍ خَيراً أَدْخَلَ عَلَيْهِم الرِّفْقَ».

٢٩ «إذا أَرادَ اللهُ بِقَوْمٍ نَماءً رَزَقَهُمُ السَّماحَةَ وَالْعَفافَ، وَإِذا أَرادَ بِقَوْمٍ انْقِطاعاً فَتَحَ عَلَيْهِمْ بابَ الْخِيانَةِ».

٣٠ «إذا اسْتَشاطَ السُّلْطانُ تَسَلَّطَ الشَّيْطانُ».

٣١ «إذا أَعْطَى اللهُ أَحَدَكُمْ خَيْراً فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ».

٣٢ «إذا تَطَيَّرْتَ فَامْضِ، وَإِذا ظَنَنْتَ فَلَا تَقْضِ، وَإِذا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ».

٣٣ «إذا حَكَمْتُمْ فَاعْدِلُوا وَإِذا قُلْتُمْ فَأَحسِنُوا فَإِنَّ اللهَ مُحْسِنٌ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ».

٣٤ «إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ لَا يُبالِي ما قالَ، أَوْ ما قِيلَ فِيهِ فَإِنَّهُ لَبَغِيٌّ أَو شَيْطَانٌ».

٣٥ «إذا رَأَيْتُمْ أَهْلَ الْبَلاءِ فَاسْأَلُوا اللهَ الْعافِيَةَ».

٣٦ «إذا سادَ القَوْمَ فاسِقُهُمْ ، وَكانَ زَعِيمُ الْقَوْمِ أَذَلَّهُمْ ، وَأُكْرِمَ الرَّجُلُ الْفاسِقُ ، فَلْيُنْتَظَرِ الْبَلاءُ» .

٣٧ «إذا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً فَلْيُتْقِنْهُ» .

٣٨ «إذا قَدَرْتَ عَلى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ» .

٣٩ «إذا قَدِمَ أَحَدُكُمْ مِنْ سَفَرٍ فَلْيَقْدِمْ مَعَهُ بِهَدِيَّةٍ ، وَلَوْ يُلْقِيْ فِي مِخْلاتِهِ حَجَراً» .

٤٠ «اِذا كانَ اثْنانِ يَتَناجَيانِ فَلا تَدْخُلْ بَيْنَهُما» .

٤١ «إذاكانَتْ أُمَراؤُكُمْ خِيارَكُمْ ، وَأَغْنِياؤُكُمْ سُمَحاءَكُمْ ، وَأُمُورُكُمْ شُورىٰ بَيْنَكُمْ ، فَظَهْرُ الأرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِها . وَإِذا كانَتْ أُمَراؤُكُمْ أَشْرارَكُمْ ، وَأَغْنِياؤُكُمْ بُخَلاءَكُمْ ، وَأُمُورُكُمْ إِلىٰ نِساءِكُمْ ، فَبَطْنُ الأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِها» .

٤٢ «إذا كانَ عِنْدَكَ ما يَكْفيكَ فَلا تَطْلُبْ ما يُطْغيكَ» .

٤٣ «إذا كانَ يَوْمُ الْقِيامَةِ لَمْ تَزِلَّ قَدَما عَبْدٍ حَتّىٰ يُسْأَلُ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْناهُ ، وَعَنْ شَبابِهِ فِيمَ أَبْلاهُ ، وَعَمّا اكْتَسَبَهُ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ حُبِّنا أَهْلَ الْبَيْتِ» .

٤٤ «إذا ماتَ الإِنْسانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلّا مِنْ ثَلاثٍ : صَدَقَةٍ جارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صالِحٍ يَدْعُو لَهُ» .

٤٥ «أُذْكُرِ اللهَ فَإِنَّهُ عَوْنٌ لَكَ عَلىٰ ما تَطْلُبُ» .

٤٦ «أَذَلُّ النّاسِ مَنْ أَهانَ النّاسَ» .

٤٧ «أَرْبَعٌ مِنْ عَلاماتِ الشَّقاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ، وَشِدَّةُ الْحِرْصِ فِي طَلَبِ الدُّنْيا، وَالْإِصْرارُ عَلَى الذَّنْبِ».

٤٨ «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كانَ فِي نُورِ اللهِ الْأَعْظَمِ: مَنْ كانَ عِصْمَةُ أَمْرِهِ شَهادَةَ أَنْ لَا إِلـهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّـي رَسُولُ اللهِ، وَمَنْ إِذا أَصابَتْهُ مُصِيبَةٌ قالَ: إِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ، وَمَنْ إِذا أَصابَ خَيْراً قالَ: الْحَمْدُ للهِ، وَمَنْ إِذا أَصابَ خَطِيئَةً قالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ».

٤٩ «أَرْبَعَةٌ تَلْزَمُ كُلَّ ذِي حِجىً وَعَقْلٍ مِنْ أُمَّتِي». قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، ما هُنَّ؟ قالَ: «اسْتِماعُ الْعِلْمِ، وَحِفْظُهُ، وَنَشْرُهُ، وَالْعَمَلُ بِهِ».

٥٠ «أَرْبَعَةٌ قَلِيلُها كَثِيرٌ: الفَقْرُ، وَالوَجَعُ، وَالْعَداوَةُ، وَالنّارُ».

٥١ «ارْحَمُوا عزيزاً ذَلَّ، وَغَنِيّاً افْتَقَرَ، وَعالِماً ضاعَ بَيْنَ جُهّالٍ».

٥٢ «ازْهَدْ فِي الدُّنْيا يُحِبُّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النّاسُ».

٥٣ «اسْتَعِينُوا عَلىٰ أُمُورِكُمْ بِالْكِتْمانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ».

٥٤ «اِشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى الزُّناةِ».

٥٥ «أَشَدُّ النّاسِ عَذاباً يَوْمَ القِيامَةِ مَنْ يُرِي النّاسَ أَنَّ فِيهِ خَيْراً وَلَا خَيرَ فيهِ».

٥٦ «أَشدُّ النّاسِ عذاباً يَوْمَ القِيامَةِ عالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ».

٥٧ «أَشَدُّكُمْ مَنْ مَلَكَ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ، وَأَحْلَمُكُمْ مَنْ عفا بَعْدَ الْمَقْدِرَةِ».

٥٨ «أَشْقَى الْأَشْقِياءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنيا وَعَذابُ الْآخِرَةِ».

٥٩ «أَصْلَحُ النّاسِ أَصْلَحُهُمْ لِلنّاسِ».

٦٠ «أُطْلُبِ العافِيَةَ لِغَيْرِكَ تُرْزَقْها في نَفْسِكَ».

٦١ «أُطْلُبوا الْفَضْلَ عِنْدَ الرُّحَماءِ مِنْ أُمَّتي تَعيشُوا في أكْنافِهِمْ، وَلَا تَطْلُبُوهُ مِنَ الْقاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ».

٦٢ «اعْتَبِرُوا الصّاحِبَ بالصّاحِبِ».

٦٣ «أَعْدَلُ النَّاسِ مَنْ رَضِيَ لِلنّاسِ ما يَرْضىٰ لِنَفْسِه، وَكَرِهَ لَهُمْ ما كَرِهَ لِنَفْسِه».

٦٤ «أعْدىٰ عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ».

٦٥ «أعْطِ السّائِلَ وَلَوْ جاءَكَ عَلىٰ فَرَسٍ، وَأعْطُوا الْأَجِيْرَ حَقَّهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ».

٦٦ «أَعْظَمُ النّاسِ فِي الدُّنْيا خَطَراً مَنْ لَمْ يَجْعَلْ لِلدُّنْيا عِنْدَهُ خَطَراً».

٦٧ «أَعْقَلُ النَّاسِ أَشَدُّهُمْ مُداراةً لِلنّاسِ».

٦٨ «إِنَّما الأعمالُ بِالنِّيّاتِ وَالخَواتيمِ».

٦٩ «الأعمالُ بِالنِّيَّةِ».

٧٠ «أَخْذُ الْأَميرِ الْهَدِيَّةَ سُحْتٌ، وَقَبُولُ القاضِي الرَّشْوَةَ كُفْرٌ».

٧١ «أَغْفَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِتَغَيُّرِ الدُّنْيا مِن حالٍ إِلىٰ حالٍ».

٧٢ «أَغْنَى النَّاسِ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحِرْصِ أَسيراً».

٧٣ «افْشُوْا السَّلَامَ، وَأطْعِمُوْا الطَّعامَ، وَصِلُوْا الْأَرْحامَ، وَصَلُّوْا بِاللَّيْلِ وَالنّاسُ نِيامٌ، تَدْخُلُوْا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ».

٧٤ «أَفْضَلُ الْأَصْحابِ مَنْ إِذا ذَكَرْتَ أعانَكَ، وَإِذا نَسِيْتَ ذَكَّرَكَ».

٧٥ «أَفْضَلُ الْأَعمالِ الْكَسْبُ مِنَ الْحَلَالِ».

٧٦ «أَفْضَلُ الْأَعمالِ أَنْ تُدْخِلَ عَلىٰ أَخيكَ الْمُؤْمِنِ سُرُوراً، أَوْ تَقْضِيَ عَنْهُ دَيْناً».

٧٧ «أَفْضَلُ الْإِيمانِ الصَّبْرُ وَالسَّماحَةُ».

٧٨ «أَفْضَلُ الْجِهادِ مَنْ أَصْبَحَ وَلَمْ يَهِمَّ بِظُلْمِ أَحَدٍ».

٧٩ «أَفْضَلُ الْحَسَناتِ تَكْرِمَةُ الْجُلَساءِ».

٨٠ «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ إِصْلَاحُ ذاتِ الْبَيْنِ».

٨١ «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْماً ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخاهُ الْمُسْلِمَ».

٨٢ «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ حِفْظُ اللِّسانِ».

٨٣ «أَفْضَلُ الْعَمَلِ النِّيَّةُ الصّادِقَةُ».

٨٤ «أَفْضَلُ الْفَضائِلِ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصْفَحَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ».

٨٥ «أَفْضَلُ النّاسِ مَنْ تَواضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ، وَزَهِدَ عَنْ غُنْيَةٍ،

وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ ، وَحَلُمَ عَنْ قُدْرَةٍ ».

٨٦ « أَفْضَلُ جِهادِ أُمَّتِي انْتِظارُ الْفَرَجِ ».

٨٧ « أَفْضَلُكُمْ إِيماناً أَحْسَنُكُمْ أَخْلاقاً ».

٨٨ « آفَةُ الْحَدِيثِ الْكِذْبُ ».

٨٩ « اقْبَلُوا الْكَرامَةَ ، وَأَفْضَلُ الْكَرامَةِ الطِّيبُ : أَخَفُّهُ حَمْلاً ، وَأَطْيَبُهُ رِيحاً ».

٩٠ « أَقْرَبُكُمْ مِنِّي غَداً فِي الْمَوْقِفِ أَصْدَقُكُمْ لِلْحَدِيثِ ، وَآداكُمْ لِلأَمانَةِ ، وَأَوْفاكُمْ بِالْعَهْدِ ، وَأَحْسَنُكُمْ خُلُقاً ، وَأَقْرَبُكُمْ مِنَ النّاسِ ».

٩١ « أَقَلُّ النّاسِ راحَةً الْبَخِيلُ ».

٩٢ « أَقَلُّ النّاسِ لَذَّةً الْحَسُودُ ».

٩٣ « أَقَلُّ ما يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمانِ أَخٌ يُوثَقُ بِهِ ، أَوْ دِرْهَمٌ مِنْ حَلالٍ ».

٩٤ « أَقِيلُوا ذَوِي الْهَناةِ عَثَراتِهِمْ ».

٩٥ « أَكْبَرُ الْكَبائِرِ سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ ».

٩٦ « أَكْبَرُ الْكَبائِرِ الإِشْراكُ بِاللهِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَعُقُوقُ الْوالِدَيْنِ ، وَشَهادَةُ الزُّورِ ».

٩٧ « إِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ شِبَعاً في الدُّنْيا أَطْوَلُهُمْ جُوعاً يَوْمَ الْقِيامَةِ ».

٩٨ « أَكْثَرُ النّاسِ قِيمَةً أَكْثَرُهُمْ عِلْماً ».

٩٩ «أكْرَمُ النّاسِ أتْقاهُمْ».

١٠٠ «أكْرِمُوا أوْلادَكُمْ، وَأحْسِنُوا آدابَهُمْ».

١٠١ «أكْرِمُوا العُلَماءَ فإنَّهُمْ وَرَثَةُ الأنْبِياءِ، فَمَنْ أكْرَمَهُمْ فقَدْ أكْرَمَ اللهَ وَرَسُولَهُ».

١٠٢ «تَقبَّلُوا لِيْ بستٍ أتَقَبَّلْ لكُمْ بِالْجَنَّةِ: اِذا حَدَّثَ أحَدُكُمْ فَلا يَكْذِبْ، وَإذا وَعَدَ فَلَا يُخْلِفْ، وَإذا ائْتُمِن فَلا يَخُنْ. غُضُّوْا أبْصارَكُمْ، وَكُفُّوْا أيْدِيَكُمْ، وَاحْفَظُوْا فُرُوجَكُمْ».

١٠٣ «الْأكْلُ في السُّوقِ دَناءَةٌ».

١٠٤ «ألَا أدُلُّكُمْ علىٰ خَيْرِ أخْلَاقِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ؟: صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ».

١٠٥ «ألَا رُبَّ شَهْوَةِ ساعَةٍ أوْرَثَتْ حُزْناً طَوِيلاً».

١٠٦ «ألَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأةٍ إلّا كانَ ثالِثُهُمَا الشَّيْطانَ».

١٠٧ «الْبَسْ جَدِيداً، وَعِشْ حَمِيداً».

١٠٨ «الْتَمِسُوا الْجارَ قَبْلَ شِرَى الدّارِ، وَالرَّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ».

١٠٩ «الْأمانَةُ تَجْلِبُ الرِّزْقَ، وَالْخِيانَةُ تَجْلِبُ الْفَقْرَ».

١١٠ «اُمِرْتُ بِمُداراةِ النّاسِ كَما اُمِرْتُ بِتَبْلِيغِ الرِّسالَةِ».

١١١ «إنَّما الْأمَلُ رَحْمَةٌ مِنَ اللهِ لِاُمَّتي. لَوْلَا الْأمَلُ ما أرْضَعَتْ اُمٌّ وَلَداً، وَلَا غَرَسَ غارِسٌ شَجَراً».

١١٢ «إنَّ أحَبَّ عِبادِ اللهِ إلَى اللهِ مَنْ حَبَّبَ إلَيْهِ الْمَعْرُوفَ وَحَبَّبَ إلَيْهِ

فِعالَهُ ».

١١٣ « إِنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عَلىٰ أُمَّتي كُلُّ مُنافِقٍ عَليمِ اللِّسانِ ».

١١٤ « إِنَّ أَشَدَّ النّاسِ نَدامَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ رَجُلٌ باعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيا غَيْرِه ».

١١٥ « إِنَّ أَعْظَمَ النّاسِ خَطايا يَوْمَ القِيامَةِ أَكْثَرُهُمْ خَوْضاً في الْباطِلِ ».

١١٦ « إِنَّ أَكْبَرَ الْإِثْمِ عِنْدَ اللهِ أَنْ يُضيعَ الرَّجُلُ مَنْ يَقُوتُ ».

١١٧ « إِنَّ أَكْثَرَ ما يُدْخِلُ النّاسَ النّارَ الْأَجْوَفانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ ».

١١٨ « إِنَّ السَّعادَةَ كُلَّ السَّعادَةِ طُولُ الْعُمْرِ في طاعَةِ اللهِ ».

١١٩ « إِنَّ الْعاقِلَ مَنْ وَحَّدَ اللهَ وَعَمِلَ بِطاعَتِهِ ».

١٢٠ « إِنَّ الْعَبْدَ إِذا أَخْطَأَ خَطيئَةً نُكِتَتْ في قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْداءُ، فَإِنْ هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتابَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِن عادَ زيدَ فيها حَتّى تَعْلُوَ عَلىٰ قَلْبِهِ، وَهُوَ الرّانُ الّذي ذَكَرَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿كَلا بَلْ رانَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ ما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ».

١٢١ « إِنَّ اللهَ لا يُطاعُ جَبْراً، وَلا يُعْصىٰ مَغْلُوباً، وَلَمْ يُهْمِلِ الْعِبادَ مِنَ الْمَمْلَكَةِ، وَلـٰكِنَّهُ الْقادِرُ عَلىٰ ما أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ، وَالْمالِكُ لِما مَلَّكَهُمْ إِيّاهُ، فَإِنَّ الْعِبادَ إِنِ ائْتَمَرُوا بِطاعَةِ اللهِ لَمْ يَكُنْ مِنْها مانِعٌ، وَلا عَنْها صادٌّ، وَإِنْ عَمِلُوا بِمَعْصِيَتِهِ فَشاءَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَها فَعَلَ؛ وَلَيْسَ مَنْ إِنْ شاءَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيْءٍ فَعَلَ وَلَمْ يَفْعَلْهُ فَأَتاهُ الَّذي فَعَلَهُ كانَ هُوَ الَّذي أَدْخَلَهُ فيهِ».

١٢٢ « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّ الْكِذْبَ في الصَّلاحِ، وَأَبْغَضَ الصِّدْقَ في الْفَسادِ ».

١٢٣ «إِنَّ اللهَ أَوْحىٰ إِلَيَّ أَنْ تَواضَعوا حَتّىٰ لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلىٰ أَحَدٍ».

١٢٤ «إِنَّ اللهَ جَبَلَ قُلُوبَ عِبادِهِ عَلىٰ حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْها، وَبُغْضِ مَنْ أَساءَ إِلَيْها».

١٢٥ «إِنَّ اللهَ تَعالىٰ لَا يَهْتِكُ سِتْرَ عَبْدٍ فيهِ مِثْقالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ».

١٢٦ «إِنَّ اللهَ لَيَدْرَءُ بِالصَّدَقَةِ سَبْعينَ مِيْتَةً مِنَ السُّوءِ».

١٢٧ «إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُباهِي بِالشّابِّ العابِدِ المَلَائِكَةَ، يَقُولُ انْظُرُوا إِلى عَبْدِي تَرَكَ شَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي».

١٢٨ «إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُبْغِضُ الْفاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ».

١٢٩ «إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُحِبُّ إِغاثَةَ اللَّهْفانِ».

١٣٠ «إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُحِبُّ الرِّفْقَ في الْأَمْرِ كُلِّه».

١٣١ «إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُحِبُّ مِنْ عِبادِهِ الْغَيُورَ».

١٣٢ «إِنَّ اللهَ تَعالىٰ يُوصيكُمْ بِالنِّساءِ خَيْراً فَإِنَّهُنَّ أُمَّهاتُكُمْ وَبَناتُكُمْ وَخالَاتُكُمْ».

١٣٣ «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الشَّيْخَ الزّانِي، وَالْغَنِيَّ الظَّلُومَ، وَالْفَقِيرَ الْمُخْتالَ، وَالسّائِلَ الْمُلْحِفَ، وَيُحْبِطُ أَجْرَ الْمُعْطِي الْمَنّانِ، وَيَمْقُتُ الْبَذِيخَ الْجَرِيَّ الْكَذّابَ».

١٣٤ «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ إِذا أَنْعَمَ عَلىٰ عَبْدِهِ أَنْ يُرىٰ أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَيُبْغِضُ الْبُؤْسَ وَالتَّباؤُسَ».

١٣٥ «إنَّ المُتَحابِّينَ في اللهِ في ظِلِّ العَرْشِ».

١٣٦ «إنَّ الْمُؤْمِنَ يَأْخُذُ بِأَدَبِ اللهِ، إذا أَوْسَعَ اللهُ عَلَيْهِ اتَّسَعَ، وَإذا أَمْسَكَ عَنْهُ أَمْسَكَ».

١٣٧ «اِعْلَمْ أَنَّ النَّصرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الفَرجَ مَعَ الكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً».

١٣٨ «إنّا مَعاشِرَ الْأَنْبِياءِ أُمِرْنا أَنْ نُكَلِّمَ النّاسَ عَلىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ».

١٣٩ «إنَّ أَوْثَقَ عُرَى الإسْلامِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ».

١٤٠ «الْأَناةُ مِنَ اللهِ وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطانِ».

١٤١ «أَنْتَ وَمالُكَ لِأَبيكَ».

١٤٢ «إنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإيمانِ».

١٤٣ «إنَّ خِيارَ عِبادِ اللهِ الْمُوفُونَ الْمُطيبُونَ».

١٤٤ «إنَّ في الْجَنَّةِ داراً يُقالُ لَها دارُ الفَرَحِ لَا يَدْخُلُها إلَّا مَنْ فَرَّحَ يَتامَى المُؤْمِنينَ».

١٤٥ «إن في الْمالِ حَقّاً سِوَى الزَّكاةِ».

١٤٦ «اِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النّاسَ بِأَمْوالِكُمْ وَلكِنْ سَعُوهُمْ بِأَخْلاقِكُمْ».

١٤٧ «إنَّ هٰذِهِ القُلُوبَ تَصْدَءُ كَما يَصْدَءُ الْحَديدُ». قيلَ: فَما جَلاءُها؟ قالَ: «ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَتِلاوَةُ الْقُرْآنِ».

١٤٨ «إنَّ للهِ عِباداً خَلَقَهُمْ لِحَوائِجِ النّاسِ».

١٤٩ «إنَّ للهِ تَعالىٰ عِباداً اخْتَصَّهُمْ بِحَوائِجِ النّاسِ، يَفْزَعُ النّاسُ إلَيْهِمْ

فِي حَوائِجِهِمْ أُولـئِكَ الآمِنُونَ مِنْ عَذابِ اللهِ».

١٥٠ «إنَّما أَخافُ عَلىٰ أُمَّتِي ثَلاثاً: شُحّاً مُطاعاً، وَهَوىً مُتَّبعاً، وَإِماماً ضالاًّ».

١٥١ «إنّما بَقِيَ مِنَ الدُّنيا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ».

١٥٢ «إنَّما يُدْرَكُ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِالْعَقْلِ، وَلَا دينَ لِمَنْ لا عَقْلَ لَهُ».

١٥٣ «إنَّ مِنَ الشِّعْرِ حُكْماً ـ وَرُوِي حِكْمَةً ـ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيانِ سِحْراً».

١٥٤ «إنَّ مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ عَلىٰ والِدِه: أَنْ يُعَلِّمَهُ الْكِتابَةَ، وَأَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ، وَأَنْ يُزوِّجَهُ إِذا بَلَغَ».

١٥٥ «إنَّ مِنْ مُوْجِباتِ الْمَغْفِرَةِ: بَذْلَ السَّلامِ، وَحُسْنَ الْكَلامِ».

١٥٦ «أَوْثَقُ سِلاحِ إِبْليسَ النِّساءُ».

١٥٧ «أَوْصانِي رَبِّي بِتِسْع: أَوْصانِي بِالْإِخْلَاصِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلِ فِي الرِّضا وَالْغَضَبِ، وَالْقَصْدِ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنىٰ، وَأَنْ أَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأُعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي، وَأَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَنْ يَكُونَ صَمْتِي فِكْراً، وَمَنْطِقِي ذِكْراً، وَنَظَرِي عِبَراً».

١٥٨ «أُوصيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللهِ كَما تَسْتَحي مِنَ الرَّجُلِ الصّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ».

١٥٩ «أُوصيكُمْ بِالْجارِ».

١٦٠ «أَوَّلُ ما يُوزَنُ في الْميزانِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ».

١٦١ «أَهْلُ الْجَوْرِ وَأَعْوانُهُمْ في النّارِ».

١٦٢ «إيّاكُمْ وَالطَّمَعَ ، فَإِنَّهُ هُوَ الْفَقْرُ الحاضِرُ».

١٦٣ «إيّاكُمْ وَالْغُلُوَّ في الدِّينِ ، فَإِنّما هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ في الدِّين».

١٦٤ «إيّاكُمْ وَتَخَشُّعَ النِّفاقِ ، وَهُوَ أَنْ يُرَى الْجَسَدُ خاشِعاً وَالْقَلْبُ لَيْسَ بِخاشِعٍ».

١٦٥ «إيّاكُمْ وخَضْراءَ الدِّمَنِ». قيلَ : وَما خَضْراءُ الدِّمَنِ ؟ قالَ : «الْمَرْأَةُ الْحَسْناءُ في مَنْبَتِ سُوءٍ».

١٦٦ «إيّاكَ وَخَصْلَتَيْنِ : الضَّجَرَ ، وَالكَسَلَ ، فَإِنَّكَ إِن ضَجِرْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَلىٰ حَقٍّ ، وَإِن كَسِلْتَ لَمْ تُؤَدِّ حَقّاً».

١٦٧ «إيّاكَ وَقَرِيْنَ السُّوْءِ فَإِنَّك بِهِ تُعْرَفُ».

١٦٨ «إيّاكَ وَكُلَّ آمرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ».

١٦٩ «الْأَيْدِي ثَلاثَةٌ : سائِلَةٌ ، وَمُنْفِقَةٌ ، وَمُمْسِكَةٌ ، وَخَيْرُ الْأَيْدِي الْمُنْفِقَةُ».

١٧٠ «أَيُّما راعٍ لَمْ يَرْحَمْ رَعِيَّتَهُ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

١٧١ «الْإيمانُ بِالْقَدَرِ يُذْهِبُ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ».

١٧٢ «الْإيمانُ نِصْفانِ ؛ نِصْفٌ فِي الصَّبْرِ ، وَنِصْفٌ فِي الشُّكْرِ».

١٧٣ «أَيُّهَا النّاسُ ماجاءَكُمْ عَنّي يُوافِقُ كِتابَ اللهِ فَأَنَا قُلْتُهُ ، وَماجاءَكُمْ يُخالِفُ كِتابَ اللهِ فَلَمْ أَقُلْهُ».

١٧٤ «باكِرُوا بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ الْبَلاءَ لَا يَتَخَطّى الصَّدَقَةَ».

١٧٥ « بِرُّ الْوالِدَيْنِ يَزيدُ في الْعُمْرِ ، وَالكِذْبُ يَنْقُصُ الرِّزْقَ ، والدُّعاءُ يَرُدُّ الْقَضاءَ » .

١٧٦ « الْبَطانَةُ تُقْسِي الْقَلْبَ » .

١٧٧ « بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ » .

١٧٨ « بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ » .

١٧٩ « التّاجِرُ يَنْتَظِرُ الرِّزْقَ ، وَالْمُحْتَكِرُ يَنْتَظِرُ اللَّعْنَةَ » .

١٨٠ « التَّحَدُّثُ بِنِعَمِ اللهِ شُكْرٌ ، وَتَرْكُهُ كُفْرٌ ، وَمَنْ لَا يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَا يَشْكُرِ الْكَثيرَ ، وَمَنْ لَا يَشْكُرِ النّاسَ لَا يَشْكُرِ اللهَ ، وَالجَماعَةُ خَيْرٌ ، وَالْفُرْقَةُ عَذابٌ » .

١٨١ « تُحْفَةُ الْمُؤْمِنِ الْمَوْتُ » .

١٨٢ « تَرْكُ الشَّرِّ صَدَقَةٌ » .

١٨٣ « تَصافَحُوا يَذْهَبِ الْغِلُّ عَنْ قُلُوبِكُمْ » .

١٨٤ « تَصَدَّقُوا ، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ فَكاكُكُمْ مِنَ النّارِ » .

١٨٥ « تَعَلَّمُوْا الْعِلْمَ ، وَتَعَلَّمُوْا لِلْعِلْمِ السَّكِيْنَةَ ، وَالْوَقارَ ، وَتَواضَعُوْا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ » .

١٨٦ « تَفَرَّغوا مِنْ هُمُومِ الدُّنْيا مَا اسْتَطَعْتُمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ كانَتِ الدُّنْيا أَكْبَرَ هَمِّه أَفْشَى اللهُ ضَيعَتَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، وَمَنْ كانَتِ الآخِرَةُ أَكْبَرَ هَمِّه جَمَعَ اللهُ تَعالى أَمرَهُ وَجَعَلَ غِناهُ في قَلْبِه » .

١٨٧ « تَفَكَّرُوا في آلاءِ اللهِ ، وَلَا تَفَكَّرُوا في اللهِ » .

١٨٨ « تَفَكَّرُوا في خَلْقِ اللهِ ، وَلَا تَفكَّرُوا في اللهِ فَتَهْلِكُوا » .

١٨٩ « تَواضَعُوا لِمَنْ تَعَلَّمُونَ مِنْهُ ، وَتَواضَعُوا لِمَنْ تُـعَلِّمُونَهُ ، وَلَا تَكُونُوا جَبابِرَةَ الْعُلَماء » .

١٩٠ « تَهادُوْا تَزْدادُوا حُبّاً ، وَهاجِرُوا تُورِثُوا أَبْناءَكُمْ مَجْداً ، وَأَقيلُوا الْكِرامَ عَثَراتِهِم » .

١٩١ « ثَلَاثٌ مِنْ أَبْوابِ الْبِرِّ : سَخاءُ النَّفْسِ ، وَطيبُ الْكَلَامِ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْأَذىٰ » .

١٩٢ « ثَلَاثَةٌ مُجالَسَتُهُمْ تُميتُ الْقَلْبَ : الْجُلُوسُ مَعَ الْأَنْذالِ ، وَالْحَديثُ مَعَ النِّساءِ ، وَالْجُلُوسُ مَعَ الْأَغْنِياءِ » .

١٩٣ « ثَلَاثٌ مُهْلِكاتٌ وَثَلاثٌ مُنْجِياتٌ ؛ فَالْمُهْلِكاتُ : شُحٌّ مُطاعٌ ، وَهَوىً مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ ، وَالثَّلَاثُ الْمُنْجِياتُ : خَشْيَةُ اللهِ في السِّرِّ وَالعَلانِيَةِ ، وَالْقَصْدُ فـي الْغِنىٰ وَالْفَقْرِ ، وَالعَدْلُ في الْغَضَبِ وَالرِّضا » .

١٩٤ « جاهِدُوا أَهواءَكُمْ تَمْلِكُوا أَنْفُسَكُمْ » .

١٩٥ « جُلَساءُ اللهِ غَداً أَهْلُ الْوَرَعِ وَالزُّهْدِ في الدُّنْيا » .

١٩٦ « الْجَماعَةُ رَحمَةٌ ، وَالْفُرْقَةُ عَذابٌ » .

١٩٧ « جَمالُ الْمَرْءِ فَصاحَةُ لِسانِهِ » .

١٩٨ « الْجَمالُ في الرَّجُلِ اللِّسانُ » .

١٩٩ « الْجَمالُ فِي اللِّسانِ » .

٢٠٠ «حُبُّ الثَّناء مِنَ النّاسِ يُعْمي وَيُصِمُّ».

٢٠١ «حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ».

٢٠٢ «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ».

٢٠٣ «الْحُرُماتُ الَّتِي تَلْزَمُ كُلَّ مُؤْمِنٍ رِعايَتُها وَالْوَفاءُ بِـها: حُـرْمَةُ الدِّينِ، وَحُرْمَةُ الْأَدَبِ، وَحُرْمَةُ الطَّعامِ».

٢٠٤ «حَرَّمَ اللهُ الْخَمْرَ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرامٌ».

٢٠٥ «حُسْنُ الْبِشْرِ يُذْهِبُ بِالسَّخِيْمَةِ».

٢٠٦ «حُسْنُ الْخُلُقِ يَبْلُغُ بِصاحِبِهِ دَرَجَةَ الصّائِمِ الْقائِمِ». فَقِيلَ لَهُ: ما أَفْضَلُ ما أُعْطِيَ الْعَبْدُ؟ قالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ».

٢٠٧ «حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبادَةِ».

٢٠٨ «إِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمانِ».

٢٠٩ «حُسْنُ الْمَسْأَلَةِ نِصْفُ الْعِلْمِ، وَالرِّفْقُ نِصْفُ الْعَيْشِ».

٢١٠ «حَسِّنُوا لِباسَكُمْ، وَأَصْلِحُوا رِحالَكُمْ، حَتّىٰ تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شامَةٌ في النّاسِ».

٢١١ «حَصِّنُوا أَمْوالَكُمْ بِالزَّكاةِ، وَداوُوا مَرْضاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَأَعِدُّوا لِلْبَلاءِ الدُّعاءَ».

٢١٢ «الْحَلالُ ما أَحَلَّ اللهُ في كِتابِهِ، وَالْحَرامُ ما حَرَّمَ اللهُ في كِتابِهِ، وَما سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمّا عُفِيَ عَنْهُ».

٢١٣ «الْحَمْدُ عَلَى النِّعْمَةِ أَمانٌ لِزَوالِها».

٢١٤ «الْحَياءُ حَياءانِ: حَياءُ عَقْلٍ، وَحَياءُ حُمْقٍ، فَحَياءُ الْعَقْلِ الْعِلْمُ، وَحَياءُ الْحُمْقِ الْجَهْلُ».

٢١٥ «الْحَياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ».

٢١٦ «الْحَياءُ مِنَ الْإيمانِ».

٢١٧ «الحَياءُ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ».

٢١٨ «خِدْمَتُكَ زَوْجَتَكَ صَدَقَةٌ».

٢١٩ «خَشْيَةُ اللهِ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ، وَالوَرَعُ سَيِّدُ الْعَمَلِ».

٢٢٠ «خَصْلَتانِ لا يَجْتَمِعانِ في مُؤْمِنٍ: الْبُخْلُ، وَسُوءُ الخُلُقِ».

٢٢١ «خَصْلَتانِ لَيْسَ فَوْقَهُما مِنَ البِرِّ شَيْءٌ: الْإيمانُ بِاللهِ، وَالنَّفْعُ لِعِبادِ اللهِ».

٢٢٢ «خَلَّتانِ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ فِيهِما مَفْتُونٌ: الصِّحَّةُ وَالْفَراغُ».

٢٢٣ «الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيالُ اللهِ فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيالِه».

٢٢٤ «خِيارُ الْمُؤْمِنينَ الْقانِعُ، وَشِرارُهُمُ الطَّامِعُ».

٢٢٥ «خِيارُكُمْ مَنْ ذَكَّرَكُمْ بِاللهِ رُؤْيَتُهُ، وَزادَ في عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَرَغَّبَكُمْ في الْآخِرَةِ عَمَلُهُ».

٢٢٦ «الْخِيانَةُ تَجُرُّ الْفَقْرَ».

٢٢٧ «خَيْرُ أَبْوابِ الْبِرِّ الصَّدَقَةُ».

٢٢٨ «خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُها».

٢٢٩ «خَيْرُ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ مَعَ العِلْمِ، وَ شَرُّ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ مَعَ الْجَهْلِ».

٢٣٠ «خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ ما يَكْفي».

٢٣١ «خَيْرُ الصَّدَقَةِ ما أَبْقَتْ غِنىً، وَالْيَدُ الْعُلْيا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلىٰ، وَابْدَءْ بِمَنْ تَعُولُ».

٢٣٢ «خَيْرُ الْعَمَلِ أَنْ تُفارِقَ الدُّنْيا وَلِسانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ».

٢٣٣ «خَيْرُ الْكَسْبِ كَسْبُ يَدِ الْعامِلِ إِذا نَصَحَ».

٢٣٤ «خَيْرُ الْمَجالِسِ أَوْسَعُها».

٢٣٥ «خَيْرُ النّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنّاسِ».

٢٣٦ «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طالَ عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ، وَشَرُّ النَّاسِ مَنْ طالَ عُمْرُهُ، وَساءَ عَمَلُهُ».

٢٣٧ «خَيْرُ دينِكُمُ الْوَرَعُ».

٢٣٨ «خَيْرُ شَبابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِالْكُهُولِ، وَشَرُّ كُهُولِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشَبابِكُمْ».

٢٣٩ «الْخَيْرُ كَثِيْرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِ قَلِيْلٌ».

٢٤٠ «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلي ما أَكْرَمَ النِّساءَ إِلّا كَريمٌ وَلَا أَهانَهُنَّ إِلّا لَئيمٌ».

٢٤١ «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسائِهِ وَلِبَناتِهِ».

٢٤٢ «خَيْرُكُمْ مَنْ أَعانَهُ اللهُ عَلىٰ نَفْسِهِ فَمَلَكَها».

٢٤٣ «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرآنَ وَعَلَّمَهُ».

٢٤٤ «خَيْرُ ما يُخَلِّفُ الْإِنْسانُ بَعْدَهُ ثَلاثٌ: وَلَدٌ صالِحٌ يَدْعُو لَهُ،

وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُها ، وَعِلْمٌ يَنْتَفِعُ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ » .

٢٤٥ « خَيْرُ مَساجِدِ النِّساءِ قَعْرُ بُيُوتِهِنَّ » .

٢٤٦ « خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ مُعْطِيهِ ، وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ فاعِلُهُ » .

٢٤٧ « خَيْرُهُنَّ أَيْسَرُهُنَّ صِداقاً » .

٢٤٨ « دَعْ قيلَ وَقالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤالِ ، وَإِضاعَةَ الْمالِ » .

٢٤٩ « دَعْ ما يُرِيبُكَ إِلى ما لَا يُرِيبُكَ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَجِدَ فَقْدَ شَيْءٍ تَرَكْتَهُ لِلَّهِ » .

٢٥٠ « دَلِيْلُ الْخَيْرِ كَفاعِلِه » .

٢٥١ « الدُّنْيا دُوَلٌ ، فَماكانَ لَكَ أَتاكَ عَلىٰ ضَعْفِكَ ، وَماكانَ مِنْها عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ » .

٢٥٢ « الدُّنْيا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكافِرِ » .

٢٥٣ « الدُّنْيا مَتاعٌ ، وَخَيْرُ مَتاعِهَا الْمَرْأَةُ الصّالِحَةُ » .

٢٥٤ « الدِّينُ النَّصيحَةُ » .

٢٥٥ « ذِكْرُ اللهِ شِفاءُ الْقُلُوبِ » .

٢٥٦ « رَأْسُ الدّينِ الْوَرَعُ » .

٢٥٧ « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمانِ بِاللهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ ، وَاصْطِناعُ الْمَعْرُوفِ إِلى كُلِّ بَرٍّ وفاجِرٍ » .

٢٥٨ « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمانِ بِاللهِ الْحَياءُ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ » .

٢٥٩ « رُبَّ حامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقيهٍ ، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ ضَرَّهُ جَهْلُهُ » .

٢٦٠ «أَلَا رُبَّ شَهْوَةِ ساعَةٍ أَوْرَثَتْ حُزْناً طَويلاً».

٢٦١ «رُبَّ عابِدٍ جاهِلٍ، وَرُبَّ عالِمٍ فاجِرٍ، فَاحذَرُوا الْجُهّالَ مِنَ الْعِبادِ، وَالْفُجّارَ مِنَ الْعُلَماء».

٢٦٢ «رَحِمَ اللهُ امْرَءاً أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِه، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مالِه».

٢٦٣ «رَحِمَ اللهُ والِداً أَعانَ وَلَدَهُ عَلىٰ بِرِّه».

٢٦٤ «رَحِمَ اللهُ عَبْداً قالَ خَيْراً فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ عَنْ سُوءٍ فَسَلِمَ».

٢٦٥ «رَحِمَ اللهُ عَيْناً بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَرَحِمَ اللهُ عَيْناً سَهِرَتْ في سَبيلِ اللهِ».

٢٦٦ «رِضَا الرَّبِّ في رِضَا الْوالِدِ، وَسُخْطُ الرَّبِّ في سُخْطِ الْوالِدِ».

٢٦٧ «رِضَا الرَّبِّ في رِضَا الْوالِدَيْنِ، وَسُخْطُهُ في سُخْطِهِما».

٢٦٨ «الرِّضاعُ يُغَيِّرُ الطِّباعَ».

٢٦٩ «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطأُ، وَالنِّسْيانُ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ».

٢٧٠ «رَوِّحُوا الْقُلُوبَ ساعَةً بِساعَةٍ».

٢٧١ «زُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّها تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ».

٢٧٢ «الزُّهْدُ في الدُّنْيا يُريحُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ، وَالرَّغْبَةُ فيها تُتْعِبُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ».

٢٧٣ «الزَّهادَةُ في الدُّنْيا لَيْسَتْ بِتَحْريمِ الْحَلَالِ، وَلَا إِضاعَةِ الْمالِ، وَلٰكِنِ الزَّهادَةُ في الدُّنْيا أَنْ لَا تَكُونَ بِما في يَدَيْكَ أَوْثَقَ مِنْكَ بِما في يَدِ اللهِ، وَأَنْ تَكُونَ في ثَوابِ الْمُصيبَةِ إِذا أَنْتَ أُصِبْتَ

بِها أَرْغَبَ مِنْكَ فيها لَوْ أَنَّها أُبْقِيَتْ لَكَ ».

٢٧٤ « زِنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ ».

٢٧٥ « سائِلُوا الْعُلَماءَ ، وَخاطِبُوا الْحُكَماءَ ، وَجالِسُوا الْفُقَراءَ ».

٢٧٦ « سابُّ الْمَوْتىٰ كَالْمُشْرِفِ عَلَى الْهَلَكَةِ ».

٢٧٧ « السّاعي عَلَى الْأَرْمِلَةِ وَالْمِسْكينِ كَالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللهِ ، أَوِ الْقائِمِ اللَّيْلَ الصّائِمِ النَّهار ».

٢٧٨ « سَتَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمارَةِ ، ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْكُمْ حَسْرَةً ونَدامَةً ، فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ ، وَبِئْسَتِ الْفاطِمَةُ ».

٢٧٩ « سَخافَةٌ بِالْمَرْءِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ ضَيْفَهُ ».

٢٨٠ « سُرْعَةُ الْمَشْيِ يَذْهَبُ بِبَهاءِ الْمُؤْمِنِ ».

٢٨١ « السُّلْطانُ الْعادِلُ ظِلُّ اللهِ في الْأَرْضِ ، فَإِذا دَخَلَ أَحَدُكُمْ بَلَداً لَيْسَ بِهِ سُلْطانٌ عادِلٌ فَلَا يُقيمَنَّ بِه ».

٢٨٢ « السُّلْطانُ الْعادِلُ ظِلُّ اللهِ في الْأَرْضِ فَمَنْ أَكْرَمَهُ أَكْرَمَهُ اللهُ ، وَمَنْ أَهانَهُ أَهانَهُ اللهُ ».

٢٨٣ « السُّلْطانُ الْعادِلُ ظِلُّ اللهِ في الْأَرْضِ ؛ يَأْوي إِلَيْهِ الضَّعيفُ ، وَبِهِ يَنْتَصِرُ الْمَظْلُومُ ».

٢٨٤ « سَلُوا اللهَ العَفْوَ وَالعافِيَةَ ، فَإِنَّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقينِ خَيْراً مِنَ الْعافِيَةِ ».

٢٨٥ « سَلُوا اللهَ عِلْماً نافِعاً ، وَتَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ».

٢٨٦ «السَّماحُ رِباحٌ، وَالْعُسْرُ شُؤْمٌ».

٢٨٧ «سُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ».

٢٨٨ «سَيِّدُ الْقَوْمِ خادِمُهُمْ، وَساقيهِمُ آخِرُهُمْ شَراباً».

٢٨٩ «شابٌّ سَخِيٌّ حَسَنُ الخُلُقِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ شَيْخٍ بَخيلٍ عابِدٍ سَيِّئِ الْخُلُقِ».

٢٩٠ «الشَّبابُ شُعْبَةٌ مِنَ الْجُنُونِ».

٢٩١ «شَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَشَرُّ الْعَمىٰ عَمَى الْقَلْبِ، وَشَرُّ الْعِذْرَةِ حينَ يَحْضُرُ الْمَوْت، وَشَرُّ النَّدامَةِ يَوْمَ الْقِيامَةِ، وَشَرُّ الْمَأْكَلِ أَكْلُ مالِ الْيَتيم، وَشَرُّ الْمَكاسِبِ كَسْبُ الرِّبا».

٢٩٢ «شَرُّ النّاسِ الْمُضَيِّقُ عَلىٰ أَهْلِه».

٢٩٣ «شَرُّ النّاسِ مَنْ يَبْغُضُ النّاسَ وَيَبْغُضُونَهُ».

٢٩٤ «الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ في بَطْنِ أُمِّهِ».

٢٩٥ «الشَّيْخُ شابٌّ في حُبِّ اثْنَتَيْنِ: في حُبِّ طُولِ الْحَياةِ، وَكَثْرَةِ الْمالِ».

٢٩٦ «الصّائِمُ فِي عِبادَةٍ وَإِنْ كانَ نائِماً عَلىٰ فِراشِهِ ما لَمْ يَغْتَبْ مُسْلِماً».

٢٩٧ «الصِدْقُ طُمَأْنينَةٌ، وَالكِذْبُ ريبَةٌ».

٢٩٨ «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتطْفِي غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ ميتَةَ السُّوءِ».

٢٩٩ «الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعينَ باباً مِنَ السُّوءِ».

٣٠٠ « صِلْ مَنْ قَطَعَك ، وَأَحْسِنْ إلى مَنْ أَساءَ إِلَيْك ، وَقُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلىٰ نَفْسِكَ » .

٣٠١ « صِلْ مَنْ قطعَك ، وَأَعْطِ مَنْ حرَمَك ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ » .

٣٠٢ « صِلُوا أَرْحامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ » .

٣٠٣ « صِلَةُ الرَّحِمِ تَزيدُ في الْعُمْرِ ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ » .

٣٠٤ « صِنْفانِ مِنَ النّاسِ إذا صَلُحا صَلُحَ النّاسُ ، وَإِذا فَسَدا فَسَدَ النّاسُ : الْعُلَماءُ وَالْأُمَراءُ » .

٣٠٥ « صَوْتانِ يُبْغِضُهُما اللهُ : إِعْوالٌ عِنْدَ مُصيبَةٍ ، وَمِزْمارٌ عِنْدَ نِعْمَةٍ » .

٣٠٦ « الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنْ عَذابِ اللهِ » .

٣٠٧ « الطّاعِمُ الشّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصّائِمِ الصّابِرِ » .

٣٠٨ « طَعامُ السَّخيِّ دَواءٌ ، وَطَعامُ الشَّحيحِ داءٌ » .

٣٠٩ « الطَّمَعُ يُذْهِبُ الْحِكْمَةَ مِنْ قُلُوبِ الْعُلَماءِ » .

٣١٠ « طُوبىٰ لِمَنْ طالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ فَحَسُنَ مُنْقَلَبُهُ إِذْ رَضِيَ عَنْهُ رَبُّهُ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ طالَ عُمْرُهُ وَساءَ عَمَلُهُ فَساء مُنْقَلَبُهُ إِذْ سَخِطَ عَلَيْهِ رَبُّهُ » .

٣١١ « طُوبىٰ لِمَنْ مَلَكَ لِسانَهُ ، وَبَكىٰ عَلىٰ خَطيئَتِه » .

٣١٢ « الظَّلَمَةُ وَأَعْوانُهُمْ في النّارِ » .

٣١٣ « الْعِبادَةُ سَبْعَةُ أَجْزاءٍ ؛ أَفْضَلُها طَلَبُ الْحَلالِ » .

٣١٤ «عَجَباً لِلْمُؤْمِنِ لَا يَقْضِي اللهُ عَلَيْهِ قَضاءً إِلَّا كانَ خَيْراً لَهُ، سَرَّهُ أَوْ ساءَهُ، إِنِ ابْتَلَاهُ كانَ كَفَّارَةً لِذَنْبِهِ، وَإِنْ أَعْطاهُ وَأَكْرَمَهُ كانَ قَدْ حَباهُ».

٣١٥ «العَدْلُ حَسَنٌ وَلكِنْ في الْأُمَراءِ أَحْسَنُ، السَّخاءُ حَسَنٌ وَلـكِنْ في الْأَغْنِياءِ أَحْسَنُ، الْوَرَعُ حَسَنٌ وَلـكِنْ في الْعُلَماءِ أَحْسَنُ، الصَّبْرُ حَسَنٌ وَلـكِنْ في الْفُقَراءِ أَحْسَنُ، التَّوْبَةُ حَسَنٌ وَلـكِنْ في الشَّبابِ أَحْسَنُ، الْحَياءُ حَسَنٌ وَلـكِنْ في النِّساء أَحْسَنُ».

٣١٦ «عَدْلُ ساعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سَنَةٍ».

٣١٧ «عُدْ مَنْ لَا يَعُودُكَ، وَاهْدِ لِمَنْ لَا يَهْدي لَكَ».

٣١٨ «عِدَةُ الْمُؤْمِنِ كَأَخْذٍ بِالْيَدِ».

٣١٩ «الْعِدَةُ دَيْنٌ، وَيْلٌ لِمَنْ وَعَدَ ثُمَّ أَخْلَفَ! وَيْلٌ لِمَنْ وَعَدَ ثُمَّ أَخْلَفَ! وَيْلٌ لِمَنْ وَعَدَ ثُمَّ أَخْلَفَ».

٣٢٠ «عَرامَةُ الصَّبِيِّ في صِغَرِهِ زِيادَةٌ في عَقْلِهِ في كِبَرِهِ».

٣٢١ «عِشْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ ما أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفارِقُهُ، وَاعْمَلْ ما شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ».

٣٢٢ «الْعَفافُ زِينَةُ النِّساءِ».

٣٢٣ «عَفْوُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ ذُنُوبِكَ».

٣٢٤ «عَلَامَةُ رِضَى اللهِ عَنْ خَلْقِهِ رَخْصُ أَسْعارِهِمْ، وَعَدْلُ سُلْطَانِهِمْ. وَعَلَامَةُ غَضَبِ اللهِ عَلىٰ خَلْقِهِ جَوْرُ سُلْطانِهِمْ، وَغَلَاءُ أَسْعارِهِمْ».

٣٢٥ « الْعِلْمُ وَالْمالُ يَسْتُرانِ كُلَّ عَيْبٍ ، وَالجَهْلُ وَالْفَقْرُ يَكْشِفانِ كُلَّ عَيْبٍ ».

٣٢٦ « عَلَيْكَ بِالرِّفْقِ ، وَإيّاكَ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ ».

٣٢٧ « عَلَيْكَ بِالْيَأْسِ مِمّا في أَيْدِي النّاسِ ، وَإيّاكَ وَالطَّمَعَ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الحاضِرُ ».

٣٢٨ « عَلَيْكُمْ بِالْصِّدْقِ فَإِنَّهُ بابٌ مِنَ أَبْوابِ الْجَنَّةِ ، وَإِيّاكُمْ وَالْكِذْبَ فَإِنَّهُ بابٌ مِنْ أَبْوابِ النّار ».

٣٢٩ « عَمَى الْقَلْبِ الضَّلالَةُ بَعْدَ الْهُدىٰ ».

٣٣٠ « غريبتانِ كَلِمَةُ حِكْمَةٍ مِنْ سَفيهٍ فَاقْبَلُوها ، وَكَلِمَةُ سَيِّئَةٍ مِنْ حَكيمٍ فاغْفِرُوها ».

٣٣١ « الْغِلُّ وَالْحَسُدُ يَأْكُلانِ الْحَسَناتِ كَما تَأْكُلُ النّارُ الْحَطَبَ ».

٣٣٢ « الْغِيبَةُ ذِكْرُكَ أَخاكَ بِما يَكْرَهُ ».

٣٣٣ « فُضُوحُ الدُّنْيا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الْآخِرَةِ ».

٣٣٤ « فِكْرَةُ ساعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبادَةِ سِتّينَ سَنَةً ».

٣٣٥ « الْقُرآنُ هُوَ الدَّواءُ ».

٣٣٦ « قُلِ الْحَقَّ وَإن كانَ مُرّاً ».

٣٣٧ « قَلْبُ الشَّيْخِ شاب على حُبِّ اثْنَتَيْنِ : حُبُّ الْعَيْشِ وَالْأَملِ ».

٣٣٨ « قِلَّةُ الْعِيالِ أَحَدُ الْيَسارَيْنِ ».

٣٣٩ «الْقَناعَةُ مالٌ لَا يَنْفَدُ».

٣٤٠ «قُوا بِأَمْوالِكُمْ عَنْ أَعْراضِكُمْ».

٣٤١ «قُولُوا خَيْراً تَغْنَمُوا، وَاسْكُتُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا».

٣٤٢ «قَيِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتابِ».

٣٤٣ «الْكاسِبُ مِنْ يَدِهِ خَليلُ اللهِ».

٣٤٤ «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ الْأَكْلُ مِنْ غَيْرِ جُوعٍ، وَالنَّوْمُ مَنْ غَير سَهَرٍ، وَالضِّحْكُ مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ».

٣٤٥ «كَثْرَةُ الضَّحِكِ تُميتُ الْقَلْبَ».

٣٤٦ «الْكِذْبُ كُلُّهُ إِثْمٌ إِلّا ما نَفَعَ بِه مُسْلِمٌ».

٣٤٧ «الْكَرَمُ التَّقْوىٰ، وَالشَّرَفُ التَّواضُعُ، وَالْيَقينُ الْغِنىٰ».

٣٤٨ «كَرَمُ الْمَرْءِ دينُهُ، ومُرُوَّتُهُ عَقْلُهُ، وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ».

٣٤٩ «كَفّارَةُ الذَّنْبِ النَّدامَةُ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَاَتَى اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ لِيَغْفِرَ لَهُمْ».

٣٥٠ «كَفىٰ بِالدَّهْرِ واعِظاً وَبِالْمَوْتِ مُفَرِّقاً».

٣٥١ «كَفىٰ بِالْمَرْءِ إِثْماً أَنْ يُضِيعَ مَنْ يَقوتُ».

٣٥٢ «كَفىٰ بِالْمَرْءِ عِلْماً أَنْ يَخْشَى اللهَ، وَكَفىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلاً أَنْ يُعْجَبَ بِنَفْسِه».

٣٥٣ «كَفىٰ بِالْمَرْءِ فِقْهاً إِذا عَبَدَ اللهَ، وَكَفىٰ بِالْمَرْءِ جَهْلاً إِذا

أُعْجِبَ بِرَأْيِه ».

٣٥٤ « كَفىٰ بِالْمَوْتِ واعِظاً ، وَكَفىٰ بِالتُّقىٰ غِنىً ، وَكَفىٰ بِالْعِبادَةِ شُغْلاً ، وَكَفىٰ بِالْقِيامَةِ مَوْئِلاً وَبِاللهِ مُجازِياً ».

٣٥٥ « كُلُّ خُلَّةٍ يُطْبَعُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ إِلَّا الْخِيانَةَ وَالْكِذْبَ ».

٣٥٦ « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللهُ أَن يَغْفِرَهُ إِلّا مَنْ ماتَ مُشْرِكاً أَوْ قَتَلَ مُؤْمِناً مُتَعمِّداً ».

٣٥٧ « كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ إِلّا صاحِبَ التَّواضُعِ ».

٣٥٨ « كُلُّ قَرْضٍ صَدَقَةٌ ».

٣٥٩ « كُلُّكُمْ راعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ».

٣٦٠ « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ ».

٣٦١ « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَنَعْتَهُ إِلىٰ غَنيٍّ أَوْ فَقيرٍ فَهُوَ صَدَقَةٌ ».

٣٦٢ « كُلُّ مُؤْذٍ في النّار ».

٣٦٣ « الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ».

٣٦٤ « كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْماً لَا يَسْتَكْمِلُهُ ، وَمُنْتَظِرٍ غَداً لَا يَبْلُغُهُ ».

٣٦٥ « الْكَيِّسُ مَنْ دانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِما بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعاجِزُ مَنْ اتْبَعَ نَفْسَهُ هَواها ، وَتَمَنّىٰ عَلَى اللهِ الْأَمانيّ ».

٣٦٦ « لَا إِيْمانَ لِمَنْ لَا أَمانَةَ لَهُ ، وَلَا دينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ».

٣٦٧ « لَاتَحاسَدوا ، وَلَاتَناجَشُوا ، وَلَاتَباغَضُوا ، وَلَا تَدابَرُوا ، وَكُونُوا

عِبادَ اللهِ إِخْـوانـاً ، وَلَا تَكُـونُوا عَـيّابينَ ، وَلَا مَـدّاحـينَ ، وَلَا طَعّانينَ ».

٣٦٨ « لَا تَخْرِقَنَّ على أَحَدٍ سِتْراً ».

٣٦٩ « لَا تَرُدُّوا السّائِلَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ».

٣٧٠ « لَا تَسُبُّوا الْأَمْواتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلىٰ ما قَدَّمُوا ».

٣٧١ « لَا تَسُبُّوا الْأَمْواتَ فَتُؤْذُوا الْأَحْياءَ ».

٣٧٢ « لَا تُظْهِرِ الشَّماتَةَ لِأَخِيكَ فيُعافِيهِ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ ».

٣٧٣ « لَا تَضَعُوا الْحِكْمَةَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِها فتَظْلِمُوها ، وَلَا تَمْنَعُوْها أَهْلَها فَتَظْلِمُوهُمْ ».

٣٧٤ « لَا تَعْمَلْ شَيْئاً مِنَ الْخَيْرِ رِئاءً ، وَلَا تَدَعْهُ حَياءً ».

٣٧٥ « لَا تَغْتابُوا الْمُسْلِمينَ وَلَا تَتَبَّعُوا عَوراتِهِمْ ».

٣٧٦ « لَا تَغْضَبْ فَإِنَّ الْغَضَبَ مَفْسَدَةٌ ».

٣٧٧ « لَا تُكْثِرْ هَمَّكَ ما قُدِّرَ يَكُنْ وَما تُرْزَقْ يَأْتِكَ ».

٣٧٨ « لَا تُمارِ أَخاكَ ، وَلَا تُمازِحْهُ ، وَلَا تَعِدْهُ مَوْعِداً فَتُخْلِفَهُ ».

٣٧٩ « لَا تَمْسَحْ يَدَكَ بِثَوْبِ مَنْ لَا تَكْسُوهُ ».

٣٨٠ « لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ ».

٣٨١ « لَا خَيرَ لَكَ في صُحْبَةِ مَنْ لَا يَرىٰ لَكَ ما يَرىٰ لِنَفْسِهِ ».

٣٨٢ « لَا دينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ».

٣٨٣ «لَا صدَقَةَ وَذُو رَحِمٍ مُحْتاجٌ».

٣٨٤ «لَا طاعَةَ لِمَخْلُوقٍ في مَعْصِيَةِ الْخالِقِ».

٣٨٥ «لَا عَقْلَ كالتَّدْبيرِ، وَلَا وَرَعَ كالْكَفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ».

٣٨٦ «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقينَ حَتّىٰ يَدَعَ ما لَا بَأْسَ بِهِ حَذَراً لِما بِهِ الْبَأْسُ».

٣٨٧ «لَا يَزالُ الْمَسْرُوقُ مِنْهُ في تُهْمَةِ مَنْ هُوَ بَريءٌ مِنْهُ حَتّىٰ يَكُونَ أَعْظَمَ جُرْماً مِنَ السّارِقِ».

٣٨٨ «لَا يَشْبَعُ عالِمٌ مِنْ عِلْمِهِ حَتّىٰ يَكُونَ مُنْتَهاهُ الْجَنَّةَ».

٣٨٩ «لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ».

٣٩٠ «لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَينِ».

٣٩١ «لَعَنَ اللهُ الرّاشيَ وَالْمُرْتَشيَ وَالَّذي يَمْشي بيْنَهُما».

٣٩٢ «لَعَنَ اللهُ مَنْ فَرَّقَ بينَ الْوالِدَةِ ووَلَدِها، وَبَينَ الْأَخِ وَأَخيهِ».

٣٩٣ «لِكُلِّ ذَنْبٍ تَوْبَةٌ إِلَّا سُوءُ الْخُلُقِ».

٣٩٤ «لِكُلِّ شَيْءٍ عِمادٌ وَعِمادُ هٰذَا الدّينِ الْفِقْهُ».

٣٩٥ «وَلِلْكَسْلانِ ثَلاثُ عَلاماتٍ: يَتوانىٰ حَتّى يُفَرِّطَ، وَيُفَرِّطُ حَتّىٰ يُضَيِّعَ، وَيُضَيِّعُ حَتّى يأْثَمَ».

٣٩٦ «اللهُ في عَوْنِ الْعَبْدِ ما كانَ الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخيهِ».

٣٩٧ « لَمْ يَكْذِبْ مَنْ نمىٰ بَيْنَ اثنَيْنِ لِيُصْلِحَ ».

٣٩٨ « لَوْ بَغىٰ جَبَلٌ عَلىٰ جَبَلٍ لَدَكَّ اللهُ الْباغيَ مِنْهُما ».

٣٩٩ « لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَليلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثيراً ».

٤٠٠ « تَهادَوْا فَإِنَّ الهَدِيَّةَ تَذْهَبُ بِالسَّخيمَةِ وَلَوْ دُعيتُ إِلى كَراعٍ لْأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كَراعٌ لَقَبِلْتُ ».

٤٠١ « لَوْلَا الْمَرْأَةُ لَدَخَلَ الرَّجُلُ الْجَنَّةَ ».

٤٠٢ « لَوْلَا أَنَّ الْماضِي فَرَطُ الْباقِي، وَأَنَّ الْآخِرَ لاحِقٌ بِالْأَوَّلِ، لَحَزَنّا عَلَيْكَ يا إِبْراهِيمَ، ثُمَّ دَمَعَتْ عَيْنُهُ »، وَقالَ صلى الله عليه وآله: « تَدْمَعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا ما يَرْضَى الرَّبُّ، وَإِنّا بِكَ يا إِبْراهِيمُ لَمَحْزُونُونَ ».

٤٠٣ « قُلِ اللّٰهُمَّ اِنّي أَسْأَلُكَ نَفْساً مُطْمَئِنَّةً تُؤْمِنُ بِلِقائِكَ وَتَرْضىٰ بِقَضائِكَ وَتَقْنَعُ بِعَطائِكَ ».

٤٠٤ « لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النّاسِ زَمانٌ لا يُبالِي المَرْءُ بِما أَخَذَ المالَ أَمِنْ حَلالٍ أَمْ مِنْ حَرامٍ ».

٤٠٥ « لَا تَزالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتّىٰ يَلْقَى اللهَ وَما في وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ ».

٤٠٦ « لَيَأْخُذَنَّ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبُ بِها عَلىٰ ظَهْرِهِ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلاً أَعْطاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَيَسْأَلُهُ أَعْطاهُ أَوْ مَنَعَهُ ».

٤٠٧ « لَيْسَ الغِنىٰ عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ وَلٰكِنَّ الغِنىٰ غِنَى النَّفْسِ ».

٤٠٨ «لَيْسَ المُؤْمِنُ الَّذي يَشْبَعُ وَجارُهُ جائِعٌ إِلى جَنْبِه».

٤٠٩ «أَصْلِحْ بَيْنَ النّاسِ وَلَوْ تَعْنِي الكِذْبَ».

٤١٠ «لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلىٰ أَحَدٍ فَضْلٌ إِلّا بالدّينِ أَوْ عَمَلٍ صالِحٍ».

٤١١ «لَيْسَ لِفاسِقٍ غَيْبَةٌ».

٤١٢ «لَيْسَ مِنّا مَنْ غَشَّ مُسْلِماً أَوْ ضَرَّهُ أَوْ ما كَرَهُ».

٤١٣ «لَيْسَ مِنّا مَنْ لَمْ يُوقِّرِ الكَبيرَ وَيَرْحَمِ الصَّغيرَ وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنِ المُنْكَرِ».

٤١٤ «ماأَحَبَّ عَبْدٌ عَبْداً لِلّهِ إِلّا أَكْرَمَهُ رَبُّهُ».

٤١٥ «ما اسْتَرْعَى اللهُ عَبْداً رَعِيَّةً فَلَمْ يُحِطْها بِنُصْحِهِ إِلّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

٤١٦ «ما أَسَرَّ عَبْدٌ سَريرَةً إِلّا أَلْبَسَهُ اللهُ رِداءَها إِنْ خَيْراً فَخَيْرٌ، وَإِنْ شَرّاً فَشَرٌّ».

٤١٧ «ما أَعَزَّ اللهُ بِجَهْلٍ قَطُّ وَلَا أَذَلَّ اللهُ بِحِلْمٍ قَطُّ».

٤١٨ «مَا اكْتَسَبَ مُكْتَسِبٌ مِثْلَ فَضْلِ عِلْمٍ يَهْدي صاحِبَهُ إِلى هُدىً، أَوْ يَرُدُّهُ عَنْ رَدىً، وَلَا اسْتَقامَ دينُهُ حَتّىٰ يَسْتَقيمَ عَقْلُهُ».

٤١٩ «ما أَكْرَمَ شابٌّ شَيْخاً لِسِنِّهِ إِلّا قَيَّضَ اللهُ عِنْدَ سِنِّهِ مَنْ يُكْرِمُهُ».

٤٢٠ «ما أَكَلَ أَحَدٌ طَعاماً قَطُّ خَيْراً مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ داوُدَ كانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».

٤٢١ «ما أَهْدَى الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ لِأَخيهِ هَدِيَّةً أَفْضَلَ مِنْ كَلِمَةِ حِكْمَةٍ

يَزيدُهُ اللهُ بِها هُدىً أَوْ يَرُدُّهُ بِها عَنْ رَدىً ».

٤٢٢ «ما زانَ اللهُ الْعِبادَ بِزينَةٍ أَفْضَلَ مِنْ زَهادَةٍ في الدُّنْيا ، وَعِفافٍ في بَطْنِه وَفَرْجِه ».

٤٢٣ «ما سَلَّطَ اللهُ الْقَحْطَ عَلىٰ قَوْمٍ إِلّا بِتَمَرُّدِهِمْ عَلَى اللهِ ».

٤٢٤ «ما ضاقَ مَجلِسٌ بِمُتَحابَّيْنِ ».

٤٢٥ «ما كانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زانَهُ ، وَلَا كانَ الْخُرْقُ فِي شَيْءٍ إِلّا شانَهُ ».

٤٢٦ «عالِمٌ يُنْتَفَعُ بِعِلْمِهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ عابِدٍ ».

٤٢٧ «مامِنْ أَحَدٍ أَفْضَلَ عِنْدَ اللهِ مِنْ إِمامٍ إِنْ قالَ صَدَقَ ، وَإِنْ حَكَمَ عَدَلَ ».

٤٢٨ «ما مِنْ صَدَقَةٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ ».

٤٢٩ «ما مِنْ عَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ إِشْباعِ كَبِدٍ جائِعٍ ».

٤٣٠ «ما هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ ».

٤٣١ « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ السُّنْبُلَةِ يُحَرِّكُها الرّيحُ فَتَقُومُ مَرَّةً وَتَقَعُ أُخْرىٰ ، وَمَثَلُ الْكافِرِ كَمَثَلِ الأُرُزَةِ لا تَزالُ قائِمَةً حَتّىٰ تَنْقَعِرَ ».

٤٣٢ «الْمُجاهِدُ مَنْ جاهَدَ نَفْسَهُ في طاعَةِ اللهِ ».

٤٣٣ « الْمُحْسِنُ الْمَذْمُومُ مَرْحُومٌ ».

٤٣٤ « مُداراةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ ».

٤٣٥ « مَنِ اسْتَوْلىٰ عَلَيْهِ الضَّجَرُ رَحَلَتْ عَنْهُ الرّاحَةُ ».

٤٣٦ «مَنْ أَرادَ اللهُ بِهِ خَيْراً رَزَقَهُ اللهُ خليلاً صالِحاً».

٤٣٧ «مَنْ أَذْنَبَ وَهُوَ يَضْحَكُ دَخَلَ النّارَ وَهُوَ يَبْكِي».

٤٣٨ «مَنْ أَذَلَّ نَفْسَهُ في طاعَةِ اللهِ فَهُوَ أَعَزُّ مِمَّنْ تَعَزَّزَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ».

٤٣٩ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَغْنَى النّاسِ فَلْيَكُنْ بِما في يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِما في يَدِهِ».

٤٤٠ «مَنْ أَحَبَّ قَوْماً حَشَرَهُ اللهُ فى زُمْرَتِهِمْ».

٤٤١ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النّاسِ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ».

٤٤٢ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النّاسِ فَلْيَتَّقِ اللهَ».

٤٤٣ «مَنْ آثَرَ مَحَبَّةَ اللهِ عَلىٰ مَحَبَّةِ النّاسِ كَفاهُ اللهُ مُؤُونَةَ النّاسِ».

٤٤٤ «مَنْ أَتىٰ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكافُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَأَثْنُوه فَإِنَّ الثَّناءَ جَزاءٌ».

٤٤٥ «مَنِ اتَّقَى اللهَ وَقاهُ كُلَّ شَيْءٍ».

٤٤٦ «مَنْ آتاهُ اللهُ خَيْراً فَلْيُرَ عَلَيْهِ».

٤٤٧ «مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

٤٤٨ «مَنِ ابْتُلِيَ بِالْقَضاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَرْفَعْ صَوْتَهُ عَلىٰ أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ إلاّ يَرْفَعُ عَلَى الآخَرِ».

٤٤٩ «مَنِ ابْتُلِيَ بِالْقَضاءِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَعْدِلْ بَيْنَهُمْ في لَحْظِهِ وإِشارَتِهِ وَمَجْلِسِهِ».

٤٥٠ «مَلْعُونٌ مَنْ أَلْقىٰ كَلَّهُ عَلَى النّاسِ».

٤٥١ « مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أَباهُ ، مَلْعُونٌ مَنْ سَبَّ أُمَّهُ » .

٤٥٢ « مِلَاكُ الدِّينِ الْوَرَعُ » .

٤٥٣ « الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ وَالْخِيانَةُ في النّارِ » .

٤٥٤ « مُرُوءَتُنا أَهْلِ الْبَيْتِ الْعَفْوُ عَمَّنْ ظَلَمَنا ، وَإِعْطاءُ مَنْ حَرَمَنا » .

٤٥٥ « مَنْ أَصْبَحَ مِنْ أُمَّتِي وَهِمَّتُهُ غَيْرُ اللهِ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ ، وَمَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأُمُورِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ ، وَمَنْ أَقَرَّ بِالذُّلِّ طائِعاً فَلَيْسَ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ » .

٤٥٦ « مَنْ أَعانَ عَلىٰ خُصومَةٍ بِظُلْمٍ لَمْ يَزَلْ في سَخَطِ اللهِ حَتّىٰ يَنْزِعَ » .

٤٥٧ « مَنْ أَعانَ ظالِماً سَلَّطَهُ اللهُ عَلَيْهِ » .

٤٥٨ « مَنْ اعْتَزَّ بِالْعَبِيدِ أَذَلَّهُ اللهُ » .

٤٥٩ « مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً : مَنْ أُعْطِيَ الْإِسْتِغْفارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيادَةَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الدُّعاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجابَةَ » .

٤٦٠ « مِنْ أَعْظَمِ الْخَطايا اللِّسانُ الْكَذُوبُ » .

٤٦١ « مَنِ اقْتَرَبَ أَبوابَ السَّلَاطِينَ افْتَتَنَ » .

٤٦٢ « مَنْ أَكَلَ ما يَشْتَهِي ، وَلَبِسَ ما يَشْتَهِي ، وَرَكِبَ ما يَشْتَهِي ، لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ حَتّى يَنْزِعَ أَوْ يَتْرُكَ » .

٤٦٣ « مِنَ الْبِرِّ أَن تَصِلَ صَدِيقَ أَبِيكَ » .

٤٦٤ « مِنَ الصَّدَقَةِ أَنْ تُسَلِّمَ عَلَىَ النّاسِ وَأَنْتَ طَلِقُ الْوَجْهِ » .

٤٦٥ «مَنْ أَلْقىٰ جِلْبابَ الْحَياءِ فَلا غِيْبَةَ لَهُ».

٤٦٦ «مَنْ بَدأَ بِالْكَلامِ قَبْلَ السَّلامِ فَلا تُجيبُوهُ».

٤٦٧ «مَنْ بَلَغَ حَدّاً في غَيْرِ حَقٍّ فَهُوَ مِنَ الْمُعْتَدِينَ».

٤٦٨ «مَنْ تَأَنّىٰ أَصابَ أَوْ كادَ، وَمَنْ عَجَّلَ أَخْطَأَ أَوْ كادَ».

٤٦٩ «مَنْ تَأَنّىٰ أَدْرَكَ ما تَمَنّىٰ».

٤٧٠ «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

٤٧١ «مَنْ تَعَوَّدَ كَثْرَةَ الطَّعامِ وَالشَّرابِ قَسا قَلْبُهُ».

٤٧٢ «مَنْ تَفاقَرَ افْتَقَرَ».

٤٧٣ «مِنْ تَمامِ التَّحِيَّةِ الْأَخْذُ بِالْيَدِ».

٤٧٤ «مَنْ جادَلَ في خُصُومَةٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَمْ يَزَلْ في سَخَطِ اللهِ حَتّىٰ يَنْزَعَ».

٤٧٥ «مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ».

٤٧٦ «مَنْ خافَ النّاسُ لِسانَهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ النّارِ».

٤٧٧ «مَنْ دَلَّ عَلىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فاعِلِه».

٤٧٨ «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النّارَ».

٤٧٩ «مَنْ رَفِقَ بِأُمَّتي رَفِقَ اللهُ بِه».

٤٨٠ «مَنْ رَمىٰ مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ».

٤٨١ «مَنْ زَهَدَ في الدُّنْيا عَلَّمَهُ اللهُ بِلا تَعَلُّمٍ وَجَعَلَهُ بَصيراً».

٤٨٢ «مَنْ سَتَرَ عَلَىٰ أَخِيهِ سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ».

٤٨٣ «مِنْ سَعادَةِ الْمَرْءِ: الْمَسْكَنُ، وَالجارُ الصّالِحُ، وَالمَرْكَبُ الْهَنِيءُ».

٤٨٤ «مَنْ ضَرَبَ بِسَوطٍ ظُلْماً اُقْتُصَّ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ».

٤٨٥ «مَنْ ضَمَّ يَتِيماً لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ حَتّىٰ يُغْنِيهِ اللهُ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ».

٤٨٦ «مَنْ طَلَبَ رِضىٰ مَخْلُوقٍ بِسَخَطِ الْخالِقِ سَلَّطَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ ذٰلِكَ الْمَخْلُوقَ».

٤٨٧ «مَنْ عَزّىٰ مُصاباً فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ».

٤٨٨ «مَنْ عَفا عِنْدَ الْقُدْرَةِ عَفَا اللهُ عَنْهُ يَوْمَ الْعُسْرَةِ».

٤٨٩ «مَنْ غالَبَ اللهَ غَلَبَهُ، وَمَنْ خادَعَ اللهَ خَدَعَهُ».

٤٩٠ «مَنْ فُتِحَ لَهُ بابٌ مِنْ خَيْرٍ فَلْيَنْتَهِزْهُ، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي مَتىٰ يُغْلَقُ عَنْهُ».

٤٩١ «مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ أَنْ يُصْلِحَ مَعِيشَتَهُ، وَلَيْسَ مِنْ حُبِّ الدُّنْيا طَلَب ما يُصْلِحُكَ».

٤٩٢ «مَنْ قَطَعَ رَحِماً أَوْ حَلَفَ عَلىٰ يَمِينٍ فاجِرَةٍ رَأَىٰ وَبالَهُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ».

٤٩٣ «مَنْ قَلَّ طَعْمُهُ صَحَّ بَدَنُهُ، وَمَنْ كَثُرَ طَعْمُهُ سَقُمَ بَدَنُهُ، وَقَسا قَلْبُهُ».

٤٩٤ «مَنْ كانَ حالِفاً فَلا يَحْلِفْ إِلّا بِاللهِ».

٤٩٥ «مَنْ كانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَفِ إذا وَعَدَ».

٤٩٦ «مَنْ كَتَمَ عِلْماً عَنْ أَهْلِهِ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيامَةِ لِجاماً مِنْ نارٍ».

٤٩٧ «مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقُمَ بَدَنُهُ، وَمَنْ ساءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسَهُ، وَمَنْ لَاحَى الرِّجالَ ذَهَبَتْ مُرُوَّتُهُ وَكَرامَتُهُ».

٤٩٨ «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّءْ مَقْعَدَهُ مِنَ النّار».

٤٩٩ «مَنْ كَفَّ لِسانَهُ عَنْ أَعْراضِ النّاسِ أَقالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ».

٥٠٠ «مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَرَعٌ يَصُدُّهُ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ إذا خَلَا لَمْ يَعْبَأَ اللهُ بِشَيءٍ مِنْ عَمَلِه».

٥٠١ «مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ يَضُرُّهُ جَهْلُهُ».

٥٠٢ «مَنْ مَشىٰ مَعَ ظالِمٍ فَقَدْ أَجْرَمَ».

٥٠٣ «مَنْ هَمَّ بِذَنْبٍ ثُمَّ تَرَكَهُ كانَتْ لَهُ حَسَنَةٌ».

٥٠٤ «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِه خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ».

٥٠٥ «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِه في الدُّنْيا».

٥٠٦ «مَنْ يَغْفِرْ يَغْفِرِ اللهُ لَهُ، وَمَنْ يَعْفُ يَعْفُ اللهُ عَنْهُ».

٥٠٧ «الْمُؤْمِنُ حرامٌ كُلُّهُ: عِرْضُهُ، وَمالُهُ، وَدَمُهُ».

٥٠٨ «الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَريمٌ، وَالْفاجِرُ خِبٌّ لَئيمٌ».

٥٠٩ «الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ».

٥١٠ «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيانِ الْمَرْصُوصِ يَشُدُّ بَعضُهُ بَعْضاً».

٥١١ « الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤمِنِ ، أخو المُؤمِنِ ؛ يَحُوطُهُ مِنْ وَرائِه » .

٥١٢ « الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النّاسُ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ ودِمائِهِمْ » .

٥١٣ « الْمُؤْمِنُ مَنْفَعَةٌ ؛ إنْ ماشَيْتَهُ نَفَعَك ، وَإنْ شاوَرْتَهُ نفعَك ، وَإنْ شارَكْتَهُ نَفعَكَ ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ مَنْفَعَةٌ » .

٥١٤ « النّاسُ أَشْبَهُ بِزمانِهِمْ » .

٥١٥ « النّاسُ مَعادِنُ كَمَعادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ » .

٥١٦ « النَّدَمُ تَوْبَةٌ » .

٥١٧ « النّظافَةُ مِنَ الْإيمانِ » .

٥١٨ « نَظَرُ الْوَلَدِ إلىٰ وَالِدَيْهِ حُبّاً لَهُما عِبادَةٌ » .

٥١٩ « نِعْمَ الشَّفِيعُ الْقُرْآنُ لِصاحِبِه يَوْمَ الْقِيامَةِ » .

٥٢٠ « نِعْمَ الشَّيْءُ الْهَدِيَّةُ أَمامَ الْحاجَةِ » .

٥٢١ « نِعْمَ الْعَوْنُ عَلىٰ تَقْوَى اللهِ الْغِنىٰ » .

٥٢٢ « نِعْمَ الْعَوْنُ عَلىٰ تَقْوَى اللهِ الْمالُ » .

٥٢٣ « نِعْمَ الْمالُ الصّالِحُ لِلرَّجُلِ الصّالِحِ » .

٥٢٤ « نِعْمَ الْهَدِيَّةُ الْكَلِمَةُ مِنْ كَلامِ الْحِكْمَةِ » .

٥٢٥ « نَوْمٌ عَلىٰ عِلمٍ خَيْرٌ مِنْ صَلاةٍ عَلىٰ جَهلٍ » .

٥٢٦ « النِّيَّةُ الْحَسَنَةُ تُدْخِلُ صاحِبَها الْجَنَّةَ » .

٥٢٧ « وَجَبَتْ مَحَبَّةُ اللهِ عَلىٰ مَنْ غَضِبَ فَحَلُمَ » .

٥٢٨ « الورعُ سَيِّدُ العَمَلُ ».

٥٢٩ « وُزِنَ حِبْرُ الْعُلَماءِ بِدَمِ الشُّهَداءِ فَرَجَحَ عليهِ ».

٥٣٠ « الْوَلَدُ مِنْ رَيْحانِ الْجَنَّةِ ».

٥٣١ « وَيْلٌ لِمَنِ اسْتَطالَ عَلىٰ مُسْلِمٍ فَانْتَقَصَ حَقَّهُ ».

٥٣٢ « الْوَيْلُ لِمَنْ تَرَكَ عِيالَهُ بِخَيْرٍ ، وَقَدِمَ عَلىٰ رَبِّه بِشَرٍّ ».

٥٣٣ « الْهَدِيَّةُ رِزْقٌ مِنَ اللهِ ، فَمَنْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ شَيْءٌ فَلْيَقْبَلْهُ ».

٥٣٤ « الْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ ».

٥٣٥ « يأْتِي عَلَى النّاسِ زَمانٌ يَكُونُ النّاسُ فِيهِ ذِئاباً ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذِئْباً أَكَلَتْهُ الذِّئابُ ».

٥٣٦ « الْيَدُ الْعُلْيا خيرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلىٰ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ».

٥٣٧ « يَدُ اللهِ عَلَى الجَماعَةِ ».

٥٣٨ « الْيَمِينُ الْكاذِبَةُ مُنْفِقَةٌ لِلسِّلْعَةِ ، مُمْحِقَةٌ لِلْكَسْبِ ».

وبهذه الكلمات الرائعة التي أُثرت عن النبيّ صلى الله عليه وآله نطوي حديثنا عن كلماته القصار التي شملت جميع قضايا الحياة ، وقد اقتبسناها من نهج الفصاحة تأليف الشيخ الفاضل غلام حسين المجيدي دون مصادرها تجنّباً للإطالة . ومن الجدير بالذكر أنّ الكلمات التي ذكرنا مصادرها لم نقتبسها من الكتاب المذكور .

والله تعالى وليّ التوفيق



النبي صلى الله عليه وآله في ساحات الحروب والمعارك

واقعة بدر



احتلّت واقعة بدر مركزاً مهمّاً في تاريخ الإسلام ، فقد فتح الله تعالى بها الفتح المبين ، والنصر الحاسم لعبده ورسوله محمّد ﷺ ، وأعزّ دينه ، وأذلّ أعداءه ، وقهر خصومه الذين انطوت أفكارهم على الجهل والغطرسة والأنانيّة .

لقد كانت واقعة بدر بداية لارتفاع راية الإسلام وفتوحاته ، واندحار معالم الجاهليّة ، ونعرض لبعض فصولها :

تجارة أبي سفيان

أمّا الحياة الاقتصاديّة في مكّة فكانت تعتمد بصورة أوّليّة على التجارة إلى الشام ، فكان تجّار مكّة يجلبون منها ما تحتاجه بلدهم من السلع الضروريّة والكماليّة ، وكانت أضخم تجارة لهم خرج بها أبوسفيان ومعه سبعون قرشيّاً ، وقد نضوا ما كان معهم من سلع ، واشتروا من البضائع ما يريدون ، ثمّ قفلوا راجعين إلى وطنهم ، وعلم النبيّ ﷺ ذلك ، وكان يتحيّن الفرص للاستيلاء على أموالهم لإضعافهم اقتصاديّاً حتّى لا يتمكّنون من مناجزته ، فقال ﷺ لأصحابه :

« هٰذِهِ عِيرُ قُرَيشٍ ، فَاخْرجُوا إِلَيْها لَعَلَّ اللهُ تَعالىٰ يُنْفِلُكُموها » .

وعلم أبو سفيان بما دبّر له فخاف أن يعترضه المسلمون ، ويصادرون تجارتهم ، ويقتلون من كان معه من فتيان قريش .

استنجاد أبي سفيان بقريش

واستنجد أبو سفيان بالقرشيّين لحمايته ، وحماية البضائع التي كانت معه ، فأوفد لهم ضَمْضَم بن عَمْرو الغِفاري ، وأخذ يجدّ السير لا يلوي على شيء حتّى دخل مكّة بصورة مذهلة قد قطع أُذني بعيره ، وجَدع أنفه ، وحوّل رَحْله ، وشقّ قميصَه من قبل ومن دبر ، رافعاً عقيرته مشفوعاً بالحزن قائلاً بأعلى صوته :

« يا معشر قُريش ، اللَّطيمةَ[١] .. اللَّطيمةَ .. أموالُكم مع أبي سفيان قد عَرَض لها محمّد في أصحابه ، لا أرى أن تُدْركوها .. الغوْثَ .. الغوْثَ » .

فكان نداؤه كالصاعقة على رؤوس القرشيّين ، فقد أصابهم زلزال مدمّر من الفزع والذعر ، فقد خافوا على أموالهم ، وخافوا على زعيمهم أبي سفيان ، وعلى مَن كان معه من فتيانهم .

رؤيا عاتكة

رأت السيّدة عاتكة بنت عبدالمطّلب في منامها رؤيا أفزعتها ، فسارعت إلى أخيها العبّاس بن عبدالمطّلب تريد أن تقصّها عليه قائلةً :

« إنّي رأيت رُؤْيا أفزعتني » .

وسارع العبّاس قائلاً:

« ما رأيتِ ؟ » .

وأخذت تبدي خوفها وفزعها قائلةً :

« إنّي أتخوّف على قومك منها شرّاً عظيماً ، فاكتُمْ عنّي ما أُحدّثك به » .

---

(١) **اللَّطيمة** :الإبل التي عليها التجارة .

« أفعل ذلك ».

وأخذت تقصّ عليه رؤياها..

« رأيتُ راكباً أقبل على بعير له، حتّى وقف بالأبْطح، ثمّ صَرخ بأعلى صوته: ألا انفِرُوا يا آل غدر[(١)] لمصارِعكم في ثلاث، فأرى النّاسَ اجتمعوا إليه، ثمّ دخل المسجدَ والنّاسُ يَتْبعونه، فبينما هم حوله مَثَل به بعيرُه[(٢)] على ظهر الكعبة، ثمّ صرخ بمثلها، ألا انفروا يالغُدُر لمصارعكم في ثلاث، ثمّ مَثل به بعيرُه على رأس أبي قُبيَس[(٣)] فصرخ بمثلها، ثمّ أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تَهْوي حتّى إذا كانت بأسفلِ الجبل ارفضّتْ[(٤)]، فما بقي بيتٌ من بيوت مكّة ولا دار إلّا دخلتها منها فِلقة[(٥)] ».

وبهر العبّاس بهذه الرؤيا، وأوصاها بكتمانها، وقد استوعب فكره خوفاً على قومه، والتقى بالوليد بن عُتبة، وكان له صديقاً حميماً، فحدّثه برؤيا أُخته، وفشا الوليد بهذه الرؤيا، فتحدّثت بها أوساط قريش، وسارع أبو جهل إلى العبّاس قائلاً:

« يا بني عبدالمطّلب، متى حَدثَتْ فيكم هذه النبيّة ؟ »، يعني عاتكة.

« ما ذاك ؟ ».

« تلك الرؤيا التي رأت عاتكةُ ».

« ما رأتْ ؟ ».

« يا بني عبدالمطّلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالُكم حتّى تتنبأ نساؤكم، قد زعَمتْ عاتكة في رؤياها أنّه قال: انفروا في ثلاث، فسنتربّص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقّاً

---

(١) وفي رواية: « يالغدر »، وهو بضمّ الغين والدال جمع غدور.

(٢) **مثل به**: قام به.

(٣) سمّي هذا الجبل بأبي قبيس، وهو اسم رجل من جرهم هلك فيه.

(٤) **ارفضت**: أي تفتّت.

(٥) **فِلقة**: أي قطعة.

ما تقول فسيكون ، وإن تَمْض الثلاثُ ، ولم يكن شيء من ذلك ، نَكْتُب عليكم كتاباً أنّكم أكذبُ أهل بيت في العرب . . . » .

وأنكر العبّاس رؤيا عاتكة ، وأنّ ذلك قد أُلصق بها ، ولم يعن أبو جهل بذلك ، ولامت العبّاس نساء بني عبدالمطّلب على موقفه المتخاذل أمام أبي جهل ، وعبن عليه ذلك .

ولم تمض الأيام الثلاث من رؤيا عاتكة حتّى قدم ضَمْضم بن عمرو مكّة مرعوباً يستغيث ويستجير بقريش لإنقاذ تجارتهم من أيدي المسلمين ، وبذلك فقد صدقت رؤيا عاتكة .

النفير العامّ في مكّة

وهرعت قريش عن بكرة أبيها لحماية أبي سفيان ، وحماية تجارتها ، ولم يتخلّف أحد من أشراف قريش سوى أبي لهب ، فقد بعث مكانه العاص بن هشام ، وكان مديناً له ، بأربعة آلاف درهم ، وقد أفلس بها فاستأْجَره مكانها ، فخرج نيابة عنه ، كما توقّف عن الخروج أُميّة بن خلف ، وكان شيخاً جليلاً جسيماً ، فأتاه وهو في المسجد عُقبة بن أبي مُعَيط ومعه أبوجهل بمكحلة ومرود ، ووضع أمامه مجْمَرة فيها نار ، وقال له : « استَجْمر ، فإنّما أنت من النساء » .

وقال له أبو جهل : « اكتحل ، إنّما أنت امرأة » ، فشقّ عليه ذلك ، وأمرهم أن يبتاعوا له أفضل بعير في الوادي ، فأتوا به ، فخرج معهم ولم يبق بمكّة متخلّف قادر على حمل السلاح إلّا خرج .

زحف المسلمين

وخرج النبيّ صلى الله عليه وآله من يثرب لثمان خَلوْن من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، ومعه جيشه المتسلّح بالإيمان ، وعدده خمسة وثلثمائة رجل ، منهم ثلاثة

وثمانون من المهاجرين ، وواحد وستّون من الأوس ، والباقي من الخزرج ، ولم تكن عندهم قوّة كافية من العتاد ، فقد كانت إبلهم سبعين بعيراً يتعاقبون عليها كلّ اثنين منهم أو ثلاثة أو أربعة يتعاقبون بعيراً ، وكان النبيّ ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومَرْثَد بن أبي مَرْثد الغنوي يَتَعَقَّبون بعيراً ، وسار المسلمون مسرعين لملاحقة أبي سفيان ، والاستيلاء على البضائع التي معه ، وانطلق المسلمون في مسيرتهم ، فأخبروا أنّ أبا سفيان قد أفلت من قبضتهم ، وقد فوجئوا بأنّ قريشاً قد خرجت للدفاع عن أبي سفيان وعن تجارتها .

استشارة النبيّ ﷺ أصحابه

من سموّ أخلاق النبيّ ﷺ مشاورته لأصحابه في الشؤون السياسيّة ، وغيرها من الأُمور العامّة التي ترجع إلى تدبير الدولة ، وقد أدّبه الله تعالى بذلك ، قال عزّ اسمه : ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ﴾[١] .

وعلى أي حال ، فقد عرف رسول الله ﷺ بخروج قريش لحماية تجارتهم ، فاستشار أصحابه في الأمر ، فأشار عليه أبو بكر وعمر برأي لم يذكر في سيرة ابن هشام ، وانبرى إليه المقداد بن عمرو فقال له بصدق وعزيمة وإيمان :

« امضِ يا رسول الله لما أراك الله تعالى ، فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾[٢] ، ولكن اذهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحقّ لو سرْت بنا إلى بَرْك الغِماد[٣] لجالدنا معك من دونه حتّى تَبْلُغه ... » .

---

(١) آل عمران ٣ : ١٥٩ .

(٢) المائدة ٥ : ٢٤ .

(٣) **برك الغماد** : موضع بناحية اليمن ، وقيل : هو أقصى جحر ، وقيل : إنّها مدينة في الحبشة .

وشكر النبيّ ﷺ المقداد ، وأثنى عليه ، ودعا له ، ثمّ التفت إلى أصحابه قائلاً:

« أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّها النَّاسُ . . » .

وقد قصد بذلك الأنصار الذين هم العمود الفقري في جيشه ؛ لأنّهم قد بايعوه بالعقبة على أن يحموه كما يحموا أبناءهم ونساءهم ما دام في ديارهم ، وأراد التعرّف على بقاءهم والتزامهم بما عاهدوه ، وانطلق سعدُ بن مَعاذ وقد فهم ما أراد النبيّ ﷺ فقال له :

« يا رسول الله ، كأنّك تريدنا ؟ » .

« أجل » .

وراح سعد يعلن دعمه الكامل للنبيّ قائلاً:

« قد آمنّا بك وصدّقناك ، وشَهِدنا أنّ ما جئتَ به هو الحقّ ، وأعطيناك على ذلك عُهودَنا ومَواثيقنا على السمع والطاعة ، فامضِ يا رسولَ الله لما أردتَ ، فنحن معك ، فوالذي بَعَثك بالحقّ ، لو استعرضت بنا هذا البحرَ فَخُضْتَه لخُضناه معك ، ما تخلّف منّا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تَلْقى بنا عدوّنا غداً ، إنّا لَصُبْرٌ في الحرب ، صدْق في اللقاء ، لعلّ الله ـ تعالى ـ يُريك منّا ما تقرُّ به عينَك ، فسِرْ بنا على بركة الله تعالى . . . » .

حكت هذه الكلمات إيمان سعد ، وتصميمه على الذبّ عن النبيّ ﷺ مهما تلبّدت الظروف بالمخاوف ، وأنّه مع الأنصار يفدون النبيّ بأرواحهم وأموالهم ، ويقفون إلى جانبه لا يحيدون عنه ، وسرّ النبيّ بمقالة سعد ، وراح يبشّر أصحابه بالظفر بأعدائهم قائلاً:

« سيرُوا وَأَبْشِروا ، فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ قَدْ وَعَدَني إِحْدَى الطّائِفَتَينِ ، وَاللهِ لَكَأَنّي الآنَ أَنْظُرُ مَصارِعَ الْقَوْمِ » .

وتحقّق ما تنبّأ به النبيّ ﷺ ، فلم تمض حفنة من الأيام وإذا بعيون القرشيّين وزعمائهم صرعى ، وأُلقيت جيفهم في القليب تلاحقهم اللعنة والعذاب الأليم .

إلقاء القبض على غلامين لقريش

وجعل رسول الله ﷺ يتطلّع أخبار قريش ، والوقوف على مكان إقامتهم ، وتعداد عددهم ، فأوعز إلى كوكبة من أصحابه في طليعتهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يوافوه بأنبائهم ، وخرج الإمام مع جماعته فألقوا القبض على غلامين لقريش ، فسألوهما :

« من أنتما ؟ » .

فقالا : « نحن سُقاة قُريش ، بعثونا لنسقيهم الماء » ، فلم يرتضوا مقالتهما ، وأوسعوهما ضرباً ، فقالا : « نحن لأبي سفيان » .

وكان النبيّ ﷺ مشغولاً بصلاته ، فلمّا فرغ منها قال : **« إذا صَدَّقاكُم ضَرَبْتُموهُما ، وَإذا كَذَّباكُم تَرَكْتُموهُما »** ، ثمّ سألهما النبيّ عن قريش ، فقالا : « هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدوة القصوى والكثيب : العَقَنْقَل . . » ، ثمّ سألهما النبيّ :

« كَمِ الْقَوْم ؟ » .

« كثيرون » .

« ما عِدَّتُهُم ؟ » .

« لا ندري » .

« كَمْ يَنْحَرُون كُلَّ يَوْم ؟ » .

« يوماً تسعاً ـ من الإبل ـ ويوماً عشراً » .

واستشفَّ النبيّ عددهم ، فقال : **« القَوْمُ ما بَيْنَ التِّسْعمائَةِ وَالأَلْف »** ، ثمّ سألهما :

« مَنْ فيهِم مِنْ أَشْرافِ قُرَيْش ؟ » .

« عُتْبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِيّ بن هشام ، وحَكِيم بن حِزام ، ونَوْفل بن خُوَيلد ، والحارث بن عامر ، وطُعَيْمة بن عَدِيّ ، والنَّضر بن الحارث ،

وزَمَعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هِشام ، وأُميّة بن خلف ، وسُهَيل بن عمرو ، ونبيه ومُنبّه ابنا الحجّاج ، وعمرو بن عبد ودّ ».

وأقبل النبيّ على أصحابه فقال لهم :

« هـٰذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُم أَفْلاذَ كَبِدِها . . . » .

لقد أقبلت مكّة بأفلاذ أكبادها ، وأعزّ أبنائها ليذلّها الله تعالى وينتقم منها ، ويسفك دماءها على يد أعزّ أوليائه ، وحماة دينه .

نجاة أبي سفيان

وانتظر المسلمون مرور أبي سفيان ليستولوا على تجارته ، إلّا أنّه أفلت منهم ، فقد سبقهم إلى المكان الذي فيه الماء ليستقي منه ، فوجد مَجْديّ بن عمرو ، فسأله : هل رأى أحداً ؟ فقال له : « إنّه لم يرَ إلّا راكبين أناخا إلى هذا التلّ » ، فأتى أبو سفيان مُناخَهما ، فوجد فيه روثاً ، فأخذ منه روثة وفتّتها فوجد فيها نواة ، فعرف أنّها من علائف يَثْرب ، فأسرع إلى أصحابه وأخبرهم بالأمر ، وعدل عن الطريق ، ونجا من المسلمين .

رسول أبي سفيان لقريش

وأرسل أبو سفيان رسولاً إلى قريش يخبرهم بنجاة تجارته ، ويطلب منهم العودة إلى مكّة ، ومضى رسوله فأخبرهم ، ورأى غير واحد منهم الصواب في الرجوع إلى بلدهم إلّا أنّ أبا جهل صاح :

« لا نَرْجع حتّى نَرِد بدراً فنُقيم فيه ثلاثاً ، فَنَنْحَر الجُزُر ، ونُطْعَم الطعام ، ونُسْقَى الخمر ، وتَعْزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب فيهابوننا » ، واستجاب له قوم ، فمكثوا معه ، ولم يستجب له آخرون ، فقفلوا راجعين إلى مكّة .

إقامة المسلمين والمكّيّين

أقام المسلمون في واد دَهْس، وهو المكان اللين الذي لم يبلغ فيه الرمل، بحيث لو أرادوا أن يرحلوا عنه لرحلوا، أمّا المكّيون فقد أقاموا في مكان عثر لو أرادوا أن يرحلوا لما استطاعوا، وكان ذلك من غضب الله تعالى عليهم وما سيواجهونه من مصير مظلم.

مشورة الحُبَاب على النبيّ ﷺ

ولم يكن المكان الذي أقام فيه النبيّ ﷺ صالحاً للعمليّات الحربيّة، فأقبل عليه الحُبَاب بن المُنذر بن الجَموح، وكان بصيراً بالشؤون العسكرية، فقال للنبيّ ﷺ:

«أرأيتَ هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله تعالى ليس لنا أن نتقدّمه، ولا نتأخّر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟».

وراح النبيّ ﷺ يخبره بواقع الأمر قائلاً:

«بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ والمَكيدَةُ».

فقال الُحبَاب:

«يا رسول الله، فإنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بالنّاس حتّى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثمّ نُغَوّر ما وراءه من القُلُب، ثمّ نبني عليه حوضاً فنَمْلؤه ماء، ثمّ نقاتل القوم، فتشرب ولا يشربون».

واستحسن النبيّ ﷺ هذا الرأي الأصيل الذي تنجح فيه العمليات الحربيّة؛ لأنّ المقاتل أحوج ما يكون إلى الماء، ونهض النبيّ ومن معه حتّى انتهى إلى أدنى ماء فنزل فيه، ثمّ بنى حوضاً على القليب فمُلِئَ ماءً.

بناء عريش للنبيّ صلى الله عليه وآله

أقبل سعد بن مَعاذ على رسول الله صلى الله عليه وآله ، فعرض عليه بناء عريش له يتّقي به في أثناء المعركة من قريش ، قائلاً:

« يا نبيّ الله ، ألا نَبْني لك عريشاً[١] تكون فيه ، ونُعِدُّ عندك ركائبك ، ثمّ نَلقى عدوّنا ، فإن أعزّنا الله تعالى وأظهرنا على عدوّنا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأُخرى جلست على رَكائبك ، فَلحِقْت بمَنْ وراءنا ، فقد تخلّف عنك أقوام يا نبيّ الله ، ما نحنُ بأشدّ لك حبّاً منهم ، ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ما تخلّفوا عنك ، يَمْنَعُك الله بهم ، يُناصحوك ، ويجاهدون معك ؟ ».

فأثنى عليه النبيّ صلى الله عليه وآله وشكر مساعيه ، ودعا له بخير ، وقام سعد مع قومه ، فبنى له عريشاً يقي النبيّ صلى الله عليه وآله من الاعتداء عليه ويحميه من سهام الأعداء .

قريش تختبر الجيش الإسلامي

وأوعزت قريش إلى عُمَير بن وهب الجُمَحي أن يختبر عدد الجيش الإسلامي ، ومدى قوّته وقدرته على القتال ، فمضى بفرسه يجول حول العسكر ، ثمّ قفل راجعاً إليهم ، وأخبرهم أنّهم ثلاثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو يَنْقُصون ، ثمّ استمهلهم لينظر هل لهم كمِينٌ أو مَدَد ، وراح يجول في الوادي فلم يرَ شيئاً ، فرجع إليهم ، وقال : « ما وجدتُ شيئاً ، ولكنّي قد رأيت ـ يا معشرَ قريش ـ البَلايا تَحمل المَنايا ، نواضحَ يَثْرِب[٢] تحمل الموت الناقع[٣] قوم ليس معهم مَنعة ، ولا مَلجأ إلّا سيوفهم ، والله ! ما أرى أن يُقتل رجلٌ منهم حتّى يَقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم

---

(١) **العريش** : شبه الخيمة يستظلّ به.

(٢) **النواضح** : الإبل التي يُستقى عليها الماء.

(٣) **الناقع** : الثابت البالغ في الإفناء.

أعدادهم ، فما خيرُ العيش بعد ذلك ؟ » .

وأصابت فراسته الواقع ، فقد كانت نواضح يثرب تحمل الأسود المزوّدة بالإيمان ، المتهافتين على الشهادة في سبيل الله ، وجيش قريش غارق في اللهو والمجون ، وقد حصد أُولئك الأبطال رؤوس هؤلاء الأقزام ، وأشاعوا الثكل والحزن في بيوتهم .

نصيحة عُتْبَةَ بن ربيعة

وأسدى عتبة بن ربيعة نصيحة لقريش بعدم مناجزتهم لحرب رسول الله ﷺ وعدم فتح باب الحرب مع المسلمين قائلاً :

« إنّي أرى قوماً مستميتين لا تصلون إليهم .. يا قوم ، اعصبوها اليوم برأسي وقولوا : جبن عتبة بن ربيعة ، ولقد علمتم أنّي لست بأجبنكم .. » .

وأشار عليهم بالنصيحة التي تحفظ نفوسهم وأموالهم ، وكان من أرشد قومه ، وأكثرهم وعياً ، وقد نظر إليه النبيّ ﷺ وهو على جمل أحمر ، فقال لأصحابه :

« إنْ يَكُنْ في أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ فَعِنْدَ صاحِبِ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ ، إنْ يُطيعوهُ يَرْشُدوا ... » .

وسخر أبو جهل من كلامه وراح يقول :

« لا نرجع حتّى يحكم الله ـ تعالى ـ بيننا وبين محمّد .. وما بِعُتْبة ما قال ، ولكنّه قد رأى أنّ محمّداً وأصحابه أكلةُ جَزُور ، وفيهم ابنُه فقد تخوَّفكم عليه » .

وجرت مشادّة عنيفة بين عتبة وأبي جهل ، فقد قال لعتبة :

« لقد ملئت رئتك وجوفك رعباً من محمّد » .

فردّ عليه عتبة بعنف قائلاً :

إيّاي يا مصفراً أسته[١] تعيّرني ستعلم اليوم أيّنا أجبن ؟

ولم تصغ قريش لمنطق الفكر ، ومضت سادرة في جهلها وكفرها ، مصمّمة على مناجزة النبيّ صلى الله عليه وآله .

سقاية الإمام عليه السلام الجيش

وانبرى بطل الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى القليب وجاء بالماء فسقى الجيش .

النبيّ صلى الله عليه وآله مع أصحابه

وأخذ النبيّ صلى الله عليه وآله يلهم أصحابه القوّة والنشاط قائلاً لهم :

« والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، لَا يُقاتِلُهُم رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صابِراً مُحْتَسِباً ، مُقْبِلاً غَيْرَ مُدْبِرٍ ، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ . . . » .

وبعثت هذه الكلمات في نفوس أصحابه القوّة والعزم والنشاط ، فاندفعوا بعزم صادق إلى مناجزة أعداء الله تعالى .

المعركة

بدأت المعركة صباح يوم الجمعة في يوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة (٢هـ) المصادف ١٥ كانون الثاني سنة (٦٢٤م) ، وقد فتح القرشيّون باب الحرب ، فقد برز منهم عتبة بن ربيعة ، وشيبة والوليد ، وهم أبطال قريش ، وانبرى إليهم كوكبة من فتيان الأنصار فزهد فيهم عتبة ، وأخذته العزّة بالإثم ، وقال لهم : « لا نريد هؤلاء ،

---

(١) كان أبو جهل مصاباً بشذوذ جنسي ، وكان يحني استه ليرغب فيه فسّاق قومه ، فلذا عيّره عتبة .

ولكن نريد أن يبارزنا بنو أعمامنا من بني عبدالمطّلب » ، فندب إليهم النبيّ ﷺ أخاه وابن عمّه الإمام أمير المؤمنين وحمزة وعبيدة ، فرضوا بهم أكفاء كراماً ، وبرز حمزة إلى شيبة فقتله ، وبرز الإمام إلى الوليد فاختطفه بسيفه الذي كان منجل الموت ، وبرز عبيدة إلى عتبة ، فأثبت كلّ منهما سيفه في رأس صاحبه ، فبادر الإمام وحمزة ، فمزّقا جسد عتبة بسيفهما ، وامتلئت قلوب القرشيّين غيظاً وفزعاً ، فقد هوت إلى الأرض جثث أعمدتهم هامدة لا حراك فيها .

دعاء النبيّ ﷺ

وتوجّه النبيّ ﷺ إلى الخالق العظيم بخشوع يدعوه أن ينصر المسلمين بنصره الذي لا غالب له قائلاً :

« اللّهُمَّ هـٰذِهِ قُرَيْشُ قَدْ أَتَتْ بِخُيَلائِها تُحاوِلُ أَنْ تُكَذِّبَ رَسُولَكَ ، اللّهُمَّ فَنَصْرَكَ الَّذي وَعَدْتَني ، اللّهُمَّ إنْ تَهْلَكَ هـٰذِهِ العِصابَةُ الْيَوْمَ لا تُعْبَد . . . » .

وما زال مادّاً يده يدعو الله تعالى ، وهو أشدّ ما يكون تضرّعاً وخشوعاً وإيماناً بالنصر الحاسم الذي وعده الله تعالى به وهو لا يخلف الميعاد .

المعركة الحاسمة

والتحم الجيشان كأشدّ ما يكون الالتحام يريد أصحاب النبيّ ﷺ أن ينصروا الله ورسوله وتعلو كلمة الإسلام ، ويريد القرشيّون أن ينصروا أصنامهم وأوثانهم وتقاليدهم ، وقد قذف الله تعالى في قلوب القرشيّين الفزع والخوف ، وأخذت سيوف المسلمين تحصد رؤوسهم ، وتهوي جثثهم إلى الأرض .

بسالة الإمام عليه السلام

وأبدى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من البسالة والصمود ما لا يوصف ، فقد كان القوّة

الضارية في جيش الرسول صلى الله عليه وآله ، فقد غاص في أوساط القرشيّين يحصد رؤوسهم ، ويشيع فيهم القتل والدمار ، وقد بهرت الملائكة من قوّة بأسه ، وعظيم إيمانه ، فنادى جبرئيل :

« لا سيف إلّا ذو الفقار[١] ، ولا فتى إلّا عليّ »[٢] .

وكتب الله تعالى للإمام عليه السلام أن يفوز بنصر الإسلام وأن ترتفع رايته بيده .

النصر المبين

ونصر الله تعالى نبيّه ورسوله وأعزّه ، وأذلّ أعداءه ، فقد تلاشت أجسام المشركين ، وانتشرت جيفهم على أرض المعركة ، تلاحقهم اللعنة والعذاب الدائم ، وهلك في هذه المعركة جميع الرؤوس والضروس المعادية لرسول الله صلى الله عليه وآله والغارقة في الحقد عليه كان منهم :

١ - أبو جهل

وقع أبو جهل صريعاً في المعركة ، فاجتاز عليه عبدالله بن مسعود ، وكان به رمق من الحياة ، فجلس على صدره ليحتزّ رأسه ويشفي غليله منه ؛ لأنّه عذّبه كثيراً في مكّة ، فقال له أبو جهل بألم وحزن :

« لقد ارتقيتَ مُرْتَقًى صَعْباً يا رُوَيْعِيَ الغنم . . . » .

ثمّ فصل رأسه الخبيث عن جسده ، وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال له :

« يا رسول الله ، هذا رأس عدوّ الله أبي جهل » .

وسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك وراح يقول :

---

(١) سمّي هذا السيف بذي الفقار لأنّه كانت له فقرات كفقرات الظهر .

(٢) كنز العمّال : ٣ : ١٥٤ وغيره .

« اللهُ الَّذي لا إِلـهَ غَيْرُه ».

وهكذا انتقم الله تعالى من هذا العدوّ الماكر الذي قابل رسول الله ﷺ بـجميع ضروب الاعتداء.

ومن الجدير بالذكر أنّ الذي ألقى أبا جهل صريعاً في أرض المعركة هو مَعاذ بن عمرو بن الجموح، فقد كان يتحرّى قتله، وقد تبعه فضربه ضربة منكرة أطنّت[1] بنصف قدمه، فسقط إلى الأرض، وعمد ابن عكرمة فضرب مـعاذاً عـلى عـاتقه، فطرح يده فتعلّقت بجلدة، فلم يحفل بها، وظلّ يقاتل عامّةَ يومه، فلمّا آلمته يده وضعها تحت قدمه فأزالها، ثمّ انخرط شاهراً سيفه في صفوف المجاهدين.. أرأيتم هذا الإيمان الذي لا حدود له الذي كان يتمتّع به أصحاب النبيّ ﷺ.

٢ ـ أُميّة بن خلف

وكان هذا الجاهلي قد أسرف في تعذيب المسلمين في مكّة، وكان يعذّب بلالاً فيخرجه إلى الرمضاء[2]، ويضجعه على ظهره، ثمّ يأتي بصخرة عـظيمة فـيضعها على صدره، ويقول له: لا تزال هكذا أو تفارق دين محمّد ﷺ، فيجيبه بلال غير حافل بألم التعذيب قائلاً:

« أحد.. أحد.. ».

يعني بذلك أنّ الله تعالى واحد لا شريك له، وقد أسره مع ابنه عبدالرحمن بن عوف، فرآه بلال فرفع صوته قائلاً:

« رأس الكُفر أُميّة بن خلف، لا نجوتُ إن نجا ».

فعذله عبدالرحمن، فلم يعن به بلال وراح يصيح:

---

(١) **أطنّت قدمه**: أي ازالت قدمه.

(٢) **الرمضاء**: الرمل الحارّ.

« يا أنصار الله ، رأس الكُفْر أُميّة بن خَلَف » .

فأحاط به المسلمون من كلّ جانب ومزّقوه مع ابنه بأسيافهم ، وهكذا لقي عدوّ الله مصيره .

٣ ـ عقبة بن أبي معيط

أسره المسلمون ، وكان من ألدّ أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله ، فأمر بقتله ، فصاح عقبة :

« من للصبية يا محمّد ؟ » .

فقال صلى الله عليه وآله : « النّار » ، وانبرى إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فحصد رأسه .

٤ ـ النضر بن الحارث

أسره المقداد ، وكان من أشدّ الحاقدين على الإسلام ، وقد عذّب كوكبة من المسلمين في مكّة ، وقد لقوا منه أشدّ ألوان التعذيب ، وحينما عرض الأسرى على النبيّ صلى الله عليه وآله نظر إليه بغضب ، فاستشعر من النظر القتل ، فقال إلى رجل إلى جنبه : « محمّد والله قاتلي ، لقد نظر إليّ بعينين فيهما الموت » ، فأنكر عليه الرجل ذلك وقال له : « ما هذا والله منك إلّا رعب » .

والتفت النضر إلى مصعب بن عمير فقال له : « كلّم صاحبك ـ يعني النبيّ ـ أن يجعلني كرجل من أصحابه ، فهو والله قاتلي إن لم تفعل » ، وردّ عليه مصعب : « أنّك كنت تقول في كتاب الله وفي نبيّه كذا وكذا ، وكنت تعذّب أصحابه » ، وأخذ النضر يستثير عواطف مصعب قائلاً له :

« لو أسرتك قريش ما قتلتك وأنا حيّ ... » .

وردّ عليه مصعب هذه المراوغة قائلاً :

« إنّي والله ما أراك صادقاً ... » .

وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بقتله ، وكان المقداد يطمع في فديته ، فقال : « النضر أسيري » ،

فقال النبيّ : «**اللّهُمَّ أغْنِ المِقْدادَ مِنْ فَضْلِك**» ، وانبرى إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقتله .

٥ ـ عتبة بن ربيعة

قتل في المعركة ، وكان من أعدى النّاس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله .

٦ ـ شيبة بن ربيعة

قُتل في المعركة ، وأُلقيت جيفته في القليب ، وكان من الحاقدين على النبيّ صلى الله عليه وآله .

هؤلاء بعض رؤوس أعداء الله ورسوله ، أبادهم سيف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

أسماء من قتلهم الإمام عليه السلام

وكان معظم القتلى في معركة بدر بسيف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وهذه قائمة بأسمائهم :

١ ـ الوليد بن عتبة : كان جريئاً ، فتّاكاً ، تهابه الرجال ، هو أخو هند أُمّ معاوية زوجة أبي سفيان .

٢ ـ حنظلة بن أبي سفيان .

٣ ـ العاص بن سعيد : كان بطلاً تهابه الأبطال .

٤ ـ نوفل بن خويلد : كان من أشدّ المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وكانت قريش تقدّمه ، وتطيعه ، وهو من بني نوفل بن عبدمناف .

٥ ـ زَمْعَة بن الأسود .

٦ ـ النضر بن الحارث بن كلدة : من بني عبدالدار .

٧ ـ طُعَيمة بن عدي بن نوفل : كان من رؤوس أهل الضلال .

٨ ـ عمير بن عثمان بن كعب بن تيم : عمّ طلحة بن عبدالله .

٩ ـ عثمان بن عبدالله .

١٠ ـ مالك بن عبيدالله : أخو عثمان .

١١ ـ مسعود بن أُميّة بن المغيرة : من بني مخزوم .

١٢ ـ حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة .

١٣ ـ قيس بن الفاكه .

١٤ ـ أبو قيس بن الوليد بن المغيرة .

١٥ ـ عمر بن مخزوم .

١٦ ـ الحارث بن زمعة .

١٧ ـ أبو المنذر بن أبي رفاعة .

١٨ ـ مُنبّه بن الحجّاج .

١٩ ـ العاص بن منبه : من بني سهم .

٢٠ ـ علقمة بن كلدة .

٢١ ـ أبو العاص بن قيس بن عدي .

٢٢ ـ معاوية بن المغيرة بن أبي العاص .

٢٣ ـ لوذان بن ربيعة .

٢٤ ـ عبدالله بن المنذر .

٢٥ ـ حاجب بن السائب بن عويم .

٢٦ ـ أوس بن المغيرة بن لوذان .

٢٧ ـ زيد بن مليص .

٢٨ ـ غانم بن أبي عويف .

٢٩ ـ سعيد بن وهب : حليف بني عامر .

٣٠ ـ معاوية بن عامر : من عبد القيس .

٣١ ـ عبدالله بن جميل بن زهير بن الحارث بن أسد .

٣٢ ـ السائب بن مالك .

٣٣ ـ أبو الحكم بن الأخنس .

٣٤ ـ هشام بن أبي أُميّة بن المغيرة[١] .

هؤلاء الذين حصد رؤوسهم بطل الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من أجل رفع كلمة الله تعالى في الأرض .

جيف المشركين في القليب

أمر النبيّ صلى الله عليه وآله بإلقاء جيف المشركين بالقليب ، فأُلقيت فيه سوى أُميّة بن خلف ، فقد تفسّخ بدنه ، فألقوا عليه التراب والحجارة ممّا غيّبه عن الأنظار ، وهكذا كان مصير هؤلاء الخيبة والخسران ، وسوء المصير .

خطاب النبيّ صلى الله عليه وآله على أهل القليب

وقف النبيّ صلى الله عليه وآله على شفير القليب ، وخاطب القتلى قائلاً :

« يا أَهْلَ القَلِيب ! يا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَيا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ! وَيا أُمَيَّةَ بْنَ خَلَف ! وَيا أَبا جَهْل بْنَ هُشام . . . » ، وعدّد عصابة مِنَ الذين بالغوا في التنكيل به قائلاً :

« هَلْ وَجَدْتُم ما وَعَدَ رَبُّكُم حَقّاً ؟ فَإِنّي قَدْ وَجَدْتُ ما وَعَدَنِي رَبِّي حَقّاً » .

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ : ١٧ ـ ١٩ ، نقلاً عن السيرة النبويّة / ابن هشام : ٢ : ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

وبهر أصحاب النبيّ ﷺ من خطابه للقتلى قائلين:

«يا رسول الله، أتنادي قوماً قد جيفوا؟».

فأجابهم النبيّ ﷺ:

«وما أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِما أَقُولُ مِنْهُمْ، وَلٰكِنَّهُم لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُجِيبُونِي».

إنّ الأرواح لا تفنى ولا تبلى، وإنّما الأجسام هي التي تَبلى وتعود إلى عنصرها الذي تكوّنت منه..

وفي رواية أنّ النبيّ ﷺ قال لأهل القليب:

«يا أَهْلَ القَلِيبِ، بِئْسَ الْعَشِيرَةِ الَّتي كُنْتُم لنَبِيِّكُم؛ كَذَّبْتُموني وَصَدَّقَني النّاسُ، وأَخْرَجْتُموني وَآواني النّاسُ، وقاتَلْتُموني ونَصَرَني النّاسُ».

لقد أعزّ الله تعالى عبده ورسوله ونصره على أُولئك الفسقة الأقزام الذين جهدوا على إطفاء نور الإسلام، وإعادة الحياة الجاهليّة الآثمة إلى مسرح الحياة.

شعر حسّان في أهل القليب

نظم حسّان بن ثابت مقطوعة من الشعر عرض فيها إلى ما صنعه الله تعالى بالمشركين من قريش من التنكيل والقتل والدمار في واقعة بدر التي انتصر فيها الإسلام انتصاراً حاسماً، وأذلّ قريشاً دعاة الجاهليّة، وألقى أعمدتهم في القليب، وهذه مقطوعته:

عرفتُ ديارَ زَيْنب بالكَثِيب ... كخَطِّ الوَحْيِ في الوَرَقِ القَشِيبِ[1]

تَداوَلَها الرِّياحُ وكُلُّ جَوْنٍ ... مِنَ الوَسْمِيِّ مُنْهَمِرٍ سَكوبِ[2]

---

(١) **الكثيب**: الرمل. **القشيب**: الجديد.

(٢) **الوسمي**: مطر الخريف.

فَـأمْسىٰ رَسْـمُها خَـلَقاً وأَمْسَتْ ... يَـباباً بَـعدَ سـاكِـنِها الحـبيبِ[١]
فَـدَعْ عَـنْكَ التَّـذَكُّـرَ كُـلّ يَـوْمٍ ... ورُدَّ حــرارةَ الصَّـدرِ الكَـئِيبِ
وخـبِّرْ بـالَّذي لاعَـيْبَ فـيهِ ... بِـصِدْقٍ غـيرِ إخْبارِ الكَـذُوبِ
بـما صـنَعَ المـليكُ غَـداةَ بَـدْرٍ ... لنا فـي المُشْـركينَ مِـنَ النَّـصيبِ
غَــداةَ كَـأَنَّ جَـمْعَهم حِـراءٌ ... بَـدَت أَرْكـانُهُ جُـنْحَ الغُـروبِ[٢]
فـلاقيناهُمُ مِـنّا بِـجَمْعٍ ... كـأُسدِ الغـابِ مُـرْدانٌ وشِـيبِ
أمـامَ مُـحمَّدٍ قَـدْ وازَرُوهُ ... عَلَى الأَعداءِ فـي لَـفْحِ الحُـرُوبِ
بِـأيْديهِم صـوارِمُ مُـرْهَفاتٌ ... وكـلُّ مـجرَّبٍ خـاظي الكُـعُوبِ
بـنُو الأوسِ الغَـطارفُ وازرتْـها ... بنو النَّجّارِ في الدِّين الصَّـلِيبِ[٣]
فـغادَرْنا أبـا جـهلٍ صَـرِيعاً ... وعُـتْبَةَ قَـد تَـركْنا بـالجَبُوبِ[٤]
وَشَـيْبَةَ قَـدْ تَـرَكْنا فـي رجـالٍ ... ذَوِي حَسَبٍ إذا نُسِـبوا حسيبِ
يُـناديهِمْ رسـولُ اللهِ لمّـا ... قَذفناهُم كَـباكِبَ فـي القَـلِيبِ[٥]
أَلَـمْ تَـجِدُوا كَـلامي كـانَ حَـقّاً ... وأمْـرُ اللهِ يَـأخُذُ بـالقُلوبِ
فـما نَـطقَوا ولو نَـطقَوا لقـالوا ... صَدَقْتَ وكُنْتَ ذا رأيٍ مُـصيبِ[٦]

وصوّرت هذه الأبيات ما لاقته قريش من الدمار والقتل بأيدي المسلمين، وعلى رأسهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد حصد رؤوس أعلامهم وقادتهم.

---

(١) **يباباً**: قفراً.

(٢) **حراء**: موضع بمكّة.

(٣) **الغطارف**: السادة.

(٤) **الجبوب**: وجه الأرض.

(٥) **الكباكب**: الجماعات.

(٦) السيرة النبوّية / ابن كثير: ٢: ٤٥٢.

الأسرى من قريش

وقع سبعون أسيراً من قريش[1] بأيدي القوّات المسلّحة من جيش النبيّ ﷺ فأخذ من بعضهم الجزية وأطلق سراحهم ، وكانت جزية أحدهم أربعة آلاف درهم ، وتسابق القرشيّون إلى إعطاء الفدية عن أسراهم ، وقد أوصى النبيّ ﷺ بالأسارى خيراً ، وكان مَن لا يتمكّن من دفع الجزية وهو يحسن القراءة والكتابة أمره النبيّ ﷺ بتعليم أبناء المسلمين بدل الجزية ، وقد أقام بذلك أوّل صرح في عاصمته لمحو الأُميّة .

أبو رافع مع أبي لهب

كان أبو رافع مولىً لرسول الله ﷺ ، وكان يكتم إسلامه مع أُمّ الفضل زوجة العبّاس بن عبدالمطّلب ، ولمّا جاء النبأ بهزيمة قريش في واقعة بدر وجد أبو رافع مع مَن كتم إسلامه من قريش قوّة في نفوسهم وعزّاً ، وقد ملئت نفوسهم فرحاً وسروراً ، وبينما كان أبو رافع جالساً ومعه أُمّ الفضل إذ أقبل أبو لهب وهو يتطلّع إلى أخبار قريش في بدر ، فجلس إلى جانب أبي رافع ، وبينما هما يتحدّثان إذ أطلّ عليهما المغيرة بن الحارث بن عبدالمطّلب ، فسارع إليه أبو لهب قائلاً:

« هلمّ إلي فعندك الخبر ؟ » .

فجلس المغيرة وفي نفسه ألم ممّا جرى على قومه ، فأخذ يحدّثه عن الكارثة التي ألمّت بقريش قائلاً:

« والله ! ما هو إلّا أن لَقِينا القوم فَمَنَحْناهم أكتافَنا يقتلوننا كيف شاءوا ويأسرُوننا كيف شاءوا ، وأيمُ الله ! مع ذلك ما لُمت النّاس لقينا رجالاً بيضاً على خيْل بُلْق بين

---

(١) تاريخ أبي الفداء : ١ : ١٣٦ . تاريخ الأمم والملوك : ٢ : ١٣٥ .

السماء والأرض، والله ! ما تَلِيق شيئاً ولا يقوم لها شيء...».

وفرح أبو رافع بنصر الله تعالى للمسلمين، وراح يقول: «تلك والله الملائكة».

وهي التي شتّتت قريش وأنزلت بهم الهزيمة الساحقة، ولمّا سمع ذلك أبو لهب فقد أهابه، فرفع يده ولطم وجه أبي رافع، ثمّ طرحه أرضاً وبرك على صدره يوسعه ضرباً ولكماً، وانبرت إليه أُمّ الفضل زوجة العبّاس بن عبدالمطّلب، فأخذت عموداً فضربته على رأسه، وصاحت به: «استضعفته إن غاب عنه سيّده»، يعني العبّاس.

فخرج ذليلاً ولم يلبث إلّا أيّاماً حتّى هلك عدوّ الله...»[١].

متارك بدر

وتركت واقعة بدر أُموراً بالغة الأهمّية، كان منها ما يلي:

١ ـ انتصار الإسلام

وانتصر الإسلام انتصاراً رائعاً بعد انتهاء واقعة بدر، فقد قويت شوكة المسلمين، وأكسبتهم قوّة نفسيّة هائلة، فهي أُمّ الفتوح التي شجّعتهم على الخوض في أعنف المعارك التي شنّها عليهم أعداء الإسلام، لقد انتهت معركة بدر، وقد تقلّد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيها وسام شرف، فقد كان سيفه فيها منجل الموت الذي حصد به رؤوس القرشيّين الذين ما آمنوا بالله طرفة عين حتّى بعد إعلانهم المزيّف للإسلام، وأنّ جميع ما عاناه المسلمون من الأزمات كانت من صنعهم وتدبيرهم.

٢ ـ فزع المشركين

أحدث انتصار الإسلام في واقعة بدر موجة من الفزع والخوف في نفوس

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام: ٢: ٣٠١ و ٣٠٢، ومعظم هذه البحوث اقتبسناها من هذه السيرة.

المشركين من العرب ؛ لأنّ قريش التي هي أقوى العرب في نفوذها وإمكانيّاتها الاقتصاديّة قد تحطّمت ، وفقدت أهمّ أعمدتها في صراعها مع الإسلام ، وأيقنت العرب أنّها لا تستطيع أن تقف أمامه ، وأنّه قوّة لا تُقهر .

٣ ـ حزن القرشيّين

حزن القرشيّون كأشدّ ما يكون الحزن على ما مُنوا به من الخسائر الفادحة في النفوس والأموال ، وكان حزنهم كامناً في نفوسهم ، لا يظهرون خوفاً من شماتة المسلمين بهم ، فقد كتمت هند أُمّ معاوية حزنها على أهلها الذين حصدت رؤوسهم وقالت : «كيف أبكيكم فيبلغ محمّداً وأصحابه فيشمتوا بنا ، لا والله ! حتّى أثأر من محمّد وأصحابه ، والدهن عليَّ حرام حتّى نغزوا محمّداً » ، وأمّا أبو سفيان فقد أقسم أن لا يمسّ رأسه ماء من جنابة وغيرها [١] .

لقد تركت واقعة بدر لوعة في نفوس القرشيّين ، وقد أعرب عن حزنهم البالغ بعض شعرائهم بقوله :

فماذا بالقَلِيب قَلِيبِ بَدْرٍ مِنَ الْفِتْيانِ والقَومِ الكِرامِ
وماذا بالقَلِيب قَلِيب بدرٍ من الشِّيزي [٢] تُكَلَّلُ بالسَّنامِ [٣]

أرأيتم هذا الحزن العميق والأسى البالغ على قتلى بدر ، فقد هام القرشيّون بتيّارات من اللوعة والحزن ظلّ يتابعهم حتّى لمّا بويع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة ، فقد نظم أسيد بن أياس القرشي مقطوعة من الشعر يستنهض بها هِمم القرشيّين على مناهضة حكومة الإمام عليه السلام ، ويذكّرهم بمواقفه يوم بدر قائلاً :

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ : ٢٠ .

(٢) **الشيزي** : شجرة يتّخذ منها الجفان .

(٣) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد : ١ : ١١٨ .

في كلِّ مـجمع غـاية أخـزاكُـم ... جذع أبرّ على المذاكي القرحِ[١]
للهِ درُّكُـــم ألمّـــا تـــنكروا ... قَد يذكر الحرُّ الكَريم ويستَحي
هذا ابنُ فاطمة[٢] الَّذي أَفْناكُـم ... ذَبْـحاً وبـقتلة بـعضه لم يـذبحِ
أعطوهُ خَرجـاً واتَّـقوا تـضريبَهُ ... فِـعلَ الذليـلِ وبيعةً لم تـربحِ
أينَ الكُـهولُ وأيـنَ كـلّ دعـامةٍ ... في المُعْضلاتِ وأينَ زينُ الأبطح
أفـناهُمُ قَـصعاً وضَـرباً يَـفْتَري ... بالسَّيْفِ يعملُ حدّه لَمْ يصفحِ[٣]

حكت هذه الأبيات مدى حقد القرشيّين ، وعداءهـم السـافر للإمـام فـي أيّـام حكومته ، ويطلب منهم الشاعر مناهضة حكومته والتمرّد على سلطانه طلباً لثأرهم ، وقد ظلّ هذا الحقد كامناً في نفوس أبنائهم أمثال يزيد بن معاوية حينما قفز عـلى دست الحكم الذي بناه له أبوه فبادر إلى إبادة العترة الطاهرة من أبناء الرسول ﷺ تشفّياً وانتقاماً لقتلى بدر ، وأخذ يترنّم بهذه الأبيات :

لَسْتُ مِنْ خِـنْدِفَ إِنْ لَـمْ أَنْـتَقِمْ ... مِنْ بَـني أَحْـمَدَ مـا كـانَ فَـعَلْ
قَدْ قَـتَلْنَا الْـقَرْمَ مِـنْ ساداتِـهِمْ ... وَعَـــدَلْناهُ بِـــبَدْرٍ فَـــاعْتَدَلْ

وعلى أيّ حال ، فقد انطوت نفوس القرشيّين على ألم ممضّ ، وحزن عميق على قتلى بدر ، وقد اندفع شعراؤهم إلى رثائهم بذوب أرواحهم ، ولنستمع إلى بـعض شعرائهم :

---

(١) **الجذع** : الشاب ، يعني به الإمام الذي حصد رؤوس القرشيّين بسيفه ذي الفـقار . **الأبـر** : الغالب والمنتصر . **المذاكي** : الخيل .
(٢) فاطمة : هي اُمّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .
(٣) **القصع** : الدفع والكسر ، **والقصعة** : المرّة منه . موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ : ٢١ .

ابن إسحاق

بكى ابن إسحاق حليفُ بن عبدالدار قتلى بدر ورثاهم بقصيدة منها هذه الأبيات :

مــاذا عَـلىٰ بَـدْرٍ ومـاذا حَـوْلَهُ — مـن فِـتْيَةٍ بِـيضُ الوجُـوهِ كِـرامِ
تَـركوا نُـبَيهاً خَـلْفَهم ومُـنَبِّهاً — وَابْـنَي رَبِـيعةَ خَـصْمِ فِـئَامِ[١]
والحارثَ الفَيّاض يَبْرُقُ وَجـهُهُ — كالبَدرِ جَـليَّ لـيلةَ الإظْـلامِ[٢]

ويستمرّ الشاعر بذكر أوصافهم وصفاتهم ، ويتوجّع عليهم ، ويبكيهم أمرّ البكاء .

الحارث بن هشام

ورثى الحارث بن هشام قتلى بدر بقصيدة أعرب فيها عن أساه وحزنه عليهم كان منها هذه الأبيات :

ألا يـا لَـقوْمي لـلـصَّبابةِ والهَـجْرِ — وللحُزْنِ منِّي والحَرارةِ في الصّدْرِ[٣]
ولـلـدَّمْعِ مـنْ عَـيْنيَّ جَـوْداً كـأنَّهُ — فريدٌ هَوى من سِلْكِ نـاظِمِهِ يَـجْري

ويستمرّ الحارث في بكائه وعويله على قتلى بـدر الذيـن حـصدت رؤوسـهم سيوف الحقّ .

أُميّة بن أبي الصلت

رثى أُميّة بن أبي الصلت قتلى بدر بلوعة وحزن بقصيدة كان منها هذه الأبيات :

ألّا بَكـيتِ عـلى الكِـرا — مِ بَني الكِـرامِ أُولي المَـمادحْ
كـبُكا الحَـمامِ عـلىٰ فُـرو — عِ الأَيْكِ في الغُصُنِ الجَوانِحْ[٤]

---

(١) **الفئام** : الجماعات من النّاس .

(٢) **الفيّاض** : الكثير الإعطاء .

(٣) **الصبابة** : رقّة الشوق .

(٤) **الأيك** : الشجر الملتفت . **الجوانح** : الموائل .

يَـبْكينَ حَـرَّى مُسْـتكيناتٍ ... يَـرُحْنَ مَـعَ الرَّوائِـحْ
أمـثالُهنَّ البـاكـيا ... تُ المُـعْولاتُ مِنَ النَّوائِحْ
مَـنْ يَـبْكِهم يَـبْكِ عـلى ... حُـزْنٍ ويَـصدُق كلَّ مادِحْ

ويستمرّ ببكائه على أهل بدر ويذكر صفاتهم وخسارة مكّة بفقدهم.

هند بنت عتبة

رثت هند بنت عتبة أباها بمقطوعات من الشعر أبدت فيها حزنها العميق، كان منها هذه الأبيات:

أَبَـعْدَ قـتيلٍ مـن لُؤيٍّ بنِ غـالبٍ ... يُراع امرؤٌ إنْ ماتَ أوْ مـاتَ صـاحِبُهْ
ألَا رُبَّ يـومٍ قـدْ رُزِئتُ مُـرَزَّأً ... تـروحُ وَتَـغْدو بـالجزيلِ مَـواهِبُهْ
فـأَبْلِغْ أبـا سُـفيانَ عَـنِّي مَـأْلُكاً ... فـإنْ أَلْـقَهُ يـوماً فسـوفَ أُعـاتِبُهْ
فَقَدْ كانَ حـربٌ يَسْـعَرُ الحـربَ إنَّـهُ ... لِكُلِّ امْرِئٍ في النّـاسِ مـولًى يُـطالِبُهْ

لقد نخب الحزن قلب هند، وراحت تحرّض قريش على الأخذ بثأر مَن قتل من أهلها.

وذكر ابن هشام مجموعة من القصائد لشعراء مكّة يرثون فيها قتلاهم ببدر، وقد ملئت قلوبهم بالحقد والعداء للنبيّ ﷺ وللإمام أمير المؤمنين عليه السلام بصورة خاصّة لأنّه حصد رؤوس أعلامهم.

٤ ـ سرور المسلمين

سادت المسرّات، وعمّت الأفراح في أوساط المسلمين على ما أحرزوه من الانتصار في واقعة بدر التي أذلّ الله بها خصومهم، وقهروا أعدائهم، وقد انبرى شعراؤهم إلى نظم هذا النصر العظيم، كان منهم:

حسّان بن ثابت

ونظم حسّان بن ثابت عدّة قصائد في واقعة بدر أبدى سروره البالغ بنصر المسلمين، وشماتته بقتل القرشيّين وأسرهم، وكان من قصائده هذه الأبيات:

لقَدْ علِمَتْ قريشٌ يَومَ بَدْرٍ ... غداةَ الأسرِ والقَتْلِ الشَّدِيدِ
بأنّا حينَ تَشْتَجِرُ العَوالي ... حُماةُ الحَربِ يَومَ أبي الوَلِيدِ
قَتَلنا ابْنَيْ ربيعةَ يَوَمَ سارا ... إلَيْنا في مُضاعَفَةِ الحَديدِ
وفَرَّ بها حَكِيمٌ يومَ جالت ... بنو النَّجّارِ تَخْطِرُ كالأسُودِ[1]
وولَّتْ عندَ ذاكَ جُموعُ فِهْرٍ ... وأَسْلَمها الحُوَيْرِثُ مِنْ بَعيدِ
لقَد لاقيتُمُ ذُلّاً وقَتْلاً ... جَهيزاً نافِذاً تحتَ الوَرِيدِ
وكلُّ القَومِ قَد ولَّوْا جميعاً ... ولَمْ يَلْوُوا على الحَسَبِ التَّليدِ[2]

حكى هذا الشعر ما لاقته قريش من القتل والأسر والهزيمة المنكرة على أيدي بني النجّار الأسود، الذين نصروا الإسلام واستجابوا لدعوة الحقّ.

وممّا قاله حسّان في قتلى بدر من قريش:

ألَا ليتَ شِعْري هل أتىٰ أهلَ مكّةٍ ... إبارَتُنا الكفّارُ في ساعةِ العُسْرِ[3]
قَتَلْنا سُرَاةَ القَوْمِ عِندَ مَجالِنا ... فلَم يَرْجِعوا إلّا بقاصِمَةِ الظَّهْرِ
قَتَلْنا أبا جَهْلٍ وعُتْبة قَبْلَهُ ... وشَيبْة يَكْبُو للیَدَينِ وَللنَّحْرِ[4]

---

(١) **تخطر**: تهتزّ.

(٢) **التليد**: القديم.

(٣) **إبارَتُنا**: أي هلاكنا.

(٤) **يكبو**: يسقط.

قَــتَلنا سُــوَيداً ثُــمّ عُــتْبَةَ بـعدَهُ ... وطُعْمة أيضاً عند ثائِرَةِ الفَتْرِ[1]
فكَــمْ قَــتَلْنا مِنْ كَـريمٍ مُـرَزّاءٍ ... لهُ حَسَبٌ في قـومِهِ نـابهِ الذكـرِ
تَـــركناهُمُ للــعاوِيات يَــنُبْنَهُم ... ويَصلونَ ناراً بعدُ حـامِيَةَ القَـعْرِ
لَعَمْرُكَ ما حامَتْ فَوارسُ مـالكٍ ... وأشياعُهُم يومَ التَقَيْنا على بَـدْرِ

عرض حسّان في هذه الأبيات إلى ما واجهته قريش في معركة بدر، فقد قتل سراتها وعيونها كأبي جهل وعتبة وسويداً وغيرهم، وقد انتقم الله منهم، وأنـزلهم سوء الدار بمحاربتهم لرسول الله ﷺ ومناهضتهم لدعوته.

عبيدة بن الحارث

كان عبيدة من أبطال المسلمين ومن عيون المجاهدين، وقد قطعت رجله في واقعة بدر، فقال معتزّاً ومفتخراً بما أصابه ومندّداً بالقرشيّين، قال:

سَـتَبْلُغُ عــنّا أهــلَ مكّـةَ وَقْـعةٌ ... يَهُبُّ لها مَن كـانَ عَـنْ ذاكَ نـائِيا
بــعُتْبَةَ إذْ ولّــىٰ وشــيْبَةَ بــعدَهُ ... وما كـانَ فـيها بكْـرُ عُـتْبة راضِـيا
فإنْ تَقْطَعوا رِجْـلي فـإنّيَ مُسْـلِمٌ ... أُرجِّــي بـها عـيشاً مِنَ اللهِ دانِـيا
وبعتُ بها عَـيشاً تَـعرَّفْتُ صَـفوَهُ ... وعــالَجْتهُ حَـتّى فـقدْتُ الأدانِـيا
فأكْرَمني الرَّحمٰنُ مِنْ فَضْلِ مَـنِّهِ ... بثَوبٍ منَ الإسلام غَطَّى المَساوِيا
ومــا كـانَ مكـروهاً إلَـيّ قِـتالُهم ... غداةَ دعا الأكفاءَ مَنْ كـانَ داعِـيا
ولم يَبْغِ إذْ سألوا النَّبيَّ سـواءنـا ... ثــلاثَتُنا حـتّىٰ حَـضَرْنا المُـنادِيا
لَــقِيناهُمُ كـالأُسْدِ تَـخطِرُ بـالقَنا ... نُقاتِلُ في الرَّحـٰمنِ مَنْ كانَ عاصِيا

عرض عبيدة بهذه الأبيات إلى منازلته مع حمزة والإمام عليه السلام إلى أبطال قريش،

---

(١) الفتر: الغبار.

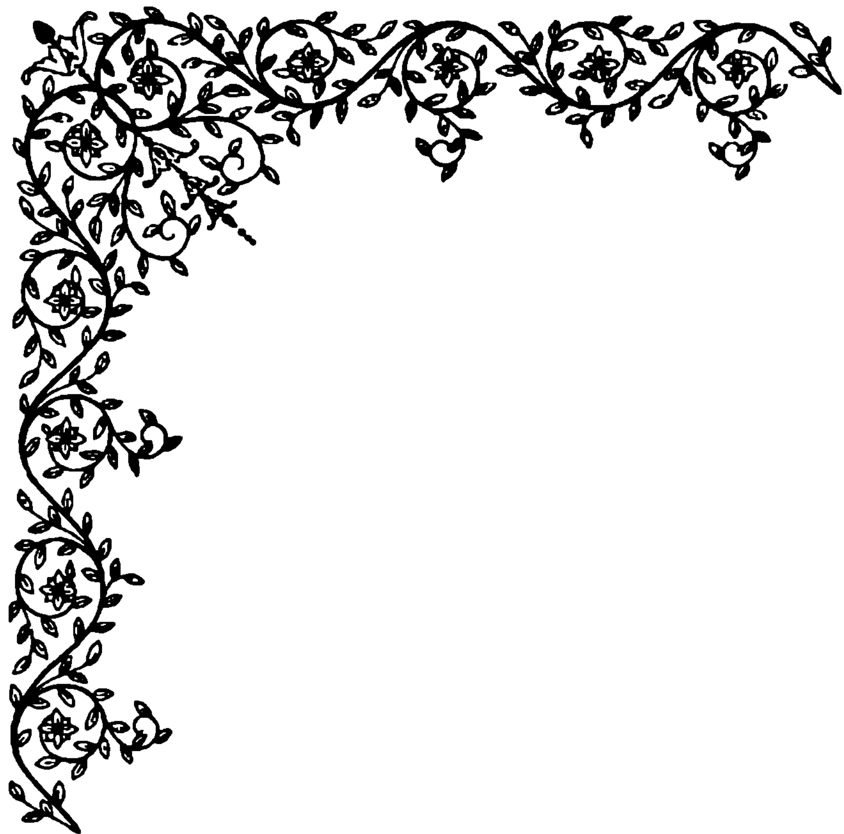
وقطع رجله في ميدان الحرب ، وأنّه يرجو من الله تعالى أن يعوّضه عنها بعيشة راضية يوم يلقاه ، وأنّه مع ما عاناه من المصائب والأزمات فإنّه سعيد باعتناقه للإسلام . ومن الجدير بالذكر أنّه لمّا أصيبت رجله قال : « أما والله ! لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أنّي أحقّ منه بما قال :

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ يبرز مُحَمَّداً ... وَلَمّا نُطَاعِنْ دونَهُ ونُناضِلِ
ونَنْصُرُهُ حَتّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنُذْهَلَ عَنْ أَبْنائِنا والحَلَائِلِ[1]

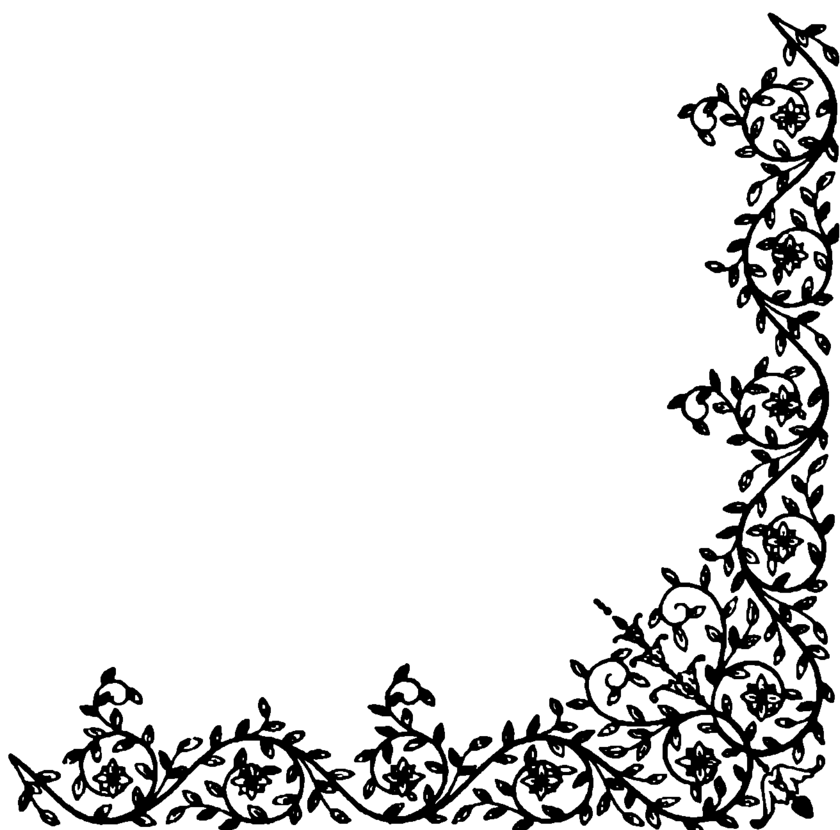
وبهذا نطوي الحديث عن واقعة بدر التي نصر الله تعالى بها عبده ورسوله ، وأذلّ قريشاً وسائر القوى المعادية للإسلام .

---

(١) جميع هذه البحوث مقتبسة من السيرة النبوّية لابن هشام : ٢ : ٨ ـ ٣١.



وَاقِعَةُ أُحُدٍ



استقبلت قريش نبأ هزيمتهم المنكرة ، وخسائرهم الفادحة بـالأنفس والأمـوال في معركة بدر بمزيد من الأسى واللوعة ، وساد فيهم حزن عميق ، وأسى مرير ، وكان من أشدّهم لوعة أبو سفيان وزوجته هند أُمّ معاوية ، فقد حرّمت على نفسها وعلى الرجال والنساء من قريش البكاء على قتلاهم حتّى يظلّ الحزن كامناً في نـفوسهم لا يطفأ إلّا بأخذ الثأر من المسلمين.. ونعرض إلى بعض فصول هذه المعركة التي سمّيت بواقعة أُحد[1].

قيادة أبي سفيان

كان أبو سفيان قائد قريش في واقعة أُحد ، والزعيم الأوّل فـي هـذه المـعركة ، فقد قام بدور إيجابي في دفع الجماهير لحرب رسول الله ﷺ ، وقد طلب من تجّار قريش وذوي ثرائهم أن يعينونه على حرب رسول الله ﷺ بأموالهم ؛ ليدركوا ثأرهم ، فاستجابوا له ، وأعطوه ما أراد من المال ، فاشترى به السلاح والعـتاد ، وفـي هـذه الواقعة نزلت ستّون آية من آل عمران .

---

(١) **أُحد** : جبل مشهور بالمدينة ، كانت الواقعة في شوّال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لإحدى عشر ليلة من شوّال ـ السيرة الحلبيّة / زيني دحلان ، المطبوع على هامش السيرة الحلبيّة : ٢ : ١٩ .

إجماع قريش على الحرب

وأجمعت قريش على حرب رسول الله ﷺ وتبعها قبائل كنانة، وأهل تِهامة وأحابِيشهم، فكان عددهم فيما يقول المؤرّخون ثلاثة آلاف، وجيش المسلمين سبعمائة.

وقد عزم على التخلّف عن المعركة عمرو بن عبدالله الجُمَحيّ؛ لأنّ رسول الله ﷺ قد منّ عليه في واقعة بدر فأطلق سراحه ولم يأخذ منه فدية؛ لأنّه بائس فقير، فأقبل عليه صَفْوان بن اُميّة فقال له:

«إنّك امرؤٌ شاعرٌ، فأعنّا بِلسانك فاخرُج معنا».

فاعتذر منه وقال له: «إنّ محمّداً قد منّ عليّ، فلا اُريد أن اُظاهر عليه»، وأخذ يخدعه ويغريه قائلاً له: «لك اللهُ عليّ إن رجعتُ أن اُغنِيك، وإن اُصِبْتَ أن أجعل بناتِك مع بناتي يُصيبهنّ ما أصابهنّ من عُسْر ويُسر»، واستجاب له عمرو بعد هذا الالحاح والاغراء، فخرج يدعو بني كنانة وهو رافع عقيرته قائلاً:

إيْـهاً بـني عـبد مـناةَ الرُّزّامْ ... أنتم حُـماةٌ وأبـوكم حـامْ[1]

لا تَعِدُوني نَصرَكم بعدَ العام ... لا تُسْلموني لا يَـحلُّ اسْـلام

وأخذ صوته يدوي في أوساط الجماهير، فاستجاب له، وتهيّأت لحرب رسول الله ﷺ، ولم يتخلّف أحد منهم.

خروج قريش مع نسائها للحرب

وخرجت قريش عن بكرة أبيها لحرب رسول الله ﷺ تصحبهم نساؤهم؛ لأنّه

---

(١) **الرزام**: جمع رازم، وهو الذي يثبت في الحرب.

أدعى للتفاني في الحرب ، فخرج أبو سفيان ومعه هند بنت عتبة ، وعمرو بن العاص ومعه رَيْطة بنت مُنبِّه ، وعكرمة بن أبي جهل ومعه أُمّ حكيم بنت الحارث بن هشام ، والحارث بن هشام بن المُغيرة ومعه فاطمة بنت الوليد بنُ المُغيرة ، وصفوان بن أُميّة ومعه بَرْزَة بنت مسعود ، وطلحة بن أبي طلحة ومعه سُلَافة بنت سعد ، وأبو عزيز بن عمير ومعه خناس بنت مالك ، كما خرجت عمرة بنت علقمة من نساء بني الحارث ، وغيرهنّ من النساء ، وتتقدّمهنّ هند ، وكنّ يضربن بالدفوف خلف الرجال ، وهند أُمّ معاوية رافعة صوتها بنشيدها :

ويهاً بَني عبدالدار ويهاً حُماةَ الأدبار(١) ضَرْباً بكل بَتّار(٢)

وتقول في نشيد آخر :

إن تُقْبِلوا نُعانِقْ وَنفرُشُ النَّمارِقْ(٣)
أو تُدْبِروا نُفارِقْ فِراقَ غير وامِقْ(٤)

وكانت هند تبعث الحماس في نفوس الرجال ، وزوجها يتقدّم أرجاس المردة والطغاة ، ويحرّضهم على الخوض في الحرب لإطفاء نور الله تعالى ، وإخماد رسالة الإسلام ، واستمرّت قريش في مسيرتها حتّى انتهت إلى الأبواء أشارت عليهم هند أمّ معاوية بنبش قبر السيّدة أمّ النبيّ ﷺ ، فإن أُسر منكم أحد فديتم كلّ إنسان منكم بجزء من أجزائها ، فلم يستجيبوا ، وقال بعضهم : « لا يفتح هذا الباب وإلّا نبش موتانا عند مجيئهم »(٥).

---

(١) **حُماةَ الأدبار** : الذين يحمون أعقاب النّاس.

(٢) **البتّار** : القاطع.

(٣) **النمارق** ـ جمع نمرقة ـ : الوسادة الصغيرة.

(٤) **الوامق** : المحبّ.

(٥) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٦٨.

مشاورة النبيّ ﷺ لأصحابه

كان النبيّ ﷺ في معظم أُموره السياسيّة والعسكريّة يستشير أصحابه فيها ما لم ينزل عليه الوحي من السماء ، وقد عرض على أصحابه الخروج من المدينة لصدّ عدوان المعتدين من قريش ، أو الإقامة في المدينة ، فإذا جاء العدو قاتلوه فيها ، واختلف رأي أصحابه ، فكان رأي عبدالله بن أُبيّ بن سَلول الإقامة في المدينة ، وقال آخرون : « يا رسول الله ، اخرُج بنا إلى أعدائنا لا يَروْن أنّا جَبُنّا وضَعُفنا » ، واستجاب لهم النبيّ ﷺ على كره ، فدخل بيته ولبس لامته ، وذلك في يوم الجمعة ، وخرج معه ألف مقاتل .

انخذال المنافقين

وزحف الرسول ﷺ بجيشه لصدّ العدوان عليه ، فلمّا كان بالشَّوْط بين المدينة وأُحد انخذل عنه عبدالله بن أبيّ بن سَلول ، وهو من رؤوس المنافقين ، ومعه ثلث عسكر النبيّ ، وناداهم عبدالله بن عَمرو بن حَرَام برفيع صوته :

« يا قوم ، أذكّركم الله ألّا تخذُلوا قومَكم ونَبِيّكم عندما حَضَر من عدوّهم . . » .

فلم يستجيبوا له ، واعتذروا بأعذار واهية ، فقال لهم :

« أبعدكم الله أعداء الله ، فسُيغْني الله عنكم نبيّه . . » .

وانصرف النبيّ ﷺ عنهم ومعه سبعمائة مقاتل .

نزول النبي ﷺ بالشِّعب

وسار الرسول ﷺ بجيشه لا يلوي على شيء ، حتّى نزل الشِّعب في عُدْوة الوادي إلى الجَبل ، واستدبر جبل أُحد ، وأقام عليه خمسين رجلاً من الرماة ، وأمّر عليهم عبدالله بن جبير ، وألزمهم بالإقامة على الجبل لا يريمون عنه ليحفظ

المسلمين من خلفهم ، وقال ﷺ لعبدالله :

« انْضَحَ الخَيْلَ عَنّا بِالنَّبْلِ لا يَأْتونا مِنْ خَلْفِنا ، إنْ كانَتْ لَنا أَوْ عَلَيْنا ، لا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكْ » .

وفي رواية : أنّ النبيّ ﷺ قال للرماة على الجبل : **« إنْ رَأَيْتُمونا تَتَخَطَّفُنا فَلا تَبْرَحوا حَتّىٰ أُرْسِلَ إلَيْكُم ، وَإنْ رَأَيْتُمونا ظَهَرْنا عَلَى القَوْمِ وَأَوْطَأْناهُم فَلا تَبْرَحوا حَتّىٰ أُرْسِلَ إلَيْكُم »**[١] .

ولو أنّ هذا الفصيل من الجيش أخذ بوصيّة النبيّ ﷺ لما مني المسلمون بكارثة الهزيمة وما أعقبها من الخسائر في الأرواح .

الحرب

وفتحت قريش باب الحرب على المسلمين ، فقد برز إلى الساحة طلحة بن أبي طلحة ، وكان من فرسان قريش رافعاً صوته قائلاً :

« يا أصحاب محمّد ، تزعمون أنّ الله ـ تعالى ـ يعجّلنا بأسيافكم إلى النّار ، ويعجّلكم بأسيافنا إلى الجنّة ، فأيّكم يبرز إليّ ؟ » .

فبرز إليه بطل الإسلام ، وأسد الله ورسوله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً :

« وَاللهِ ! لَا أُفارِقُكَ حَتّىٰ أُعَجِّلَكَ بِسَيْفِي إلَى النَّارِ » .

وبادره بضربة برا بها رجله فسقط إلى الأرض صريعاً يتخبّط بدمه ، وأراد الإمام أن يجهز عليه ، فناشده الله والرحم أن يتركه ، فتركه ولم يلبث إلّا ساعة حتّى هلك ، وفرح النبيّ ﷺ بهلاكه ، كما عمّت الفرحة جميع المسلمين[٢] ؛ لأنّه كان يسمّى

---

(١) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٢٢ .

(٢) نور الأبصار : ٧٨ .

كبش الكتيبة لشجاعته ، وقد كان لقتله صدى حزن ووهن في نفوس القرشيّين ، فقد انخذلوا بقتله ، وطاردهم الرعب والفزع بهلاكه ، وبرز بعد طلحة أبطال قريش وشجعانها ، فانبرى إليهم بطل الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فحصد رؤوسهم بسيفه ، وقد انهارت معنويّاتهم ، وأيقنوا بالهلاك .

وكانت هند أُمّ معاوية في وسط المعركة تلهب في نفوس الجيش الحماس لمحاربة المسلمين ، وإذا انهزم رجل من قريش دفعت له ميلاً ومكحلة ، وقالت له : « إنّما أنت امرأة فاكتحل بها »(١) ، ولا يقلّ حماسها عن حماس زوجها أبي سفيان الذي كان يجول في المعركة ويحرّض بلهفة المشركين على قتال المسلمين ، وكان يقول لبني عبدالدار وهم حملة لواء الجيش :

« إنّكم قد وَلِيتم لِواءَنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنّما يؤتى النّاس من قِبَل راياتهم ، إذا زالت زالوا ، فأمّا أن تكْفُونا لِواءَنا ، وأمّا أن تُخَلُّوا بيننا وبينه فَنكْفِيكموه » ، وقد أثار عواطفهم ، واعتبروا ذلك تنديداً بهم ، واحتقاراً لهم ، وقالوا له : « أنحن نُسلّم إليك لواءَنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نَصْنع » ، وهذا ما أراده أبو سفيان من إغراءه لهم .

النبيّ صلى الله عليه وآله مع أبي دجانة

كان أبو دجانة من خيار الصحابة ، وكان شجاعاً يختال الأعداء عند الحرب ، وكان بيد رسول الله صلى الله عليه وآله سيف ، فقال : **« مَنْ يَأْخُذُ هذا السَّيف بِحَقِّه ؟ »**.

فانبرى إليه أبو دجانة فقال :« ما حقّه يا رسول الله ؟ » .

« أَنْ تَضْرِبَ بِهِ في وَجْهِ العَدُوِّ حَتّىٰ يَنْحَني ».

« أنا آخذه يا رسول الله بحقّه » .

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ : ٢٣ .

فناوله النبيّ إيّاه ، فأخذه وتعصّب بعصابة حمراء ، فقالت الأنصار :

« أخرج عصابة الموت » ، فخرج مزهوّاً لم يختلج في قلبه رعب ، وهو يقول :

أنـا الَّـذي عـاهدَني خَـلِيلي ونَحنُ بـالسَّفْحِ لدىٰ النَّـخِيلِ

ألَّا أقومَ الدَّهرَ في الكَـيُّول[١] أضْربْ بسـيفِ اللهِ والرَّسـولِ

وحمل على المشركين ، فكان لا يلقى أحداً إلّا قتله ، وحمل على هند أُمّ معاوية حتّى بلغ سيفه مَفْرِق رأسها ، إلّا أنّه عدل عن ذلك ترفّعاً منه[٢] .

وفي رواية : أنّه قال : « أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة »[٣] .

وهكذا كان موقف أصحاب النبيّ ﷺ متّسماً بأسمى ألوان التضحية في سبيل الله تعالى ، كما كان متّسماً بالشرف والنبل والكرامة .

مصرع الشهيد حمزة

أبدى الشهيد الخالد حمزة بن عبدالمطّلب من البسالة ما لا يوصف ، فقد وقف بإيمان وعزم مدافعاً عن دين الله تعالى ، وهو يجندل الأبطال ويروي الأرض من دماء أُولئك الوحوش الكاسرة التي انطوت نفوسهم على الكفر والرذائل ، فكان القوّة الضاربة في جيش الإسلام ، ونعرض ـ بايجاز ـ إلى بعض فصول شهادة بطل الإسلام حمزة سلام الله عليه .

اغتيال حمزة

أمّا الذي اغتال حمزة فإنّه من أرجاس الجاهليّة ، وهو وحشي ، ولم ينبعث

---

(١) **الكيّول** :آخر الصفوف في الحرب .

(٢) السيرة النبوّية / ابن هشام : ٣ : ٧٣ .

(٣) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٢٧ .

من تلقاء نفسه إلى القيام بهذه العمليّة ، وإنّما بعثه إلى ذلك :

١ ـ هند أُمّ معاوية ؛ لأنّها قد وترت في واقعة بدر بأعمدة أُسرتها ، وقد وعدت وحشياً بالخير الكثير إن قام باغتيال حمزة .

٢ ـ جُبير بن مُطعْم مولى وحشي ، وقد وعده بالعتق والحرية إن اغتال حمزة ، وقد استجاب الخبيث إلى ذلك ، ولنتركه يحدّثنا عن كيفيّة اغتياله لبطل الإسلام ، يقول : « خرجتُ مع النّاس ، وكنتُ رجلاً حَبشيّاً أقْذِف بالحَرْبة قَذْفَ الحَبشة ، قلّما أُخطئ بها شيئاً ، فلمّا التقى النّاسُ خرجتُ أنظر حَمزة وأتبصّره ، حتّى رأيته في عُرْض النّاس مثل الجمل الأورق[1] ، يَهُدّ النّاس بسيفه هَدّاً ، ما يقُوم له شيء ، فوالله إنّي لأتهيّأ له ، أُريده واستتر منه بشجرة أو حَجَر ليدنو منّي ؛ إذ تقدّمني إليهِ سِباعُ بن عبدالعُزّى ، فلمّا رآه حمزة قال له : هلمّ إليّ يابن مُقطّعة البُظور ، فضَربه ضربة ما أخطأت رأسه ، قال وحشي : وهَززتْ حربتي ، حتّى إذا رضيت منها ، دفعتُها عليه ، فوقعتْ في ثُنّته[2] حتّى خرجتْ من بين رِجليه ، وَذهب لينُوء[3] نحوي ، فغُلِب وتركتهُ وإيّاها حتّى مات ، ثمّ أتيتُه فأخذتُ حَربتي ، ثُمّ رجعت إلى العسكر »[4] ، وقد انطوت بشهادته صفحة من أروع صفحات الإيمان ، وقد هدّ مقتله المسلمون ، فقد خسروا ألمع قائد جاهد في نصرة الإسلام ، والذبّ عن قيمه وأهدافه ، فسلام الله عليه فما أعظم عائدته على المسلمين .

التمثيل بجسده الطاهر

وطارت هند أُمّ معاوية فرحاً بقتل الشهيد حمزة ، وسارعت إلى أرض المعركة

---

(١) **الجمل الأورق** : الذي يميل لونه بين الغبرة والسواد .

(٢) **الثنة** : ما بين أسفل البطن إلى العانة .

(٣) **ينوء** : ينهض مثقلاً .

(٤) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٣٦ .

تفتّش عن جثمانه لتروي حقدها من جسده ، ولمّا انتهت إليه عمدت إلى بقر بطنه ، واستخرجت كبده فلاكتها ، ولم تستطع أن تُسِيغها [١] ، فَلَفَظَتها وجدّعت أنفه وأُذنيه ومذاكيره ، واتّخذتها قلادة لها ، وفعلن النسوة التي معها مثل ذلك في أجسام الشهداء [٢] ، وقد شفت حقدها بهذه العمليّة ، نفسها المترعة بالبغضاء والكراهية لحمزة ، وقد أعلنت ذلك بقولها :

شَفَيْتُ من حَمْزة نَفْسي بأُحد ... حتّىٰ بَقَرْتُ بَطْنَه عن الكَبدِ
أَذْهبَ عَنّي ذاك ما كنتُ أجِد ... من لَذْعه الحَزن الشَّديد المُعْتَمدِ
والحَرب تَعْلوكم بشُؤبوب [٣] بَرِد ... تُقْدم إقداماً عليكم كالأسَدِ [٤]

مكافأة وحشي

شكرت هند بمزيد من التقدير لوحشي لاغتياله حمزة ، فأعطته خدمها وقلائدها وقرطها [٥] ، وقد أُثر عنها من الشعر في شكره والثناء عليه ، وذلك بقولها :

شَفَيتُ نَفسي وقَضَيتُ نَذْري ... شَفَيتَ وَحْشيٌّ غَلِيلَ صَدْري [٦]
فشُكْرُ وَحْشيٍّ عَلَيَّ عُمْري ... حَتّىٰ تَرِمَّ أعْظُمي في قَبْري [٧]

وقد سجّلت بهذا الشعر شكرها لوحشي ، فقد شفى نفسها الآثمة باغتياله لبطل الإسلام .

---

(١) **تسيغها** : تبلعها .
(٢) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٧٤ .
(٣) **الشؤبوب** : دفعة المطر الشديد .
(٤) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٣ : ٩٨ .
(٥) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٩١ .
(٦) **الغليل** : العطش .
(٧) **ترم** : تبل وتتفتّت .

شماتة أبي سفيان

وراح أبو سفيان يفتّش في جثث القتلى عن جسد حمزة ليروي غليله ، فلمّا بصر به أخذ يضرب في شِدْقه بزُجّ رمحه ، وهو يهتزّ فرحاً وسروراً ويقول : « ذُق عُقَقُ » ، فقال له الحُليَس : « هذا سيّد قُريش يصنع بابن عمّه ما تَرَون لحماً[1] » ، فاستحى وقال له : « اكْتُمها عنّي فإنّها كانت زلّة »[2].

إنّ الأُسرة الأمويّة رجالاً ونساءً قد تربّت على الرذائل والغدر والخيانة والشماتة ، وليس فيهم شريف ولا شهم ، وهذا حفيد أبي سفيان يزيد بن معاوية الذي أباد عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يعتزّ بأنّه شفى غليله من رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله لريحانته وسائر الكواكب المشرقة من أهل البيت عليهم السلام ، وأنّه قد أخذ ثأره من النبيّ بواقعة بدر.

لوعة النبيّ صلى الله عليه وآله على عمّه

مضى النبيّ مع كوكبة من أصحابه يفتّش عن جثمان عمّه حتّى انتهى إليه ، فلمّا رآه ، ويا لهول ما رأى ، فقد نظر إليه وقد مُثّل به ، فراح يقول بأسى وحزن وغيظ :

« لَنْ أُصابَ بِمِثْلِكَ أَبداً ، ما وَقَفْتُ مَوْقِفاً قَطُّ أَغْيَظَ إِلَيَّ مِنْ هٰذا ، لَوْلَا أَنْ تَحزَنَ صَفِيَّةُ وَيَكُونَ سُنَّةً مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُهُ ، حَتَّىٰ يَكُونَ فِي بُطُونِ السِّباعِ ، وَحَواصِلِ الطُّيُورِ ، وَلَئِنْ أَظْهَرَنِي اللهُ عَلىٰ قُرَيْشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَواطِنِ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلاثِينَ رَجُلاً مِنْهُمْ »[3].

وفي هذا نزل قوله تعالى : **﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي**

---

(١) **لحماً** : أي ميّت.

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٢ : ٩٣.

(٣) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٢ : ٩٥.

ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾[١].

فصبر رسول الله ﷺ، وعفا ونهى عن المُثلة ولو بالكلب العقور.

مواراة الجثمان المقدّس

وقام النبيّ ﷺ بأسىً بالغ وحزن عميق بمواراة جثمان عمّه وهو يذرف أحرّ الدموع قائلاً:

« يا عَمَّ رَسُولِ اللهِ وَأَسَدَ اللهِ وَأَسَدَ رَسولِهِ ، يا فاعِلَ الْخَيْراتِ ، يا كاشِفَ الكُرُباتِ يا حَمْزَةَ ، يا ذابَّ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ »[٢].

وسجّى النبيّ ﷺ جثمان عمّه ببردته ، وصلّى عليه بسبع تكبيرات ، ثمّ أتى بالقتلى فوضعهم إلى جانب عمّه ، فصلّى عليهم وعليه ثنتين وسَبْعين مرّة[٣]، ثمّ واراه ، وقد وارى معه النبل والشهامة والتقوى ، فقد كان ﷺ صفحة مشرقة من الجهاد والتضحية في الإسلام.

مأتم عزاء على حمزة

كانت نساء الأنصار قد أقمن المآتم على أزواجهنّ وإخوانهنّ وأبنائهنّ ، وهنّ يندبوهم بأقسى ندبة ، فمرّ عليهنّ رسول الله ﷺ ، فقال : **« لكِنَّ حَمْزَةَ لا بَواكي عَلَيْهِ »**.

وسارعت نساء الأنصار إلى البقيّة وأخبرنهنّ بمقالة النبيّ ، وقلن لهنّ : « لا تبكين على قتلاكم حتّى تبكين على عمّ النبيّ ﷺ » ، فأقمن النساء المآتم على الشهيد عمّ النبيّ ﷺ.

---

(١) النحل ١٦ : ١٢٦ و ١٢٧.

(٢) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٤٦.

(٣) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٢ : ٩٧.

مصرع الشهيد مصعب

كان مصعب من أنبل فتيان قريش ، ومن أتقى المسلمين في إيمانه وجهاده ، فقد أبلى في الله بلاءً حسناً ، وصبر على ما عاناه من ألوان التعذيب ، ومن صنوف المحن والخطوب .

بعثه النبيّ ﷺ سفيراً إلى المدينة مبشّراً بدين الله وداعياً إلى الإسلام ، وقد أفلح في سفارته ، فقد أسلم على يده جمع كبير . . وكان ﷺ من القادة المبرزين في واقعة أُحد ، وقد أبلى في المعركة بلاء حسناً ، واستشهد فيها ، قتله الجاهلي ابن قمئة الليثي ظانّاً أنّه النبيّ ﷺ ، وقد رفع عقيرته قائلاً في وسط المعركة :

« قتلتُ محمّداً » .

وتألّم النبيّ ﷺ على فقده لهذا الفذّ ، فقد خسرت القيادة الإسلاميّة بطلاً من قادتها المجاهدين الذين أخلصوا في الدفاع عن الإسلام كأعظم ما يكون الإخلاص .

وجيء بجثمان الشهيد لمواراته ، فألقوا عليه نمرة[1] لم يملك سواها ، فلم تكن وافية بلفّ الجثمان ، فقال النبيّ ﷺ : **« غَطّوا بِها رَأْسَهُ ، وَاجْعَلُوا عَلىٰ رِجْلَيْهِ الأَذْخر »** ، ثم واروه في مقرّه الأخير[2] ، وقد انطوت بمواراته صفحة مشرقة من الإيمان والجهاد أجزل الله تعالى له المزيد من الأجر .

اندحار المشركين

وأباد المسلمون وعلى رأسهم الإمام أمير المؤمنين حملة ألوية المشركين ، وسقط معظم قادتهم ، وولّى جيشهم الأدبار لا يلوون على شيء ، وخلفهم نساؤهم ينادين

---

(١) **النمرة** : بردة من صوف .

(٢) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٦٥ .

بالويل والثبور حتّى قصدن الجبل كاشفات سياقهنّ، وهنّ بأقصى مكان من الذلّ والهوان[١]، ولكن لم يمض إلّا قليل من الوقت حتّى انعكس الأمر.

هزيمة المسلمين

وتكبّد المسلمون أفدح الخسائر في الأرواح، فقد نزلت بهم كارثة مدمّرة كادت تلفّ لواء الإسلام، ويعود السبب في ذلك إلى مخالفة الرماة الذين أقامهم النبيّ ﷺ على الجبل لحماية جيشه لئلّا يأتيهم العدوّ من خلفهم، وقد ألزمهم الإقامة بمواضعهم، وأن لا يفارقوه في جميع الأحوال، ولمّا تعرّضت قريش إلى هزيمة منكرة تاركة وراءها أمتعتها وأسلحتها، فلمّا رآها الرماة تركوا مواضعهم، وانسابوا إلى أرض المعركة لنهب الأمتعة والعتاد، وبصر بهم خالد بن الوليد وهو من أبطال قريش، فحمل على أصحاب النبيّ من الخلف وهم لا يشعرون، فقتل منهم كوكبة كان معظمها من القادة البارزين في جيش النبيّ ﷺ، وكانت هذه الكارثة ناجمة من مخالفة الرماة لأوامر النبيّ المشدّدة في الحفاظ على أماكنهم لأنّها أهمّ قاعدة عسكريّة تضمن للجيش الإسلامي الظفر بالأعداء.

دعاء النبيّ ﷺ

ولمّا نظر النبيّ ﷺ إلى الهزيمة المنكرة التي مُني بها جيشه رفع يديه بالدعاء قائلاً:

«اللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللّهُمَّ لَا قابِضَ لِما بَسَطْتَ، وَلَا باسِطَ لِما قَبَضْتَ، وَلَا هادِيَ لِمن أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِما مَنَعْتَ،

---

(١) السيرة الحلبيّة: ٢: ٢٢٦.

وَلَا مانِعَ لِما أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِما باعَدْتَ، وَلا مُباعِدَ لِما قَرَّبْتَ.

اللّٰهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنا بَرَكاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ.

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعيمَ الْمُقيمَ الَّذي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ.

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، وَالْغَناءَ يَوْمَ الْفاقَةَ.

اللّٰهُمَّ إِنِّي عائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ ما أَعْطَيْتَنا وَشَرِّ ما مَنَعْتَنا.

اللّٰهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنا الْإيمانَ، وَزَيِّنْهُ في قُلُوبِنا، وَكَرِّهْ إِلَيْنا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيانَ، وَاجْعَلْنا مِنَ الرّاشِدينَ.

اللّٰهُمَّ تَوَفَّنا مُسْلِمينَ، وَأَلْحِقْنا بِالصّالِحِينَ، غَيْرَ خَزايا وَلَا مَفْتُونِينَ.

اللّٰهُمَّ قاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ.

اللّٰهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذابَكَ إِلٰهَ الْحَقِّ[١].

حكى هذا الدعاء انقطاع النبيّ صلى الله عليه وآله إلى الله تعالى، والتجائه إليه، وقد سأل ما يقرّبه إليه زلفى.

دعاء آخر للنبيّ صلى الله عليه وآله

وفي ميدان المعركة دعا النبيّ صلى الله عليه وآله بهذا الدعاء الذي أناط به جميع أُموره بيد الله تعالى قائلاً:

«اللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكىٰ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعانُ».

---

(١) السيرة النبويّة / ابن كثير: ٣: ٧٧.

وهبط جبرئيل عليه السلام قائلاً له: «لقد دعوت بدعاء إبراهيم حينما أُلقي في النّار، ودعا به يونس حينما صار في بطن الحوت»[١].

شعار المشركين في المعركة

كان شعار المشركين في المعركة الذين يقاتلون من أجله: يا للعزّى، يا لهبل، ودلّ ذلك على مدى تمسّكهم بالأصنام والأوثان.

جهاد أمّ عمارة

من النساء الفاضلات التي كان لهنّ دور مشرق ومتميّز في المعركة الصحابيّة أمّ عمارة، فقد أبلت في المعركة بلاءً حسناً، وقد سألتها أمّ سعد بنت سعد بن الربيع عن جهادها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: «خرجت أوّل النّهار إلى أُحُد أنظرُ ما يصنع النّاس، ومعي سِقاءٌ فيه ماءٌ، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في أصحابه، والدَّولة والريحُ[٢] للمسلمين، فلمّا انهزم المسلمون انحزتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقمت أُباشر القتال، وأذُبّ عنه بالسيف، وأرمي بالقوس حتّى خَلَصتْ إليَّ الجراحُ، وكان على عاتقها جرحاً أجْوف، فقالت لها أمّ سعد:

«من أصابكِ بهذا؟».

قالت:

ابن قمئة، أقمأه الله، لمّا ولّى النّاسُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل يقول: دلّوني على محمّد، فلا نجوت إن نجا، فاعترضتُ أنا ومصُعب بن عُمير، وأُناس ممّن ثبت مع رسولِ الله، فضرَبني هذه الضَّربة، ولقد ضربته على ذلك ضَربات، ولكنّ عدوّ الله

---

(١) بحار الأنوار: ١٩: ١٣١.

(٢) **الريح**: النصر.

كانت عليه دِرْعان »[١]. وكانت الصحابيّة الممجّدة أم أيمن لها دور متميّز في المعركة ، فقد قامت بسقاية الجرحى...[٢].

أرجاس حاولوا قتل النبيّ صلى الله عليه وآله

وأحاطت عصابة من المجرمين بالنبيّ صلى الله عليه وآله أرادت قتله وهم :

١ ـ عُتبة بن أبي وقّاص

كان عتبة بن أبي وقّاص من أعدى النّاس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد رماه هذا الخبيث الرجس بحجر فكسر رُباعِيّته اليمنى والسُّفلى ، وقد دعا عليه النبيّ صلى الله عليه وآله ، وقال :

« اللّهُمَّ لا يَحولُ عَلَيْهِ الحَوْلُ حَتّىٰ يَموتَ كافِراً » .

واستجاب الله تعالى دعاء نبيّه ، فقتله حاطب بن أبي بلتعة في نفس ذلك اليوم ، وأخذ سيفه وفرسه ، وجاء بهما إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فأسرّ النبي بذلك ، وقال له : **« رَضِيَ اللهُ عَنْكَ »**[٣].

٢ ـ أُميّة بن خلف

من ألدّ أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكان يلقاه بمكّة ويقول له :

« يا محمّد ، إنّ عندي العَوْذ ـ وهو اسم لفرسه ـ أعْلفه في كلّ يوم فَرَقاً[٤] من ذُرة لأقتلك عليه » .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٦٧.

(٢) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٢٧.

(٣) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٣٣.

(٤) **الفرق** : مكيال يسع ستّة عشر منّاً.

فأجابه النبيّ ﷺ :

« بَلْ أَنا أَقْتُلُكَ إِنْ شاءَ اللهُ » .

وقد أقبل في يوم أُحد يشتدّ كالكلب صوب النبيّ رافعاً عقيرته قائلاً للنبيّ :

« يا كذّاب أين تفرّ ؟ » .

فاعترضه رجال من المسلمين ، فأمرهم النبيّ ﷺ أن يخلّو عنه ، وتناول حربة فأطلقها عليه ، فخدشت عنقه ، واحتقن الدم ، وصاح الرجس الخبيث :

« قتلني محمّد » .

فردّ عليه قومه قائلين:

« ذهب والله عقلك ، إنّك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمي بها ، وما هذا عليك به من بأس إنّما هو خدشة » . وأخذ الألم منه مأخذاً عظيماً ، فقال لهم :

« هذا الذي بي لو كان بأهل ذي مجاز(١) ، أو بربيعة ، أو مضر ، أو بأهل الأرض لماتوا أجمعين لو بصق عليَّ لقتلني » ، وهلك عدّو الله في رجوعه إلى مكّة ، وفيه قال حسّان بن ثابت :

لقَدْ وَرِثَ الضَّلالةَ عنْ أبيهِ ... أُبيٌّ يومَ بارزَهُ الرَّسولُ
أتيتَ إليهِ تَحمِلُ رِمَّ عَظْمٍ ... وتُوعِدهُ وأنتَ بهِ جَهولُ

وقال حسّان فيه :

ألا مَنْ مُبلِغٌ عنّي أُبيّاً ... فقَد أُلْقيتَ في سُحْقِ السَّعيرِ
تَمَنّىٰ بالضَّلالةِ مِنْ بَعيدٍ ... وَتُقسِمُ أنْ قَدرْتَ مع النُّذورِ
تُمنِّيكَ الأَماني مِنْ بعيدٍ ... وقَولُ الكُفْرِ يَرْجعُ في غُرورِ

---

(١) **ذي مجاز** : سوق في الجاهليّة .

فَقَدْ لاقَتْكَ طَعْنَةُ ذي حِفاظٍ كَريمِ البَيتِ لَيْسَ بِذي فُجُورِ[١]

الخطر محدق بالنبيّ صلى الله عليه وآله

وبعد أن انهزم من ساحة الحرب معظم المسلمين يطاردهم الرعب والخوف أحدق الخطر بالنبيّ صلى الله عليه وآله، وأُصيب بجروح وغيرها في منتهى الخطورة، كان منها:

١ - كسر رُباعيته اليمنى والسفلى.

٢ - شقّ شفته العليا، وسال الدم على سحنات وجهه الشريف، وهو يمسحه ويقول: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِم وَهُوَ يَدْعُوهُم إِلَى اللهِ**»[٢].

٣ - وقوعه في حفرة عملها أبو عامر وأخفاها ليسقط فيها المسلمون من حيث لا يعلمون، وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانبه، فأخذ بيده ورفعه طلحة حتّى استوى قائماً[٣].

نداء أبي سفيان

وأمر أبو سفيان منادياً ينادي في المعركة أنّ محمّداً قد قتل، ولمّا سمع المسلمون فرّوا على وجوههم لا يلوون على شيء، وحاول بعض الصحابة أن يكتب لأبي سفيان يطلبون منه الأمان.

حماية الإمام عليه السلام للنبيّ صلى الله عليه وآله

وقام الإمام بدور إيجابي ومتميّز بحماية النبيّ صلى الله عليه وآله في الذبّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وحمايته من الفجرة المارقين، والتفت إليه النبيّ قائلاً:

---

(١) السيرة النبويّة / ابن كثير: ٣: ٧٠.

(٢) و (٣) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢: ١٨.

«يا عَلِيُّ، ما فَعَلَ النَّاسُ ؟».

فأجابه الإمام بأسى ولوعة :

«نَقَضُوا الْعَهْدَ وَوَلُّوا الدُّبُرَ».

وحملت على النبيّ ﷺ عصابة من القرشيّين، فضاق منهم ذرعاً، فقال لعليّ عليه السلام : «إِكْفِنِي هٰؤُلَاءِ».

فحمل عليهم الإمام وكشفهم عنه، وولّوا منهزمين، ثمّ حملت عليه عصابة أُخرى تقارب خمسين فارساً، فقال لعليّ : «إِكْفِنِي هٰؤُلَاءِ»، فحمل عليهم، وكان راجلاً فقتل منهم أربعة من أبناء سفيان بن عويف، كما قتل ستّة من الكتيبة الأُولى، ففي سبيل الله تعالى ما عاناه سيّد الموحّدين من المحن الشاقّة في سبيل الإسلام.

وحملت كتيبة ثالثة على النبيّ ﷺ فيها هشام بن أُميّة، فقتله الإمام، وولّت منهزمة، وحملت عليه عصابة رابعة فيها بشر بن مالك فقتله الإمام وولّت كتيبته منهزمة.

وهكذا قام الإمام عليه السلام بحماية رسول الله ﷺ يحصد الرؤوس، ويجندل الأبطال، وقد بهر جبرئيل من مواساته للنبيّ ﷺ وعظيم جهاده، فقال للنبيّ ﷺ :

«إِنَّ هٰذِهِ الْمُواساةَ قَدْ عَجِبَتْ مِنْها الْمَلائِكَةُ».

فقال له النبيّ ﷺ :

«وَما يَمْنَعُهُ وَهُوَ مِنِّي وَأَنا مِنْهُ ؟».

فقال جبرئيل باعتزاز : «وَأَنا مِنْكُما»[١].

وقال الإمام عليه السلام في هذه المحنة الحازبة ملازماً للنبيّ ﷺ وفدائياً له، وقد أُصيب

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ : ١٨.

بستّة عشر ضربة تلزمه الأرض، وما كان يرفعه إلّا جبرئيل[١]، ففي ذمّة الله ما لاقاه الإمام عليه السلام من المحن والخطوب في الذبّ عن دين الله تعالى، ونصرة الإسلام، والدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

مجاهدون أبطال:

وانبرت كوكبة من المجاهدين الأبطال لحماية النبيّ صلى الله عليه وآله والدفاع عنه، كان منهم:

١ ـ أنس بن النضر

ولمّا انهزم المسلمون، وأشاع أبو سفيان قتل النبيّ صلى الله عليه وآله انبرى أنس بن النضر بعزم ثابت فاستقبل المسلمين ورفع عقيرته قائلاً:

«ما تصنعون بالحياة بعده ـ أي بعد رسول الله ـ موتوا على ما مات عليه».

وجاهد جهاد الأبطال حتّى استشهد[٢] أجزل الله له المزيد من الأجر، وحشره مع الشهداء والصالحين.

٢ ـ ثابت بن الدَّحْداحة

من أبطال المسلمين وأفذاذهم الشهيد ثابت بن الدَّحْداحة، لمّا رأى الهزيمة المنكرة التي مُني بها المسلمون، ومنادي أبي سفيان ينادي قتل محمّد، التفت إلى الأنصار وقال لهم:

«يا معشر الأنصار، إليّ! إليّ! أنا ثابت بن الدَّحْداحة، إن كان محمّدٌ قُتل، فإنّ الله تعالى حيٌّ لا يموت، فقاتِلوا عن دينكم، فإنّ الله تعالى ناصرُكم ومُظفرُكم».

أرأيتم هذا الإيمان الصادق الذي انبعث عن ضمير مترع بالإيمان والتقوى،

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢: ١٨.

(٢) السيرة الحلبيّة: ٢: ٢٤٦.

وقد استجاب له قوم من الأنصار ، فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعِكْرِمَة بن أبي جهل ، وضِرار بن الخطّاب ، فحمل عليه خالد بن الوليد فطعنه بالرمح فقتله ، وقتل من كان معه(١) .

٣ ـ أبو دجانة

من أفذاذ المجاهدين أبو دجانة ، فقد حنى ظهره دون النبيّ ﷺ ليقيه من السهام ، ولا يصيب النبيّ ﷺ شيئاً منها .

٤ ـ زياد بن عمارة

من عيون المتّقين والمجاهدين زياد بن عمارة ، فقد أبلى بلاءً حسناً في الدفاع عن رسول الله ﷺ ، فقد أصابته سهام قريش ورماحهم ، فوقع مغشيّاً عليه ، وحُمل إلى النبيّ ﷺ ، فتوسّد قدمه ، ولم يلبث إلّا قليلاً حتّى سمت روحه إلى الرفيق الأعلى(٢) .

٥ ـ أبو طلحة

من المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا عليه الله تعالى هو أبو طلحة ، فقد حامى عن رسول الله ﷺ ، وأخلص في الدفاع عنه ، وفداه بنفسه ، وكان متضلّعاً في الرمي ، نشر كنانته بين يدي النبيّ ﷺ وهو يقول له :

« نفسي لنفسك الفداء ، ووجهي لوجهك الوقاء » .

وتابع في رميه ، وكان النبيّ ﷺ يأمر رجلاً يقرّب له السهام ليرمي بها ، وقد كسر قوسين أو ثلاثاً من كثرة رميه ، وكان النبيّ ﷺ يشرف على العدوّ وينظر إليهم ، وأبو طلحة يقول له :

---

(١) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٢٦ .

(٢) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٣١ .

« يا نبيّ الله ، بأبي أنت وأُمّي ، لا تشرف -يعني على القوم- يصيبك سهم من سهامهم نحري دون نحرك »(١) .

وهكذا تجسّد الإيمان بجميع رحابه في نفس هذا المؤمن النبيل .

٦ ـ عمرو بن الجَموح

من خيار المسلمين ، وقد تفاعل الإيمان مع مشاعره وقلبه ، وكان أعرجاً ، وله بَنون أربعة كالأسود في بسالتهم وشجاعتهم ، وقد شهدوا مع النبيّ صلى الله عليه وآله جميع المشاهد ، وخاضوا أعنف المعارك ، وفي واقعة أُحد أراد أبناءه حبسه عن الجهاد ، وقالوا له :

« إنّ الله تعالى أعَذَرك لأنّك أعرج ، فقد رفع الجهاد عنك » ، فلم يقنع ، وسارع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بلهفة وأسى قائلاً :

« إنّ بنيّ يريدون أن يحْبسوني عن هذا الوجه ، وإنّي والله لأرجو أن أطأ بعَرْجتي هذه في الجنّة » .

أرأيتم هذا الإيمان ، وهذا العزم والتصميم على نصرة الإسلام ، وأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً :

« أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ فَلا جِهادَ عَلَيْكَ » .

ورأى النبيّ صلى الله عليه وآله لهفته وشوقه العارم على نيل الشهادة ، فقال لبنيه :

« ما عَلَيْكُم أَنْ لا تَمْنَعُوهُ ، لَعَلَّ اللهُ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهادَةَ » .

وخرج وهو ناعم البال ، مسرور فرح ، وخاض في ميادين الحرب حتّى استشهد أجزل الله تعالى له الأجر ، وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من الشهداء والصدّيقين ،

---

(١) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٣١ .

وحسن أولئك رفيقاً(١).

٧ ـ سعد بن الربيع

من الصور الرائعة للإيمان سعد بن الربيع، وهو من أبطال العقيدة، خاض في ميدان الجهاد، وكان النبيّ ﷺ حريصاً عليه، فأمر أصحابه بالبحث عنه، فانبرى رجل من الأنصار يفتّش عنه، فوجده في آخر رمق من حياته، فدنا منه، وقال له:

«إنّ رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات».

فقال له بصوت خافت:

«أنا في الأموات، أبلغْ رسول الله، وقل له: إنّ سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنّا خيراً ما جزى نبيّاً عن أمّته، وأبلغ قومك عنّي السلام، وقل لهم: إنّ سعد بن الربيع يقول لكم: لا عُذْر لكم عند الله إن خُلِص إلى نبيّكم وفيكم عينٌ تطرف».

ولم يلبث إلّا قليلاً حتّى سمت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى(٢).

وهؤلاء الأفذاذ قد ثبتوا في وقت المحنة، وآثروا حياة النبيّ ﷺ على حياتهم.

٨ ـ عاصم بن عمر بن قتادة

وأُصيبت عين قتادة في المعركة حتّى سقطت على وجنته فردّها رسول الله ﷺ بيده، فكانت أحسنَ عَيْنيه وأحّدهما، وقد اعتزّ ولده بهذه المكرمة، فقد وفد على عمر بن عبدالعزيز فقال له:

«من أنت؟».

فأجابه مرتجلاً:

---

(١) السيرة النبويّة / ابن كثير: ٣: ٧٣ و ٧٤.

(٢) السيرة النبويّة / ابن كثير: ٣: ٧٨، وسعد من النقباء ليلة العقبة.

أَنا ابنُ الَّذي سالَتْ عَلَى الخَدِّ عَيْنُهُ فَرُدَّتْ بكفِّ المُصْطَفىٰ أَحْسنَ الرَّدِّ
فـعادَتْ كَـما كـانَتْ لأوّلِ أمـرِها فيا حُسْنَها عَيناً ويا حُسنَ ما خَدِّ

فأجابه عمر :

تِلكَ المكـارمُ لا قـعبانِ مـن لَـبَنٍ شِيبا بـماءٍ فَـعادا بَـعدُ أبْـوالا (١)

٩ ـ الأُصَيرم

وهو عمرو بن ثابت من بني عبدالأشهل ، أسلم يوم أُحد ، أخذ سيفه وانضمّ إلى الجيش الإسلامي ، وأصابته جراحات وسقط في أرض المعركة ، وبصر به بعض أبناء أُسرته فجاؤا يفتّشون عن قتلاهم ، فقالوا :

« إنّ هذا هو الأُصَيرم ، ما الذي جاء به وقد كان منكراً للإسلام ؟ » ، فسألوه : « ما الذي جاء بك يا عمرو ؟ » ، أحَدَبٌ على قومك أم رغبة في الإسلام ؟ فقال : « بل رغبة في الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله ، وأسلمتُ ، ثمّ أخذت سَيفي فغدوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وآله فقاتلت حتّى أصابني ما أصابني » ، فلم يلبث أن مات في أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال : **« إنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ »** ، وفي الحديث : **« إِنَّـهُ دَخَـلَ الْجَنَّةَ »** ولم يصلِّ (٢) ؛ لأنّ يوم استشهاده صادف أوّل يوم إسلامه ، والإسلام يجبّ عمّا قبله .

١٠ ـ مخيريق

وهو من بني ثَعْلبة ، قال لليهود في يوم أُحد : « يا معشر اليهود ، لقد علمتم أنّ نَصْر محمّد عليكم لحقٌّ » ، ثمّ أخذ سيفه وعُدَّته وقال : « إن أُصِبتُ فَما لي لمحمّد ،

---

(١) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٦٧.

(٢) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٧٣.

يَصْنع فيه ما شاء».

والتحق بالنبيّ ﷺ في أُحد، وقاتل معه حتّى قُتل، واستولى النبيّ على حيطانه، وكانت سبعة، وجعلها وقفاً لله تعالى، وهي أوّل وقف بالمدينة[(١)].

انتهاء الحرب

وانتهت الحرب بفوز قريش في المعركة وخذلان المسلمين، وشهادة الكثير من قادتهم، وقد أعرب النبيّ ﷺ أنّ آخر معركة يصاب فيها المسلمون هذه المعركة، فقد قال لأخيه، وباب مدينة علمه، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: **«لا يَصيبُ المُشْرِكُونَ مِنّا مِثْلَها أَبَداً حَتّىٰ يَفْتَحِ اللهُ عَلَيْنا»**[(٢)].

وعلى أي حال، فقد ارتحل أبو سفيان من أرض المعركة مع جيشه، وقد ملئت نفوسهم فرحاً ومرحاً.

دفن الشهداء

وقام النبيّ ﷺ بمواراة جثث الشهداء من أصحابه في أرض المعركة، وقد دفن كوكبة من أصحابه بعضهم في مقبرة واحدة، وكان أكثرهم من حفظة القرآن الكريم، وقد فاح من قبورهم مثل ريح المسك، واحتمل جماعة قتلاهم إلى المدينة، فردّهم النبيّ ﷺ إلى أرض المعركة التي استشهدوا فيها[(٣)]. وقد أجرى معاوية بن هند الماء في وسط المقبرة، وأمر النّاس بنقل موتاهم، فأخرجوهم منها وهي رطبة؛ وذلك في سنة أربعين من الهجرة[(٤)]، وإنّما عمد إلى ذلك تشفّياً منهم، وكيف يعمد إلى إجراء

---

(١) السيرة النبويّة / ابن كثير: ٣: ٧٢.

(٢) السيرة النبويّة / ابن كثير: ٢: ٨٤.

(٣) و (٤) السيرة الحلبيّة: ٢: ٢٥٠.

الماء في مقبرة الشهداء الذين وهبوا حياتهم لله تعالى ، وحكم الشريعة واضح في عدم جواز الاعتداء على قبور المسلمين ، وأنّه يجب أن تصان ، ولكنّ معاوية بن أبي سفيان ليست له أيّة صلة بأحكام الإسلام وتعاليمه .

زحف النبيّ ﷺ بجيشه لمحاربة أبي سفيان

أمر النبيّ ﷺ أصحابه الذين كانوا في أرض المعركة ، والذين شهدوا معه القتال خاصّة ، بالخروج إلى الحرب ، فاستجابوا لله ورسوله ، فانطلقوا ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِمَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾[1] .

واتّجه الجيش الإسلامي حتّى انتهى إلى حمراء الأسد ، وهي عن المدينة ثمانية أميال ، فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثمّ قفل راجعاً إلى المدينة. وكان ذلك من أروع المخطّطات العسكريّة ؛ لأنّ أبا سفيان قفل راجعاً إلى مكّة ندماً على عدم مواصلة الحرب ، وعدم استئصال المسلمين بعد ما أحرز النصر .

وكان النبيّ ﷺ برأيه الأصيل وهو التوجّه من أرض المعركة صوبه ليوهمه أنّه أقام لمناهضته جيشاً أقوى من جيشه .

معبد مع أبي سفيان

كان معبد الخزاعي مشركاً ، ولكنّه كان مخلصاً للنبيّ ﷺ ، فقد مرّ به ، وكان مقيماً بحمراء الأسد ، فقال له :

« يا محمّد ، أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ، وودنا أنّ الله عافاك فيهم » .

---

(١) آل عمران ٣ : ١٧٢.

ثمّ خرج من عند رسول الله ، واتّجه صوب مكّة ، فالتقى بأبي سفيان بالروحاء ، وكان قد أجمع على الرجوع لحرب رسول الله ﷺ ، فقالت له قريش : « أصبنا قادة جيش النبيّ وأشرافهم ، ونريد أن نرجع لاستئصالهم » ، والتفت أبو سفيان إلى معبد فقال له :

« ما وراءك يا معبد ؟ » .

« قد خرج محمّد يطلبكم بجمع لم أرَ مثله قطّ ، يتحرّقون عليكم تحرّقاً ، وقد اجتمع معه من تخلّف عنه ، وندموا على ما صنعوا ، وفيهم من الحنق عليكم شيء لم أرَ مثله قطّ » .

وفزع أبو سفيان وراح يقول بصوت مضطرب :

« ويلك ما تقول ؟ » .

« والله ما أراك ترتحل حتّى ترى نواصي الخيل » .

وراح أبو سفيان يعرب عن عزمه قائلاً :

« قد أجمعنا الكرّة عليهم لنستأصل شأفتهم » .

« فإنّي أنهاك عن ذلك ، ولقد حملني ما رأيت أن قلت فيهم أبياتاً من الشعر » .

« ما قلت ؟ » .

« قلت :

كادتْ تُهدُّ مِنَ الأصواتِ راحِلَتي ... إذ سالتِ الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ (١)

تَــرْدِي بــأُسْدٍ كــرامٍ لا تَـنابلةٍ ... عــندَ اللِّقاءِ ولا مِـيلٍ مَـعازيلِ (٢)

---

(١) **الجرد** : عتاق الخيل . **الأبابيل** : الجماعات .

(٢) **تردّى** : تسرّع . **التنابلة** : القصار . **الميل** : جمع أميل ، وهو الذي لا رمح ولا ترس معه . **المعازيل** : الذين لا سلاح معهم .

فَظلْت عَدْواً أظنُّ الأرضَ مائِلَةً لمّا سَمَوْا بَرئيسٍ غير مَخْذولِ(١)
فقلْتُ: ويل ابْنِ حَرْبٍ من لقائِكُمُ إذا تغطمطتِ البَطحاءُ بالجيلِ(٢)
إنّي نذيرٌ لأهل البسلِ ضاحيةً لكلِّ ذي إِرْبَةٍ منهُمْ ومَعقولِ(٣)
من جَيْشِ أحمدَ لا وَخشٍ وتنابلة وليسَ يُوصَفُ ما أنذرت بالقِيلِ(٤)

وثنى أبو سفيان عن نيّته بمواصلة الحرب، وكان ذلك نصراً للإسلام.

متارك واقعة أُحد:

تركت واقعة أُحد على الصعيد الإسلامي بعض المضاعفات المؤلمة التي منها:

١ ـ ابتهاج القرشيّين

وقفلت قريش راجعة إلى مكّة، وهي تعزف أبواق النصر بما حقّقته من نصر على المسلمين، وما أوقعته فيهم من الخسائر الفادحة في النفوس والأموال، وكان من أعظم المسرورين بهذا الانتصار أبو سفيان وزوجته هند، وبنو أُميّة، فقد استوفوا ثأرهم من النبيّ صلى الله عليه وآله؛ وذلك بما سفكوه من دم عمه وسائر أبطال المسلمين، فقد سارع أبو سفيان إلى قصد الكعبة قبل أن يدخل إلى بيته ورفع إلى كبير الأصنام، وهو هبل، التحيّة وشكره على هذا الانتصار، ثمّ رجع إلى داره فقارب زوجته هند موفياً بنذره أن لا يقاربها حتّى ينتصر على محمّد صلى الله عليه وآله.

٢ ـ مع الشعراء

وتبارى شعراء قريش فيما نظموه من شعر إلى الاعتزاز فيما أحرزوه من نصر في

---

(١) **العدو**: المشي السريع.
(٢) **تغطمطت**: اهتزّت وارتجّت. **البطحاء**: السهل من الأرض. **الجيل**: الصنف من النّاس.
(٣) **أهل البسل**: قريش. **الضاحية**: البارزة للشمس. **الإربة**: العقل.
(٤) **الوخش**: الردى. السيرة النبويّة / ابن هشام: ٢: ١٠٣.

واقعة أُحد ، وقد انبرى شعراء المسلمين إلى الردّ عليهم فيما نظموه ، وهذه نماذج منها :

ابن الزبعرى

قال عبدالله بن الزِّبعَرْى مفتخراً بالنصر الذي أحرزته قريش في واقعة أُحد :

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمَعتُ فقل ... إنّما تَـنْطِقُ شَـيئاً قَـدْ فُـعِلْ
إنَّ للـخَيْرِ وللشَّـرِّ مَـدىً ... وكِـلا ذلكَ وَجْـهٌ وَقَـبلْ (١)

ومنها :

كـمْ قَـتَلْنا مِـنْ كَـريمٍ سَـيِّدٍ ... مـاجد الجَـدَّينِ مِقْدامٍ بَـطَلْ
صـادِق النَّـجْدَةِ قِـرْمٍ بـارِعٍ ... غير مُلْتاثٍ لَدَى وَقْعِ الأَسَلْ (٢)
فَسَلِ الْمِهْرَاس مَـن سـاكِـنُهُ؟ ... بينَ أَقْحَافٍ وهامٍ كـالْحَجَلْ (٣)
لَـيتَ أَشْياخي بـبَدْرٍ شَـهِدُوا ... جَزَعَ الْخَزْرجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَـلْ
حـينَ حَكَّت بـقُباءٍ بَـرْكَـها ... واسْتَحَرَّ الْقَتلُ في عبدِ الأَشَلْ (٤)
ثُـمَّ خَـفُّوا عـندَ ذاكُـم رُقَّـصاً ... رَقَصَ الحَفَّانِ يَعلو في الجَبَلْ (٥)
فَقَتَلنا الضُّـعْفَ مِـنْ أَشْـرَافِـهِم ... وعَـدَلْنا مَـيْلَ بَـدْرٍ فـاعْتَدَلْ
لا أَلُـومُ النَّـفْسَ إلّا أنّـنا ... لَـوْ كَـرَرْنا لَـفَعَلْنا المُـفْتَعلْ

---

(١) **القبل** : العيان والمواجهة . **المدى** : الغاية .

(٢) **القرم** : الفحل الكريم. **البارع** : المبرز على غيره . **الملتاث** : الضعيف . **الأسل** : الرماح .

(٣) **المهراس** : ماء بأحد . **الهامّ** : الرؤوس . **الحجل** : الذّكر من القبج .

(٤) **البرك** : الصدر .

(٥) **الرقص** : الخبب في السير ، وهو الإسراع . **الحفان** : فراخ النعّام .

بسُـيوفِ الهـنْدِ تَـعْلُو هـامهَمُ عَـلَلاً تَـعْلُوهُمُ بعدَ نَـهَلْ[1]

وأنت ترى في شعر ابن الزبعرى الشماتة بالمسلمين ، وأنّ قريشاً قد استوفت ثأرها وأروت حقدها من المسلمين ، وإنّ مَيْلَ بدر قد اعتدل في واقعة اُحد ، وأنّ قريشاً قد أبادت أعلام المسلمين ، ومن الجدير بالذكر أنّ يزيد بن معاوية استشهد ببعض أبيات ابن الزبعرى حين إبادته للعترة الطاهرة في صعيد كربلاء .

وقد ردّ عليه حسّان بن ثابت بقصيدة مثل قصيدته في قافيتها ووزنها ، وهذا بعض منها :

ذهَـبَتْ بـابنِ الزِّبْـعرى وَقْـعَةٌ كان منّا الْـفَضْلُ فِـيها لَـوْ عَـدَلْ
ولقَـد نِـلْتُمْ وَنِـلْنا مِـنْكُمُ وَكَـذاكَ الْـحَربُ أَحـياناً دُوَلْ
نَـضَعُ الأَسْيافَ فـي أكْـتافِكُم حَـيثُ نَـهْوِي عَـلَلاً بَـعْدَ نَـهَلْ

ومنها :

ضـاقَ عـنّا الشِّـعْبُ إذ نَـجْزَعهُ وَمَـلأْنا الفَـرْطَ مِـنهُ وَالرَّجَـلْ[2]
بِـرجـالٍ لسْـتُمُ أمْـثالَهُمْ أَيَّـدُوا جِـبْريلَ نَـصْراً فَـنزَلْ
وعَـلَوْنا يَـوْمَ بَـدْرٍ بـالتُّقى طـاعةِ اللهِ وتَـصْديق الرُّسُـلْ
وَقَـتَلْنا كُـلَّ رَأْسٍ مِـنْهُمُ وَقَـتَلْنا كلَّ جَـحْجاجٍ رِفَـلْ[3]
وتـركْنا فـي قُـرَيشٍ عَـوْرَةً يَـومَ بَـدْرٍ وأَحـاديثَ المَثَلْ
ورسـولُ اللهِ حَـقّاً شـاهِداً يـومَ بَـدْرٍ والتَّـنابيلُ الهُـبُلْ[4]

---

(١) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ١١٠ و ١١١ . السيرة النبويّة / ابن هشام : ٢ : ١٣٦ .

(٢) **تجزعه** : أي تقطعه . **الفرط** : المكان المرتفع . الرجل : جمع رجلة ، وهو المطمئنّ من الأرض .

(٣) **الجحجاج** : السيّد . **الرفل** : الذي يجرّ ثوبه رياء .

(٤) **التنابيل** : القصار اللئام . **الهبل** : من كثر لحمه . السيرة النبويّة / ابن هشام : ٢ : ١٣٧ .

عرض حسّان في قصيدته إلى بسالة الجيش الإسلامي وقوّته في واقعة بدر، وأنّه كبّد القرشيّين أفدح الخسائر في الأرواح والأموال، وأنّه قدأباد رؤوسهم وأعلامهم أمثال أبي جهل وعتبة والعاص وحنظلة وغيرهم، وأنّ ما عاناه المسلمون في واقعة أحد من القتل فإنّ الحرب سجال، ولا ينبغي لهم أن يفرحوا بها.

هبيرة بن أبي وهب

ومن الشعراء الذين افتخروا بما حقّقته قريش من النصر في واقعة أُحد هبيرة بن أبي وهب المخزومي، فقد أعلن اعتزازه بهذه القصيدة التي منها:

ما بالُ هَمٍّ عَمِيدٍ باتَ يَطْرُقُني ... بالودِّ من هِنْدٍ إذْ تَغْدو عَوادِيها
باتَتْ تُعاتِبني هندٌ وتَعْذُلُني ... والحربُ قد شُغِلَت عَنّي مواليها
مَهْلاً فلا تعذُليني إنّ مِنْ خُلُقي ... ما قد عَلِمْتِ وما إنْ لَسْتُ أَخْفِيها
مساعِفٌ لبَني كَعْبٍ بما كَلِفُوا ... حَمّالُ عِبْءٍ وأَثْقالٍ أُعانيها
وقد حَملتُ سلاحي فوقَ مُشْتَرِفٍ ... ساطٍ سَبوحٍ إذا تَجْري يُبارِيها (١)

ومنها:

قالَت كِنانَةُ أنّىٰ تَذْهبونَ بنا ... قُلْنا النُّخيلُ فأُمُّوها ومَنْ فِيها (٢)
نَحنُ الفَوارِسُ يومَ الجَرِّ مِنْ أُحُدٍ ... هابتْ مَعَدٌّ فقُلنا نحنُ نَأْتِيها (٣)
هابُوا ضِراباً وطَعْناً صادِقاً خَذِماً ... ممّا يَرَون وقد ضُمَّت قَواصِيها (٤)

---

(١) **مشترف**: فرس يستشرفه النّاس، أي ينظرون إليه لحسنه. **الساطي**: البعيد الخطو إذا مشى. **السبوح**: الفرس الذي يسبح في جريه.

(٢) **النخيل**: مدينة الرسول ﷺ، وهي اسم لعين قرب المدينة. **أمّوها**: قصدوها.

(٣) **الجرّ**: أصل الجبل.

(٤) **الخذم**: القاطع. **قواصيها**: ما تفرّق منها وبعُد.

ثُـمَّتَ رُحْـنا كـأنّا عـارِضٌ بَـرِدٌ ... وقـامَ هـامُ بَـني النَّـجارِ يَـبْكِيها

كَـأنَّ هـامَهُم عـند الوَغـى فِـلَقٌ ... من قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْهُ عن أَداحِيها (١)

أو حنظلٌ ذَعْذَعَتهُ الرِّيح في غُصُنٍ ... بـالٍ تَـعاوَرَهُ مِـنْها سَـوافِـيها (٢)

قد نَبذُلُ المالَ سَحّاً لا حِسابَ لهُ ... ونَطْعنُ الخيلَ شَزْراً في مآقِيها (٣)

ويستمرّ الشاعر في قصيدته بهذا الأسلوب من الأدب الجزل، وهو يعرض إلى شجاعة قومه، وما أنزلوه بجيش المسلمين من الخسائر في واقعة أُحد، وقد ردّ عليه حسّان بن ثابت أو كعب بن مالك بأبيات من نفس القافية:

سُقْتُم كِنانةَ جَهلاً مِنْ سَـفاهَتِكُم ... إلَـى الرَّسـولِ فَـجُنْدُ اللهِ مُـخْزِيها

أَوْرَدْتموها حياضَ الموْتِ ضاحيَةً ... فـالنّارُ مَـوْعِدُها والقَـتْلُ لاقِـيها

جَمَّعْتُمُوهُم أَحـابيشاً بـلا حَسَبٍ ... أَئِـمَّةُ الكُـفْرِ غَـرَّتكُمْ طواغِـيها

أَلّا اعـتَبرتُم بـخَيلِ اللهِ إذْ قَـتَلتْ ... أهـلَ القَـليبِ وَمَـنْ أَلْـقَيْنَهُ فـيها

كَمْ مِـنْ أسيرٍ فَكَكْـناهُ بـلا ثَـمَنٍ ... وَجَــزِّ نـاصيةٍ كُـنّا مَـوالِيـها (٤)

حكت هذه الأبيات أنّ الجيش الذي حاربت به قريش في واقعة أُحد لم يكن من العرب، وإنّما كان من العبيد والأرقّاء، وقد دعتهم إلى الاعتبار بما لاقوه في واقعة بدر من القتل والأسر والتنكيل.

---

(١) **القيض**: قشر البيض. **الرُّبد**: النعام. **الأداحي**: بيض النعّام.

(٢) **ذعذعته**: حرّكته. **تعاوره**: تتداوله. **السوافي**: الرياح الشديدة.

(٣) **الشزر**: الطعن غير المستقيم. **سحا**: صبا، يريد أنّه عطاء كثير. **المآقي**: مجاري الدموع من العين.

(٤) السيرة النبويّة / ابن كثير: ٣: ١٠٥ ـ ١٠٦.

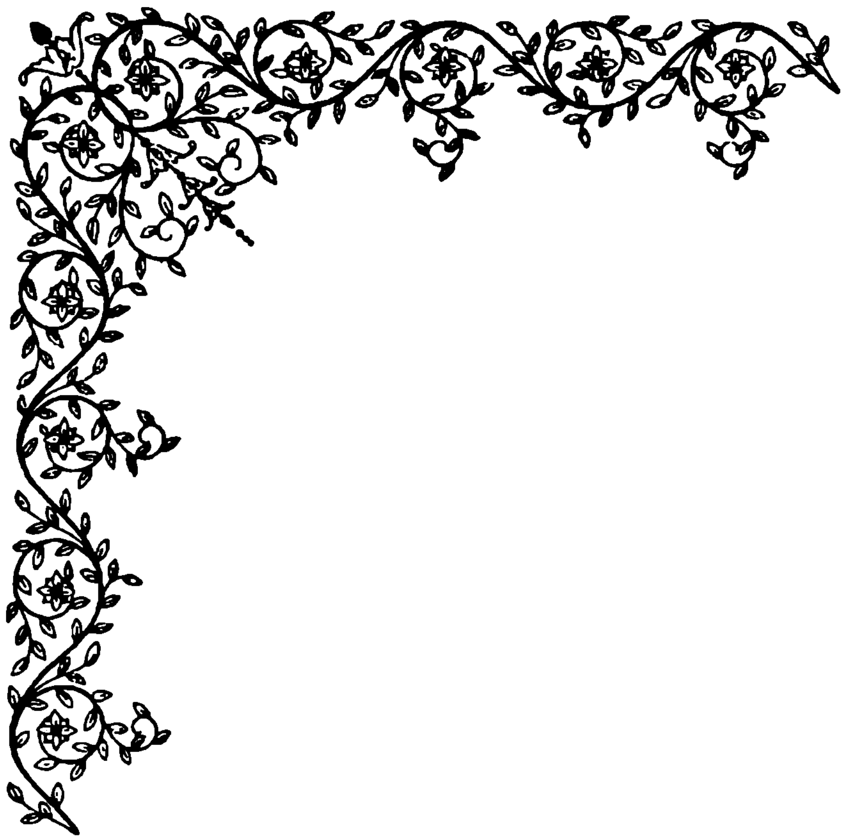
٣ ـ سرور المنافقين واليهود

وسرّ المنافقون واليهود سروراً بالغاً بما مني به المسلمون في واقعة أُحد من القتل والدمار، فقد اضطرب وتزعزع حكم الإسلام، وراحت أنديتهم تتحدّث بسخرية واستهزاء عن مصير المسلمين، فهذا رأس المنافقين عبدالله بن أبي سلول لم يشترك في القتال؛ لأنّ النبيّ ﷺ لم يسمع رأيه أو لأنّه غضب على مواليه من اليهود والنصارى، فقد كان ناعم البال، قرير العين بالخسائر التي تكبّدها المسلمون في هذه الواقعة.

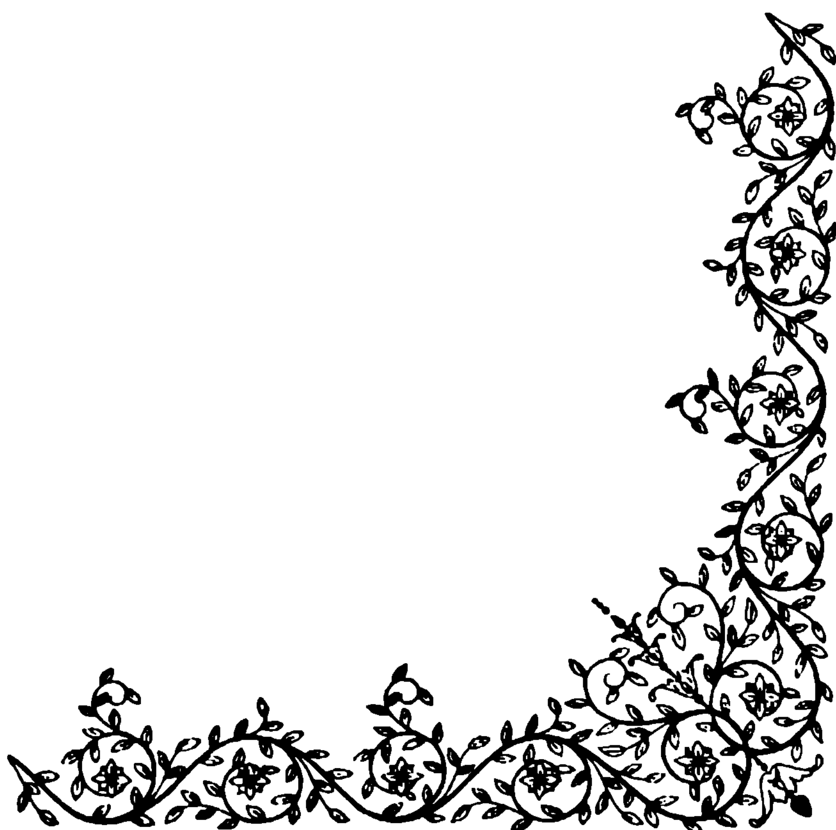
وعلى أي حال، فد شمتت القوى المعادية للإسلام، وراحت تعلن فرحتها بهذه الكارثة المدمّرة، وتمنّوا أن تتكرّر حتّى تنطوي راية الإسلام.

٤ ـ استضعاف المسلمين

استضعفت القبائل العربيّة المسلمين بعد واقعة أُحد، فبعد ما كان الرعب مخيّماً عليها، وهي تخشى بسطة الإسلام عليها، أخذت بعد ما حلّ بالمسلمين من الدمار أن تغزوهم وتستأصلهم.



وَاقِعَةُ الخَنْدَقِ



تعدّ واقعة الخندق من أعنف المعارك التي خاضها المسلمون، فقد تحزّبت القبائل على رسول الله ﷺ، ولذلك سمّيت بواقعة الأحزاب، وقد ضاق المسلمون منها ذرعاً، وساد فيهم الرعب والخوف، وقد حكى القرآن الكريم مدى الهلع والفزع الذي أصاب المسلمين. قال تعالى: ﴿**إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾[1]، ونتحدّث ـ بإيجاز ـ عن فصول هذه الواقعة التي انتصر فيها الإسلام على يد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فهو الذي أحرز فيها الفتح المبين، وفيما يلي ذلك:

دور اليهود

أمّا اليهود فكان لهم دور متميّز في هذه المعركة، فقد خفت منهم عصابة إلى القرشيّين يستنهضونهم لحرب رسول الله ﷺ قائلين لهم:

«إنّا سنكون معكم عليه حتّى نَسْتأصله».

وهتف القرشيّون بشوق ولهفة قائلين:

«يا معشر اليهود، إنّكم أهل الكتاب الأوّل، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه، نحن ومحمّد أفدِينُنا خير أم دينه؟».

---

(١) الأحزاب ٣٣: ١٠.

وسارع اليهود قائلين:

« بل دينكم ـ وهو عبادة الأوثان والأصنام ـ خير من دينه ، وأنتم أولى بالحقّ منه ».

إنّ عبادة الأوثان خير من دين الإسلام الذي يوحّد الله تعالى ، ولا يشرك به .. إنّ هذا هو المنطق السائد عند اليهود في جميع عصورهم ، وتأريخهم شاهد بذلك ، وقد حكى القرآن الكريم هذه المحاولة التى جرت بين اليهود وبين القرشيّين.

قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً * أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً * أَم لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً * أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ** ـ أي النبوّة ـ **فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُلْكاً عَظِيماً * فَمِنْهُم مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً** ﴾[١][٢].

وقد استجابت قريش ، وهي من ألدّ أعداء الإسلام إلى دعوة اليهود.

حفر الخندق

لمّا علم النبيّ صلى الله عليه وآله خروج القرشيّين وقبائل غطفان لحربه جمع أصحابه ، وأحاطهم علماً بالأمر ، وطلب منهم الرأي في اتّخاذ أهمّ وسيلة لصدّ العدوان عن المسلمين ، فأشار عليه الصحابي الجليل سلمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة ليمنع وصول العدوّ لهم ، واستصوب النبيّ صلى الله عليه وآله رأيه ، وقام مع أصحابه بحفر الخندق ، وكان المنافقون يتسلّلون عن العمل ، ويذهبون لشؤونهم بغير إذن من

---

(١) النساء ٤: ٥١ ـ ٥٥.

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام: ٢: ٢١٤.

النبيّ ﷺ ، فنزلت فيهم الآية الكريمة : ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١] ، أمّا المؤمنون فقد جهدوا نفوسهم على العمل ، وإذا كانت لهم حاجة استأذنوا النبيّ ﷺ في قضائها ، فأنزل الله تعالى فيهم الآية : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

وكان النبيّ ﷺ يعمل مع العاملين في حفر الخندق ، وكره أن يتميّز عليهم . وكانت هذه الخطّة حكيمة ، فقد وقت المسلمين من شرّ عظيم ، وقد وقفت قريش مذهولة ، فلم تقدر على اجتياز الخندق ، ووقفت بالجانب الآخر منه ، وقد استخدمت النبل في محاربتها للمسلمين ، وكان المسلمون يردّون عليهم بالمثل من دون أن تقع حرب عامّة بين الفريقين .

النبيّ ﷺ مع نُعيم

أسلم نُعيم بن مَسْعود على يد النبيّ ﷺ في تلك الفترة ، وكان من زعماء غطفان التي خرجت لحرب النبيّ ﷺ ، فقال له :

« يا رسول الله ، إنّي قد أسلمتُ ، وأنّ قومي لم يعلموا بإسلامي ، فأْمرني بما شِئْت » ، فأمره النبيّ ﷺ بتخذيل القبائل عنه وخداعهم ، فإنّ الحرب خدعة ، وقام نعيم بدور إيجابي وفعّال في تفتيت القوى المحاربة للنبيّ ﷺ ، وإلقاء الفتنة بينهم ، فقد انطلق إلى بني قريظة ، وكان نديماً لهم في الجاهليّة ، فقال لهم :

---

(١) النور ٢٤ : ٦٣.

(٢) النور ٢٤ : ٦٢.

« يا بني قُريظة ، قد عرفتم ودّي إيّاكم ، والخاصّة التي بيني وبينكم ».

وهتفوا قائلين :

« صدقت لست عندنا بمتّهم ».

وأشار عليهم بنصيحته قائلاً :

« إنّ قريشاً وغَطفانَ ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أنْ تحوّلوا منه إلى غيره ، وأنّ قريشاً وغطفان قد جاؤا إلى محاربة محمّد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهُم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهزة[1] أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوْا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خَلا بكم ، فلا تُقاتلوا مع القوم حتّى تأخذوا منهم رُهُناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمّداً حتّى تناجزوه ».

وهتفوا جميعاً :

« أشرت بالرأي ».

ووثقوا بنصيحته ، ومضى إلى قريش فقال لأبي سفيان ومن معه من زعماء قريش :

« قد عرفتم ودّي وفِراقي محمّد ، وأنّه قد بلغني أمرٌ قد رأيت علَيَّ حقّاً أن أبلغكموه نُصْحاً لكم ، فاكتموا عنّي ».

وطفقوا قائلين :

« نفعل ذلك ».

« تعلّموا أنّ معشر اليهود قد نَدِموا على ما صَنعوه مع محمّد ، وأرسلوا إليه أنّهم

---

(١) **النهزة** : انتهاز الشيء واختلاسه.

قد نَدِموا على ما فعلوه ، وأنّه إذا يرضيه أن يأخذوا من أشراف قريش وغطفان جماعة ، ويسلّموهم إليه ليضرب أعناقهم ثمّ يكونون معه ، فإن بعثت لكم اليهود يلتمسون منكم رُهُناً من رجالِكم فلا تَدْفعوا إليهم مِنْكم رجلاً واحداً ».

واستصوب أبو سفيان رأيه ، وأرسل إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل مع جماعة من قريش يطلب منهم الالتحاق بهم لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالت بنو قريظة : لا نقاتل معكم حتّى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا حتّى نناجز محمّداً ».

وقفلت الرُّسل راجعة إلى قريش وغطفان ، فأخبروهم بمقالة بني قريظة ، فصدّقوا مقالة نعيم ، وقالوا :

« لا نعطيهم أي واحد منّا ».

وبذلك فقد تخلّص المسلمون من يهود بني قريظة ، فلم ينظمّوا إلى قريش ، ولم يشتركوا معهم في حرب المسلمين[١].

عبور الخندق

وعبرت بعض قوّات العدوّ الخندق ، وأخذت تدعو القوّات الإسلاميّة إلى المبارزة والالتحام.

مبارزة الإمام عليه السلام لعمرو

وعبرت الخندق عصابة من قوّات الشرك ، كان منها عمرو بن عبدودّ فارس قريش في الجاهليّة ، وفارس كنانة ، وهو مدجّج بالسلاح ، كأنّه القلعة فوق جواده ، وقد اهتزّت الأرض من تيهه وزهوه وقوّة بدنه ، وساد الوجوم والخوف بين

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ : ٢٣.

المسلمين ، وجعل يصول ويجول أمامهم محتقراً لهم ، وقد رفع صوته :

« يا رجال محمّد ، هل من مبارز ؟ » .

وكان نداؤه كالصاعقة فقد خلعت القلوب ، ولم يجبه أحد ، فصاح ثانياً :

« ألا رجل يبارز ؟ » .

وانبرى إليه بطل الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً :

« أنا لَهُ يا رَسُولَ اللهِ . . . » !

وكان الرسول صلى الله عليه وآله ضنيناً على الإمام ، فقال له :

« إِنَّهُ عَمْرُو » .

وجلس الإمام امتثالاً لأمر النبيّ صلى الله عليه وآله ، وعاد عمرو ساخراً من المسلمين قائلاً :

« يا أصحاب محمّد ، أين جنّتكم التي زعمتم أنّكم داخلوها إذا قُتِلتم ؟ ألا يريدها رجل منكم ؟ » .

ولم يستجب له أحد من المسلمين ، فقد خطف الرعب ألوانهم ، فانبرى أسد الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد آشرأبّت إليه الأعناق إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ، فأذِن له بعد إصرار وإلحاح . . وقد قلّده وساماً من أعظم الأوسمة قائلاً :

« بَرَزَ الْإِيمانُ كُلُّهُ إِلَى الشِّرْكِ كُلِّهِ » .

الله أكبر ! عليّ نفس الإيمان والإسلام ، فأيُّ وسام أجدر بالتعظيم والتبجيل من هذا الوسام ، ثمّ رفع النبيّ صلى الله عليه وآله يديه بالدعاء مبتهلاً إلى الله تعالى أن يحفظ له الإمام قائلاً :

« اللّهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي حَمْزَةَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَعُبَيْدَةَ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَاحْفَظِ الْيَوْمَ عَلِيّاً . . . رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنْتَ خَيْرُ الْوارِثِينَ . . . » .

ويرز بطل الإسلام مزهوّاً لم يخالجه خوف ولا رعب ، ويهر عمرو بن ودّ من جرأة

هذا الفتى وإقدامه على مناجزته ، وهو فارس العرب قائلاً له :

« مَن أنت ؟ » .

فأجابه الإمام ساخراً منه :

« **أَنا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ** » .

فأشفق عليه عمرو وقال له :

« قد كان أبوك صديقاً لي » .

ولم يحفل الإمام بصداقة عمرو لأبيه وراح يقول له :

« **يا عَمْرُو ، إِنَّكَ عاهَدْتَ قَوْمَكَ أَلَّا يَدْعُوكَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلىٰ خِلَالٍ ثَلَاثٍ إِلَّا أَجَبْتَهُ ؟** » .

« نعم ، هذا عهدي » .

« **إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الْإِسْلَامِ** » .

وضحك عمرو وقال بسخرية :

« أأترك دين آبائي ، دع هذا عنك » .

« **أَكُفُّ يَدِي عَنْكَ فَلَا أَقْتُلُكَ وَتَرجِعُ ؟** » .

وغضب عمرو وأخذته العزّة بالإثم ، وعجب من جرأة هذا الفتى عليه ، وقال له :

« إذن تتحدّث العرب بفراري » .

وعرض الإمام عليه الأمر الثالث قائلاً:

« **إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى النِّزالِ ؟** »[١] .

وعجب عمرو من بسالة الفتى وشجاعته ، فنزل عن فرسه ، واستلّ سيفه ،

---

(١) مستدرك الحاكم : ٣: ٣٢.

وضرب الإمام ، فاستقبلها بدرقته فقدّها ونفذ السيف إلى رأسه فشجّه ، وأيقن المسلمون أنّ الإمام قد لاقى مصيره ، ولكن لم يلبثوا إلّا قليلاً حتّى ضرب الإمام عمرواً ضربة منكرة هدّته ، وسقط إلى الأرض جريحاً يخور بدمه ، كما يخور الثور عند ذبحه ، وكبّر الإمام عليه‌السلام ، وكبّر المسلمون ، فقد انقصم ظهر الشرك ، وتفلّلت قواه ، وأحرز الإسلام النصر الحاسم على أعدائه بيد إمام المتّقين وبطل الإيمان ، وراح النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله يقلّده وساماً مشرقاً على امتداد التاريخ قائلاً :

« لَمُبارَزَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِعَمْرو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ أَعْمالِ اُمَّتِي إلىٰ يَوْمِ الْقِيامَةِ »[١].

الله أكبر ! هذه الضربة الحاسمة للشرك تعادل جميع ما تعمله اُمّة محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله من حسنات ومبرّات إلى يوم القيامة ، فأيّة مكرمة هذه المكرمة ؟

وقال الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان :

« لو قسّمت فضيلة عليّ بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين أجمعهم لوسعتهم »[٢].

قال عبدالله بن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ** ﴾[٣] قال : « كفاهم بعليّ بن أبي طالب »[٤].

وبكت قريش أمرّ البكاء ، وحزنت أعمق الحزن على قتل بطلها عمرو بن عبد ودّ لأنّ قتله كان هزيمة لهم ، وقد رثاه مُسافح بن عبد مناف بن وهب بقوله :

---

(١) تاريخ بغداد : ١٣ : ١٩. المستدرك على الصحيحين : ٣ : ٣٢.

(٢) رسائل الجاحظ : ٦٠.

(٣) الأحزاب ٣٣ : ٢٥.

(٤) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام : ٢ : ٣٧.

عمرو بنِ عبدٍ كانَ أوّلَ فارسٍ جزعَ المَذا وكانَ فارسَ يَلْيَلِ
سَمْحُ الخَلائِقِ ماجِدٌ ذو مِرَّةٍ يبغي القتالَ بشِكةٍ لمْ يَنكُلِ[(١)]

ولم تجزع أُخت عمرو على أخيها لأنّ قاتله البطل الأوّل في العالم العربي ، ولو كان قاتله غيره لحزنت عليه كأشدّ ما يكون الحزن ، قالت :

لو كانَ قاتلُ عمروٍ غيرُ قاتلهِ لكُنتُ أبْكي عَليهِ آخِرَ الأبدِ
لكنَّ قاتِلَهُ مَنْ لا يُعابُ بهِ مَنْ كانَ يُدعىٰ أبوهُ بَيضَةَ البَلَدِ[(٢)]

وقتل الإمام عليه‌السلام بطلاً آخر من قريش وهو نوفل بن عبدالله ، وقد سبّب ذلك هزيمة ثانية لقريش ، وراح النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله يقول له :

« **الْآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنا** »[(٣)].

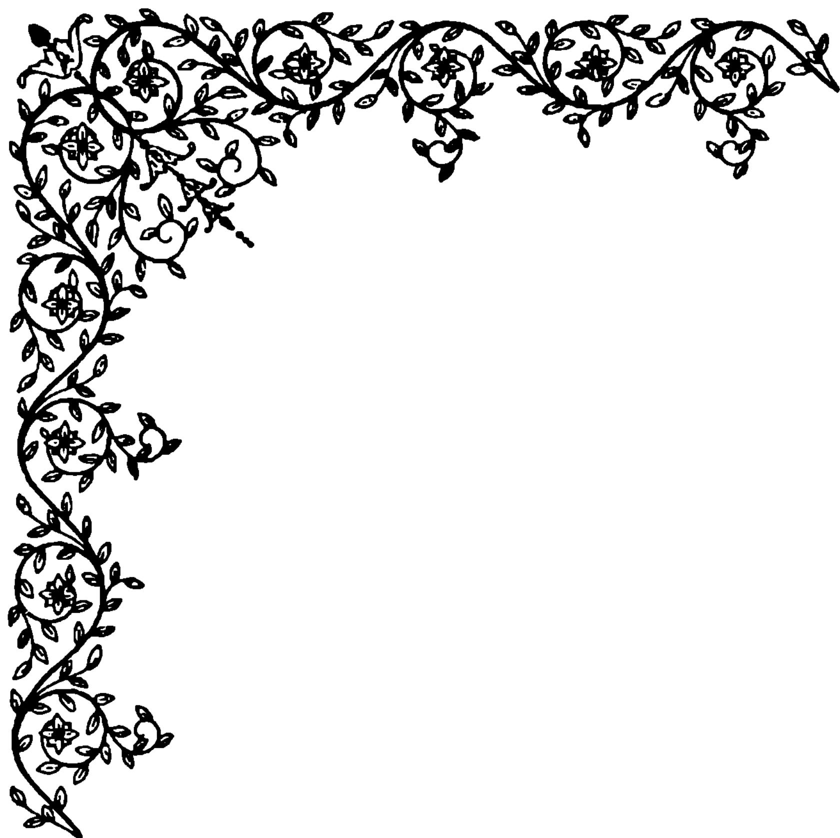
وولّت قريش منهزمة على أعقابها يطاردها الرعب والخوف ، فقد منيت بقتل أعظم بطل من أبنائها في هذه المعركة ، كما لم يتكبّد المسلمون أي خسارة فيها .

---

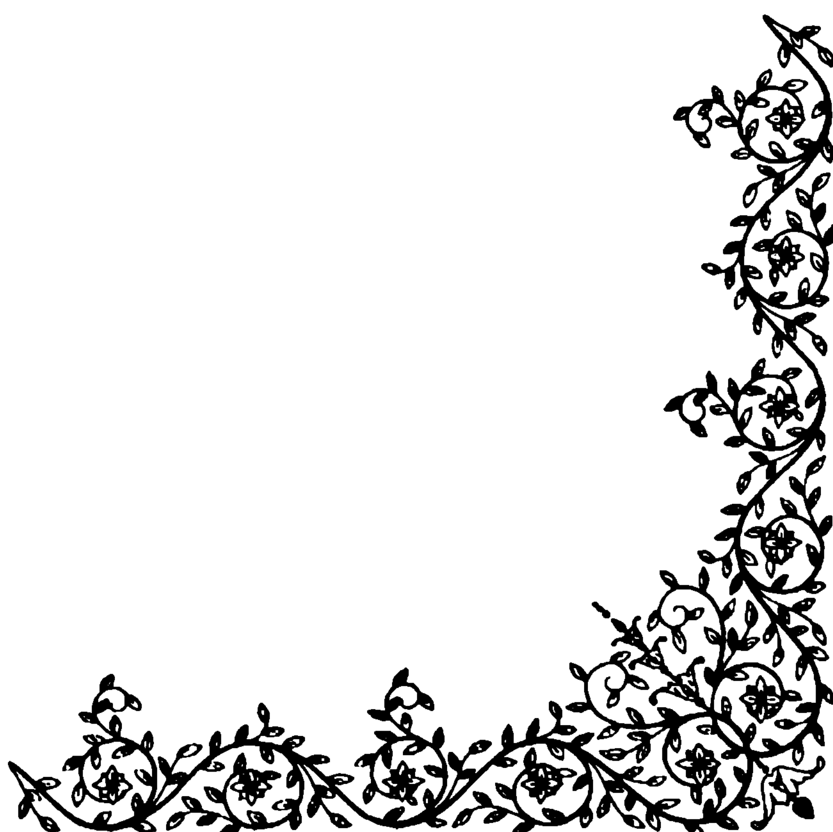
(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام : ٢ : ٣٧.

(٢) أمالي المرتضى : ٢ : ٧ ـ ٨.

(٣) أعيان الشيعة : ٣ : ١١٣.



بَنُو قُرَيْظَةَ وَفَتْحُ خَيْبَرَ



ولم يكد ينتهي النبيّ ﷺ من واقعة الخندق حتّى وافته الأنباء من السماء بالإسراع إلى غزو بني قريظة ، وهم أسوء عصابة إسرائيليّة انتهكت حرمات الله ، وباءت بغضبه وغضب رسوله ، وكانت مصدر فتنة ومكر للمسلمين ، فكانوا يكيدون لهم في وضح النهار وفي غلس الليل ، ونعرض في هذا الفصل لشؤون هذه الغزوة ، وإلى فتح حصون خيبر[١] بعد ذلك :

زحف الجيش الإسلامي

صدرت الأوامر من القيادة العليا إلى الجيش الإسلامي بالزحف إلى بني قريظة ، وأن لا يصلّون صلاة العصر إلّا فيهم ، واتّجه الجيش لا يلوي على شيء حتّى انتهى إلى بني قريظة ، وأحاط بهم ، وفرض عليهم الحصار ، وكانوا في حصون محصّنة .

إيفاد الإمام عليه السلام لمقابلتهم

أوفد النبيّ ﷺ أخاه الإمام عليّ عليه السلام لمقابلة بني قريظة ، فلمّا انتهى إليهم قابلوه

---

(١) خيبر : اسم ولاية مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير تبعد عن المدينة ثلاثة أميال ، سمّيت باسم أوّل من نزلها ، وهو خيبر أخو يثرب من أبناء عاد ، وكانت غزوة خيبر في آخر السنة السادسة من الهجرة . خزانة الأدب : ٦ : ٦٩ .

بمرّ القول، وطعنوا في شخصيّة الرسول ﷺ، وقفل الإمام عليّ عليه السلام راجعاً إلى النبيّ ﷺ ليخبره بما رأى منهم، وطلب منه أن لا يدنو من حصونهم، فسأله النبيّ ﷺ:

« لَمْ أَظُنّكَ سَمِعْتَ مِنْهُم لِي أذىً ؟ ».

« نَعَمْ ».

« لَوْ رَأَوْني لَما قالوا شَيْئاً مِنْ ذلِك ».

ثمّ دنا النبيّ ﷺ من حصونهم وناداهم:

« يا إِخْوانَ القِرَدَةَ، هَلْ أَخْزاكُمُ اللهُ وَأَنْزَلَ بِكُم نِقْمَتَهُ ».

وأمر النبيّ ﷺ بتطويق الحصار عليهم، وظلّ الحصار عليهم خمساً وعشرين ليلة لم يقع خلالها سوى التراشق بالسهام والحجارة، وقد أيقنوا أنّ حصونهم لن تغني عنهم شيئاً، وأنّهم لا بدّ أن يقعوا في قبضة المسلمين.

نصيحة كعب بن أسد لهم

قدّم كعب بن أسد نصيحة لليهود تقيهم من القتل جاء فيها:

« يا معشر اليهود، قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإنّي عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيّها شئتم ؟ ».

قالوا: « ما هي ؟ ».

قال: « نُتابع هذا الرجلَ - يعني النبيّ ﷺ - ونصدّقه، فوالله! لقد تبيّن لكم أنّه لنبيّ مُرْسل، وأنّه للذي تجِدونه في كتابكم، فَتَأْمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونساءكم ».

وانبروا جميعاً قائلين بصوت واحد:

« لا نفارقُ حُكْمَ التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره ».

وقال كعب :

« فإذا أبيتم عليَّ هذه ، فهلمَّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثمّ نخرج إلى محمّد وأصحابه رجالاً مُصْلِتين السيوفَ ، لم نترك وراءَنا ثَقَلاً ، حتّى يحكم الله تعالى بيننا وبين محمّد ، فإن نَهْلك نهلِك ، ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن نَظهر فلعمري لنجدنَّ النساء والأبناء » .

وشجب اليهود هذا الرأي ، وراحوا يقولون :

« نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم » .

وعرض عليهم رأيه الثالث قائلاً :

« فإن أبيتم علَيَّ هذه ، فإنّ الليلة ليلة السبت ، وأنّه عسى أن يكون محمّداً وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلّنا نصيب من محمّد وأصحابه غِرّة » .

ولم يستجيبوا لرأيه وقالوا له :

« نُفْسِد سَبْتَنا علينا ، ونُحدث فيه ما لم يُحْدِث مَنْ كان قبلنا إلّا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخْفِ عليك من المسخ »[١] .

بعثة أبي لبابة

وطلب بنو قريظة من النبيّ ﷺ أن يبعث إليهم أبا لُبابة ليستشيرونه في أمرهم ، وكان أبو لبابة من الأوس وهم حلفاء بني قريظة ، فبعثه النبيّ ﷺ لهم ، فلمّا رأوه قاموا إليه تبجيلاً وتكريماً ، وأجهشت النساء والصبيان بالبكاء في وجهه ، فلمّا نظر إليهم رقّ إليهم ، وقالوا له :

ما ترى يا أبا لُبابة ، هل ننزل على حُكم محمّد ؟ » .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٣ : ٢٤٦ .

فقال لهم :

« نعم ـ وأشار بيده إلى حَلقِه ـ أنّه الذبح إن لم تفعلوا » .

وقد أشار عليهم بالمقاومة وعدم التسليم لأنّه الذبح ، وقد ندم على ذلك كأشدّ ما يكون الندم ، وتاب إلى الله تعالى ، وقد ذكرت بالتفصيل كتب السير توبته(١) .

تحكيم سعد بن معاذ

وأرسلت بنو قريظة إلى حلفائهم الأوس التوسّط في أمرهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله ، وانبرى جماعة من الأوس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وقالوا له :

« يا نبيّ الله ، ألا تقبل من حلفائنا ما قبلت من حلفاء الخزرج » .

فاستجاب لهم وقال : **« أَلا تَرْضَوْنَ أَنْ أَجْعَلَ بَيْنَكُم وَبَيْنَ حُلَفائِكُم رَجُلاً مِنْكُم ؟ »** .

قالوا : « بلى » .

فقال لهم : **« فَلْيَخْتارُوا مَنْ شاؤوا »** ، واختار اليهود سعد بن معاذ ورضوا به حكماً ، فأخذ منهم العهد أن يرضون بحكمه ، فأمرهم أن يضعوا أسلحتهم ، ففعلوا ذلك ، وأصدر حكمه بقتل المقاتلة معهم وسبي نسائهم وذراريهم ، وأقرّ النبيّ صلى الله عليه وآله حكمه وقال : **« لَقَدْ رَضِيَ اللهُ بِحُكْمِهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَبِهِ أُمِرْت »** .

وجيء بهم إلى أسواق المدينة ، وحُفرت لهم خنادق ، ونفّذ فيهم حكم الإعدام ، فقد كانوا مصدر فتنة وبلاء على المسلمين ، وأراحهم الله تعالى من شرّهم .

والتفت النبيّ صلى الله عليه وآله إلى حُيَيّ بن أخطب وهو من ألدّ أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله فقال له :

« أَلَمْ يُخْزِكَ اللهُ تَعالىٰ يا حُيَيّ ؟ » ، فأجابه بصلابة وعدم مبالاة بالموت :

« كلّ نفس ذائقة الموت ، ولي أجل لا أعدوه ، ولا ألوم نفسي على عداوتك » .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٣ : ٢٤٧ ، وغيره من كتب السيرة ذكرت قصّته .

ثمّ نفّذ فيه حكم الاعدام ، وانبرى ثابت بن قيس إلى رسول الله ﷺ فطلب منه أن يعفو عن الزُّبير بن باطا اليهودي ، فأجابه النبيّ ﷺ إلى ذلك ، ومنّ عليه وعلى أهله وأولاده ، ووهبهم أموالهم التي صودرت ، وسأل الزبير عن زعماء بني قريظة ، فأخبر أنّهم قد قُتلوا ، فطلب من ثابت الذي تشفّع به أن يلحقه بالقوم ، ورفض العفو ، ونفّذ فيه الإعدام ، وجيء بامرأة قد ألقت رحىً على مسلم فقتلته ، وصدر عليها الحكم بالإعدام ، فضحكت وأبدت السرور بذلك ، وقتلت .

وعلى أيّ حال ، فإنّ بني قريظة كانت لهم صفحات سوداء ، وكانوا مصدر شرّ وفتنة على المسلمين ، وكانوا يقولون : « لا تطيب نفوسنا إلّا باستئصال محمّد وأصحابه » ، ولو أنّهم استجابوا لنداء الإسلام لما أصابهم العذاب الأليم .

قسمة أموال بني قريظة

وقسّم النبيّ ﷺ أموال بني قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين بعد أن أُخرج منها الخمس ، فأعطى للفارس سهمين ، ولفرسه ، وللراجل سهم واحد ، وكانت خيل بني قريظة ستّة وثلاثين فرساً ، وبقيت معظم النساء على اليهوديّة لم تتخلّى عنها[١] .

وقد أرهبت العرب غزوة بني قريظة ووطّدت الملك للإسلام وعرفت القوّة المعادية له أنّه قوّة لا تقهر .

فتح خيبر

رأى النبيّ ﷺ أنّه لا يستقيم أمر المسلمين ، ولا تسود له كلمة مع وجود قوّة لليهود ، وتلك القوّة ماثلة في حصون خيبر التي هي مصنع للأسلحة على اختلاف

---

(١) حياة محمّد ﷺ : ٣٥٦.

أنواعها من السيوف والرماح والدروع والدبابات التي كانت تقذف بالماء الحارّ والرصاص بعد إذابته ، وهي من أخطر الأسلحة في ذلك العصر ، وكانت خيبر هي التي تمدّ القوى المحاربة للإسلام بالأسلحة ، وزحف النبيّ صلى الله عليه وآله بجيشه لاحتلال حصون خيبر ، ولمّا أشرف عليها ابتهل إلى الله تعالى أن يحقّق له النصر ، ودعا بهذا الدعاء :

« اللّٰهُمَّ رَبَّ السَّماواتِ وَما أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الْأَرَضينَ وَما أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّياطينِ وَما أَضْلَلْنَ ، وَرَبَّ الرِّياحِ وَما أَذْرَيْنَ ، فَإِنّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِها وَخَيْرَ ما فيها ، وَنَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّها وَشَرِّ أَهْلِها وَشَرِّ ما فيها » .

وقال للجيش : **« اقْدِموا بِسْمِ اللهِ تَعالىٰ »** .

وأسند قيادة جيشه لأبي بكر فمضى ، ولمّا أشرف على الحصون قوبل بوابل من القذائف ، فرجع منهزماً خائباً ، وفي اليوم الثاني أسند النبيّ صلى الله عليه وآله قيادة الجيش إلى عمر بن الخطّاب ، فكان كصاحبه أبي بكر ، فقفل راجعاً منهزماً ، وظلّت الحصون مغلقة لم يمسّها سوء .

وبعد ما عجز الجيش من اقتحام الحصون أعلن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سَيُعيِّنُ القائد الذي يفتح الله على يده ، قائلاً :

« لَأَدْفَعَنَّ الرّايَةَ غَداً إِلىٰ رَجُلٍ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهَ ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ، لَا يَرْجِعُ حَتّىٰ يَفْتَحَ اللهُ لَهُ »(١) .

واستشرف الجيش بفارغ الصبر ينتظر القائد الملهم الذي يفتح الله على يده ، ولم يطرق بذهن أحد أنّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ؛ لأنّه كان مصاباً برمد ، ولمّا اندلع نور الصبح دعاه النبيّ صلى الله عليه وآله ، وكان معصباً على عينيه ، فأزاح العصابة عنه ، وسقا

---

(١) حلية الأولياء : ١ : ٦٢. صفة الصفوة : ١ : ١٦٣. فضائل الصحابة : ١٦ أحمد بن حنبل .

عينيه بريقه، فبرئتا بالوقت، وقال له:

«خُذْ هٰذِهِ الرّايَةَ حَتّىٰ يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ...».

ووصف حسّان بن ثابت رمد الإمام وشفائه من ريق النبيّ ﷺ بقوله:

وكـانَ عَـليٌّ أرمَـدَ العَينِ يَبْتَغي ... دواءً فلَمْ يُحْسِسْ طَبيباً مُـداوِيـا
شَـفاهُ رسـولُ اللهِ مِـنْهُ بِـتَفْلَةٍ ... فَـبُورِكَ مَـرْقِيّاً وبُـورِكَ راقِـيا
وقالَ: سأُعطي الرايةَ اليَوْمَ صارِماً ... كَـمِيّاً مُـحِبّاً للـرَّسولِ مُـوالِيا
يُـحِبُّ إلـٰـهي والإلـٰـهُ يُـحِبُّهُ ... بِـهِ يَـفْتَحُ اللهُ الحـصونَ الْأَوابِـيا
فـأَصفىٰ بِـها دونَ البَـرِيَّةِ كُـلِّها ... عَلِيّاً وَسَمّاهُ الوزيرَ المُـؤاخِـيا(١)

ووصف الشاعر الموهوب الأزري الحادثة بقوله:

ولَـهُ يَـومَ خَـيبَرٍ فَـتَكاتٌ ... كَبُرَتْ مَنْظَراً عَـلىٰ مَنْ رَآهـا
يومَ قـالَ النَّبيُّ إنّـي لأُعـطي ... رايَتي لَـيثَها وحـامي حِـماها
فاسْتَطالَتْ أعـناقُ كـلِّ فَـريقٍ ... لِـيَروا أيَّ مـاجدٍ يُـعطاها
فدَعا أينَ وارثُ العِلمِ والحِلم ... مُـجيرُ الأيّـام مِنْ بَـأساها؟
أينَ ذو النَّجْدَةِ الَّذي لَوْ دَعَـتْهُ ... فـي الثُّـرَيّا مَـروعَةٌ لَـبّاها؟
فـأَتاهُ الوَصِـيُّ أَرْمَـدَ عَـيْنٍ ... فَسَـقاهُ مِـنْ ريـقِهِ فَشَـفاها
وَمضىٰ يَطلبُ الصُّفوفَ فوَلّتْ ... عَـنْهُ عِـلْماً بـأنَّهُ أَمـضاها(٢)

وهو وصف رائع وجميل لموقف الإمام عليه السلام، ومن أبلغ ما فيه قوله:

فـأَتاهُ الوَصِـيُّ أرمَـدَ عَـيْنٍ ... فَسَـقاهُ مِـنْ ريـقِهِ فَشَـفاها

---

(١) أعلام الورى: ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) شرح الأزريّة: ١٤١ ـ ١٤٢.

ولم يقل : فبصق في عينيه ، وإنّما قال فسقاه من ريقه فشفاها ، وهذا غاية الإبداع في الوصف .

وعلى أيّ حال ، فقد استلم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الراية من النبيّ صلى الله عليه وآله وقال **« يا رَسُولَ اللهَ ، أُقاتِلُهُمْ حَتّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنا ؟ »**

فأجابه النبيّ صلى الله عليه وآله :

« انفُذْ عَلىٰ رَسْلِكَ حَتّىٰ تَنْزِلَ بِساحَتِهِم ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَام ، وَأَخْبِرْهُم بِما يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ ، فَواللهِ ! لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً واحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ »[١] .

وأسرع بطل الإسلام إلى ساحة الحرب مزهوّاً لم يختلج في قلبه رعب ولا خوف ، وهو يلوّح بلواء النصر ، متّجهاً نحو الحصن ، فقلع بابه وتترّس بها[٢] ، وقد وقته من ضربات اليهود وقذائفهم ، وذعر اليهود وأصابتهم أوبئة من الخوف من هذا البطل الذي قلع باب حصنهم وتترّس بها .

مبارزة الإمام عليه السلام لمرحب

ويبرز مرحب ، وهو من أبطال اليهود وشجعانهم صوب الإمام وعليه مغفر يماني ، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز :

---

(١) صفة الصفوة : ١ : ١٦٤ . صحيح البخاري : ٧ : ١٢١ ، وفي وسائل الشيعة : ٦ : ٣ : **« يا عَلِيُّ ، لا تُقاتِلَنَّ أَحَداً حَتّىٰ تَدْعُوَهُ إِلَى الإِسْلامِ »** .

(٢) إنّ قلع الإمام لباب خيبر من المعاجز ، فقد كانت لا يقلعها إلّا أربعون رجلاً ، نصّت على ذلك المصادر التالية : تاريخ بغداد : ١١ : ٣٢٤ . ميزان الاعتدال : ٢ : ٢١٨ . كنز العمّال : ٦ : ٣٦٨ ، وفي الرياض النضرة : ٢ : ١٨٨ « أنّه اجتمع سبعون رجلاً فأعادوا الباب بعد جهد » .

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنّي مَرْحَبُ   شاكي السِّلاحِ بَطلٌ مُجرَّبُ

إِذا اللّيوثُ أَقْبَلَتْ تَلْتَهِبُ

واستقبله حامي الإسلام وعليه جبّة حمراء، فأجابه:

«أَنا الَّذِي سَمَّتْني أُمِّي حَيْدَرَة   ضِرْغامُ آجامٍ وَلَيْثُ قَسْوَرَة[١]

عَبْلُ الذِّراعَيْنِ شَدِيدُ الْقَصْوَرَة   كَلَيْثِ غاباتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَة[٢]

أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رِقابَ الْكَفَرَةِ   أَكِيلُهُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَة»[٣]

وأجمع الرواة أنّ هذا الشعر للإمام[٤]، وقد حكى قوّة بأس الإمام وشجاعته.

وتقدّم الإمام نحو مرحب فبادره بضربة قدّت البيضة والمغفر وسقط إلى الأرض صريعاً يتخبّط بدمه، فأجهز عليه وتركه جثّة هامدة.

وكتب الله تعالى النصر الحاسم للإسلام على يد أخي النبيّ ﷺ وباب مدينة علمه، وفتحت بذلك حصون خيبر، وأذلّ الله تعالى اليهود وكسر شوكتهم، ولقّنهم درساً قاسياً يذكرونه بأسى ولوعة على امتداد التاريخ.

وسرّ النبيّ ﷺ بهذا الفتح المبين الذي أعزّ الله تعالى به المسلمين، وقهر أعداءهم اليهود، وصادف في ذلك اليوم رجوع جعفر الطيّار من الحبشة، فقال ﷺ:

«ما أَدْرِي بِأَيِّهِما أَنا أَسَرُّ أَبِقُدُومِ جَعْفَرٍ أَمْ بِفَتْحِ خَيْبَرَ؟»[٥].

---

(١) **الآجام**: جمع أجمة، وهي الشجر الكثير الملتفّ أو القصب يكونان مأوى للأسود، وهو إشارة إلى فرط قوّته ومنعة جانبه. **القسورة**: كناية عن الأسد الذي يأخذ فريسته قسراً.

(٢) **العبل**: الضخم. **القصورة**: أصل العنق.

(٣) **السندرة**: هي المكيال، والمعنى: أنّي أقتلكم قتلاً واسعاً، وقيل غير ذلك.

(٤) خزانة الأدب: ٦: ٦٥.

(٥) شرح نهج البلاغة: ٤: ١٢٨.

الشاة المسمومة

وأهدت زينب بنت الحارث إلى النبيّ ﷺ شاة مشويّة قد جعلت فيها السمّ ، وقد زادت السمّ في الذراع ؛ لأنّها علمت أنّ النبيّ ﷺ يميل إليه ، وتناول الذراع فلاك منه مضغة فَلَفظها ، وتناول منها بِشْر بن البراء فلم يَلَفظها فسبّبت وفاته ، وقال النبيّ ﷺ : « **إنَّ هـٰذَا العَظْمَ مَسْمُومٌ** » ، ودعا بزينب فاعترفت بسمّ الشاة ، فقال لها :

« **ما حَمَلَكِ عَلىٰ هـٰذا ؟** » .

فقالت : « بلغتَ من قَوْمي ما لم يَخف عليك ، فقلت : إن كان مَلِكاً استرحتُ منه ، وإن كان نبيّاً فسيُخْبَر » ، فتجاوز النبيّ عنها (١) .

إسلام الحجّاج بن علاط

لعلّ من الطريف جدّاً أن نذكر إسلام الحجّاج بن عِلاط السُّلمي ، فقد أسلم على يد النبيّ ﷺ ، وكانت له أموال متفرّقة في مكّة خاف عليها ، فاستأذن النبيّ ﷺ إلى الرواح لمكّة ، فأذن له ، وقد استخرج أمواله بحيلة ، فلمّا أشرف على مكّة استقبله رجال من قريش يتطلّعون إلى أخبار النبيّ ﷺ ، وقد بلغهم أنّه سار إلى خيبر ، ولم يكونوا على علم بإسلام الحجّاج ، فسألوه عن أخبار النبيّ ﷺ ، فقال لهم : « عندي ما يسرّكم ، لقد هُزم محمّد هزيمة لم تسمعوا بمثلها قطّ ، فقد قُتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله ، وأُسر محمّد أسراً ، وقال اليهود : لا نقتله ، حتّى نَبْعث به إلى أهل مكّة ، فيقتلوه بين أظْهرهم طلباً بثأر من قتلهم » .

وهرع الجماعة إلى مكّة وهم مستبشرون ، ونادوا قد جاءكم الخبر : هذا محمّد جيء به إليكم ليُقتل بين أظْهُرِكم ، وعمّت الفرحة أهل مكّة .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٣: ٣٥٢.

وطلب الحجّاج من الجماعة أن يعينوه على جمع أمواله لتقديم هـذه البشـرى لهم ، وقاموا فجمعوا له أمواله التي لم يتمكّن على تحصيل بـعضها ، وانـبرى إليـه العبّاس يسأله عن صحّة الخبر الذي نقل عنه ، فقال له :

« سوف أُخبرك على خلاوة بيني وبينك » .

ولمّا جمع أمواله لقيه العبّاس ، فقال له الحجّاج :

« احفظ علَيَّ حديثي ، فإنّي أخشى الطلب ثلاثاً وبعدها قل ما شئت » .

قال العبّاس : « افعل » .

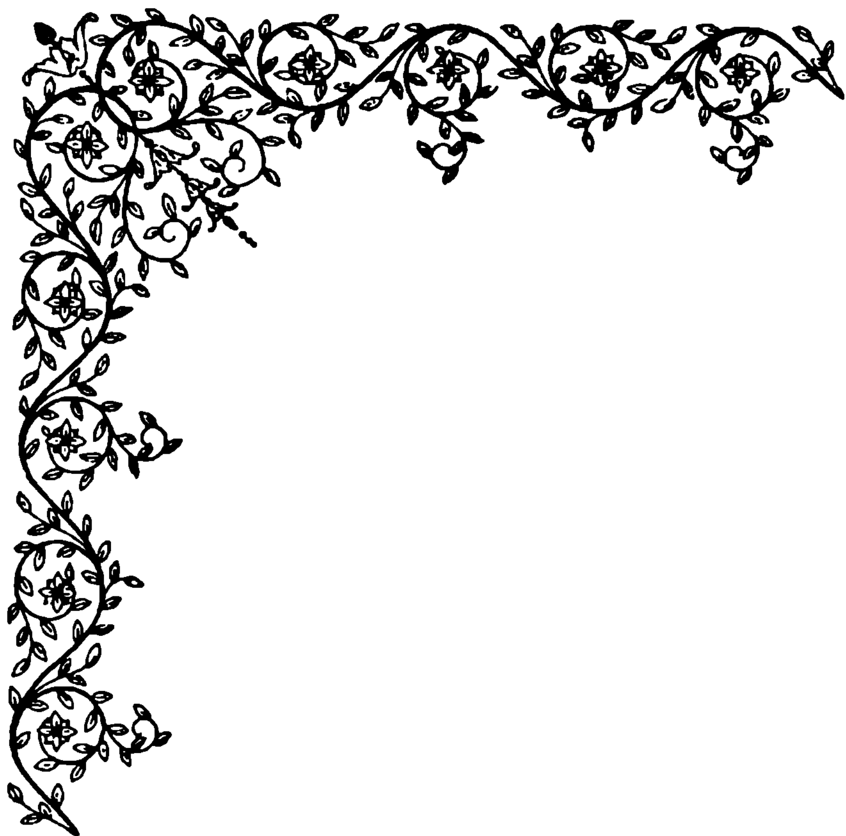
فقال : « إنّي والله تركت ابن أخيك عرّيساً على صفيّة بنت مَلِكهم ، وقد اُفتتحت خيبر ، واستولى المسلمون على ما فيها من الأموال » .

فقال له العبّاس : « ما تقول يا حجّاج ؟ » .

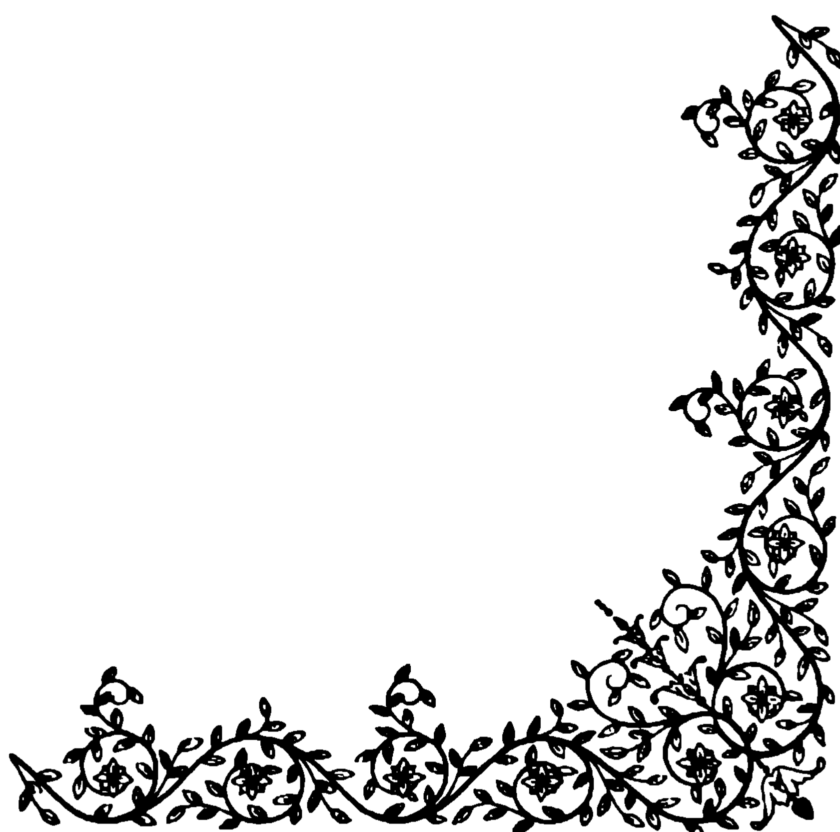
قال : « إي والله هوما قلته لك ، فاكتم عنّي ، وقد أسلمتُ ، وما جئت إلّا لآخذ أموالي خوفاً من أن اُغلب عليها إذا سمعوا بإسلامي ، فإذا مضت ثلاثة أيّام فأخبر النّاس » ، ولمّا مضت الأيّام الثلاث لبس العبّاس حُلّة له ، وأخذ عصاه ، وخرج حتّى أتى الكعبة ، فطاف بها ، فاستقبله القرشيّون ، فقال لهم : « لقد افتتح محمّد خـيبر ، وتزوّج ببنت مَلِكهم ، واستولى على أموالهم » ، فقالوا له : « مَن جاءك بهذا الخبر ؟ » ، قال : « الذي جاءكم بالخبر به ، وقد دخل عليكم مُسْلماً ، فأخذ مالَه ، وانطلق لِيَلحقَ بمحمّد وأصحابه ، فيكون معهم » ، وفزعوا وقالوا : « انفلت عدوّ الله ، أمَا لو علمنا لكان لنا وله شأن » ، ولم تمض أيام حتّى وافتهم الأنباء بفتح النبيّ لحصون خيبر[1] .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٣: ٣٥٩ ـ ٣٦٠.



الغَزَوَاتُ



نحن أمام غزوات النبيّ ﷺ إلى بعض المناطق والأقاليم والقبائل ، والنظر فيما هو الهدف منها ، والذي أراه بمزيد من التأمّل أنّ الهدف من ذلك يعود لما يلي :

أوّلاً : إنّ الله تعالى أرسل عبده ورسوله إلى جميع أُمم العالم وشعوب الأرض رحمة منه تعالى بهم لينقذهم من واقعهم المرير ، ويهديهم للتي هي أقوم .

لقد كان الإنسان غارقاً في الجهل وفي مآثم الحياة ، وكان ذلك ماثلاً في المجتمع الذي عاش فيه رسول الله ﷺ ، فقد عكفت القبائل على عبادة الأوثان والأصنام ، واتّخذتها آلهة يعبدونها من دون الله تعالى خالق الكون وواهب الحياة ، فكان صلوات الله عليه ملزماً من قِبل الله تعالى أن يبلّغ رسالته إلى عباده ، ويرشدهم إلى معالم الحقّ ، ويقيم فيهم نظاماً متطوّراً يضمن حقوقهم ، وتصان فيه كرامتهم .

ثانياً : التخلّص من الخطر المحدق بالإسلام من بعض القبائل والمناطق التي كانت تكيد للإسلام في وضح النهار وفي غلس الليل ، كاليهود الذين شكّلوا قاعدة شعبيّة انضمّ إليها المنافقون للإطاحة بالنظام الإسلامي ، فاضطرّ النبيّ ﷺ إلى غزوهم لإنقاذ المسلمين من ويلاتهم وكوارثهم .

ثالثاً : إنّ الغزو لم يستهدف بأي حال من الأحوال الاستيلاء على أموالهم المنقولة وغير المنقولة ، وإنّما كان يستهدف الإيمان بالله ورسوله ، وإقامة شعائر الدين ، والتخلّي عن العادات الجاهليّة التي تهبط بالإنسان إلى مستوى سحيق من التأخّر والانحطاط .

ونعود إلى ذكر غزوات النبيّ ﷺ حسب ما نصّت عليه كتب السيرة النبويّة .

١ ـ غزوة بني سُلَيْم

غزا النبيّ ﷺ بني سُلَيْم ، فبلغ ماءً من مياههم يقال له : الكُدْر ، فأقام فيه ثلاث ليالٍ ، ثمّ قفل راجعاً إلى المدينة ، ولم يَلْقَ أيّ جهد أو كيد يذكر[١] ؛ لأنّ القوم قد تفرّقوا .

٢ ـ غزوة السَّوِيق

سبب هذه الغزوة ـ فيما يرويه مؤلّفو السيرة التي أسموها بـغزوة السَّوِيق ـ بأنّ أبا سفيان قد حلف بعد واقعة بدر أن لا يمسّ الماء رأسه من جنابة حتّى يغزو محمّداً ، فخرج مع عصابة من قريش يطوي البيداء حتّى أتوا إلى بني النّضير بالقرب من المدينة ، فوجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حَرْث لهما ، فقتلوهما ، ثمّ انصرفوا ، ولمّا انتهى خبرهم إلى النبيّ ﷺ خرج في طلَبهم ، واستعمل النبيّ ﷺ على المدينة بشير بن عبدالمُنذر ، ولمّا انتهوا إلى بني النضير وجدوهم قد هربوا إلى مكّة ، وقفل النبيّ ﷺ مع جيشه راجعين إلى المدينة ، ولم تقع في هذه الغزوة أيّة خسارة للمسلمين[٢] ، ولا أيّة ربح لهم .

٣ ـ غزوة الفُرُع

غزا الرسول ﷺ غزوة الفُرُع يريد قريشاً ، واستعمل على المدينة ابنَ اُمّ مَكْتوم ، وسار مع جيشه حتّى بلغ مَعْدِناً بالحجاز من ناحية الفُرُع[٣] ، فأقام به شهر ربيع الآخر

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٣ : ٤٦.

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٣ : ٤٨.

(٣) **الفرع** : قرية من ناحية المدينة .

وجمادى الأُولى .. ليعلم أبناء تلك المنطقة أحكام الإسلام وتعاليم القرآن ، ثمّ قفل راجعاً إلى المدينة ولم يَلْقَ أي كيد أو ضرر[١].

٤ـ غزوة بُواط

غزا النبيّ ﷺ في شهر ربيع الأوّل ، وقيل : الآخر ، يريد عِيراً لقريش فيها أُميّة بن خلف ومائة رجل من قريش ومعهم ألفان وخمسمائة بعير ، وخرج مع النبيّ ﷺ مائتان من أصحابه ، وساروا يطوون البيداء حتّى انتهوا إلى بُواط وهو جبل لجهينة من ناحية رضوى ، وهو أحد الجبال التي أُخذت منها الأحجار التي بنيت منها الكعبة المقدّسة ، وأقام النبيّ ﷺ وقتاً ، ولم يلق فيها كيداً ـ أي حرباً ـ[٢].

٥ـ غزوة العشيرة

خرج النبيّ ﷺ غازياً في شهر جمادى الأُولى يريد الاستيلاء على عِير لقريش متوجّهة إلى الشام ، وهي أعظم تجارة لها ، فقد اشتركت فيها جميع أبناء قريش ، ولم يبق أحد منهم إلّا وله سهم فيها ، ومن ثمّ سمّيت بالعشيرة ، وهي التي كانت سبباً لواقعة بدر الكبرى ، ولم يظفر المسلمون بالقافلة ، فقد سبقتهم إلى مكّة[٣].

٦ـ غزوة بني قينقاع

وهم قوم من اليهود اشتهروا بالشجاعة ، وكانوا صاغة ، ولهم حلف مع عبادة بن الصامت ، وعبدالله بن أبي سلول ، وبعد واقعة بدر أظهروا البغي والحسد ، ونبذوا العهد مع رسول الله ﷺ ؛ لأنّه عاهدهم وعاهد بني قريظة ، وبني النضير أن

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٣ : ٥٠.

(٢) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٤٦.

(٣) السيرة الحلبيّة : ٢ : ١٢٦.

لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوّاً ، وهم أوّل من غدر بالمسلمين من اليهود . فقد قدمت امرأة من العرب بجَلَب لها من إبل أو غنم ليباع ، فباعته بسوق بني قينقاع ، وجلست إلى جانب صائغ منهم ، وكانت المرأة زوجة لبعض الأنصار ، فجعل جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها وهي لا تشعر فَعقده إلى ظَهْرها ، فلمّا قامت انكشفت سَوْءتها ، فضَحِكوا منها ، فصاحت ووثب رجل من المسلمين إلى الصائغ فقتله ، وشدّ اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهله بالمسلمين ، ونقل الأمر إلى رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ :

« ما عَلىٰ هـٰذا أَقْرَرْناهُم » ، وطلب من عُبادة بن الصامت أن يتبرّأ منهم ، ولا يقرّ حلفهم ، فقال : « يا رسول الله ، أتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف الكفّار » ، أمّا عبدالله بن أبي سلول فإنّه لم يتبرّأ من حلفهم ، وفيه نزلت الآية ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾(١) .

وجمعهم رسول الله ﷺ فقال لهم :

« يا مَعْشَرَ اليَهود ، احْذَروا مِنَ اللهِ مِثْلَ ما أَنْزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنَ النِّقْمَةِ بِبَدْرٍ ، وَأَسْلِموا ، فَإِنَّكُم قَدْ عَرَفْتُم أَنّي نَبيٌّ مُرْسَلٌ تَجِدونَ ذلِكَ في كتابِكُم وَعَهْدِ اللهِ تَعالىٰ إِلَيْكُم » .

فردّوا عليه بعنف وقالوا له :

« إنّك تَرَى أنّا مثل قَوْمِك ـ يعني قريشاً ـ لا يغرّنّك أنّك لقيتَ قوماً لا عِلم لهم بالحرب ، فأصبْتَ منهم فُرصَةً ، إنّا والله لئن حاربناك لتعلمنّ أنّا نحن النّاس » .

وسارعوا إلى حصونهم فتحصّنوا بها ، فسار إليهم رسول الله ﷺ ولواؤه بيد عمّه حمزة ، وحاصرهم خمسة عشر ليلة أشد حصار ، واستمر الحصار إلى هلال

---

(١) المائدة ٥ : ٥١ ـ ٥٦ .

ذي القعدة ، وقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب ، وكانوا سبعمائة منهم أربعمائة حاسر[(١)] ، وثلاثمائة دارع[(٢)] ، فسألوا النبيّ ﷺ أن يخلي سبيلهم ، وأن يجلوا عن المدينة مع نسائهم وذراريهم ، وله ما عندهم من الأموال المنقولة وغير المنقولة ، ومنها السلاح ، فأجابهم إلى ذلك ، وقسّم النبيّ ﷺ أموالهم على المسلمين بعد أن أخرج الخمس مع أنّها فيء له ؛ لأنّه لم يجلب عليها بخيل ولا ركاب[(٣)] .

٧ ـ غزوة قَرْقَرة الكُدْر

قرْقَرة الكُدْر أرض ملساء فيها طيور في ألوانها كدرة . بلغ النبيّ ﷺ أنّ عصابة من بني سليم وغطفان يريدون الاغارة على المدينة بعد أن غزاهم رسول الله ﷺ ، فسار إليهم في مائتين من أصحابه ، وحمل لواء الجيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وأخذ الجيش يطوي البيداء حتّى انتهى إلى هذا الموضع ، فلم يجد فيه أحداً ، وأرسل بعض أصحابه يفتّش عنهم ، فوجد في بطن الوادي خمسمائة بعير مع رعاتها ، فأخرج الخمس وخصّ كلّ واحد من الجيش بناقتين ، ووقع الراعي للإبل في سهم النبيّ ﷺ فأعتقه لأنّه رآه يصلّي[(٤)] .

٨ ـ غزوة ذي أمرّ

بلغ النبيّ ﷺ أنّ شخصاً من غطفان يقال له دُعْثور يجمع الجموع لغزو المدينة ، وهو مقيم بذي أمرّ ، وهو موضع من ديار غطفان ، فخرج إليه النبيّ ﷺ في أربعمائة وخمسين رجلاً ، لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل ، والتقى النبيّ ﷺ

---

(١) **الحاسر** :الذي لا درع له.

(٢) **الدارع** :الذي عليه الدرع .

(٣) السيرة الحلبيّة : ٢: ٢٠٨ و ٢٠٩.

(٤) السيرة الحلبيّة : ٢: ٢١٢.

برجل منهم، فأخبره بما عزموا عليه، وقال له: لو علموا بمسيرك إليهم هربوا في رؤوس الجبال، وأنا سائر معك، ودعاه النبيّ ﷺ إلى الإسلام فأسلم، وضمّه إلى بلال، وسار الرجل يرشد الجيش إلى سنن الطريق، فلمّا انتهى إليهم هربوا في رؤوس الجبال، وأصاب النبيّ ﷺ مطر كثير، فنزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفّا، واضطجع بمرأى من المشركين، فقال دعثور ـ وهو زعيم القوم ومعه سيفه ـ: «قتلني الله إن لم أقتل محمّداً»، وأقبل يشتدّ حتّى وقف على رأس رسول الله ﷺ وقال له:

«مَن يمنعك منّي اليوم؟».

فأجابه النبيّ ﷺ غير حافل به:

«اللهُ يَمْنَعُني مِنْكَ».

وأخذته هيبة الرسول وارتعشت يده، فسقط منها السيف، فتناوله النبيّ ﷺ وقال له:

«مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِي؟».

فقال للنبيّ ﷺ: «لا أحد يمنعني»، وأعلن إسلامه، وأعطاه سيفه، ومضى إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، ونزلت الآية المباركة في النبيّ ﷺ: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾**(١).

ثمّ قفل النبيّ ﷺ راجعاً إلى المدينة، ولم يلقَ حرباً، وكانت مدّة غزوته إحدى عشرة ليلة(٢).

---

(١) المائدة ٥: ١١.

(٢) السيرة الحلبيّة: ٢: ٢١٢.

٩ ـ غزوة ذات الرقاع

سمّيت بذلك لأنّ بعض الصحابة لم تكن عندهم مركب فثقبت أقدامهم من المشي ، فكانوا يلفّون عليها الخرق ، فلذا سمّيت بذات الرقاع .

وقد كان السبب في هذه الغزوة أنّ النبيّ ﷺ بلغه أنّ بني مُحارب وبني ثعلبة يجمعون الجموع لغزوه ، فخرج لمحاربتهم في أربعمائة ، وقيل : سبعمائة ، وسار النبيّ ﷺ يطوي البيداء بجيشه حتّى بلغ نجداً ، فلم يجد بها أحداً ، ثمّ سار حتّى نزل ليلاً في شِعبٍ ، وطلب من أصحابه حراستهم في الليل ، فقام عمّار بن ياسر وعبّاد بن بِشْر وقالا : « نحن نكلؤكم » وجلسا على فَمِ الشِّعب ، فقال عبّاد لعمّار : « أنا أكفيك أوّل الليل ، وأنت تكفيني آخره » ، فنام عمّار وقام عبّاد يصلّي ، وكان النبيّ ﷺ قد أسر أربع نساء في الطريق ، فقال أحد أزواجهنّ : « إنّه لا ينثني حتّى يصيب محمّداً ﷺ » ، وخرج في غلس الليل ، فرأى سواد عبّاد ، فسدّد له سهماً ، فأصابه ، فانتزعه ، ثمّ رماه بثانٍ وثالث ، فأخذه الدم ، فأيقظ عمّاراً وقال له : « قد أُتيت » فجلس عمّار ورأى ما به فقال له : « ما منعك أن توقظني في أوّل سهم رميت به ؟ » ، فقال : «كنت أقرأ في سورة الكهف ، وكرهت أن أقطعها » ، وحكت هذه البادرة مدى الإيمان الذي كان يتمتّع به أصحاب رسول الله ﷺ ، وأنّهم كانوا في أسمى درجة من الإيمان الخالص .

وأقبل رجل من العدوّ ليفتك بالنبيّ ﷺ ، فجاءه على غفلة ، وكان السيف في حِجره فقال للنبيّ ﷺ : « دعني أنْظُر إلى سيفك » ، فأخذه من حجره فاستلّه ، وجعل يهزّه وقال له :

« يا محمّد ، أما تخافني ؟ » .

« لَا ، وما أخافُ مِنْكَ » .

« أما تَخافُني وفي يَدِي السَّيف ؟ » .

« بَلْ يَمْنَعُني اللهُ تَعالىٰ مِنْكَ ».

واضطرب ، فقد أخذته هيبة النبيّ ﷺ ، وأعطاه السيف فقال له :

« مَنْ يَمْنَعُكَ مِنّي ؟ ».

فقال الرجل : « كن خير آخذ للسيف » ، فعفا عنه ، وأمره باعتناق الإسلام ، فأبى وقال : « أُعاهدك على أن لا أُقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك » ، فخلّى رسول الله عنه ، وقفل راجعاً إلى قومه ، فقال لهم : « جئتكم من عند خير النّاس » ، ثمّ أسلم(١) .

ولم تقع حرب ، ورجع رسول الله ﷺ إلى مكّة ، وقد ساد الرعب في القرى الجاهليّة التي لم تؤمن إلّا بالأوثان والأصنام .

١٠ ـ غزوة دومة الجَنْدل

هي بلدة بينها وبين دمشق خمس ليالٍ ، وهي أقرب بلاد الشام إلى المدينة ، وتقع قرب تبوك .

بلغ النبيّ ﷺ أنّ بها عصابة تقطع طريق المارّة ، وأنّهم عازمون على غزو المدينة ، فزحف إليهم بألف من المسلمين ، وكان ذلك في أواخر السنة الرابعة من الهجرة ، وكان الجيش الإسلامي يسير إليهم في الليل ويكمن في النهار ؛ خوفاً أن يُعرف أثره ، وكان معه دليل يرشده إلى سنن الطريق ، فلمّا قرب منهم هربوا ، واستولى الجيش على ماشيتهم ورعاتهم ، وقبض محمّد بن مسلمة على رجل منهم وجاء به مخفوراً إلى النبيّ ﷺ ، فسأله عنهم ، فقال له : « هربوا لمّا سمعوا أنّك أخذت نعمهم » ، وعرض عليه الإسلام فأسلم ، وقفل النبيّ ﷺ راجعاً إلى المدينة(٢) .

---

(١) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٧٠ ـ ٢٧٣ .

(٢) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٧٧ .

١١ ـ غزوة بني المصطلق

بنو المصطلق بطن من خزاعة ، وهم بنو جذيمة ، وجذيمة هو المصطلق من الصلق ، وقد بلغ النبيّ ﷺ أنّ زعيم بني المصطلق وهو الحرث بن ضرار يجمع الجموع لحرب النبيّ ﷺ ، فندب بريدة بن الحصيب ليعلم خبرهم ، وسار إليهم حتّى انتهى إليهم ، فقالوا له :

« مَن الرجل ؟ » ، قال : « منكم ، قدمت إليكم لمّا بلغني من جمعكم لهذا الرجل ـ يعني محمّداً ـ فأسير في قومي ، ومَن أطاعني لنكون يداً واحدةً حتّى نستأصلهم » ، فقال لهم زعيمهم : « فنحن على ذلك ، فعجّل علينا » .

وإنّما تكلّم بريدة بذلك بعد أن استأذن من النبيّ ﷺ ذلك ، ثمّ قفل راجعاً إلى النبيّ ﷺ فأخبره بالأمر ، وندب النبيّ ﷺ المسلمين لقتالهم ، فسار معه جمع كثير ، منهم المنافقون طمعاً بالمال ، حتّى انتهى الجيش إلى مكان ، فنزلوا به ، وأقبل رجل من عبدالقيس فسلّم على النبيّ ﷺ ، فقال له :

« أَيْنَ أَهْلُكَ ؟ » ، فقال : « بالروحاء » .

فقال له النبيّ ﷺ : **« أَيْنَ تُرِيدُ ؟ »** ، قال : « إيّاك جئت لأُؤمن بك ، وأشهد أنّ ماجئت به حقّاً ، وأُقاتل معك عدوّك » .

فقال له رسول الله ﷺ : **« الحَمْدُ للهِ الَّذي هَداكَ لِلْإسْلامِ »** .

وسأل النبيّ ﷺ : « أي الأعمال أحبّ ؟ » .

فقال : **« الصَّلاةُ لِأَوَّلِ وَقْتِها »** . وقُبض على رجل فجيء به إلى النبيّ ﷺ فسأله عن القوم ، فتبيّن أنّه عين لهم ، فأمر بضرب عنقه ، وانتهى خبره إلى القوم ، فذعروا وخافوا خوفاً شديداً ، وتفرّق الكثير منهم ، وحمل عليهم الجيش الإسلامي فقتل منهم عشرة وأُسر الباقين ، وكانت الغنيمة ألفي بعير وخمسة آلاف شاة ، وقفل

النبيّ ﷺ راجعاً إلى المدينة ، وهنا بحوث كثيرة أعرضنا عنها ، فقد آثرنا الايجاز فيها (١).

١٢ ـ غزوة مؤتة

بعث النبيّ ﷺ إلى مؤته (٢) ـ في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة ـ جيشاً مكوّناً من ثلاثة آلاف رجل ، وأسند القيادة العامّة إلى زيد بن حارثة ، وإذا أُصِيب فبعده جعفر بن أبي طالب ، وإن أُصِيب فعبدالله بنُ رَواحة .

واتّجه الجيش للخروج ، فسارع ابن رواحة فودّع النبيّ ﷺ ، وهو يبكي ، فقيل له : « ما يُبْكِيك يابن رواحة ؟ » .

« أمَا والله ما بي حبُّ الدنيا ، ولا صبابة بكم ولكنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ آيةً من كتاب الله تعالى يذكر فيها النّار : ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً** ﴾ (٣) » .

وودّعه المسلمون بكلمات حارّة مشفوعة بالدعاء ، فقال :

لٰكِنّني أسأَلُ الرَّحمٰنَ مَغفِرةً ... وضَربةً ذات فَرْغٍ تَقذِفُ الزَّبَدا (٤)

أَو طَعْنَةً بيَدَيْ حَرّانَ مُجْهِزةً ... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأَحشاءَ والكَبِدا (٥)

حتّىٰ يُقالُ إذا مَرُّوا علىٰ جَدَثي ... أرشَده اللهُ مِنْ غازٍ وقَد رَشَدا

---

(١) السيرة الحلبيّة : ٢ : ٢٧٩.

(٢) **مؤتة** : قرية من أرض البلقاء من الشام ، وتسمّى غزوة جيش الأمراء ؛ وذلك لكثرة جيش المسلمين فيها ، وما لاقوه من الحرب الشديدة مع الكفّار.

(٣) مريم ١٩ : ٧١.

(٤) **ذات فرغ** : أي ذات سعة . **الزبد** : هنا رغوة الدم .

(٥) **مجهزة** : سريعة القتل . **تنفذ الأحشاء** : تخترقها .

حكت هذه الأبيات الإيمان بأوسعِ رحابه ومفاهيمه في نفس ابن رواحة، فقد غذّاه النبيّ ﷺ بحبّ الله والتفاني في طاعته.

والتفت ابن رواحة إلى النبيّ ﷺ قائلاً:

فــثبّتَ اللهُ مــا آتــاكَ مِــنْ حَسَـنٍ تَثْبيتَ موسىٰ ونصْراً كالّذي نُصِروا
أَنْتَ الرَّسـولُ فَـمَنْ يُـحرَمْ نَـوافِـلَهُ والوجْهَ مِنْهُ فَقَد أَزْرىٰ بِـهِ القَـدَرُ(١)

وسار معه الجيش يطوون البيداء لا يلوون على شيء حتّى انتهوا إلى مَعَان من أرض الشام، وقد انتهت إليهم الأنباء بأنّ هرقلَ قد نزل مآب، وهي قطعة من أرض البلقاء، ومعه جيش يضمّ مائة ألف جندي، كما انضمّ إليهم من لخم وجُذام وغيرهما مائة ألف، فصار هرقل في مائتي ألف، وعلم المسلمون بهذا الجيش الضخم الذي جاء لمقابلتهم، فاجتمع القادة، وقال بعضهم: «نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد العدوّ، أمّا أن يُمدّنا بالرجال، أو يأمرنا بأمر فننفذه»، وانبرى عبدالله بن رواحة فخاطب الجيش قائلاً:

«يا قوم، والله إنّ التي تكرهون للّتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل النّاس بعَددٍ ولا قوّة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلّا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلِقوا، فإنّما هي إحدى الحسنيين، إمّا ظهور وإمّا شهادة...»، وصدّق الجيش مقالة المؤمن بدينه قائلين: «صدق والله ابن رواحة».

ومضى الجيش مصمّماً على القتال، وأنشد ابن رواحة:

جَلَبْنا الخيلَ مـن أجَـإٍ وفَـرْعٍ تُغَرُّ منَ الحشيشِ لَها العُكومُ(٢)

---

(١) **نافلة**: هبة من الله. **والنوافل**: العطايا والثواب. **أزرى به القدر**: قصّر به.

(٢) **اجأ**: من جبال طيء. **الفرع**: أطول جبل بأجأ وأوسطه. **تغر**: تطعم شيئاً فشيئاً. **العكوم** ـ جمع عكم ـ: الجنب.

حَـذَوناها مِنَ الصَّوّان سِبْتاً أزلَّ كـأنَّ صَـفْحَتَه أدِيـمُ[١]
أقـامَتْ ليـلَتينِ عـلىٰ مَعانٍ فأعْقِبَ بَعْدَ فَتْرَتِها جُـمُومُ[٢]
فـرُحْنا والجِـيادُ مُسَـوَّمات تنفَّس في مناخِرِها السَّمومُ[٣]
فـلَا وأبـى مـآبَ لَـنَأْتِيَنْها وإنْ كانَتْ بها عَـرَبٌ وَرُومُ[٤]
فـعَبَّأْنا أعِـنَّتَها فَـجاءَتْ عَوابِسَ والغُـبارُ لها بَـرِيمُ[٥]

وأعربت هذه الأبيات عن عزم الجيش وتصميمه على مواصلة الحرب مهما كانت قوّة العدوّ.

وأنشد ابن رواحة قبل أن يفتح باب الحرب بهذه الأبيات:

فشـأنُكِ أَنْـعُمٌ وخَـلاكِ ذَمٌّ ولا أَرْجِـعْ إلىٰ أَهْـلي وَرائـي
وجاءَ المُسلمونَ وغـادَروني بأرضِ الشـام مُشْـتَهِيَ الثَّـوَاءِ
وردّكِ كـلُّ ذي نَسب قـرَيبٍ إلَى الرَّحمٰنِ مُنقَطعَ الإخـاءِ
هـنالِكَ لاأُبـالي طَـلْعَ بَـعْلٍ ولا نَـخْلٍ أَسـافِلُها رِواءِ

وأعرب ابن رواحة بهذه الأبيات عن رغبته الملحّة في الشهادة وشوقه العارم للقاء الله تعالى.

---

(١) **حذوناها**: جعلنا لها حذاء الصوان الحجارة الملساء. **السبت**: النعال التي تصنع من الجلود المدبوغة. **أزل**: أي أملس صفحته ظاهرة. **الأديم**: الجلد.

(٢) **معان**: موضع بالشام. **الفترة**: الضعف والسكون. **الجموم**: النشاط.

(٣) **مسوّمات**: مرسلات. **السموم**: الريح الحارة.

(٤) **مآب**: اسم مدينة بالشام.

(٥) **البريم**: مختلطان؛ أحدهما أحمر والآخر أبيض.

التحام الفريقين

وسارع الجيش الإسلامي إلى مؤتة فأقام فيها ، وزحف إليه جيش هرقل ، والتحم الفريقان كأشدّ ما يكون الالتحام ، وقاتل زيد بن حارثة ببطولة منقطعة النظير ، حتّى استشهد في أرض المعركة ، وقد فقد الجيش الإسلامي قائداً فذّاً من أبطال المسلمين ، وأخذ الراية من بعده جعفر بن أبي طالب ، فعقر فرسه ، وهجم على الأعداء ، وهو يرتجز :

يا حَبَّذا الجَنّةُ واقترابُها طَـيِّبةً وبارداً شَرابُها

والرومُ رومٌ قَد دَنا عَذابُها كافِرةٌ بَعيدةٌ أنسابُها

عَلَيَّ إذْ لاقَيتُها ضِرابُها

حكى هذا الشعر عن شدّة شوقه لملاقاة الله تعالى ليفوز بالجنة ، وينعم بنعيمها .

وقاتل البطل الشهم ببسالة وصمود حتّى قُطِعت يده اليمنى ، فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يجول في وسط المعركة حتّى قُطِعت يده اليسرى ، فاحتضن اللواء بعَضُدَيه حتّى استشهد ، ولم ترَ مثله القيادة الإسلاميّة في العصر النبويّ قائداً ملهماً قاتل أعداء الله تعالى ببسالة وصبر وصمود حتّى لحق بالرفيق الأعلى ، وكان عمره الشريف ثلاثاً وثلاثين سنة ، وقد بكاه الجيش ، وبكاه النبيّ ﷺ وأبناء الأُسرة النبويّة .

وأخذ الراية البطل المؤمن عبدالله بن رواحة ، وجعل يخاطب نفسه ويدفعها إلى البسالة والصمود قائلاً :

أقسَمتُ يا نفسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَتنْزِلِنَّ أو لَتُكْرَهِنَّهْ

إنْ أَجْلَبَ النّاسُ وَشَدّوا الرَّنَّهْ ما لي أَراكِ تَكرَهينَ الجَنَّهْ

قَد طالَ ما قَد كُنتِ مُطْمَئِنَّهْ هلْ أَنتِ إلّا نُطفةٌ في شَنَّهْ[١]

---

(١) الشنة : السقاء البالي .

وقال أيضاً :

يـا نـفسُ لا تُـقْتَلي تَـموتي هذا حِمَامُ المَوتِ قد صَليتِ
ومـا تَـمنَّيتِ فـقَد أُعْـطيتِ إنْ تَـفعلي فِـعْلَهما هُـدِيتِ

وقد حكى هذا الشعر عن صراعه النفسي ، فهو يريد الالتحاق بزيد بـن حـارثة وبجعفر الطيّار ونفسه تـحبّب له البـقاء وعـدم الشـهادة ، وقـد ورد أنّ مـنزلته فـي الفردوس الأعلى أقلّ منزلة من صاحبيه .

وعلى أيّ حال ، فقد التحم مع جـيش الشـرك ، وجـاهد جـهاد الأبـطال حـتّى استشهد في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى في الأرض .

تعزية النبيّ صلى الله عليه وآله لآل جعفر

واستشفّ النبيّ صلى الله عليه وآله من الوحي مصرع ابن عمّه جعفر ، فسارع إلى زوجته أسماء بنت عميس يعزّيها بزوجها ، وقال لها :

« ائْتيني بابْنَي جَعْفَر » .

وسارعت أسماء فأتت بهما إليه ، فجعل يشمّهما ، وقد غامت عيناه بالدموع ، فذهلت أسماء وراحت تقول :

« بأبي أنت وأُمّي ، ما يبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء ؟ » .

فأجابها بصوت خافت حزين النبرات :

« نَعَم ، أُصيبوا هـٰذَا اليَوْم » .

وذعرت أسماء ، وأخذت تندب زوجها بذوب روحها ، وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بـتهيئة طعام لآل جعفر ؛ لأنّهم مشغولون بمصابهم الأليـم ، فـصنع لهـم ذلك[١] ، واتّـخذ

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ١٥ ـ ٢٢ ، جميع هذه الأحداث أُخذت منه .

المسلمون تهيئة الطعام للمصابين بميّت منهم من السّنة .

رجوع الجيش إلى المدينة

وبعدما استشهد أعضاء القيادة الإسلاميّة أُسندت القيادة إلى خالد بن الوليد ، فأمر الجيش بالرجوع إلى المدينة والكفّ عن القتال ، وفوراً قفل الجيش راجعاً إلى المدينة ، وقد عيب على خالد ذلك ؛ لأنّه لم يؤثر الحرب على السلم[١] .

١٣ ـ غزوة وادي القرى

وادي القرى يسكنه اليهود ، عرض عليهم النبيّ ﷺ الإسلام فأبوا ، واختاروا القتال ، فقاتلهم المسلمون ، وقد قُتل من اليهود أحد عشر رجلاً ، كان معظمهم بيد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، وغنم المسلمون أموالهم وترك لهم ما في أيديهم من الأرض والنخيل ، وعاملهم بها مثل معاملة خيبر[٢] .

١٤ ـ فتح مكّة

نحن أمام فتح مكّة التي انتصر فيها الإسلام انتصاراً هائلاً ، وطويت فيها ألوية الشرك ، وأُقبرت معالم الجاهليّة ، وذلّت القوى المعادية للإسلام من القرشيّين واليهود ، وامتدّت دولة الإسلام إلى معظم مناطق الجزيرة العربيّة .

إنّ لفتح مكّة أهمّية بالغة في تاريخ الإسلام ، فقد كانت قلعة لقوى الشرك والإلحاد ، فهي التي تمدّ القوى المناهضة للإسلام ، وقد تبنّت بصورة إيجابيّة مناجزة النبيّ ﷺ ، وتعذيب من آمن به ، ومطاردة أتباعه ، وهي في نفس الوقت أعظم قوّة في الجزيرة ؛ وذلك بما تملك من ثراء اقتصادي قد سخّر لمحاربة الدعوة الإسلاميّة .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ١٥ ـ ٢٢ ، جميع هذه الأحداث أُخذت منه .

(٢) إنسان العيون : ٣ : ٦٨ ـ ٦٩ .

وعلى أيّ حال ، فإنّا نعرض بصورة موجزة لبعض الشؤون التي دفعت النبيّ ﷺ لاحتلال مكّة ، وما يتعلّق بذلك من بحوث .

صلح الحديبية

عقد رسول الله ﷺ بينه وبين قريش عقداً ذا بنود ذكرها مؤلّفو السيرة النبويّة ،كان من بنودها : مَن أحبّ أن يدخل في عقد رسول الله ﷺ وعهده فليدخل فيه ، ومن أحبّ أن يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش ، ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ، ومضت مدّة على هذا العهد .

نقض العهد

كانت بين خزاعة وبني بكر ثارات ودماء فيما بينهما ، ولمّا كانت واقعة مؤتة خيّل إلى بعض رجال قريش أنّ الإسلام قد قضي عليه كما اعتقد بنو بكر أنّ الفرصة قد حانت للانقضاض على خزاعة ، وعرضوا ذلك على جماعة من قريش فشجّعوهم على ذلك ، وأمدّوهم بالسلاح والمال ، وبينما كانت خزاعة على ماء لهم إذ هجم عليهم بنو بكر فقتلوا منهم جماعة ، وسارعت كوكبة من خزاعة وعلى رأسهم عمرو بن سالم إلى المدينة ، فأخبروا النبيّ ﷺ بما قامت به بنو بكر وقريش من نقض العهد ، فقال النبيّ ﷺ لعمرو : « **نُصِرْتَ يا عَمرو بن سالِم** » ، ووعده بالنصر .

أبو سفيان بالمدينة

وخاف أبو سفيان من عواقب الأمور ، فخفّ مسرعاً إلى المدينة لمقابلة النبيّ ﷺ وإخماد نار الفتنة ، ودخل على أُمّ المؤمنين أُمّ حبيبة التي صهرها الإسلام وهي ابنته ، ورام أن يجلس على فراش النبيّ ﷺ فطوته عنه ، فسألها عن سبب ذلك فقالت بصراحة :

« هذا فراش رسول الله ﷺ ، وأنت رجل مشرك نجس ، ولا أُحبّ أن تجلس عليه » .

ومضى أبو سفيان إلى بعض الصحابة يستنجد بهم ليشفعوا له عند رسول الله ﷺ في إبقاء العهد وإطالة مدّته، فلم يجبه أحد، فمضى إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والتمس منه أن يكلّم النبيّ ﷺ في ذلك، فأنبأه الإمام برفق أنّه لا يستطيع أحد أن يردّ على النبيّ ﷺ أمراً قد صمّم عليه، ثمّ مضى إلى سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء سلام الله عليها، وطلب منها أن يُجيرَ ولدها الزكي الإمام الحسن عليه السلام بين النّاس، وكان عالماً بعلاقة الحسن مع جدّه، فردّته سيّدة النساء ما يُجير أحدٌ على رسول الله ﷺ. ورجع أبو سفيان بخفّي حنين ـ كما في المثل ـ يجرّ رداء الخيبة إلى مكّة من دون أن يظفر بأي نتيجة.

تصميم النبيّ ﷺ على فتح مكّة

رأى النبيّ ﷺ أنّه لا يتحقّق له النصر الحاسم إلّا بفتح مكّة التي حاربته حينما كان فيها، وحينما نزح عنها، وأخذ يعدّ لذلك عدّته، وقد وثق بنصر الله تعالى له، وقهر أعدائه وخصومه.

زحف الجيش الإسلامي إلى مكّة

وجمع النبيّ ﷺ جيشاً مكثّفاً قوامه عشرة آلاف جندي مسلّح أو يزيد على ذلك، وهو مزوّد بجميع آلات الحرب في ذلك العصر، وقد أحاط اتّجاهه إلى مكّة بكثير من السرّ والكتمان، فلم تعلم القطعات العسكريّة باتّجاهه، فقد خاف النبيّ ﷺ إن تعلم قريش بمسيرة جيشه لاحتلال بلادهم فتستعدّ للحرب، فتراق الدماء في البلد الحرام، فكره ذلك وأحاط الأمر بالكتمان.

رسالة حاطب لقريش

كتب حاطب بن أبي بلتعة رسالة إلى قريش يخبرهم بتوجّه النبيّ ﷺ لاحتلال بلدهم، وأعطى الكتاب إلى امرأة وأوصاها بالكتمان، وأعطاها جملاً إن أوصلت

الرسالة إلى قريش وجعلت المرأة الرسالة في شعر رأسها وأخفته ، ونزل الوحي على رسول الله ﷺ فأحاطه علماً بالأمر ، فاستدعى أخاه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والزبير بن العوّام ، وأمرهما بإلقاء القبض على المرأة وأخذ الكتاب منها ، وسارع الإمام مع الزبير في السير حتّى أدركا المرأة ، فسألاها عن الكتاب فأنكرته ، فصاح بها الإمام قائلاً:

« إِنِّي أَحْلِفُ بِاللهِ ما كُذِّبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَا كَذَّبْنا ، وَلَتُخْرِجِنَّ لَنا هٰذَا الْكِتابَ أَوْ لَنَكْشِفَنَّكِ » .

واستولى عليها الخوف ، فأخرجت الكتاب من شعر رأسها ودفعته للإمام ، وقفل به راجعاً ومعه الزبير إلى النبيّ ﷺ وسلّماه الكتاب ، ودعا النبيّ ﷺ حاطباً وقال له :

« ما حَمَلَكَ عَلىٰ هٰذا ؟ » .

وأبدى حاطب معاذيره قائلاً:

« يا رسول الله ، أما والله إنّي لمؤمنٌ بالله ورسوله ، ما غيّرت ولا بدّلت ، ولكنّي كنت أمرأً ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم ولد وأهلٌ ، فصانعتهم عليهم » .

وقَبِل النبيّ ﷺ قوله ، ونزلت فيه الآية الكريمة : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾**[١] .

على مشارف مكّة

وسارعت الجيوش الإسلاميّة لا تلوي على شيء حتّى انتهت إلى مشارف مكّة وأهلها غافلون لا يعلمون شيئاً ، فقد أحاطت بهم القوّات العسكريّة ، واقتربت من احتلال بلدهم ، وإنّما عمد النبيّ ﷺ إلى التعتيم وعدم إشاعة احتلال جيشه

---

(١) التحريم ٦٦ : ١ .

لوطنهم حفظاً على السلام وعدم إراقة الدماء في البلد الحرام.

وأمر النبيّ ﷺ بجمع الحطب، فجمعت كمّيات هائلة منه، فلمّا اختلط الظلام أمر بإشعال النار فيه، وأخذ لهب النّار يعلو في أُفق مكّة، وفزع أبو سفيان، وأوجس في نفسه خيفة منه، فقال لبُديل بن ورقاء، وكان إلى جانبه:

« ما رأيت كالليلة نيراناً قطّ مثل هذه النّار؟ ».

وبادر بُديل قائلاً:

« هذه والله خزاعة جشها الحرب ».

وسخر منه أبو سفيان وراح يقول له:

« خزاعة أذلّ وأقلّ من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ».

واستولى عليه الفزع، واطمأنت نفسه بأنّها جيوش المسلمين جاءت لاحتلال مكّة.

العبّاس وأبو سفيان

وعلم العبّاس بقدوم الجيش الإسلامي لاحتلال مكّة، وأوجس في نفسه خيفة على قومه، وراح يقول:

« واصباح قريش، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكّة عَنْوة قبل أن يأتي أهلها فيستأمنوه، إنّه لهلاك قريش إلى آخر الدهر ».

وجهد العبّاس أن يجد شخصاً فيأتي إلى مكّة ليخبر أهلها فيسارعوا إلى النبيّ ﷺ يطلبون منه العفو، وبينما هو غارق في تيّارات الهواجس إذ بصر بأبي سفيان، فهتف به:

« يا أبا حنظلة .. ».

وعرفه أبو سفيان، فسارع قائلاً:

« أبو الفضل هذا؟ ».

« نعم ».

« ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله في النّاس ، واصباح قريش ».

وذعر أبو سفيان ، وجمد دمه ، وخاف على نفسه وقومه ، وراح يلتمس طرق النجاة له قائلاً :

« وما الحيلة فداك أبي وأُمّي ؟ ».

وسارع العبّاس فأرشده إلى ما يحفظ دمه قائلاً :

« والله لئن ظفر بك رسول الله ﷺ ليضربنّ عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتّى آتي بك إلى رسول الله ﷺ فأستأمنه لك ».

فأردفه خلفه ، فكان كلّما مرّ على نار من نيران المسلمين قالوا : « مَن هذا ؟ » ، فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ قالوا : هذا عمّ رسول الله ، وبصر به عمر بن الخطّاب فعرفه ، فصاح : « هذا أبو سفيان عدوّ الله ».

ثمّ صاح ثانياً :

« الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ».

ووجم أبو سفيان ، واضطرب وخاف على نفسه وقومه الذين صبّوا على النبيّ ﷺ وعلى المسلمين جميع ألوان التنكيل والتعذيب ، وجرت بين أبي سفيان وعمر مناوشات كلاميّة ، وسارع العبّاس إلى النبيّ ﷺ ، فأحاطه علماً بأمر أبي سفيان ، فأمره أن يأتي به صباحاً ، وأنفق أبو سفيان ليله ساهراً لا يعلم ما سيحلّ به .

أبو سفيان بين يديّ النبيّ ﷺ

ولمّا اندلع نور الصبح أقبل العبّاس ومعه أبو سفيان إلى النبيّ ﷺ فقال له :

« وَيْحَكَ يا أَبا سُفْيانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلَّا اللهُ ؟ ».

ولم يقابل النبيّ ﷺ أبا سفيان بما عاناه منه ومن قومه من صنوف التنكيل

والاضطهاد ، فقد أسدل الستار على ذلك ، وأفهمه بأنّ الإسلام لا يعرف الانتقام مع أعدائه .

وراح أبو سيفان يتضرّع إلى النبيّ ﷺ ويطلب منه العفو قائلاً:

« بأبي أنت وأمّي ، ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ، والله لقد ظننت أنّه لو كان مع الله إلٰه غيره لأغنى عنّي شيئاً » .

واعترف أبو سفيان بفشل هُبل واللّات وسائر أصنام قريش أنّها لو كانت آلهة لأغنت عنه .

والتفت إليه النبيّ ﷺ بلطف ورفق قائلاً:

« وَيْحَكَ يا أَبا سُفْيانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنّي رَسُولُ اللهِ ؟ » .

ولم يستطع أبو سفيان أن يعترف بذلك ، فقد انطوت نفسه على الكفر وراح يقول :

« بأبي أنت وأمّي ، ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ، أمّا هذه فإنّ في النفس منها شيئاً حتّى الآن » .

وسارع العبّاس إليه قائلاً:

« ويحك يا أبا سفيان ، أسلم واشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله قبل أن تُضرب عنقك » .

ولم يجد الخبيث بُدّاً ، فأعلن إسلامه على كره خوفاً من حدّ السيف ، إلّا أنّ قلبه قد انطوى على الكفر والنفاق !

أبو سفيان في مضيق الوادي

أمر النبيّ ﷺ عمّه العبّاس بحبس أبي سفيان في مضِيق الوادي عند خَطْم الجبل حتّى تمرّ عليه جنود الله تعالى فيراها أبو سفيان حتّى يحذّر قريشاً من مقاومة الجيش

الإسلامي لئلّا تسفك الدماء .

واجتازت الكتائب على أبي سفيان ، وهي تحمل رايات الظفر والنصر ، وكلّما مرّت عليه كتيبة مدجّجة بالسلاح قال للعبّاس :

« يا عبّاس ، مَن هذه ؟ » .

« سُليم » .

« ما لي ولسُليم ؟ » .

واجتازت عليه كتيبة اُخرى فقال للعبّاس :

« يا عبّاس ، مَن هذه ؟ » .

« مُزينة » .

« ما لي ولمُزينة » .

واجتازت عليه الكتيبة الخضراء وهي مدجّجة بالسلاح ، وفي منتهى القوّة ، وفيها النبيّ ﷺ وقد شهرت على رأسه السيوف ، وأحاطت به صناديد الفرسان ، فبهر بها أبو سفيان ، وقال للعبّاس :

« مَن في هذه الكتيبة ؟ » .

« هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار » .

وراح أبو سفيان يبدي إعجابه بهذه القوّة والعجز عن مقاومته قائلاً :

« ما لأحد بهؤلاءِ قِبَلٌ ولا طاقة .. لقد أصبح مُلك ابن أخيك الغداة عظيماً » .

فردّ عليه العبّاس قائلاً :

« يا أبا سفيان ، إنّها النبوّة » .

فهزّ أبو سفيان رأسه العفن ، وقال بسخرية :

« نعم ، إذن » .

وما كان هذا الجاهلي يفقه النبوّة ، وإنّما كان يفقه الملك والسلطان .

ألطاف النبيّ ﷺ على أبي سفيان

ووسعت رحمة النبيّ ﷺ أبا سفيان الذي هو من ألدّ أعدائه وخصومه ، والذي قاد الأحزاب والجيوش لحربه ، فقبل إسلامه المزيّف ، وأعطاه بذلك مثلاً لرحمة الإسلام وعظم قيمه ومبادئه .

والتفت العبّاس إلى النبيّ ﷺ طالباً منه أن يسدي يداً على أبي سفيان قائلاً :

« يا رسول الله ، إنّ أبا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً » .

واستجاب النبيّ ﷺ لدعوة عمّه وقال :

« نَعَم ، مَنْ دَخَلَ دارَ أَبِي سُفْيانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ . . . » .

لقد أصدر النبيّ ﷺ عفواً عامّاً عن قريش ، الذي لم يحدث له مثيلاً في جميع تاريخ الحروب ، فقد غمر النبيّ ﷺ أعداءه بألطافه ، وهم الذين جرّعوه ألواناً قاسية من المحن والخطوب .

نداء أبي سفيان

وانطلق أبو سفيان مسرعاً يسبق الجيش إلى مكّة ، وهو رافع عقيرته ينادي بأعلى صوته :

« يا معشر قريش ، هذا محمّد قد جاءكم فيما لا قِبل لكم به . . . مَن دخل دار أبي سفيان فهو آمن » .

فهبّت قريش قائلةً :

« وما تُغني عنك دارُك ؟ » .

وهتف فيهم ثانياً :

« مَن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . . . » .

وسكن روع القرشيّين ، وبادروا إلى منازلهم ، وأغلقوا عليهم أبواب دورهم كما بادر قوم منهم إلى المسجد الحرام فاعتصموا به .

معارضة هند

وانبرت هند وهي فزعة مرعوبة فجعلت تحرّض القرشيّين على مقاومة النبيّ صلى الله عليه وآله وتدعو إلى الفتك بزوجها قائلةً :

« اقتلوا الحَمِيتَ[1] الدّسِم الأحْمَس ، قُبِّحَ من طليعة قوم » .

وراحت هند تلهب العواطف ، وتحفّز الجماهير لمحاربة النبيّ صلى الله عليه وآله ، إلّا أنّ أبا سفيان أخذ يحذّرهم من مغبّة عصيانه ، ويدعوهم إلى عدم سماع زوجته هند ، واستجابت له الجماهير .

دخول النبيّ صلى الله عليه وآله مكّة

وسارعت جيوش المسلمين إلى دخول مكّة ، وهي فرحة مستبشرة بهذا النصر العظيم ، الذي لم تلق فيه أيّة مقاومة ، وقد حمل الراية سعد بن عبادة وهو فرح مستبشر ، ويلوّح برايته في الفضاء يميناً وشمالاً ، ويهتف بأعلى صوته :

« اليومُ يومُ المَلْحَمة ، اليَومُ تُسْتَحَلّ الحُرَمَة » .

وسمعه عمر بن الخطّاب ، فسارع إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً :

« يا رسول الله ، أسمعت ما قال سعد ؟ » .

فأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بأخذ اللواء من سعد وإعطائه إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فأخذه وأدخله إلى مكّة إدخالاً رفيقاً رافعاً صوته قائلاً :

---

(١) **الحميت** : زقّ السمن. **الدّسم** : الكثير الودك ؛ **والأحمس هنا** : الشديد اللحم ، والمعنى على تشبيهه الرجل بالزقّ لعبالته وسمنه.

«اليَوْمُ يَوْمُ المَرْحَمَةِ ، اليَوْمُ تُصانُ الحُرَمَةُ ...» .

وعمّت الفرحة الكبرى جميع أوساط القرشيّين ، وأيقنوا برحمة الرسول ﷺ ، وأنّه لا يؤاخذهم بما اقترفوه تجاهه من التنكيل والاعتداء .

النبيّ ﷺ في الكعبة

وسارع النبيّ ﷺ إلى بيت الله الحرام ليؤدّي التحيّة إليه ، فأغلقه بوجهه عثمان بن طلحة وصعد على سطح الكعبة ، وأبى أن يدفع إليه المفتاح ، فانبرى إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فلوى يده وأخذ المفتاح منه ، وأعطاه للنبيّ ﷺ ، ففتح الكعبة ، وصلّى فيها ركعتين(١) ، ثمّ سلّم المفتاح له وقال له :

«اليَوْمُ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفاءٍ»(٢) .

نعم ، إنّه البرّ والوفاء والكرامة ، فليس كالإسلام مذهب أو دين يضارعه في قيمه ومثله وكرامته .

تطهير البيت من الأصنام

ولمّا دخل النبيّ ﷺ البيت الحرام بادر قبل كلّ شيء إلى تحطيم الأصنام وتدميرها ، التي اتّخذها القرشيّون آلهة يعبدونها من دون الله تعالى ، وكانت الأصنام المعلّقة على ظاهر الكعبة ثلاثمائة وستّين صنماً ، وكان لكلّ حيّ من العرب صنم خاصّ بهم .

وكان على جهة باب البيت المعظّم الصنم الأعلى لقريش ، وهو هبل ، صنم أبي سفيان ، فجعل النبيّ ﷺ يطعن بقوسه في عينه وهو يقول :

---

(١) صبح الأعشى : ٤ : ٢٦٩ .

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ٥٥ .

« **جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ ، إنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً** » ، ثمّ أمر بتحطيمه ، وتطهير البيت الحرام منه ، وكان ذلك من أعظم ما رزء به أبو سفيان ، وغيره من عتاة قريش .

واعتلى النبيّ ﷺ على منكب الإمام لتكسير الأصنام ، فعجز الامام عن النهوض به ، فقال له الرسول :

« **إنَّكَ لا تَسْتَطِيعُ حَمْلَ ثِقْلِ النُّبُوَّةِ ،فاصْعَدْ أَنْتَ** » ، فاعتلى الإمام على كاهل رسول الله ﷺ وهو يقول : « **لَوْ شِئْتُ لَنِلْتُ أُفُقَ السَّماءِ** » ، ثمّ أقبل على الأصنام ، فجعل يقلعها ويرمي بها إلى الأرض ، ولم يبق منها إلّا صنم واحد ، وهو صنم خزاعة ، وكان موتداً بأوتاد من حديد ، فقال له الرسول : « **عالِجْهُ** » ، فعالجه الإمام ، وهو يقول : « **جاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْباطِلُ ، إنَّ الْباطِلَ كانَ زَهُوقاً** » ، وقلعه ورمى به إلى الأرض حتّى صار قطعاً[١] ، وبذلك فقد تطهّر البيت الحرام من أصنام قريش على يد رسول الله ﷺ وعلى يد أخيه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، كما تحطّمت الأصنام من قبل على يد شيخ الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

ونظم الشاعر الملهم محمّد بن أحمد الكاتب المعروف بـ « المفجع » هذه الفضيلة التي جرت على يد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

ولهُ مِنْ أَبيهِ ذِي الأيْدِ إسْمَا ... عِيلَ شِبْهُ مَا كانَ عَنِّي خَفِيّا
إنّهُ عاونَ الْخليلَ علَى الكَعْبـ ... ـبَةِ إذ شَادَ رُكْنَها المَبْنِيّا
ولقَدْ عاونَ الوَصيُّ حبيبَ اللّـ ... ـهِ إذْ يَغْسِلانِ مِنْها الصَّفيّا
رَامَ حَمْلَ النَّبيِّ كَيْ يَقْطَع الأَصنا ... مَ مِنْ سَطْحِهَا المُثُول الحُبِيّا[٢]
فَحَنَاهُ ثُقْلُ النُّبُوَّةِ حتّىٰ كَادَ ... يَنْآدُ تَحْتَهُ مَنْئِيّا[٣]

---

(١) إنسان العيون : ٣: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) **المثول** ـ جمع ماثل ـ: المنتصب. **الحبي** : جمع حاب ، أي المرتفع.

(٣) منئاً : أي مثقلاً.

فَـــارْتَقى مَــنْكِبَ النَّــبيِّ عَــلِيٌّ   صِـــنْوُهُ مَــا أَجَــلَّ ذَا المُــرْتَقَيَا
فَـأَمَاطَ الأَوْثَـانَ عَـنْ ظَـاهِرِ الْكَـعْبَـ   ـــةِ يَـنْفِي الأَرجَـاسَ عَـنْهَا نَـفِيَا
ولو أنَّ الوَصِـيَّ حَـاوَلَ مَسَّ النـجم   بـــالكفِّ لَـمْ تَـجِدْهُ قَـصِيًا(١)

إنّ تحطيم الأصنام وتطهير الكعبة منها كان أقسى ضربة موجعة للقرشيّين الذين تفانوا في حبّها، وتقديم القرابين لها، كما كان في نفس الوقت أعظم انتصار أحرزه الإسلام الذي كان من أهمّ قيمه تحرير العقول ونشر الوعي بين النّاس.

لقد كان أعظم انتصار أحرزه الإسلام تدمير الأصنام وإزالتها التي أضلّت عقول أُولئك الجهّال، وهوت بهم إلى مستوى سحيق ما له من قرار.

خطاب النبيّ ﷺ

أحاطت جماهير أهالي مكّة بالرسول الأعظم ﷺ، وهي تنتظر بفارغ الصبر ما يواجهونه منه، فهل ينزل بهم العقاب الصارم، ويقابلهم بمزيد من الانتقام من جرّاء ما صبّوه عليه وعلى أتباعه المستضعفين من صنوف الخطوب والكوارث، أو أنّه سيعفو عنهم، ويقابلهم بالعفو والصفح الجميل.

واعتلى النبيّ ﷺ منصّة الخطابة، واستمال الجميع إلى إذن صاغية، وفتح النبيّ ﷺ خطابه بتوحيد الله تعالى والثناء عليه قائلاً:

«لا إِلٰـهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزابَ وَحْدَهُ، أَلا كُلُّ مَأْثَرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مالٍ يُدَّعىٰ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هاتَين، إِلَّا سَدانَةَ الْبَيْت، وسِقايَةَ الحاجّ».

وأضاف بعد كلام له في شأن دية الخطأ قائلاً:

«يا مَعْشَرَ قُرَيْش، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجاهِلِيَّةِ وَتَعَظُّمَها بِالآباءِ. النَّاسُ

---

(١) معجم الأدباء: ١٧: ٢٠٢.

مِنْ آدَمَ ، وَآدَمُ مِنْ تُرابٍ » ، ثمّ تلا قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾**(١).

« يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، ما تَرَوْنَ أَنّي فاعِلٌ بِكُمْ ؟ ».

فهتفوا جميعاً بلسان واحد :

خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم ..

وأصدر رسول الرحمة العفو العامّ عن أُولئك الذين ما تركوا لوناً من ألوان الاعتداء إلّا وصبّوه عليه قائلاً لهم :

« اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقاءُ ... »(٢).

وتمثّلت الرحمة والكرامة والشرف بجميع ما تحمل هذه الكلمات من معنى في هذا العفو ، فلم يقابل أُولئك الجفاة بالمثل ، ولم يأخذهم بذنوبهم فيعدم رجالهم ويستصفي أموالهم ، ولم يترك لهم أي أثر يذكر ، إنّها رحمة النبوّة التي لا تخضع للعواطف والأهواء ، ولا تعرف إلّا الرحمة والرأفة والإحسان للمسيء ، والبرّ بالمعتدين .

بلال يؤذّن فوق الكعبة

وقام بلال بزهو فأذّن بصوته الرقيق : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلّا الله ... ، وأشهد أنّ محمّداً رسول الله .. ، وأخذ يتلو بصوت مرتفع فصول الأذان ، وذعر طغاة قريش وجبابرتها من هذا الأذان ، فكان كالصاعقة على رؤوسهم ، فقال عتّاب بن أسِيد : «لقد أكرم الله أسيداً . ألا يكون سمع هذا ـ يعني الأذان ـ فيسمع منه ما يغيظه » ، وقال الحارث بن هشام : « أما والله لو أعلم أنّه مُحِقّ لاتّبعته » ، وقال

---

(١) الحجرات ٤٩ : ١٣.

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ٥٤ ـ ٥٥. تاريخ الأُمم والملوك : ٢ : ٣٢٧.

أبو سفيان : « لا أقول شيئاً ، لو تكلّمت لأخبرت عن هذه الحصى » .

وخرج عليهم النبيّ ﷺ فقال لهم : **« قَدْ عَلِمْتُ الَّذي قُلْتُم »** ، ثمّ ذكر لهم ذلك ، وبهروا بما قاله النبيّ ﷺ ، وانبرى الحارث وعتّاب ، فقالا :

« نشهد أنّك رسول الله ، والله ما اطّلع على هذا أحد كان معنا حتّى نقول : إنّه أخبرك »(١) .

إسلام جماعة

وأعلن كوكبة من أعيان قريش ووجوهها إسلامهم ، ونزعوا ثياب الجاهليّة ، كان منهم :

١ ـ فَضالة بن عُمَير :

كان فضالة بن عمير يطوف بالبيت ، وكان النبيّ ﷺ أيضاً يطوف ، فحدّثته نفسه بقتل النبيّ ﷺ ، فدنا منه وقال ﷺ له :

« أَفَضالَةُ هـذا ؟ » .

« نعم ، يا رسول الله » .

« ماذا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَك ؟ » .

« كنت أذكر الله » .

وضحك النبيّ ﷺ ، وقال له :

« اسْتَغْفِرِ اللهَ عَمّا نَوَيْتَ » .

ووضع النبيّ ﷺ يده على صدر فضالة ، ثمّ رفعها عنه ، فقال فَضالة :

« والله ما رفع يده عن صدري حتّى صار أحبُّ خلق الله لي » ، وقفل راجعاً إلى

---

(١) السيرة الحلبيّة : ٣ : ١٠١ . السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ٥٦ .

أهله ، فمرّ بامرأة كان يتحدّث إليها ، فقالت له : « هَلُمَّ إليّ لتحدّثني » ، فقال لها : « لا » .

وأنشأ يقول :

قالَتْ هَلُمَّ إلَى الحديثِ فـقُلْتُ لا ... يَـأْبىٰ عَـلَيْكِ اللهُ والإِسلامُ
لَوْ ما رأيتِ مُحمّداً وقَبيلَهُ ... بالفتحِ يَومَ تُكسَّرُ الأَصنامُ
لرأيتِ دينَ اللهِ أضحىٰ بَيِّنا ... والشِّرْكُ يَغشىٰ وجهَهُ الإظلامُ[1]

٢ ـ صفوان بن أُميّة :

وهرب صفوان بن أُميّة يريد جُدَّة ليركب منها إلى اليمن ؛ لأنّه كان قد أساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتوسّط في شأنه عُمير بن وَهب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليعفو عنه ، فقال له :

« يا رسول الله ، إنّ صفوان بن أُميّة سيّد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر » .

فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله :

« هُوَ آمِن » .

ولم يؤاخذه بما صدر منه تجاهه من سوء ، وانبرى عُمَير فقال :

« يا رسول الله ، أعطني آية يعرف بها أمانك ؟ » .

فأعطاه عِمامَته التي دخل فيها مكّة ، وخرج بها عُمير حتّى أدركه قبل أن يركب في البحر ، وقال له :

« فِداك أبي وأمّي ، اللهَ اللهَ في نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله قد جئتك به » .

« ويحك أُغْرُبْ عنّي » .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ٥٩ ـ ٦٠ .

وردّ عليه عُمير مخاوفه وقال له:

« جئتك من أفضل النّاس، وأبرّ النّاس، وأحلم النّاس، وخير النّاس، ابن عمّك، عزُّه عزُّك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك ».

« إنّي أخافه على نفسي ».

« هو أحلم من ذاك وأكرم ».

وقفل معه راجعاً، حتّى جاء به إلى رسول الله ﷺ، فقال صفوان:

« إنّ هذا ـ وأشار إلى عمير ـ يزعم أنّك قد أمّنتني ؟ ».

فقال: « صَدَق »، وطلب من النبيّ ﷺ أن يجعله بالخيار مدّة شهرين حتّى يسلم، فقال له: « **أَنْتَ بِالخِيارِ إِلىٰ أَرْبَعَةِ أَشْهُر** »[1].

٣ ـ ابن الزِّبَعْرَى:

أعلن ابن الزِّبَعْرَى إسلامه، وخرج إلى النبيّ ﷺ ليخبره بذلك، ونظم هذه الأبيات:

يـا رَسـولَ المَـليكِ إنَّ لِسـاني ... راتِـقٌ ما فَـتَقْتُ إِذْ أنـا بُـورُ[2]
إِذْ أُباري الشَّيطانَ في سُنَنِ الْغَيِّ ... ومَـنْ مـالَ مـيلَهُ مَـثْبُورُ[3]
آمَـنَ اللَّـحْمُ والعِـظامُ لِـرَبِّي ... ثُـمَّ قَـلبي الشَّـهيدُ أَنْتَ النَّـذيرُ
إِنَّـني عَـنكَ زاجِـرٌ ثَـمَّ حَـيّاً ... مِـنْ لُـؤَيٍّ وَكُـلُّهُمْ مَـغْرُورُ[4]

ورفع ابن الزِّبَعْرَى قصيدة إلى الرسول ﷺ يطلب فيها الصفح والعفو عمّا اقترفه

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام: ٤: ٦٠.

(٢) **الراتق**: الساد. **البور**: الهالك.

(٣) **أُباريه**: أُجاريه تارةً، وأُعارضه أُخرى. **المثبور**: الهالك.

(٤) السيرة النبويّة / ابن هشام: ٤: ٦١.

من الذنوب تجاهه جاء فيها :

مـنع الرُّقـادَ بَـلابلٌ وهُـمومُ والـلّـيلُ مُـعْتَلِجُ الرّواق بَـهيمُ[١]
مِـمّا أتـاني أنَّ أحْـمدَ لامَـني فـيهِ فَـبِتُّ كـأنَّني مَـحمومُ
يا خيرَ مَنْ حملَتْ علىٰ أوْصالِها عَيْرَانَةٌ سُـرُحُ الْـيَدَيْنِ غَشُـومُ[٢]
إنِّـي لمُـعْتَذرٌ إلَـيْكَ مِـنَ الَّـذي أَسْدَيتُ إذْ أنا في الضَّلالِ أهـيمُ
أيّـامَ تَـأْمُرُني بِـأَغْوىٰ خُـطَّةٍ سَـهْمٌ وَتـأمُرُني بـها مَـخْزومُ
وأمُـدُّ أسبابَ الرَّدَىٰ ويَـقودُني أمْـرُ الغُـواةِ وأمرُهُم مَشْؤومُ
فـاليومَ آمَـنَ بـالنَّبيِّ مُـحَمَّدٍ قَـلْبي ومُـخْطِي هـٰذِهِ مَحْرومُ
مَضَتِ العدَاوةُ وانقَضتْ أسْبابُها ودَعَتْ أواصِـرُ بَـينَنا وحُـلُومُ
فاغِفْر فِدَىً لَكَ والِـدَيَّ كِـلاهُما زَلَـلي فـإِنَّكَ راحِـمٌ مَرْحومُ
وَعَلَيْكَ من عِلْمِ المَليكِ عَـلامةٌ نـورٌ أغَـرُّ وخـاتَمٌ مَـخْتومُ
أَعْـطاكَ بـعد مَـحبّةٍ بُـرهانَهُ شَـرَفاً وبُـرْهانُ الإلـٰـهِ عَـظيمُ
ولقَد شَهِدتُ بأنَّ ديـنَكَ صـادقٌ حـقٌّ وأنَّكَ فـي العِبادِ جَسـيمُ
واللهُ يَشْـهدُ أَنَّ أَحْـمَدَ مُـصْطَفىً مُسْـتقبلٌ فـي الصالحينَ كَـريمُ
قَـرْمٌ عَـلا بُـنيانُهُ مِـنْ هـاشِمٍ فَرْعٌ تَمكَّنَ فـي الذُّرى وأرُومُ[٣]

---

(١) **البلابل** : الوساوس. **معتلج** : مضطرب. **البهيم** : الذي لا ضياء فيه.

(٢) **عيرانة** : الناقة التي تشبه العِير في شدّته ونشاطه. **العِير** : هنا حمار الوحش. **سرح اليدين** : أي خفيفة اليدين.

(٣) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ٦١ و ٦٢. **القرم** : السيّد. **الذُّرى** : الأعالي. **الأروم** : الأُصول ، جمع أرومة.

٤ ـ عكرمة بن أبي جهل :

وهرب عكرمة إلى اليمن خوفاً من بطش المسلمين ؛ لأنّه جهد على حربهم والتنكيل بهم ، وقد أسلمت زوجته أمّ حكيم ، وطلبت من النبيّ ﷺ أن يعفو عن زوجها ، فعفا عنه ، فسافرت إلى اليمن وجاءت به ، وأعلن إسلامه[١] .

٥ ـ عبّاس بن مِرْداس :

كان لمِرْداس وثنٌ يعبده من دون الله ، وهو من حجر ، أسماه ضَمارِ ، وأوصى ولده عبّاس بعبادته ، وقال له : « أي بني ، أعْبُدْ ضَمارِ ؛ فإنّه ينفعك ويضرّك ، وسمع عبّاس منادياً يقول له :

قُلْ للقَبائلِ مِنْ سُلَيْم كُلِّها ... أودىٰ ضمارِ وعاشَ أهلُ المَسْجِدِ
إنّ الّذي وَرِثَ النُّبوّةَ والهُدَىٰ ... بعدَ ابنِ مَريَم مِنْ قُريشٍ مُهْتَدِي
أُودَى ضَمارِ وكانَ يُعْبَدُ مرّةً ... قَبلِ الكِتابِ إلَى النَّبيِّ مُحَمَّدِ

وعمد عبّاس إلى الصنم ضَمارِ فحرقه ، والتحق بالنبيّ محمّد ﷺ داعية الله الأكبر في الأرض[٢] .

بيعة الرجال للنبيّ ﷺ

وأخذ النبيّ ﷺ البيعة في مكّة من الرجال ، وكانت صيغة البيعة أنّهم يشهدون أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، وكما أخذت البيعة من الرجال ، كذلك أخذت البيعة من الصغار ، وفيها تحرير لعقولهم وتطهير لنفوسهم من براثن الشرك والإلحاد .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ٦٠ .

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ٦٩ .

بيعة النساء

وأخذ النبيّ ﷺ البيعة من النساء، وهي تنشد العفّة والكرامة والشرف لهنّ، وكانت هند أمّ معاوية من جملة النساء التي بايعن رسول الله ﷺ، فقد جاءت متنكّرة لصنيعها بحمزة، وخافت أن يأخذها النبيّ ﷺ بما اقترفته من المُثلة بعمّه، فقال ﷺ للنساء: «عَلَيْكُنَّ الإِلْتِزامُ بِهٰذِهِ البُنود»، وهي:

١ ـ «بايِعْنَني عَلىٰ أَنْ لَا تُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئاً».

وانبرت هند قائلة: «إنّك لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال».

لقد صعب عليها الإقرار بالوحدانيّة لله تعالى، وهي غارقة بعبادة الأوثان والأصنام.

٢ ـ «لا تَسْرِقْنَ».

وراحت هند تقول: «والله! إنّي كنت أصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة، وما أدري أكان ذلك حلالاً أم لا»، فقال لها أبو سفيان ـ وكان حاضراً ـ: «أمّا ما أصبت فيما مضى فأنتِ منه في حلّ».

وعرف النبيّ ﷺ هنداً، فقال لها: «وَأَنْتِ هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَة؟»، فقالت: «نعم، فاعف عمّا سلف»، فقال: «عَفا اللهُ عَنْكِ».

٣ ـ «لا يَزْنينَ».

فقالت هند: «وهل تزني الحرّة يا رسول الله؟»، فضحك عمر.

٤ ـ «لا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ».

فقالت هند: «قد ربّيناهم صغاراً فنقتلهم كباراً»، وقد أشارت بذلك إلى إبادة النبيّ ﷺ لأسرتها في واقعة بدر.

٥ ـ « **لا يَأْتينَ بِبُهْتانٍ يَفْتَرينَهُ بَيْنَ أَيْديهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ** ».

وقالت هند : « إنّ إتيان البهتان لقبيح ».

٦ ـ « **لا يَعْصينَّني** ».

فقالت هند : « في معروف ؟ » ، ثمّ أخذ البيعة منهنّ[١].

عصابة أهدر النبيّ صلى الله عليه وآله دماءهم

وأهدر النبيّ صلى الله عليه وآله دماء عصابة من المجرمين الذين بالغوا في الاعتداء عليه وعلى المسلمين ، كان منهم :

١ ـ عبدالله بن سعد :

عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان بن عفّان من الرضاعة ، أسلم ثمّ ارتدّ ، وقد كتب بعض الوحي ، جاء به أخوه عثمان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليستأمن له ، فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وآله طويلاً ، ثمّ قال : « نعم » ، فلمّا انصرف مع عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمن حوله : « **أما كانَ فيكُم رَجُلٌ رَشيدٌ يَقومُ إلىٰ هٰذا حينَ رآني قَدْ صَمَتُّ فَيَقْتُلَهُ** » ، فقالوا له : « هلّا أومأت إلينا ؟ » ، فقال صلى الله عليه وآله : « **لا يَنْبَغي لِنَبيٍّ أَنْ تَكونَ لَهُ خائِنَةُ الأَعْيُنِ** »[٢].

٢ ـ عبدالله بن خَطَل :

أسلم عبدالله فبعثه النبيّ صلى الله عليه وآله جابياً للصدقات ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ، فغضب عليه وقتله . ثمّ ارتدّ مشركاً ، وكانت له قَينتان ، فكانتا تغنّيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولمّا فتح النبيّ صلى الله عليه وآله مكّة تعلّق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حريث

---

(١) السيرة النبويّة : ابن كثير : ٣ : ٦٦٢.

(٢) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٦٦٥ ـ ٦٦٧.

وعمّار بن ياسر ، فسبق إليه سعيد وقتله .

٣ ـ مقيس بن صبابة :

قتل قاتل أخيه خطأً بعدما أخذ الدية ، ثمّ ارتدّ مشركاً ، قتله رجل من قومه .

٤ ـ اُمّ سارة :

مولاة لبني عبدالمطّلب ولعكرمة بن أبي جهل ، كانت تؤذي النبيّ صلى الله عليه وآله حينما كان في مكّة ، هربت حتّى استؤمن لها من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فآمنها .

٥ ـ عِكرمة بن أبي جهل :

تقدّم أنّه فرّ منهزماً إلى اليمن ، فسارعت زوجته فأسلمت ، وأخذت له أماناً ، فأسلم(١) .

استجارة رجلين باُمّ هانئ

استجار رجلان من بني مخزوم بالسيّدة اُمّ هانئ بنت أبي طالب ، فأجارتهما ، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله قد أمر بقتلهما ، فدخل عليها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ليقتلهما ، فأغلقت عليهما الباب ، ومضت مسرعة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها :

« ما جاءَ بِكِ يا اُمَّ هانِئ ؟ » .

« يا نبيّ الله ، كنت أمنت رجلين من أحمائي ، فأراد قتلهما عليّ » .

فقابلها النبيّ صلى الله عليه وآله ببسمات فيّاضة بالبشر قائلاً لها :

« قَدْ أَجَرْنا مَنْ أَجَرْتِ يا اُمَّ هانِئ »(٢) .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٦٦٥ ـ ٦٦٧ .

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ٥٣ ـ ٥٤ .

وهكذا تمثّلت الرحمة بجميع رحابها في سيرة النبيّ ﷺ وسلوكه مع أعدائه وخصومه.

مدّة إقامة النبيّ ﷺ في مكّة

أقام النبيّ ﷺ في مكّة، فقد اختلف الرواة في مدّة إقامته فيها، وهذه بعض الأقوال:

١ـ عشرة أيّام.

٢ـ خمسة عشر يوماً.

٣ـ ثمانية عشر يوماً.

ثمّ قفل راجعاً إلى عاصمته المدينة، التي وجد فيها الأمن بعد الشدّة والعناء.

مخاوف المدنيّين من بقاء النبيّ ﷺ في مكّة

وساورت المخاوف المدنيّين من بقاء النبيّ ﷺ في مكّة واتّخاذها عاصمة له بدل المدينة، إلّا أنّ النبيّ ﷺ نفى عنهم هذه المخاوف، وقال لهم:

«مَعاذَ اللهِ، الْمَحْيا مَحْياكُم، وَالمَماتُ مَماتُكُم»[1].

والتمس منه أهالي مكّة البقاء في بلدهم، فأبى، وقال: **«لا أَسْكُنُ في بَلَدٍ طُرِدْتُ مِنْه»**.

ثمّ أقام النبيّ ﷺ مرشداً لأهل مكّة يعلّمهم أحكام الإسلام، ويقيم فيهم الصلاة، ويحلّ مشاكلهم، ويقضي بينهم على ضوء الكتاب والسنّة.

وأقام الموكب النبوي أيّاماً، وقد رفرفت عليه أعلام النصر، فقد فتح الله تعالى الفتح المبين لعبده ورسوله، ودخل النّاس في دين الله تعالى أفواجاً أفواجاً.

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام: ٤: ٥٩.

١٥ ـ غزوة حنين

فزعت هوازن ـ فيما يقول المؤرّخون ـ كأشدّ ما يكون الفزع باحتلال النبيّ ﷺ مكّة ، وخضوع القبائل القرشيّة لسلطان الإسلام ، ودخول النّاس في دين الله أفواجاً ، فانبرى مالك بن عوف ، وهو الزعيم المطاع لقبائل هوازن ، فدعا أسرته ، واستنجد ببعض القبائل الأخرى ، وفي طليعتها ثقيف لمحاربة النبيّ ﷺ وعرض عليهم الأخطار الهائلة التي ستواجه المشركين وعبادة الأوثان من انتصار الإسلام ، وإنّ النبيّ ﷺ سوف يزحف بجيوشه لاحتلالهم ، واستجاب الجميع لرأيه ، فجنّد قسماً كبيراً منهم للحرب ، وأوصاهم قائلاً : إذا رأيتموهم ـ يعني المسلمين ـ فاكْسِروا جُفُون سيوفكم ، ثمّ شدّوا شَدّة رجل واحد ، وازحفوا للحرب .

زحف المسلمين للحرب

ولمّا انتهت أنباء هوازن إلى النبيّ ﷺ أوفد للقياهم عبدالله الأسلمي ، وأمره بالتعرّف على أنبائهم ، فمضى وعلم أنّهم مصمّمون على الحرب ، فقفل راجعاً إلى النبيّ ﷺ وأخبره بذلك ، فزحف بجيشه البالغ عدده اثنا عشر ألفاً ، وكان فيهم من لم يخالط الإسلام قلبه ، كأبي سفيان بن حرب ، وأمثاله من القرشيّين والطامعين في الغنائم والأسلاب .

وتحرّك الجيش الإسلامي من مكّة متّجهاً صوب هوازن حتّى انتهى إلى وداي حنين[١] .

التحام الجيشين

والتحم الجيشان كأشدّ ما يكون الالتحام في معركة رهيبة لم يحسب لها

---

(١) **وادي حنين** : موضع قريب من مكّة ، وقيل : هو وادٍ قبل الطائف بجنب ذي المجاز ، وقال الواقدي : بينه وبين مكّة ثلاثة ليال . معجم البلدان : ٢ : ٣١٣ .

المسلمون حساباً، فقد وثبت عليهم هوازن من كلّ جيب في الوادي وهي توسعهم رمياً وقذفاً، حتّى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وبلغت القلوب الخناجر.

هزيمة المسلمين

وانهزم المسلمون شرّ هزيمة، فقد كانت الخطّة العسكريّة التي عملتها هوازن محكمة للغاية، فقد كانوا موزّعين في جيوب الوادي، وحينما دخل المسلمون فيه ثاروا عليهم من كلّ جانب وهم لا يشعرون، فجفلوا وفرّوا لا يلوون على شيء، وجعل النبيّ ﷺ يدعو المسلمين إلى الصبر والثبات وعدم الفرار قائلاً:

«أَيُّها النّاسُ، هَلُمُّوا إِلَيَّ، أَنا رَسولُ اللهِ، أَنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللهِ».

وثبت النبيّ ﷺ وهو يحرّض المسلمين على الصمود قائلاً للمنهزمين:

«أَيْنَ أَيُّها النّاسُ، أَيْن؟».

وشاعت في الأوساط أنّ النبيّ ﷺ قد استشهد، وكان منادياً ينادي بصوت عالٍ قائلاً:

«يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ الَّذينَ آوَوْا وَنَصَروا، يا مَعْشَرَ المُهاجِرينَ الَّذينَ بايَعوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ، إِنَّ مُحَمَّداً حَيٌّ فَهَلُمُّوا».

واستجاب المنهزمون إلى نداءه، وأحاطوا بالنبيّ ﷺ يميناً وشمالاً يمنعون عنه العوادي.

شماتة المنافقين

وسرّ المنافقون بهزيمة المسلمين، وطاروا فرحاً وسروراً، وكان منهم:

١ ـ أبو سفيان:

وأبدى أبو سفيان سروره البالغ بهزيمة المسلمين قائلاً: «لا تنتهي هزيمتهم ـ أي المسلمين ـ دون البحر».

٢ ـ شيبة بن عثمان :

وكان شيبة بن عثمان بن أبي طلحة قد قتل أبوه في واقعة أُحد ، وقد أبدى سروره بهزيمة المسلمين ، فقال ـ وعلى شفتيه ابتسامة الفرح ـ : « اليوم أدرك ثأري من محمّد » .

٣ ـ كَلْدَةُ بن الحنبل :

وأظهر كَلْدَة بن الحنبل سروره البالغ بما مُنِي به المسلمون من الهزيمة قائلاً : « ألَا بطل السِّحْرُ اليومَ » .

فردّ عليه أخوه صفوان : « اسكت ، فَضَّ اللهُ فاكَ ، فوالله ! لإنْ يَرُبَّني [1] رجلٌ من قريش أحبُّ إليَّ من أن يَرُبَّني رجل من هَوازن » [2] .

هزيمة المشركين

ولمّا بلغت قلوب المسلمين الحناجر ، وزلزلوا زلزالاً شديداً قد ساد عليهم الرعب والخوف ، نصر الله تعالى عبده ورسوله ، فقتل من المشركين سبعون رجلاً من أبطالهم وعيونهم ، وهزم الباقون شرّ هزيمة ، ولاحقتهم جيوش المسلمين فأشاعت فيهم القتل والأسر ، وردّ الله تعالى كيدهم إلى نحورهم .

بسالة الإمام عليه السلام

وأبدى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من البسالة ما لا يوصف ، وأبلى في المعركة بلاءً حسناً ، وقد أجمع الرواة على أنّه كان من أصلب المدافعين عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقد وقف مع كوكبة من المسلمين إلى جانب النبيّ صلى الله عليه وآله يدافعون عنه ، وقاتلوا قتالاً أهونه الشديد ، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يردّد القول :

---

(١) **يَرُبَّني** : أي يملكني .

(٢) حياة محمّد صلى الله عليه وآله / هيكل : ٤٣٤ .

«أنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ ، أَنا ابْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبْ ، الآن حَمِيَ الوَطِيسُ »[١] .

لقد كان النصر المؤزّر معظمه في هذه المعركة التي كانت من أعنف المعارك وأشدّها قسوة على يد بطل الإسلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[٢] .

معركة حنين في القرآن

ووصف القرآن الكريم معركة حنين وما لحق بالمسلمين من الفزع والهزيمة ، وما منّ الله تعالى به من النصر الحاسم ، وتمزيق صفوف المشركين .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِن بَعْدِ ذٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[٣] .

وحفل هذا التصوير بجميع فصول الواقعة ، وما رافقها من أحداث .

قسمة الغنائم

وغنم المسلمون في هذه المعركة أموالاً طائلة كان منها :

١ ـ اثنان وعشرون ألفاً من الإبل .

٢ ـ أربعون ألفاً من الشياه .

٣ ـ أربعة آلاف أُوقية من الفضّة .

---

(١) **الوطيس** : التنور.

(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ : ٥٩ .

(٣) التوبة ٩ : ٢٥ ـ ٢٧ .

٤ ـ الأسرى ستّة آلاف[١].

وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله أن تساق الغنائم إلى الجِعْرَانة ، وسارعت وفود هوازن إلى النبيّ صلى الله عليه وآله طالبين منه أن يردّ عليهم ما أخذ منهم ، فخيّرهم بين نسائهم وأبنائهم ، وبين أموالهم ، فاختاروا نساءهم وأبناءهم ، وانبرى زهير بن صُردَ من بني سعد فخاطب النبيّ صلى الله عليه وآله بتذلّل وخضوع قائلاً :

« يا رسول الله ، إنّما في الحظائر عمّاتك وخالاتك ، وحواضنك اللواتي كنّ يَكْفُلْنك ، ولو أنّا أرضعنا الحرث بن أبي شِمْر الغسّاني أو النعمان بن المنذر لرجونا عطفه ، وأنت خير المكفولين » ، ثمّ قال :

أُمْنُنْ علَينا رسولَ اللهِ في كَرَمٍ ... فإنّكَ المَرْءُ نَرْجُوه ونَدَّخِرُ
أُمنُنْ علىٰ نِسوَةٍ قَدْ عاقَها قدرٌ ... مُمَزَّقٌ شَمْلُها في دَهْرِهَا غِيَرُ
يا خيرَ طِفلٍ ومولودٍ ومُنتخَبٍ ... في العالمينَ إذا ما حَصلَ البشرُ
إنْ لَمْ تَداركَها نِعَماً وتَنشُرها ... يا أرجَحَ النّاسِ حِلْماً حينَ يُختَبرُ
أُمنُنْ علىٰ نِسوَةٍ قد كنتَ ترضَعُها ... إذْ فوكَ تملؤُهُ مِنْ مَحضِها الدُّرَرُ
إذْ كُنتَ طِفلاً صغيراً كُنتَ تَرضَعُها ... وإذْ يُزينُكَ ما تَأتي وما تَذَرُ[٢]

فرقّ النبيّ صلى الله عليه وآله ، ووهبهم ما كان له ولبني عبدالمطّلب من الغنائم ، وكذلك وهب الأنصار والمهاجرين وبنو سليم حصّتهم ولم يستجب لذلك غيرهم .

ثمّ قسّم النبيّ صلى الله عليه وآله الإبل والغنم على الجيش ، وازدحموا عليه حتّى اختطفت رداؤه ، فقال صلوات الله عليه :

« رُدُّوا عَلَيَّ رِدائي أَيُّها النّاس ، فَوَاللهِ ! لَوْ كانَ لِي عَدَدُ شَجَرِ تِهامَةَ نَعَمٌ لَقَسَّمْتُها

---

(١) حياة محمّد صلى الله عليه وآله : ٤٣٦.

(٢) الكامل في التاريخ : ٢ : ١٨٢.

عَلَيْكُمْ ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلَا جَباناً ».

ولم يعطِ النبيّ ﷺ الأنصار شيئاً ، فوجدوا في أنفسهم ، وضاقوا ذرعاً ، وأمر النبيّ ﷺ سعد بن عبادة بجمع الأنصار ، فلمّا مثلوا عنده قال لهم :

« ما حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ ؟! أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالاً فَهَداكُمُ اللهُ بِي ؟ وَفُقَراءَ فَأَغْناكُمُ اللهُ بِي ؟ وَأَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلوبِكُمْ ؟ ».

فانبروا جميعاً قائلين :

« بلى والله يا رسول الله ، لله ورسوله المنّ والفضل ».

وخاطبهم النبيّ ﷺ بلطف ومودّة وحنان قائلاً :

« أَلَا تُجِيبُونِي ؟ ».

« بماذا نجيبك ؟ ».

ونظر إليهم النبيّ ﷺ بمودّة قائلاً :

« وَاللهِ ! لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُم ، فَصَدَقْتُم : أَتَيْتَنا مُكَذَّباً فَصَدَّقْناكَ ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْناكَ ، وَطَرِيداً فَآوَيْناكَ ، وَعائِلاً فواسَيْناكَ ، أَوَجَدْتُم ، يا مَعْشَرَ الْأَنْصارِ أَنْفُسَكُمْ فِي لُعَاعَةٍ[1] مِنَ الدُّنيا تَأَلَّفْتُ بِها قَوْماً لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلى إِسْلَامِكم ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ أَن يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللهِ إِلىٰ رِحالِكُمْ ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امرأً مِنَ الْأَنْصارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْباً لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصارِ . . .

اللّٰهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصارَ ، وَأَبْناءَ الْأَنْصارِ ، وَأَبْناءَ أَبْناءَ الْأَنْصارِ ».

وهتفوا جميعاً بعد أن غرقوا بالبكاء .

« رضينا برسول الله قِسماً وحظّاً »[2].

---

(١) **اللعاعة** : نبت ناعم قليل البقاء.

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ١٣٤ ـ ١٤٣ . الكامل في التاريخ : ٢ : ٢٦٨ ـ ٢٧٢ .

وطيّب النبيّ صلى الله عليه وآله نفوس الأنصار بهذه الكلمات التى كانت بلسماً ودواء لكلّ من ظنّ من الأنصار أنّه قد أجحف بحقّهم، فحرمهم من الاعطاء، فقد قفلوا راجعين إلى أوطانهم ونفوسهم مترعة بالرضا والإيمان.

قدوم مالك بن عوف على النبيّ صلى الله عليه وآله

سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن مالك بن عوف الزعيم المطاع لقبائل هوازن، والذي انهزم بعد فشل واقعة حنين، فقيل للنبيّ صلى الله عليه وآله إنّه بالطائف مع ثقيف، فقال صلى الله عليه وآله:

«أَخْبِروهُ أَنَّهُ إِنْ أَسْلَمَ رَدَدْتُ إِلَيْهِ أَهْلَهُ ومالَهُ، وَأَعْطَيْتَهُ مائَةً مِنَ الإبلِ»، وبلغ ذلك مالكاً، فانسلّ من ثقيف وهم لا يعلمون به حتّى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأسلم، فردّ عليه أهله وماله، وأعطاه مائة من الإبل، فبهر وقال:

مــا إنْ رأَيتُ ولا سَـمِعتُ بـمِثلهِ ... فـي النّـاسِ كُـلِّهِمُ بـمثلِ مُـحَمّدِ
أوفَىٰ وأعطىٰ للجزيلِ إذا اجْتَدى ... ومتى تَشأْ يُخْبِرك عَـمّا فـي غَـدِ
وإذا الكَـتيبةُ عَـرَّدَتْ أنْـيابَها ... بالسَّمْهَرِيِّ وضَرب كُـلِّ مُـهنَّدِ[1]
فَكــأنَّهُ ليثٌ عَـلىٰ أَشـبالِهِ ... وَسْطَ الهَباءَةِ خادِرٌ في مَـرْصَدِ[2]

واستعمله النبيّ صلى الله عليه وآله على مَن أسلم من قومه[3]. وبذلك فقد تغيّر ذاتيّاً، ونزع عمّا في نفسه من الشرور والآثام.

١٦ ـ غزوة الطائف

وملئت نفوس الجيش الإسلامي بالإيمان، وحبّ الشهادة في سبيل الله تعالى،

---

(١) **عردت**: اشتدّت. **السمهري**: الرمح. **المهنّد**: السيف.

(٢) **الهباءة**: الغبار يثور عند اشتداد الحرب. **الغادر**: الأسد في عرينه.

(٣) السيرة النبويّة / ابن كثير: ٣: ٦٨٣.

وقد عزم النبيّ ﷺ على غزو الطائف، وكانت مدينة محصّنة يعسر اقتحامها، وكان من الصعب جدّاً الاقتراب منها؛ لأنّ أهلها كانوا يرمون بالنبل من أعلى الحصون لمن كان قريباً منها، ممّا اضطرّ المسلمين أن ينزحوا عنها، وأقاموا بالمسجد الذي بني بالطائف، ومنه فرضوا الحصار على الحصون، فحاصروها سبع عشرة ليلة، ورماهم الجيش الإسلامي بالمنجنيق، وهو أوّل ما رمي به في الحروب التي شنّها المسلمون على الكفّار.

ولم يتمكّن المسلمون من اختراق الحصون وأخذوا بقطع أشجار الأعناب إضافة إلى قذفهم بالمنجنيق، وأعلن النبيّ ﷺ أنّه معتق مَن جاء إليه من الطائف، فأقبل إليه زهاء عشرين رجلاً، وفهم النبيّ ﷺ منهم أنّ بالحصون من الذخائر ما يكفيهم أمداً طويلاً، وأيقن أنّ الحصار سيطول أمده، كما استبان له أنّ جيشه يودّ الرجوع إلى المدينة، فقفل راجعاً إليها.

١٧ ـ غزوة تبوك

ولم تبق ناحية من نواحي الجزيرة العربيّة إلّا وأيقنت بقوّة الحكومة الإسلاميّة، وأنّها قوّة لا تقهر، وأنّها أمام أمرين: أمّا مقاومة السلطة أو الدخول في الإسلام، والخضوع لأنظمته الدينيّة والاقتصاديّة، وبينما كان العرب مذهولين أمام الأحداث التي سيواجهونها من الإسلام؛ إذ وافتهم الأنباء بأنّ الروم قد هيّأت جيشاً لغزو المسلمين والهيمنة على البلاد الخاضعة لحكم الإسلام.

وشاعت هذه الأنباء، فقام النبيّ ﷺ بعزم شامخ لتهيئة جيش قوي يغزو به الروم ويكسر شوكتهم.

تخلّف المنافقين

وتخلّف المنافقون عن الالتحاق بالجيش الإسلامي، وأخذوا يلتمسون لهم المعاذير بأنّ الوقت شديد الحرارة، وفيهم نزلت الآية: ﴿ **فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ**

خِلَافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(١).

واعتذر شخص يسمّى الجَدّ بن قيس للنبيّ ﷺ فقال له :

« يا رسولَ الله ، أوَتأذنُ لي ولا تَفْتِنِّي ، فوالله لقد عَرَف قومي أنّه ما من رجل أشدّ عُجْباً بالنساء منّي ، وإنّي أخشى إن رأيتُ نساء بني الأصفر ـ وهم الروم ـ أن أصبر » .

فأعرض عنه النبيّ ﷺ ، وفيه نزلت الآية : **﴿ وَمِنْهُم مَن يَقُولُ ائْذَن لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾**(٢).

وبلغ النبيّ ﷺ أنّ هؤلاء المنافقين يجتمعون عند سُوَيْلمِ اليهودي ، وهم يثبّطون العزائم ، ويحرّضون النّاس على التخلّف عن ساحات الجهاد ، فبعث إليهم طلحةَ بن عُبيدالله مع كوكبة من أصحابه فحرّق بيت سُوَيْلِم اليهودي ، ففرّ المجتمعون من ذلك البيت .

ومن المنافقين وَديعة بن ثابت ، ومُخَشِّن بن حُمَيِّر وغيرهما ، وكان بعضهم يقول لبعض : « أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم لبعض ، والله لكأنّا بكم غداً مُقَرّنين في الحبال أرجافاً ، وترهيباً للمؤمنين » .

واستشفّ النبيّ ﷺ من وراء الغيب ما قاله هؤلاء المنافقون ، فبعث عمّار بن ياسر وقال له : « **سَلْهُم عَمّا قالوا ، فإنْ أنْكَروا فقُلْ : بَلىٰ ، قُلْتُمْ كَذا وَكَذا** » ، فانطلق إليهم عمّار وأخبرهم بما قال رسول الله ﷺ ، فأقبلوا إلى النبيّ ﷺ يعتذرون إليه ، فقال وديعة له : « يا رسول الله ، إنّا كنّا نخوض ونلعب » ، فنزلت الآية : **﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ**

---

(١) التوبة ٩ : ٨١ و ٨٢.

(٢) التوبة ٩ : ٤٩.

لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾[١].

مؤمنون

وهناك كوكبة من الصحابة قد أُترعت نفوسهم بالإيمان ، كان منهم سبعة أشخاص من الأنصار وغيرهم لم يجدوا مركباً لهم ، فطلبوا من النبيّ ﷺ أن يسعفهم بمركب ليمضون إلى الجهاد ، فقال لهم : **﴿ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴾**[٢] ، ومن المؤمنين أبو خَيْثَمَة ، فإنّه لم يلتحق بالنبيّ ﷺ وبقي في داره ، وكان الوقت شديد الحرّ ، فهيّأت له زوجتاه عريشاً ، وبرّدت له ماء ، فنظر إليهما ، وقال بألم وحرارة : « رسول الله في الضِّحّ[٣] والرِّيح والحرّ ، وأبوخيثمة في ظلٍّ بارد ، وطعام مهيّأ ، وامرأةٍ حسناء في ماله مقيم ، ما هذا بالنَّصَف » .

ثمّ خاطب زوجتيه :

« والله تعالى لا أدخُلُ عريش واحدة منكُما حتّى ألحق برسول الله ، فَهَيِّئا لي زاداً » .

فقدّما له الزاد ، ثمّ قدم ناضحه فاعتلاه ، وأخذ يجدّ في السير لا يلوي على شيء حتّى التحق برسول الله حتّى إذا دنا منه وهو في تبوك ، فقال النّاس : « هذا راكب على الطريق مُقْبل إلينا » ، فقال النبيّ ﷺ :

« كُنْ أَبا خَيْثَمَة » .

وتأمّله المسلمون فقالوا : « هو والله أبو خيثمة » ، ثمّ دنا من النبيّ ﷺ وسلّم

---

(١) التوبة ٩ : ٦٥.

(٢) التوبة ٩ : ٩٢.

(٣) **الضِّحّ** : الشمس.

عليه ، فقال له خيراً ، ودعا له بخير ، ونسب له من الشعر هذه الأبيات :

لمّا رأيتُ النّاسَ في الدين نافقُوا — أتَيتُ الّتي كانَتْ أعفَّ وأكْرَما
وبايَعتُ باليُمْنَى يَدي لِمُحَمَّدٍ — فلَمْ اكْتَسِبْ إِثْماً وَلَمْ أَغْشَ مَحْرما
تَركْتُ خَضيباً في العَريش وصِرمَةً — صفايا كِراماً بُسْرُها قَدْ تَحمَّما
وكُنْتُ إذا شَكَّ المُنافِقُ أسَمحتْ — إلَى الدين نَفسي شَطرَهُ حَيثُ يَمَّما [١]

وتخلّف أبو ذرّ عن مسايرة الجيش ؛ لأنّ راحلته لم تطق المشي ، فتركها وأخذ متاعه فحمله على ظهره ، وسار في أثر الجيش ، فأدرك النبيّ ﷺ في بعض المنازل ، فقال النّاس : « هذا أبو ذرّ » ، فرحّب به النبيّ ﷺ وقال : « **رَحِمَ اللهُ أَبا ذَرّ يَمْشي وَحْدَهُ ، وَيَموتُ وَحْدَهُ ، وَيُبْعَثُ وَحْدَه** »[٢] .

الإمام عليه السلام في غزوة تبوك

وواكب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام النبيّ ﷺ في جميع حروبه وغزواته ، إلّا في غزوة تبوك ، فقد أبقاه النبيّ ﷺ ممثّلاً عنه في المدينة ، وأرجف المنافقون ، وأشاعوا أنّ النبيّ ﷺ إنّما لم يصحبه معه لكراهته له ، وبلغ ذلك الإمام ، فأخبر النبيّ ﷺ بمقالة المنافقين ، فردّ عليهم مزاعمهم ، وقلّد الإمام أسمى وسام قائلاً :

« **كَذَبُوا ، وَإِنَّما خَلَّفْتُكَ لِما وَرائِي ، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ ، أَمَا تَرْضىٰ يا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ ، إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي** »[٣] .

ورجع الإمام عليه السلام قرير العين ، فقد قلّده الرسول ﷺ وسام الخلافة من بعده ، وجعله منه بمنزلة هارون من موسى ، وباء حسّاده بالفشل والخزي .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ١٦٤ .

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ١٦٧ .

(٣) الكامل في التاريخ : ٢ : ١٩٠ . السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ١٦٣ .

الثلاثة المتخلّفون عن تبوك

وتخلّف ثلاثة من الصحابة عن الالتحاق بغزوة تبوك ، وهم : كعب بن مالك ، ومُرارة بن الربيع ، وهلال بن أُميّة ، وقد نهى النبيّ ﷺ عن مكالمتهم والحديث معهم ، فامتنع المسلمون من الالتقاء بهم والتحدّث معهم ، وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت .

إعطاء الجزية للنبيّ ﷺ

ولمّا انتهى الرسول ﷺ إلى تبوك أتاه يُحَنَّة بن رؤبة ، وهو من عظماء تبوك ، فصالحه وأعطاه الجزية ، وكذلك أتاه أهل جَرباء وأذرُح فأعطوه الجزية ، وكتب النبيّ ﷺ هذا الكتاب ، وجاء فيه بعد البسملة :

« هٰذِهِ أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ ، وَمُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسولِ اللهِ لِيُحَنَّةَ بن رُؤْبَة وَأَهْلِ أَيْلَةٍ ، سُفُنِهِمْ وَسيّارَتِهِم في البَرِّ وَالبَحْر ، لَهُم ذِمَّةُ اللهِ تَعالىٰ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبيِّ ، وَمَنْ كانَ مَعَهُم مِنْ أَهْلِ الشّامِ وَأَهْلِ اليَمَنِ وَأَهْلِ البَحْرِ ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثاً ، فَإِنَّهُ لَا يَحُولُ ما لُهُ دُونَ نَفْسِهِ ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النّاسِ ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ أَنْ يَمْنَعوا ماءً يَرِدُونَهُ ، وَلَا طَرِيقاً يُريدونه مِن بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ »[١] .

ولم يقع قتال ولا إراقة دم ، ثمّ قفل النبيّ ﷺ راجعاً إلى المدينة بعد أن أقام في تبوك بضع عشرة ليلة .

الإمام عليه السلام وسورة براءة

عهد النبيّ ﷺ إلى أبي بكر أن يتلو على أهل مكّة بنوداً من سورة البراءة ، وما قنّنه الإسلام من أحكام لمن طاف في بيت الله الحرام ، وهذه بعضها :

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ١٦٩ .

أوّلاً : أن لا يطوف في البيت عريان ، وكانت العادة في الجاهليّة أن يطوف الرجل عرياناً .

ثانياً : لا يدخل الجنّة إلّا من آمن بالله ورسوله .

ثالثاً : مَن كان بينه وبين رسول الله مدّة فأجله إلى مدّته[١] .

رابعاً : أنّ الله تعالى ورسوله بريئان من المشركين[٢] .

وسار أبو بكر حاملاً رسالة النبيّ ﷺ فهبط عليه الوحي يأمره بإسناد هذه المهمّة إلى الإمام أمير المؤمنين وإقصاء أبي بكر ، وسار الإمام مسرعاً حتّى وافى أبا بكر في الطريق ، فأخذ منه الرسالة[٣] ، وتلاها على أهل مكّة ، واضطرب أبو بكر ، ورجع وملء إهابه ألم ممض ، فلمّا رأى النبيّ ﷺ أجهش بالبكاء وقال له : يا رسول الله ، حدث فيَّ شيء ؟

فهدّأ النبيّ ﷺ روعه ، وقال له : **ما حَدَثَ فِيْكَ إلَّا خَيْرٌ ، وَلـٰكِنْ اُمِرْتُ أَنْ لَا يُبَلِّغُها إلَّا أَنا أَوْ رَجُلٌ مِنِّي**[٤] .

وهذه البادرة من الأدلّة التي تمسّكت بها الشيعة على إمامة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فقد قالوا : إنّ أبا بكر لا يصلح لأن يبلّغ سورة من القرآن لأهل مكّة ، وهي من الأمور البسيطة ، فكيف يصلح لأن يكون ممثّلاً للرسول ﷺ بعد غيابه عن الحياة .

---

(١) التنبيه والإشراف : ١٨٦ .

(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ : ٤٧ .

(٣) مسند أحمد بن حنبل : ١ : ٣ . الخصائص : ٣٠ . كنز العمّال : ٤ : ٢٤٦ . تفسير الطبري : ١٠ : ٤٦ . المستدرك على الصحيحين : : ٣ : ٥١ . صحيح الترمذي : ٢ : ١٨٣ . تذكرة الخواصّ : ٣٧ .

(٤) أمالي المرتضى : ١ : ٢٩٢ . السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ١٩٠ .

حديث كعب

وتحدّث كعب عن الكثير من شؤون حياته في غزواته مع رسول الله ﷺ وتخلّفه عن غزوة تبوك ، ولمّا قفل النبيّ ﷺ راجعاً إلى المدينة انبرى إليه ، فقال له النبيّ ﷺ :

« ما خَلَّفَكَ ، أَلَمْ تَكُنِ ابْتَعْتَ ظَهْرَك ؟ » .

وراح كعب يبدي معاذيره قائلاً:

« إنّي يا رسول الله ، والله تعالى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنّي سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جَدلاً ، لكن والله لقدعلمت لئن حدّثتك اليوم حديثاًكذِباً لترضى عنّي ، ولَيُوشكنّ الله تعالى أن يُسْخطك عليّ ، ولئن حدّثتك حديثاً صِدقاً تجد علَيَّ فيه ، إنّي لأرجو عُقْباي من الله فيه ، ولا والله ماكان لي عذر ، والله ماكنت قطُّ أقوى ولا أيسر منّي حين تخلّفت عنك » .

فقال له النبيّ ﷺ :

« أَمّا هٰذا فَقَدْ صَدَقْتَ فِيهِ ، فَقُمْ حَتّىٰ يَقْضيَ اللهُ فِيكَ » .

وبقي كعب مضطرباً ينتظر ما ينزل فيه من الوحي ، وقد لقي صاحباه نفس المصير الذي عاناه .

وظلّ كعب لا يكلّمه أحد من المسلمين ، فقد هجره النّاس ، وابتعدوا عنه ، وبينما كان يسير في السوق إذ أقبل نبط من الشام يسأل عنه ، فأشار إليه النّاس ، فمضى إليه وناوله كتاباً ، ففتحه وإذا به : أمّا بعد ، فإنّه قد بلغنا أنّ صاحبك ـ يعني النبيّ ﷺ ـ قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ، ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك .

وتحرّق كعب ، وذابت نفسه ألماً وجعل يقول : « هذا من البلاء قد بلغ بي ما وقعت فيه أن طمع فيَّ رجلٌ من أهل الشرك » .

ويقي على هذا الحال المرير زهاء أربعين يوماً، فأرسل إليه النبيّ ﷺ أن يبتعد عن أهله، وكذلك أمر صاحبيه باعتزال أهليهما.

وجاءت زوجة هلال بن أُميّة إلى رسول الله ﷺ فقالت له:

«يا رسول الله، إنّ هلال بن أُميّة شيخٌ كبير ضائع لا خادم له، أفتكره أن أخدمه؟».

فقال لها النبيّ ﷺ:

«لا يقْرَبَنَّكِ».

وسمح لها بخدمته، وانبرت قائلة:

«والله يا رسول الله، ما به من حَرَكة إليَّ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا».

ويقي كعب وصاحباه على هذا الحال وهم يعانون العزلة وابتعاد النّاس عنهم.

توبة الله عليهم

وكان كعب في بيته لا يريم عنه، مهموماً حزيناً، وإذا بشخص قد رفع عقيرته:

«يا كعب بن مالك، أبشر فقد جاءك الفرج».

وطار كعب فرحاً، وسارع إلى رسول الله ﷺ، وكان مقيماً في المسجد، فلمّا رآه تبسّم وقال له بنبرات ملئها الغبطة والفرح:

«أَبْشِر بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ».

«أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله؟».

«بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعالىٰ».

«يا رسول الله، إنّ من توبتي إلى الله عزّ وجلّ أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله».

فأمره أن يتصدّق ببعض ماله لا بجميعه، وراح كعب يقول للنبيّ ﷺ: «يا رسول

الله ، إنّ الله تعالى قد نجّاني بالصدق ، وإنّ من توبتي إلى الله أن لا أحدّث إلّا صدقاً ما حييت ».

وأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ **لَقَد تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِمَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَامَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾(١).

وأعرب كعب عن بالغ سروره بقبول توبته قائلاً:

« والله ما أنعم الله عليَّ نعمةً قطّ بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ أن لا أكون كذبته فأهلك ، كما هلك الذين كذّبوا ، فإنّ الله تعالى قال في الذين كذّبوه حين أنزل الوحي ، شرّ ما قال لأحد ، قال: ﴿ **سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** ﴾(٢) ، كنّا خلّفنا أيّها الثلاثةُ عن أمر هؤلاء الذين قَبِل منهم رسول الله حين حلفوا له ، فعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله أمرنا حتّى قَضى الله فيه ما قضى ، فبذلك قال الله تعالى : ﴿ **وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا** ﴾ »(٣).

١٨ ـ الإمام عليه السلام وفتح اليمن

أرسل النبيّ ﷺ معه كتيبة عسكريّة إلى اليمن يدعوهم إلى الإسلام أو الحرب ،

---

(١) التوبة ٩: ١١٧ و ١١٨.

(٢) التوبة ٩: ٩٥ و ٩٦.

(٣) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤: ١٨٠ و ١٨١.

وأخذ الإمام يجدّ في السير لا يلوي على شيء ليؤدّي رسالة النبيّ صلى الله عليه وآله .

إسلام همدان

وانتهى الإمام عليه السلام إلى اليمن ، والتقى بوجوه اليمانيّين وزعمائهم ، وعرض عليهم دعوة النبيّ صلى الله عليه وآله وشرح لهم قيم الإسلام ، وما يهدف إليه من إقامة مجتمع أفضل تتوفّر فيه جميع ما يصبو إليه المجتمع من العدل والأمن والرخاء .

وقد بهر اليمانيّون بكمال الإمام عليه السلام وفضله وأدبه ، فاستجابوا لدعوته ، وأعلنت همدان الإسلام ، وهي من أقوى الأُسر العربيّة في اليمن ، ومن أشدّها تمسّكاً بقيم الإسلام ، وبذلك فقد فتحت اليمن بغير حرب(١) ، وبقيت قاعدة الولاء للإمام عليه السلام .

مجموع غزوات النبيّ صلى الله عليه وآله

إنّ مجموع الغزوات التي غزا بها النبيّ صلى الله عليه وآله بنفسه فهي سبع وعشرون غزوة ، وقد ذكرنا معظمها ، وهي :

١ ـ غزوة وَدّانَ .
٢ ـ غزوة الأبواء .
٣ ـ غزوة بُواط من ناحية رَضْوَى .
٤ ـ غزوة العُشَيرة من بطن يَنْبُع .
٥ ـ غزوة بدر الأولى .
٦ ـ غزوة بدر الكبرى(٢) .
٧ ـ غزوة بني سُلَيْم .
٨ ـ غزوة السَّوِيق يطلب أبا سفيان .
٩ ـ غزوة غَطَفانَ .
١٠ ـ غزوة ذي أمِر .
١١ ـ غزوة بَحْران معدِن بالحجاز .
١٢ ـ غزوة أُحُد .
١٣ ـ غزوة حَمْراءِ الأسد .
١٤ ـ غزوة بني النَّضِير .

---

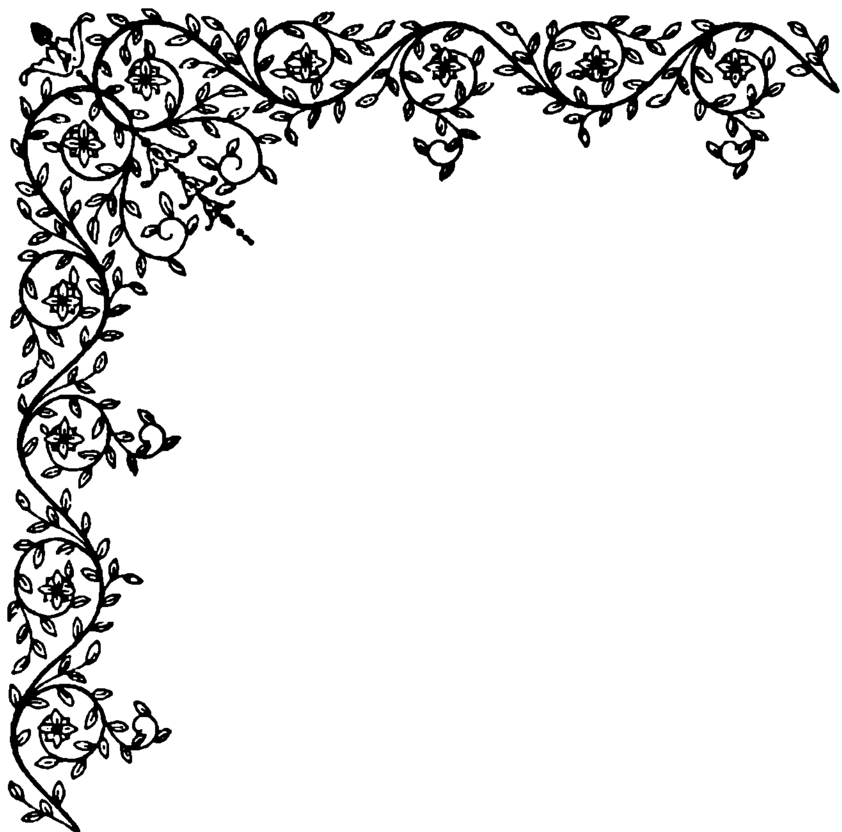
(١) أمالي المرتضى : ١ : ٢٩٢ .

(٢) التي قتل الله فيها صناديد قريش .

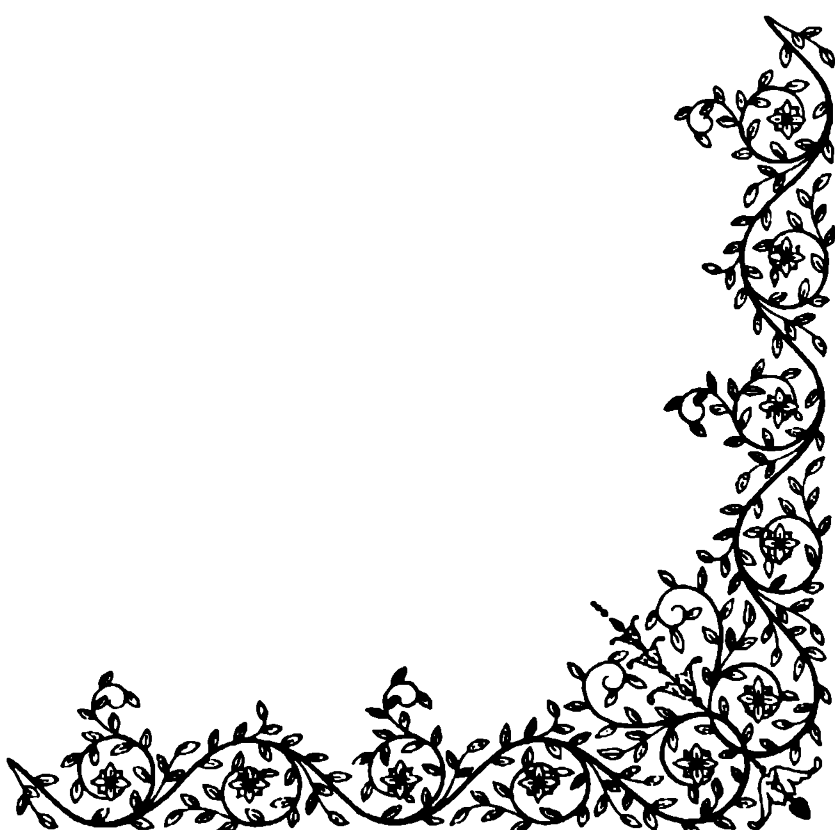
١٥ ـ غزوة ذات الرِّقاع .
١٦ ـ غزوة بدر الآخرة .
١٧ ـ غزوة دُومة الجندل .
١٨ ـ غزوة الخندق .
١٩ ـ غزوة بني قُرَيْظة .
٢٠ ـ غزوة بني لِحْيَان من هُذَيْل
٢١ ـ غزوة ذي قَرَد .
٢٢ ـ غزوة بني المُصْطَلِق من خُزَاعة .
٢٣ ـ غزوة الحُدَيْبِيَة .
٢٤ ـ غزوة خَيبر .
٢٥ ـ غزوة عُمْرةُ القضاء .
٢٦ ـ غزوة الفَتْح .
٢٧ ـ غزوة حُنَيْن .
٢٨ ـ غزوة الطائف .
٢٩ ـ غزوة تَبُوك .

هذه مجموع الغزوات التي دوّنها ابن هشام[١] ، وقد ذكرنا معظمها في البحوث السابقة .

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤: ٢٥٦ .



السَّرَايَا



أمّا السرايا التي بعثها النبيّ ﷺ لبعض القرى والمناطق ، فكان الغرض منها إظهار قوّة الإسلام ، ولا تنضمّ إلى القوى المعادية للإسلام ، كما أنّ أهدافها التبشير بالقيم العظيمة ، والمبادئ الرفيعة التي تبنّاها الإسلام ، والتي جاءت لتحرير الإنسان من خرافات الجاهليّة ، وعبادتها للأوثان والأصنام ، وإنقاذها من واقعها المرير الذي هبطت به إلى مستوى سحيق ما له من قرار .

وعلى أيّ حال ، فإنّا نذكر بعض السرايا التي أسند النبيّ ﷺ قيادتها إلى بعض أصحابه ، وهي ثمانية وثلاثون سريّة :

١ ـ سريّة زيد بن حارثة

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة للاستيلاء على تجارة لقريش فيهم أبو سفيان ، ومضى زيد مع فرقة من الجيش ، فأدركوا القافلة ، فأصابوا العِير وما تحمل من البضائع ، وهرب الرجال ، وقدموا بالعِير والبضائع إلى النبيّ ﷺ[١] .

وكان المقصود من هذه السريّة إضعاف القوى المعادية للإسلام اقتصادياً .

٢ ـ سريّة خالد لبني جذيمة

بعث النبيّ ﷺ جملة من السرايا إلى حوالي مكّة يدعون النّاس إلى عبادة الله

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٤ : ٢٨٤ .

عزّ وجلّ ، ومن بين الذين بعثهم خالد بن الوليد فقد بعثه لبني جذيمة داعياً إلى الله ، لا مقاتلاً ، ولمّا انتهى إليهم خالد أمرهم بإلقاء السلاح ، وشكّ جحدم في خالد وقال لبني جذيمة :

« ويلكم يا بني جذيمة ، إنّه خالد ، والله ما بعد وضع السلاح إلّا الإسار ، وما بعد الإسار إلّا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحي أبداً » .

وأنكر بعض قومه وقالوا له :

« يا جحدم ، أتريد أن تَسْفِك دماءنا ؟ إنّ النّاس قد أسلموا ووضعوا السلاح ، ووُضعتِ الحَرْب ، وأمن النّاس ، فلم يزالوا به حتّى نزعوا سلاحه ، ووضعوا أسلحتهم ، فأمر بهم خالد أن يُكتّفوا ، ثمّ عرضهم على السيف ، فقَتل جملة منهم ، ولمّا انتهى الخبر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله غضب وتألّم ورفع يديه إلى السماء ، وقال :

« اللّٰهُمَّ إِنّي أَبْرأُ إِلَيْكَ مِمّا صَنَعَ خالِدُ بنُ الوَليد » .

ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأمره أن يخرج لبني جذيمة ، وينظر في أُمورهم ، ويجعل أمر الجاهليّة تحت قدميه ، وخرج الإمام ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأدّى دية المقتولين ، وأدّى ما أُصيب لهم من الأموال حتّى أدّى لهم ميلغَة[١] الكلب ، ولم يبق أي شيء من دم أو مال إلّا وَدّاه ، وبقيت عنده بقيّة من مال ، فأعطاها لهم وقال عليه السلام :

« أُعْطيكُم هٰذِهِ البَقِيَّةَ مِنْ هٰذَا المالِ احْتِياطاً لِرَسولِ اللهِ مِمّا لا يَعْلَمُ وَلَا تَعْلَمون » ، ثمّ قفل راجعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخبره بما صنع ، فشكر النبيّ صلى الله عليه وآله صنيعه ، وقال له :

« أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ » ، ورفع يديه إلى السماء وقال صلى الله عليه وآله :

---

(١) **الميلغة** : شيء يحفر من خشب ويجعل ليلغ فيه الكلب .

« اللّهُمَّ إِنّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمّا صَنَعَ خالِدُ بنُ الوَليد » ، قالها ثلاث مرّات[١] .

ودلّت هذه البادرة على عدم مراعاة خالد للأعراف السائدة في الإسلام بعدم نكث العهد ، إلّا أنّه كان متعطّشاً لسفك الدماء ، وقصّته مع مالك بن نويرة تدلّ على ذلك .

٣ ـ سريّة عبدالله بن رواحة

بعث النبيّ ﷺ عبدالله بن رَوَاحة في ثلاثين راكباً إلى يُسير بن رِزام اليهودي ، فقد بلغ النبيّ ﷺ خبث هذا اليهودي وكيده ، وأنّه يجمع الجموع لحربه ، وسار ابن رواحة مع المفرزة من الجند ، حتّى التقى بيُسير ، فقال له :

« إنّ رسول الله أرسلنا إليك ليستعملك في خيبر » ، فاستجاب لهم بعد إلحاح ، وصحبه من قومه ثلاثون رجلاً بقدر المسلمين ، ولمّا بلغوا قَرْقَرة نِيار ، وهي موضع تبعد عن خيبر بستّة أميال ، ندم يُسير ، وأهوى إلى سيف عبدالله بن رواحة ليأخذه ، ففطن لذلك ، فزجر بعيره حتّى إذا قرب من يُسير ضرب رجله فقطعها ، وكان في يد يُسير مِخْراش من شَوْحَط[٢] ، فضرب به وجه عبدالله ، فشجّ بها أُمّ رأسه ، وانكفأ كلّ واحد من المسلمين على كلّ رديف له من اليهود فقتله ، غير رجل من اليهود فقد أعجزهم ، وهرب منهم ، ولم يصب أحد من المسلمين ، وأقبل عبدالله بن رواحة إلى النبيّ ﷺ ، فرأى الشجّة في رأسه ، فداواها بريقه ، فبرأت[٣] .

٤ ـ سريّة بَشير بن سَعْد

بعث النبيّ ﷺ بشير بن سعد ومعه ثلاثون راكباً إلى بني مرّة من أرض فدك ،

---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٢ : ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

(٢) **المخراش** : عصا معقوفة . **الشوحط** : شجر .

(٣) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٤١٨ .

فاستاق نعمهم فقاتلوه ، وقتلوا من معه ، وصبر هو وقاتل قاتلاً شديداً حتّى نـجا ، وقفل راجعاً إلى المدينة .

ويعث إليهم النبيّ ﷺ مرّة ثانية غالب بن عبدالله ومعه جماعة من كبار الصحابة ، كان منهم أُسامة بن زيد وابن مسعود ، وقاتل أُسامة مرداس بن نَهيك ، وعلاه بالسيف ، فقال مرداس : « لا إلٰه إلّا اللهُ » ، ولم يحفل به أُسامة حتّى قتله ، ولامته الصحابة على ذلك ، وتأثّر النبيّ ﷺ ، وقال له : **« مَن لَكَ يا أُسامة بِلَا إلٰـهَ إلّا اللهُ »** ، وندم أُسامة كأشدّ ما يكون الندم على ما اقترفه من الذنب(١) .

٥ ـ سريّة أبي حدرد

كان أبو حدرد قد عقد على امرأة وأصدقها مائتي درهم ، وجاء إلى النبيّ ﷺ طالباً منه أن يسعفه بالمهر ، فقال له :

« ما عِنْدي ما أُعينُكَ بِهِ » .

ولم تمض إلّا أيّام حتّى أقبل رفاعة بن قيس ، ومعه خلق من بني جُشَم بن معاوية حتّى نزل بالغابة يريد أن يجمع جماعة ليحارب رسول الله ﷺ ، فدعا النبيّ ﷺ أبا حدرد ورجلين من المسلمين ، وأمرهم أن يأتوه بخبر رفاعة ، وخرجوا حتّى قربوا من القوم ، وقد غابت الشمس ، وعمّ الظلام المنطقة ، فخرج رفاعة يفتّش عن راعٍ له قد تأخّر ، ومرّ بأبي حدرد وهو غافل ، فنفحه أبو حدرد بسهم وقع على فؤاده ، فلم يتكلّم وسقط على الأرض ، فبادر إليه واحتزّ رأسه ، وبادر مع صاحبيه فاستاقوا إبلاً عظيمة وغنماً كثيرة ، وجاءوا بها إلى النبيّ ﷺ ، فأعطى أبا حدرد منها عشرة من الإبل كانت صداقاً لأهله(٢) .

---

(١) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٤١٩ .

(٢) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٤٢٢ .

٦ ـ السريّة إلى إضَمٌ

بعث النبيّ ﷺ جماعة من أصحابه في سريّة إلى إضَمَ ، فلمّا بلغوا هذا المكان مرّ بهم عامر بن الأضبط الأشجعي ، وكان من المسلمين ومن وجوه النّاس ، فحمل عليه محلِّم بن جثّامة فقتله ؛ لهنات كانت بينهما ، ولمّا رجعوا إلى المدينة ، وفهم النبيّ ﷺ ذلك نزلت عليه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِن قَبلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيكُم فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾[١] .

وبادر النبيّ ﷺ إلى أولياء المقتول ليفديه ، فقال لهم : « **هَلْ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذوا مِنّا خَمْسينَ بَعِيراً الآنَ ، وَخَمْسينَ بَعيراً إذا رَجَعْنا إِلَى المَدينَةِ** » ؛ لأنّه لم يكن فيها ، فقام إليه عُيينة بن بدر ، وقال : « والله لا أدعه حتّى أُذيق نساءه من الحزن مثل ما أذاق نسائي » ، ولم يزل النبيّ ﷺ يلتمس منهم قبول الدية حتّى لا تراق الدماء ، حتّى وافقوا وأخذوا الدية[٢] .

٧ ـ سريّة زيد بن حارثة

بعث النبيّ ﷺ زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضُمَيرة مولى الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فأصاب سَبْياً من أهل مِيناءَ ، وفيها جُمّاع من النّاس ، فبيعوا متفرّقين ، فخرج إليهم النبيّ ﷺ وهم يبكون ، فسأل عن بكائهم ، فقيل له : « قد فُرّق بينهم » ، فنهى سلام الله عليه عن بيعهم كذلك ، وقال : « **لا تَبيعوهُم إلّا جَميعاً** »[٣] .

---

(١) النساء ٤ : ٩٤.

(٢) السيرة النبويّة / ابن كثير : ٣ : ٤٢٣.

(٣) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٢ : ٦٣٥.

٨ ـ سريّة عبدالله بن حذافة السهمي

استعمله النبيّ ﷺ على سريّة، وأمر من معه بالطاعة له، وجرت بينه وبينهم مشادّة كلاميّة فأغضبته، فأمرهم أن يجمعوا حطباً، فجمعوه له، وأضرم فيه النّار، وقال لهم:

«ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي وتطيعوا؟»، قالوا: «بلى»، قال: «فادخلوا النّار»، فنظر بعضهم إلى بعض، وقالوا: «إنّما فررنا إلى رسول الله من النّار»، ولم يلج فيها أحد، فلمّا قدموا على النبيّ ﷺ ذكروا ذلك له، فقال: **«لَوْ دَخَلوها ما خَرَجوا مِنْها، إِنَّما الطّاعَةُ في المَعْروفِ»**[١].

٩ ـ سريّة شجاع بن وهب

بعثه رسول الله ﷺ إلى جمع من هوازن ومعه أربعة وعشرون رجلاً، وأمره أن يغير عليهم، فخرج، وكان يسير في الليل ويكمن في النهار، حتّى جاءهم وهم غارون، واستولى على نعم كثيرة وشاءً فاستاقوا ذلك حتّى قدموا المدينة، ووزّع عليهم المال، فكان نصيب كلّ رجل منهم خمسة عشر بعيراً[٢].

١٠ ـ سريّة كعب بن عمير

بعثه النبيّ ﷺ ومعه خمسة عشر رجلاً حتّى انتهوا إلى ذات اطلاح من أرض الشام، فوجدوا جمعاً هناك، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل، فقاتلوهم أشدّ قتال حتّى قتلوا، سوى رجل جريح منهم، فلمّا حلّ الليل خرج حتّى أتى رسول الله فأخبره بما جرى عليهم، فأراد أن يبعث لهم سريّة أُخرى،

---

(١) السيرة النبويّة / ابن كثير: ٣: ٤٢٦.

(٢) السيرة النبويّة / ابن كثير: ٣: ٤٥٣.

فبلغه أنّهم ساروا إلى موضع آخر، فترك[١].

١١ ـ سريّة عمرو بن العاص

بعثه رسول الله ﷺ يستنفر العرب إلى الشام، وسار حتّى انتهى إلى ماء يقال له السَّلْسل، بعث إلى النبيّ ﷺ يستمدّه بالجيش، فبعث إليه جماعة فيهم أبو عبيدة الجرّاح، وأبو بكر وعمر، وأمر النبيّ ﷺ أن لا يختلف مع جماعته، ولمّا انتهوا إلى ابن العاص قال عمرو لأبي عبيدة: «إنّما جئت مدداً لي، قال أبو عبيدة: لا، ولكنّي على ما أنا عليه، وأنت على ما أنت عليه»، وقال له عمرو: «بل أنت مدد لي»، وقال أبو عبيدة: «يا عمرو، إنّ رسول الله ﷺ قال لي: لا تختلفا، وإنّك إن عصيتني أطعتُك»، فقال عمرو: «إنّي الأمير عليك، وأنت مددٌ لي»، قال أبو عبيدة: «فدونك»، فصلّى عمرو بالنّاس.

وكان من جنود هذه البعثة عوف بن مالك، وقد مرّ على قوم قد نحروا جَزُوراً، وقد عجزوا عن قسمته بينهم، فقال لهم عوف: «إذا أعطيتموني نصيباً منها قسّمتها بينكم»، فأجابوه إلى ذلك، فقسّمها بينهم، وأعطوه قسماً منها، فبادر إلى جماعته فطبخوه وتناولوه، فأُصيبوا بالقي، وقالوا له: «ما أحسنت حين أطعمْتنا»، ثمّ قفلوا راجعين إلى المدينة، وبادر عوف إلى النبيّ ﷺ فقال النبيّ ﷺ:

«أَعَوْفٌ هٰذا؟».

«نعم، بأبي أنت وأُمّي».

«أصاحِبُ الجَزور؟»[٢].

ولم تقع في هذه الغزوة أيّة معركة، فقد كانت مهمّة هذه السريّة استنفار

---

(١) السيرة النبويّة / ابن كثير: ٣: ٤٥٤.

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام: ٢: ٦٢٤.

النّاس لغزو الشام .

١٢ ـ سريّة أبي عبيدة

بعث النبيّ ﷺ أبا عبيدة الجرّاح إلى سِيف البحر[١] ، وكانت أرزاقهم جراباً من تمر ، فكان قُوتهم به ، ولمّا أشرف على النهاية كانوا يأخذون منه عداً ، ولما نَفِد التمر كان بعضهم يقتات بتمرة واحدة ، ولمّا فقدالتمر أخذهم الجوع ، فأخرج الله تعالى لهم دابة من البحر ، فأصابوا لحمها ، وجعلوا يقتاتون عليه ، ولمّا رجعوا إلى المدينة أخبروا النبيّ ﷺ به ، فقال : « **رِزْقٌ رَزَقَكُمُوهُ اللهُ تعالىٰ بِهِ** »[٢] .

١٣ ـ سريّة زيد بن حارثة

غزا زيد بن حارثة وادي القُرى ، وفيه قوم من بني فزارة ، وجرح زيد فيها ، فلمّا أستبلَّ من جرحه آلى أن لا يمسّ رأسَه غسل من جَنابة حتّى يغزو بني فَزارة ، ومضى إلى النبيّ ﷺ فأسند له قيادة الجيش لغزو بني فزارة ، ومضى إليهم ، فالتحم معهم وأبادهم ، وأسر منهم ابنة أُمّ قِرْفَة ، وابن مسعدة[٣] .

١٤ ـ سريّة عمير بن عدي

كانت عصماء بنتَ مروان من بني أُميّة عدوّة للإسلام ، وقد هجت النبيّ ﷺ ، فندب لقتلها ، فانبرى إليها عمير بن عدي الخطمي فقتلها في بيتها ، وجاء إلى رسول الله ﷺ فقال له : « إنّي قد قتلتها » ، فشكره النبيّ ﷺ ، وقال له : « **نَصَرْتَ اللهَ وَرَسولَهُ يا عُمَير** » ، وكان قتلها سبباً لدخول جماعة في الإسلام ، وذلك حينما

---

(١) **سيف البحر** : جانبه وساحله .

(٢) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٢ : ٦٣٧ .

(٣) السيرة النبويّة / ابن هشام : ٢ : ٦١٧ .

رأوا عزّ الإسلام[١].

هذه بعض السرايا التي بعثها النبيّ ﷺ إلى بعض المناطق لهداية النّاس إلى الإسلام، أو مناهضة القوى الكافرة، فقد تحدّث عنها ابن هشام في سيرته، قال:

«وكانت بعوثه ﷺ وسَرايا ثمانياً وثلاثين من بين بَعْثٍ وسَرِيَّة، وهي:

١ - غزوة عُبيَدَةَ بن الحارث.

٢ - غزوة حَمْزة بن عبدالمطّلب ساحل البحر من ناحية العيص.

٣ - غزوة سعد بن أبي وقّاص الخَرّار.

٤ - غزوة عبدالله بن جَحْش نَخْلَة.

٥ - غزوة زيد بن حارثة القَرْدَة.

٦ - غزوة محمّد بن مَسْلمَة كَعْبَ بن الأشرف.

٧ - غزوة مَرْثَدِ بن أبي مَرْثَدِ الغَنَوِيِّ الرَّجيع.

٨ - غزوة المُنْذِر بن عمرو بئرَ مَعُونة.

٩ - غزوة أبي عُبَيْدَةَ بن الجَرّاحِ ذا القَصَّة من طريق العراق.

١٠ - غزوة عمر بن الخطّاب تُرَبةَ من أرض بني عامر.

١١ - غزوة عليّ بن أبي طالب اليمن.

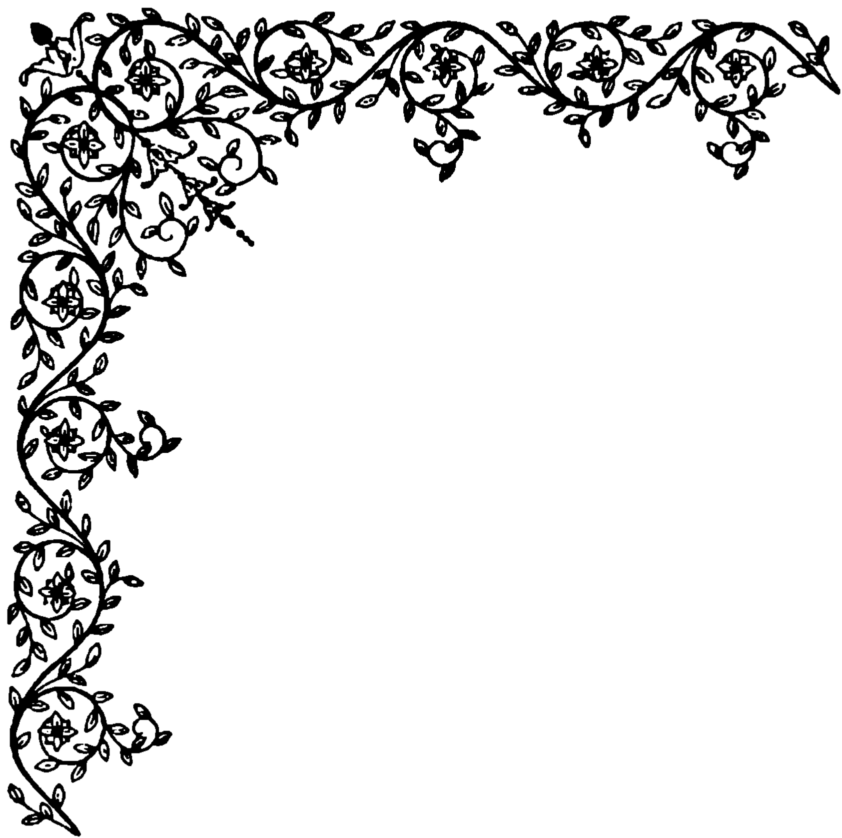
١٢ - غزوة غالبِ بنِ عبدالله الكَلْبيّ، كَلْبِ ليث الكندية، فأصاب بني الملوّح[٢].

هذا ما ذكره ابن هشام في السيرة، وقد ذكرنا أربعة عشرة سريّة.

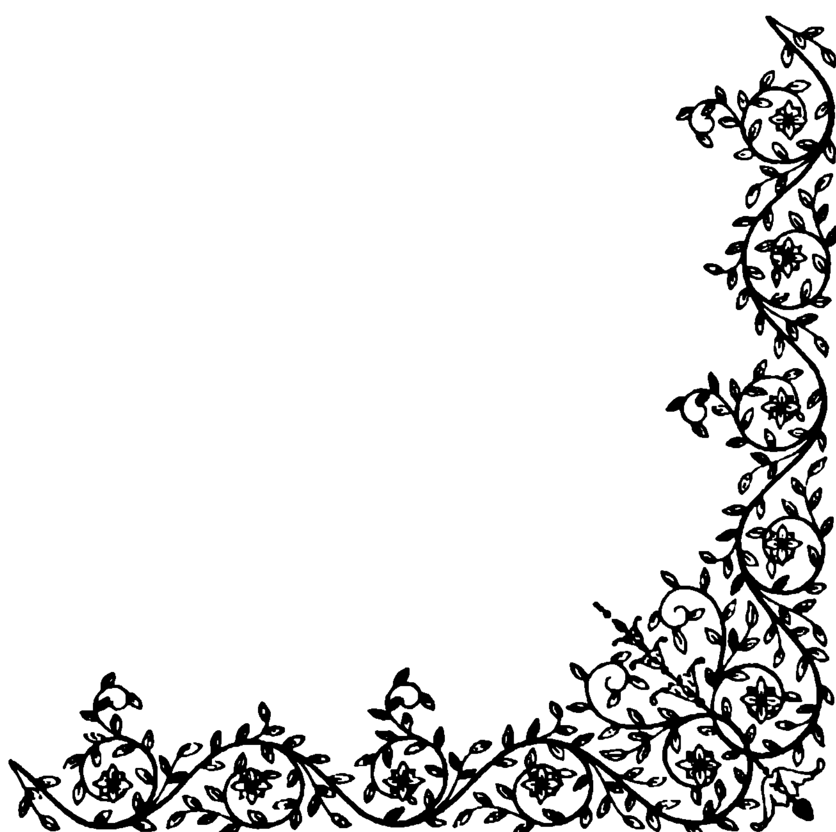
---

(١) السيرة النبويّة / ابن هشام: ٢: ١٣٦.

(٢) المصدر المتقدّم: ١٠٩.



طَلائِعُ الرَّحِيلِ



أدّى النبيّ العظيم ﷺ رسالة ربّه إلى عباده كاملة مشرقة ، فـأنقذهم بـعد اللُّـتَيّا والتي من عبادة الأوثان والأصنام ، فحرّر العقول وفـتح لهـا آفـاقاً كـريمة لم يـألفها الإنسان حافلة بالوعي والتطوّر ، وأمدّها بجميع وسائل النهوض والارتقاء .

وقد عانى النبيّ ﷺ جميع صنوف المحن والخطوب من فراعنة قريش ، وجبابرة العرب ، وفسقة اليـهود ، فـاتّهموه بـالجنون والكـذب والسـحر ، وأغـروا صـبيانهم وجهّالهم بإلقاء التراب والحجارة عليه ، وعذّبوا بأقسى ألوان التعذيب مَن آمن به ، وقد استشهد من تعذيبهم ياسر وسميّة ، واضطرّت الطلائع المقدّسة من المسلمين إلى الهجرة من ديارهم إلى الحبشة ، وكان المحامي والناصر للنبيّ ﷺ عمّه أبو طالب مؤمن قريش ، وبعد وفاته استضعفته قـريش ، وأحـاطت بـداره شـاهرين سـيوفهم ليمزّقوا جسده الطاهر ، ففرّ منهم في غلس الليل البهيم إلى المدينة ، وقد ترك أخاه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في فراشـه مـلتحفاً بـبردته ، وقـد نـجا صلوات الله عليه بتسديد من الله تعالى ولطفه .

وحينما انتهى النبيّ ﷺ إلى المدينة وجد في أهـلها الحـماية والأمـن والقـوّة ، فاتّخذها عاصمة له ، وقد قامت قيامة القرشيّين ، وورمت آنافهم ، فجهّزوا الجيوش لمحاربته ، فكانت واقعة بدر وأُحد والأحزاب ، ومعظمها بقيادة أبي سفيان جدّ يزيد وأبو معاوية ، وباءت جميع محاولاتهم بالفشل والخزي ، فقد نصر الله تعالى نـبيّه نصراً عزيزاً ، وفتح له فتحاً مبيناً ، ودخل النّاس في دين الله تعالى أفواجاً أفواجـاً ،

وخضعت قريش لحكم الإسلام، ودخلوا فيه مكرهين أذلّاء صاغرين قد اُترعت نفوسهم بآثام الجاهليّة ومعتقداتها.

وعلى أيّ حال، فإنّ النبيّ ﷺ بعد ما أدّى رسالة ربّه بدت عليه أمارات الرحيل عن هذه الدنيا، والانتقال إلى الفردوس الأعلى، وكانت تتكرّر عليه علامات الرحيل عن الدنيا، والسفر إلى الله تعالى، كان من بينها:

أوّلاً: أنّ القرآن الكريم نزل عليه مرّتين بعدما كان ينزل عليه مرّة واحدة، فاستشعر من ذلك دنوّ الأجل المحتوم منه(١).

وأخذ ينعى نفسه، ويشيع ذلك بين المسلمين، كما أحاط بضعته سيّدة نساء العالمين علماً بانتقاله إلى حضيرة القدس قائلاً لها:

«إنَّ جِبْرَئِيلَ كانَ يُعارِضُني بِالْقُرآنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عارَضَنِي بِهِ فِي هٰذَا الْعامِ مَرَّتَيْنِ، وَما أَرىٰ ذٰلِكَ إِلَّا اقْتِرابَ أَجَلي»(٢).

وذابت نفس بضعته شعاعاً، وودّت مفارقة الحياة ولم تسمع هذه الكلمات من أبيها:

ثانياً: أنّه نزل الوحي على الرسول ﷺ بهذه الآية: ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾(٣).

وكانت هذه الآية إنذاراً له بمفارقته للحياة، وقد أثارت في نفسه كوامن الألم، وسمعه المسلمون يقول:

«لَيْتَنِي أَعْلَمُ مَتىٰ يَكُونُ ذٰلِكَ؟».

---

(١) الخصائص الكبرى: ٢: ٢٦٨.

(٢) الكامل في التاريخ: ٥: ٥٢٣.

(٣) الزمر ٣٩: ٣٠ و ٣١.

ثالثاً: أنّه نزلت عليه سورة النصر، فشعر منها بدنوّ أجله، وكان يسكت بين التكبير والقراءة في الصلاة ويقول:

« سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ».

وذهل المسلمون من ذلك، وراحوا يسألونه عن هذه الحالة الغريبة التي تعتريه، فأجابهم:

« إِنَّ نَفْسِي قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ »[1].

وهام المسلمون في تيارات من الهواجس، فقد كان نعي النبيّ ﷺ لنفسه كالصاعقة عليهم، فلا يدرون ما يجري عليهم إن خلت الدنيا من محمّد ﷺ، الذي برّ بدينهم ودنياهم، وحرّرهم من عبادة الأوثان والأصنام.

حجّة الوداع

ولما أيقن النبيّ ﷺ بقرب انتقاله إلى جنّة المأوى رأى من الواجب عليه أن يحجّ البيت الحرام، ويضع لأُمّته الخطوط السليمة لنجاتها، وصيانتها من الأزمات والفتن، وسيادتها على بقيّة أُمم العالم وشعوب الأرض، ولهذه الأسباب حجّ البيت الحرام ليعلن في صعيده ما يرومه، وقد أعلن بين الوفود أنّ عامهم هذا هو آخر عهدهم به قائلاً:

« إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقاكُمْ بَعْدَ عامِي هٰذا بِهٰذَا الْمَوْقِفِ أَبَداً ».

وفزع الحجّاج وذهلوا، وأفزعهم كلامه، وراح يقول بعضهم لبعض: « النبيّ ينعى نفسه ».

ومضى النبيّ ﷺ في تنفيذ مناهجه السليمة التي تضمن سعادة أُمّته في جميع

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢: ٧١ ـ ٧٣.

مراحل تأريخها قائلاً:

« أَيُّها النَّاسُ ! إِنِّي تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ ، كِتابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي » .

ولمّا أنهى النبيّ ﷺ مراسيم الحجّ ، وقف عند بئر زمزم ، وأمر ربيعة بن خلف فوقف تحت راحلته ليبلّغ الحجّاج ما يقوله ، وقال لربيعة : **« قُلْ ما أَقُولُهُ »** ، ثمّ قال :

« أَتَدْرُونَ أَيَّ بَلَدٍ هٰذا ؟ » .

« أَتَدْرُونَ أَيَّ شَهْرٍ هٰذا ؟ » .

« أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هٰذا ؟ » .

فهتفوا جميعاً :

« نعم ، هذا البلد الحرام ، وهذا الشهر الحرام ، واليوم الحرام » .

وأخذ النبيّ ﷺ يتلو عليهم القيم الكريمة والمثل العليا التي جاء بها قائلاً:

« إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِماءَكُمْ وَأَمْوالَكُم كَحُرْمَةِ بَلَدِكُمْ هٰذا ، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هٰذا ، وَكَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذا ... أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ ... » .

فأجابوا جميعاً :

« نعم » .

ثمّ أخذ النبيّ ﷺ يعرض على حجّاج بيت الله الحرام الأحكام التي يلزمون بتطبيقها على واقع حياتهم قائلاً:

« اتَّقُوا اللهَ ، وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْياءَهُمْ ، وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ، فَمَنْ كانَ عِنْدَهُ أَمانَةٌ فَلْيُؤَدِّها ...

النَّاسُ فِي الْإِسْلامِ سَواءٌ طَفُّ الصَّاعِ لِآدَمَ وَحَوّاءَ ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلىٰ أَعْجَمِيٍّ ، وَلَا لِأَعْجَمِيٍّ عَلىٰ عَرَبِيٍّ إِلَّا بِتَقْوى اللهِ ... أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » .

وانبروا قائلين :

« نعم ».

وأضاف النبيّ ﷺ قائلاً:

« اللّهُمَّ اشْهَدْ ، لَا تَأْتُونِي بِأَنْسابِكُمْ وَائْتُونِي بِأَعْمالِكُمْ ، فَأَقُولُ لِلنَّاسِ : هكَذا ، وَلَكُم هكَذا ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ ».

وهذه المثل الكريمة هي التي تحقق كرامة الإنسان ، وتضمن له سعادته ، ثمّ واصل النبيّ ﷺ حديثه قائلاً:

« اللّهُمَّ اشْهَدْ ، كُلُّ دَمٍ كانَ فِي الْجاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمِي ، وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُهُ دَمَ رَبِيعَةَ بنِ الْحارِثِ بنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ(١) ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ ».

« نعم ».

« اللّهُمَّ اشْهَدْ ، وَكُلُّ رِباً كانَ فِي الْجاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ تَحْتَ قَدَمِي ، وَأَوَّلُ رِباً أَضَعُهُ رِبا الْعَبّاسِ بنِ عَبْدِالْمُطَّلِبِ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ ».

« نعم ».

« اللّهُمَّ اشْهَدْ .. أَيُّها النَّاسُ ، إِنَّما النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عاماً لِيُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللهُ .

أُوْصِيكُمْ بِالنِّساءِ خَيْراً فَإِنَّما هُنَّ عَوارٍ عِنْدَكُمْ ، لَا يَمْلِكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئاً ، وَإِنَّما أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمانَةِ اللهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكِتابِ اللهِ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقٌّ ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقٌّ : كِسْوَتُهُنَّ وَرِزْقُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فِراشَكُمْ أَحَداً ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ إِلَّا بِعِلْمِكُمْ وَإِذْنِكُمْ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ ».

« نعم ».

« اللّهُمَّ اشْهَدْ ، فَأُوْصِيكُم بِمَنْ مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ فَأَطْعِمُوهُم مِمّا تَأْكُلُونَ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟».

---

(١) ربيعة بن الحارث قتله بنو سعد بن بكر.

« نعم ».

« اللّٰهُمَّ اشْهَدْ .. إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يَغُشُّهُ ، وَلَا يَخُونُهُ ، وَلَا يَغْتابُهُ ، وَلَا يَحِلُّ لَهُ دَمُهُ ، وَلَا شَيْءٌ مِنْ مالِهِ إِلَّا بِطِيْبِ مِنْهُ ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ ».

« نعم ».

ويستمرّ النبيّ ﷺ في تأسيس المناهج التربوية والأخلاقيّة والاجتماعيّة ، وما تسعد به الأُمّة في جميع شؤونها ، ثمّ ختم خطابه الرائع بقوله :

« لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفّاراً مُضَلِّلِينَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ ، إِنِّي خَلَّفْتُ فِيْكُمْ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا : كِتابَ اللهِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ ».

« اللّٰهُمَّ اشْهَدْ .. إِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ فَلْيُبَلِّغِ الشّاهِدُ مِنْكُمُ الْغائِبَ .. »[١].

وانتهى هذا الخطاب الحافل بجميع القيم الإنسانيّة التي تسمو بها الأُمّة في مجالاتها الاجتماعيّة والسياسيّة ، وتحقّق لها السيادة على شعوب العالم وأُمم الأرض .. وقد ختم النبيّ ﷺ بإلزام أُمّته بالتمسّك بكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والتمسّك بالعترة الطاهرة لتكون لها القيادة العامّة لأُمّته.

مؤتمر غدير خم

وبعد ما أدّى النبيّ ﷺ الحجّ إلى بيت الله الحرام ، ووضع الخطط السليمة لصيانة الأُمّة من التردّي في مجاهل هذه الحياة قفل راجعاً إلى المدينة ، ولمّا اجتاز موكبه في غدير خم هبط عليه جبرئيل برسالة من السماء بالغة الخطورة تتعلّق بمصير الأُمّة ومستقبلها بعد رحيله إلى جنّة المأوى ، فقد أمره الله تعالى أن يحطّ رحله في ذلك المكان لينصّب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إماماً للأُمّة وخليفة عليها من بعده ، ويقلّده

---

(١) حياة الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام : ١ : ١٩٥ ـ ١٩٨ ، نقلاً عن تاريخ اليعقوبي : ٢ : ٩٠ ـ ٩٢.

المرجعيّة العامّة لها ، ولم يرخّصه في التأخير لحظة واحدة ، وكان أمر السماء بهذه الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** ﴾(١).

ونصّ الرواة على أنّ الآية نزلت على الرسول ﷺ في غدير خم(٢) وطابعها يحمل التهديد الصارم إلى النبيّ ﷺ بأنّه إن لم يفعل ما أُمر به فما بلّغ رسالة ربّه ، وضاعت جهوده وتبدّدت أتعابه .

وتلقّى النبيّ ﷺ أمر الله تعالى بأهمّية بالغة ، فانبرى بعزم ثابت وإرادة صلبة غير حافل بالمنافقين والحاسدين للإمام عليه السلام ، فوضع أعباء المسير ، وحطّ رحله في رمضاء الهجير ، وأمر قوافل الحجّ أن تصنع مثل ذلك ، وكان الوقت قاسياً في حرارته حتّى كان الرجل يضع طرف ردائه تحت قدمه يتّقي به من الحرّ .

واجتمع الحجّاج فصلّى بهم النبيّ ﷺ وبعد فراغه من الصلاة أمر بوضع حدائج لتكون منبراً له ، فصنعت له فاعتلى عليها ، وكان عدد الحاضرين ـ فيما يقول الرواة ـ مائة ألف أو يزيدون ، فخطب فيهم وأعلن عمّا عاناه . من الجهود الشاقّة في سبيل هداية النّاس وإنقاذهم من خرافات الجاهليّة وعبادة الأوثان والأصنام ، ثمّ ذكر كوكبة من أحكام الإسلام وتعاليمه ، والتفت إلى الجماهير قائلاً :

« **انْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِي الثَّقَلَين ؟** » .

فناداه منادٍ من القوم :

ما الثقلان يا رسول الله ؟

---

(١) المائدة ٥ : ٦٧ .

(٢) تاريخ بغداد : ٨ : ٢٩٠ . أسباب النزول / الواحدي : ١٥٠ ، الرازي في تفسيره : ٤ : ٤٠١ ، مجمع البيان / الطبرسي : ٢ : ١٥٢ ، في تفسير سورة المائدة . الدرّ المنثور : ٦ : ١١٧ .

وبيّن بوضوح وصراحة الثقلين قائلاً:

« الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ: كِتابُ اللهِ طَرَفٌ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلاَ تَضِلُّوا ، وَالْآخَرُ الْأَصْغَرُ: عِتْرَتِي ، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَّأَنِي أَنَّهُما لَنْ يَفْتَرِقا حَتّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ ، فَسَأَلْتُ ذٰلِكَ رَبِّي لَهُما ، فَلَا تَقَدَّمُوهُما فَتَهْلِكُوا ، وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُما فَتَهْلِكُوا » .

الضمان الأكيد لسلامة الأُمّة في مسيرتها التمسّك بكتاب الله العزيز وبالعترة الطاهرة .

ثمّ أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بيد وصيّه وسيّد عترته وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فرفعه حتّى بان بياض إبطيهما ، ورفع صوته عالياً قائلاً:

« أَيُّها النّاسُ ، مَنْ أَوْلَى النّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ؟ » .

فأجابوا مجمعين :

« الله ورسوله أعلم » .

فقال صلوات الله عليه :

« إِنَّ اللهَ مَوْلَايَ ، وَأَنا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنا أَوْلىٰ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِم ، فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ » .

قال ذلك ثلاث مرّات ، ثمّ قال :

« اللّٰهُمَّ والِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعادِ مَنْ عاداهُ ، وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ ، وَأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، وَأَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ ، أَلَا فَلْيُبَلِّغِ الشّاهِدُ الْغائِبَ » .

وانتهى خطابه الشريف الذي أعلن فيه تقليده لمنصب الخلافة والإمامة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

البيعة العامّة للإمام عليه السلام

وأقبل المسلمون يبايعون الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بولاية العهد ويهنّئونه بهذا المنصب الخطير ، وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله أمّهات المؤمنين أن يبايعن الإمام ، ففعلن ذلك[1] ، وأقبل ابن الخطّاب فهنّأ الإمام وصافحه ، وقال له :

« هنيئاً يابن أبي طالب ، أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة »[2].

وانبرى حسّان فنظم الحادثة الخالدة بقوله :

يُناديهمُ يومَ الغديرِ نبيُّهمْ ... بخُمٍّ وأَسْمِعْ بالرَّسولِ مُنادِيا
فقالَ فَمَنْ مَولاكمُ ونبيُّكُمْ ... فقالوا ولم يُبدوا هناكَ التَّعامِيا
إلـٰهُكَ مَولانا وأنتَ نَبيُّنا ... ولمْ تَلْقَ منّا في الولايةِ عاصِيا
فقالَ لَهُ قُمْ يا عَلِيُّ فإِنَّني ... رَضيتُكَ مِنْ بعدي إماماً وهادِيا
فَمَنْ كنتُ مَولاهُ فهذا وليُّهُ ... فكونوا لهُ أتْباعَ صِدقٍ مَوالِيا
هُناكَ دَعا اللّٰهُمَّ والِ وليّهُ ... وكُنْ للّذي عادىٰ عَلِيّاً مُعادِيا[3]

إنّ تقليد النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليه السلام الخلافة في غدير خم قد ألهمت عواطف الشعراء ، فقد انبرى الشاعر الملهم السيّد الحميري إلى نظمها في كثير من شعره ، كان منها هذه الأبيات :

وقامَ مُحَمَّدٌ بِغَديرِ خُمٍّ ... فنادىٰ مُعلِناً صَوتاً نَدِيّا
لمَنْ وافاهُ مِنْ عُربٍ وعُجْمٍ ... وحَفُّوا حَولَ دوحَتِهِ جِثِيّا

---

(١) موسوعة الغدير : ٢ : ٣٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل : ٤ : ٢٨١.

(٣) موسوعة الغدير : ١ : ٢٧١.

ألا مَــن كــنْتُ مــولاهُ فَــهذا   لهُ مَــوْلىً وكــانَ بــهِ حَــفِيّا[١]

وقال شاعر الإسلام الأكبر الكميت الأسدي:

ويومُ الدَّوحِ دَوحِ غديرِ خُــمٍّ   أبــانَ لَــهُ الولايَــةَ لوْ أُطــيعا
ولــٰكِــنَّ الرِّجــالَ تَــبايعوها   فَــلَمْ أَرَ مِــثْلَها حَــقّاً أُضــيعا

وسجّل المحقّق الأميني كوكبة من الشعراء الذين نظموا حادثة الغدير من عصر النبوّة حتّى يوم النّاس هذا.

نزول آية إكمال الدين

وفي يوم الغدير الخالد في دنيا الإسلام نزلت الآية المباركة: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**﴾[٢].

لقد كمل الدين، وتمّت نعمة الله تعالى الكبرى على المسلمين بولاية إمام المتّقين وسيّد الموحّدين على جميع المسلمين.

لقد جمع النبيّ صلى الله عليه وآله أُمّته على صعيد العلم والتقوى والإيمان بأخذه البيعة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فليس في صحابته ولا في أُسرته من يضارع بعض مُثُل الإمام عليه السلام التي استوعبت بفخر جميع لغات الأرض.

إنّ البيعة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام جزء من رسالة الإسلام، وركن من أركان الدين، فمن أنكرها فقد أنكر الإسلام، كما قال العلّامة العلائلي.

البيعة للإمام ضرورة إسلاميّة

الخلافة في الإسلام من العناصر الأساسيّة في تكوين المجتمع الإسلامي، والقوّة

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ١: ١٣٩.

(٢) المائدة ٥: ٣.

الفاعلة في صيانة المسلمين من الاعتداء والغزو الخارجي ، فهي التي تصون كرامتهم وحرّيتهم واستقلالهم ، وتدفع عنهم غائلة القوى الكافرة التي تكيد لهم في وضح النهار وفي غلس الليل .

النبيّ صلى الله عليه وآله والخلافة

اهتمّ النبيّ صلى الله عليه وآله اهتماماً بالغاً بالخلافة والإمامة من بعده ؛ لأنّها من أهمّ المراكز الحسّاسة في إقامة دولته ، فهي امتداد لحكمه واستدامة لشريعته ، وقد قرنها برسالته في بداية دعوته للإسلام حينما دعا أُسرته إلى تصديقه ، والإيمان بقيمه ليتّخذ منهم شخصاً يؤازره على أداء رسالته فيجعله وزيراً وخليفة من بعده ، فلم يستجب له أحد سوى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فأخذ برقبته ، وقال : « **هٰذا أَخِي ، وَوَزيري ، وَوَصِيِّي ، وَخليفَتِي مِنْ بَعْدي فِيْكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا** »[1] .

ومن شدّة اهتمامه بالخلافة قال : « **مَنْ ماتَ ولَمْ يَعْرِفْ إمامَ زَمانِهِ ماتَ مِيتَةً جاهِلِيَّة** » .

إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عالج جميع قضايا المسلمين ، ووضع لها الحلول الحاسمة ، ومن أهمّها إقامة خليفة من بعده يقيم فيهم العدالة الإسلاميّة ، ويحكم بين النّاس بشريعة الله تعالى ، وأنّ من أوهى الآراء وأكثرها بُعداً عن الصواب القول بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أهمل هذه الجهة التي بها سعادة أُمّته وسلامتها من الانحراف ، ومن المؤكّد إن إهمالها وعدم التعرّض لها إنّما هو تدمير للبناء الاجتماعي الذي أقامه الرسول صلى الله عليه وآله ، وإلقاء للأُمّة في متاهات سحيقة من مجاهل هذه الحياة .

إنّ الأزمات الحادّة والمنازعات العنيفة التي واجهها المسلمون في معظم عصورهم كانت ناجمة ـ من دون شكّ ـ من الاهمال المتعمّد للنصوص النبويّة التي

---

(١) الحديث مجمع على صحّته.

عيّنت الخلافة وحصرتها في أهل بيت النبوّة ومراكز الوحي ، دعاة الله تعالى في الأرض . يقول السيّد محمّد الكيلاني :

« لقد تنازع القوم على منصب الخلافة تنازعاً قلّ أن نجد له مثيلاً في الأُمم الأُخرى ، وارتكبوا في سبيل ذلك ما نتعفّف نحن عن ارتكابه ، فترتّب على ذلك أن أُزهقت الأرواح ، ودمّرت مدن ، وهدّمت قرى ، وأُحرقت دور ، وترمّلت نساء ، وتيتّمت أطفال ، وهلك من المسلمين خلق كثير »(١) .

وعلى أي حال ، فالرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين ، والذي يعزّ عليه عنت أُمّته كيف يتركها فوضى من دون أن يعيّن لها القائد لمسيرتها .

النبيّ صلّى الله عليه وآله رشّح عليّاً عليه السلام للخلافة

والشيء المؤكّد ـ حسب الدراسات العلميّة ، والتأمّل الجادّ في السيرة النبويّة ومصادر التاريخ ـ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله رشّح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة ، وأقامه إماماً لأُمّته ، ويدعم ذلك النصوص المتواترة من النبيّ صلّى الله عليه وآله في تعظيم شأنه والإشادة به ، فهو باب مدينة علمه ، وأنّه مع الحقّ والحقّ معه ، وأنّه منه بمنزلة هارون من موسى ، وغير ذلك من مئات الأحاديث التي أُثرت عنه في فضل وصيّه وأبي سبطيه .

لماذا رشّح النبيّ صلّى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام

ويتساءل الكثيرون : لماذا رشّح النبيّ صلّى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للخلافة ، وقدّمه على أهل بيته وأصحابه ؟

والجواب على ذلك أنّه صلّى الله عليه وآله نظر بعمق وشمول في أُسرته وأصحابه ، فلم يرَ أحداً

---

(١) أثر التشيّع في الأدب العربي : ٢٥ .

أفضل من عليّ عليه السلام ولا أحقّ بالخلافة منه ، لا لأنّه ألصق النّاس به ، بل لأنّه كان من أكثر المسلمين وعياً لرسالته ، وأدرى بأحكام شريعته ، ومعاذ الله أن يندفع الرسول صلى الله عليه وآله وراء العاطفة التي يؤول أمرها إلى التراب .

لقد انتخب النبيّ صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده ؛ وذلك لما يتمتّع به من الصفات الرفيعة ، والقابليّات الفذّة التي لم يتمتّع بها أحد سواه ، ولعلّ من أهمّها ما يلي :

أوّلاً : أنّ الإمام عليه السلام كان يملك طاقات عملاقة من العلم لم يملكها أحد سواه ، خصوصاً فيما يتعلّق بأحكام الشريعة وشؤون الدين ، ومسائل القضاء ، فقد كان المرجع الأعلى فيه ، وقد اشتهرت كلمة عمر فيه : «لولا عليّ لهلك عمر» ، ولم يشابهه أحد من الصحابة بهذه الظاهرة ، وقد اُلّفت بعض الكتب في روعة قضائه .

كما كان سلام الله عليه من أرقى القادة في العالم الإسلامي في الشؤون السياسيّة والإداريّة ، وعهده لمالك الأشتر من أوثق الأدلّة الحاسمة على ذلك ، فقد حفل هذا العهد الشريف بالشؤون السياسيّة الإسلاميّة بما لم يحفل به أي دستور سياسي في الإسلام .

وإنّ المتتبّع في الوثائق السياسيّة التي دوّنت في نهج البلاغة يجد صوراً رائعة للسياسة الرشيدة التي لا التواء فيها ، والتي تبنّت العدل الخالص بجميع صوره .

وكما كان الإمام عليه السلام أعلم المسلمين بشؤون السياسة العادلة التي لا تعرف الخداع والنفاق والتضليل ، فقد كان من أعلمهم بسائر العلوم الاُخرى ، كعلم الكلام ، والفلسفة ، وعلم الحساب ، والهيئة ، وغيرها ، يقول العقّاد إنّ الإمام عليه السلام فتق أبواباً كثيرة من العلوم تربو على ثلاثين علماً ، ومع هذه الثروات العلميّة الهائلة التي يتمتّع بها الإمام عليه السلام كيف لا ينتخبه الرسول صلى الله عليه وآله لمنصب الخلافة التي تدور عليها استقلال

الأمّة وأمنها وحريّتها ورخائها[١].

إنّ الطاقات العلميّة اللا محدودة التي يملكها الإمام عليه السلام تقتضي بحكم المنطق الإسلامي الذي يؤثر الصالح العامّ على كلّ شيء أن يكون هو المرشّح لقيادة الأمّة دون غيره، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿ **هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[٢].

وليس شيء أدعى إلى السخرية والاستهزاء من القول بجواز تقديم المفضول على الفاضل، فإنّ هذا المنطق اللّاعلمي يتجافى مع القيم الإسلاميّة التي الزمت بتقديم العلماء على غيرهم وترشيحهم للمناصب الحسّاسة، وتقديم غيرهم عليهم تدمير للقيم الكريمة، وتجنّي على العلم.

ثانياً: إنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان من أشجع الناس وأقواهم جناناً، وقد استوعبت شجاعته النادرة جميع لغات الأرض، وهو القائل: «**لَوْ تَظَافَرَتِ الْعَرَبُ عَلىٰ قِتالي لَما وَلَّيْتُ عَنْها**»، وقد قام الإسلام بسيفه، وبني على جهاده وجهوده، وهو صاحب المواقف المشهودة يوم بدر ويوم حنين ويوم الأحزاب، فقد حصد بسيفه رؤوس المشركين، وأباد أعلامهم وضروسهم، وأشاع في بيوت الجبابرة والطغاة الثكل والحزن... ولم تنفتح ثغرة على الإسلام من خصومه وأعدائه إلّا تصدّى لإسكاتها، وقد قدّمه النبيّ ﷺ على غيره، فأسند له قيادة جيشه، وما ولج حرباً إلّا فتح الله تعالى على يده، وهو الذي أذلّ اليهود وقهرهم، وفتح حصون خيبرهم، وكسر شوكتهم.

---

(١) من الغريب أنّ عمر لمّا اغتاله أبو لؤلؤة تمنّى أن يكون سالم مولى أبي حذيفة حيّاً ليسلّمه مقاليد الحكم ونسي هذا العملاق العظيم الذي لولاه لهلك عمر في موازين الفتيا والقضاء، كما أنّه من الغريب كيف جعله من أعضاء الشورى وهو أدرى بمقامه وأعرف بقدراته؟!!

(٢) الزُّمر ٣٩: ٩.

إنّ الشجاعة من العناصر الأساسيّة التي يجب توفّرها عند من يتولّى زعامة الأمّة ، وإدارة شؤون البلاد ، وأمّا إذا كان خائر القوى جباناً ، فإنّ الأمّة تتعرّض للكوارث والأزمات .

ومع توفّر الشجاعة بأسمى معانيها ، وأجلى صورها في شخصيّة الإمام عليه‌السلام كيف لا يرشّحه النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله للخلافة والإمامة من بعده .

إنّ الإمام عليه‌السلام بحكم شجاعته النادرة التي تصحبها جميع الصفات الكريمة ، والنزعات الشريفة ، هو المتعيّن لقيادة الأمّة حتّى لو لم يكن هناك نصّ من النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله .

ثالثاً : من أهمّ الصفات التي يجب توفّرها عند من يتصدّى للخلافة نكران الذات ، وإيثار مصلحة الأمّة على كلّ شيء ، والتي منها الاحتياط التامّ في أموال المسلمين ، وإنفاقها على تطوير حياتهم ، وإنقاذهم من غائلة الفقر ، وكانت هذه الظاهرة من أبرز القيم في حكومة الإمام عليه‌السلام ، فلم يعرف المسلمون حاكماً زهد في الدنيا ورفض جميع مباهجها كالإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام رائد العدالة الاجتماعيّة في دنيا الإسلام ، لقد أجمع المؤرّخون والرواة على أنّ الإمام عليه‌السلام في أيّام حكومته قد تحرّج كأشدّ ما يكون التحرّج في أموال الدولة ، فلم يدخّر لنفسه ولا لأهل بيته أي شيء منها ، وساس المسلمين سياسة رشيدة في العطاء ، وساوى بين الجميع في الحقوق والواجبات وغيرها ، كما لم تقنّن في أي مذهب مثل ما قنّنه الإمام في سياسته الرشيدة في المثل والقيم الكريمة ، وما تبنّاه من العدل الخالص والحقّ المحض .

رابعاً : من الصفات التي يجب توفّرها في الإمام الذي يتصدّى لزعامة الأمّة أن يكون تقيّاً ورعاً صالحاً لا يؤثر أي شيء على طاعة الله تعالى ، وهذه الصفة قد تميّز بها الإمام عليه‌السلام وحده ، فكانت من أبرز صفاته ، فقد تحرّج عن كلّ ما لا يقرّبه إلى الله تعالى زلفى ، وهو القائل :

« وَاللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا ، عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللهَ جُلْبَ شَعِيرَةٍ أَسْلُبُهَا مِن فَمِ نَمْلَةٍ مَا فَعَلْتُ » .

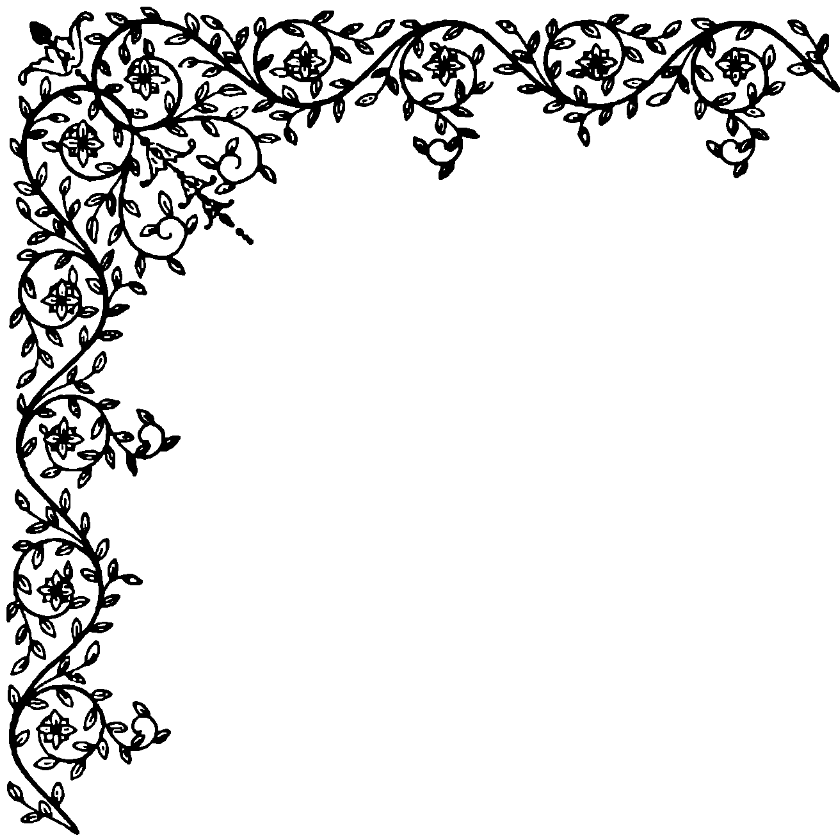
إنّ الإمام عليه السلام هو داعية الله تعالى الأكبر في الأرض بعد أخيه وابن عمّه الرسول محمّد صلى الله عليه وآله ، وقد حفل نهجه بالخطب الرائعة التي يدعو فيها إلى توحيد الله تعالى وطاعته .

وكان من مظاهر تقوى الإمام عليه السلام أنّه امتنع من إجابة عبدالرحمن بن عوف حينما ألحّ عليه بعد مقتل عمر بن الخطّاب أن يقلّده الخلافة بشرط أن يلتزم بسياسة الشيخين ويسير على منهجهما فامتنع كأشدّ ما يكون الامتناع ، وأصرّ على أن يسير في سياسته على وفق كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه ، واجتهاده الخاصّ ، ولو كان من طلّاب الملك والسلطان لأجابه إلى ذلك ، ثمّ يسير على وفق سياسته ، فإن اعترض عليه ابن عوف اعتقله وأودعه في السجون .

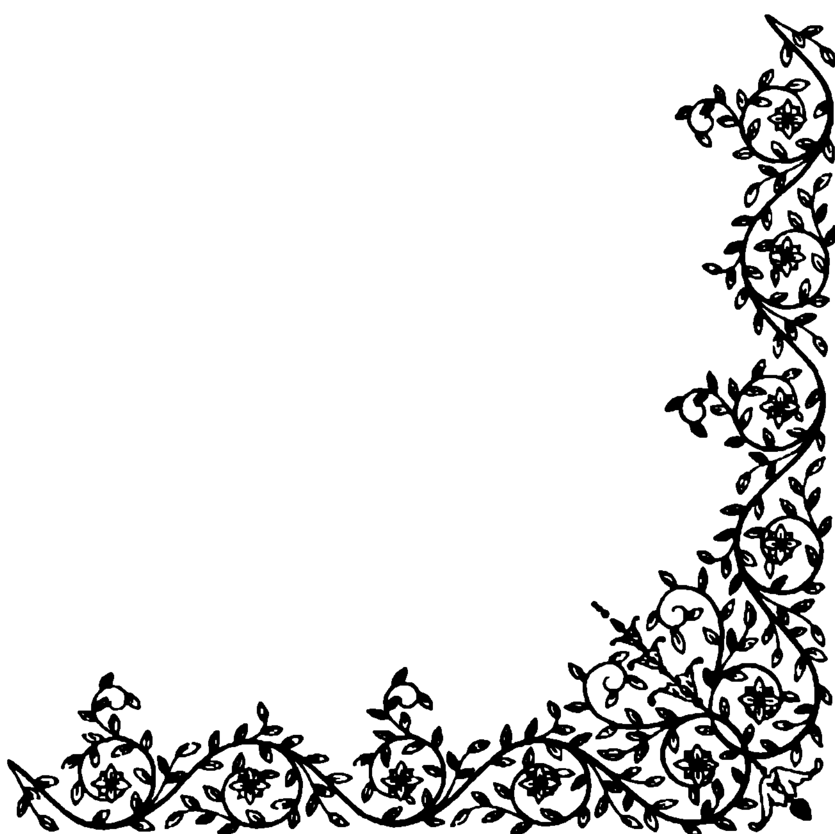
إنّ الإنسانيّة على ما جرّبت من تجارب ، وبلغت من رقي وإبداع في عالم السياسة والحكم ، فإنّها لم ترَ حاكماً في جميع فترات التاريخ مثل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في فضله وعلمه ونزاهته وتجرّده من جميع زخارف الحياة .

وعلى أي حال ، فهذه لمحات موجزة عن شخصيّة الإمام عليه السلام فكيف لا يرشّحه النبيّ صلى الله عليه وآله ويقيمه علماً لأمّته يهديها للتي هي أقوم .

إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بصورة جازمة لا تقبل الشكّ قد أقام الإمام عليه السلام خليفة ومرجعاً للأمّة ، وخصّه بهذا المنصب لا لقاعدة الوراثة وغيرها التي يؤول أمرها إلى التراب ، وإنّما لتوفّر الصفات الرفيعة في شخصيّته ، ولا نصيب من الصحّة للقول بأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قد أهمل أمر الخلافة ، ولم يعرض لها بقليل ولا بكثير ، وترك الأمّة تتردّى في متاهات سحيقة من الفوضى والجهل .



المأساة الخالدة



وبعد ما أقام النبيّ ﷺ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خليفة من بعده على اُمّته في غدير خم ، قفل راجعاً إلى المدينة ، وقد بدت صحّته تنهار يوماً بعد يوم ، فقد ألمّت به الأمراض ، وأصابته حمى مبرحة حتّى كأنّ به لهباً منها ، وقد لازمته ولم تنقطع عنه ، وكانت عليه قطيفة ، فإذا وضع أزواجه وعوّاده أيديهم عليها شعروا بحرّها [1] ، ووضعوا إلى جواره إناء فيه ماء بارد ، فكان يضع يده فيه ويمسح بها وجهه الشريف لتخفّ عنه حرارة الحمّى ، وذهبت بعض المصادر إلى أنّ مرضه مستند إلى طعام مسموم قدّمته يهوديّة له ، فكان يقول :

« ما أَزالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعامِ الَّذِي أَكَلْتُهُ بِخَيْبَر ، فَهٰذا أَوانُ ، وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذٰلِكَ السُّمِّ »[2] .

ولمّا اُشيع مرضه هرع المسلمون لعيادته ، وهم ما بين باكٍ وواجم ، فقد طافت بهم موجات من الألم والذهول ، فهل يغيب عنهم ذلك الكوكب الذي أضاء في سماء الكون ، وتختفي أنواره المشرقة ، وممّا زاد في ذهولهم أنّ النبيّ ﷺ استقبلهم بأسى بالغ ، ونعى إليهم نفسه الشريفة ، وأوصاهم بما يضمن سعادتهم قائلاً :

« أَيُّها النَّاسُ ، يُوشَكُ أَنْ أُقْبَضَ قَبْضاً سَرِيعاً فَيُنْطَلَقَ بِي ، وَقَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ الْقَوْلَ مَعْذِرَةً

---

(١) البداية والنهاية : ٥ : ٢٢٦ .

(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ : ٦٢ .

إِلَيْكُمْ ، أَلَا إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيْكُمْ كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي » .

وكان أخوه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى جانبه ، فأخذ بيده وقال لعوّاده :

« هٰذا عَلِيٌّ مَعَ الْقُرآنِ ، وَالْقُرآنُ مَعَ عَلِيٍّ ، لَا يَفْتَرِقانِ حَتّىٰ يَرِدا عَلَيَّ الْحَوْضَ »[1] .

وقد وضع النبيّ صلى الله عليه وآله أهمّ المخطّطات التي تضمن نجاح اُمّته وتقيها من الخطوب والأزمات فأوصاها بما يلي :

أوّلاً : التمسّك بكتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ثانياً : التمسّك بعترته الطاهرة ، دعاة العدل الاجتماعي في دنيا الإسلام ، وعلى رأس عترته الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فإنّهما الضمان لنجاح الاُمّة ووقايتها من الفتن والاضطراب .

إعطاء القصاص من نفسه صلى الله عليه وآله

ولمّا علم النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ لقاءه بربّه قريب دعا الفضل بن عبّاس ، فأمره أن يأخذ بيده ، ويجلسه على المنبر ، وأن ينادي بالنّاس الصلاة جامعة ، وأدّى الفضل ما أمر به ، فاجتمع النّاس ، فخطب فيهم النبيّ صلى الله عليه وآله ، وقال ـ بعد حمد الله تعالى والثناء عليه ـ :

« أَيُّها النَّاسُ ، إِنَّهُ قَدْ دَنا مِنِّي خُلُوفٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ ، وَلَنْ تَرَوْنِي فِي هٰذَا الْمَقامِ فِيْكُم ، وَقَدْ كُنْتُ أَرىٰ أَنَّ غَيْرَهُ غَيْرُ مُغْنٍ عَنِّي حَتّىٰ اُقَوِّمَهُ فِيْكُمْ ، أَلَا فَمَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْراً فَهٰذا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ ، وَمَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ مِنْهُ مالاً فَهٰذا مالِي فَلْيَأْخُذْ مِنْهُ ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضاً فَهٰذا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ... وَلَا يَقُولَنَّ قائِلٌ : أَخافُ الشَّحْناءَ مِنْ قِبَلِ رَسُولِ اللهِ ، أَلَا وَإِنَّ الشَّحْناءَ لَيْسَتْ مِنْ شَأْنِي وَلَا مِنْ خُلُقِي ، وَإِنَّ أَحَبَّكُم إِلَيَّ مَنْ أَخَذَ حَقّاً كانَ لَهُ عَلَيَّ ، أَوْ حَلَّلَنِي فَلَقِيْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ لِأَحَدٍ عِنْدِي مَظْلِمَةٌ » .

---

(١) الصواعق المحرقة : ٢ : ٣٦١ .

يا لروعة العدل !

يا لروعة الخلق النبويّ !

الله أكبر ! أي سموّ هذا ، وأي خُلق هذا ؟ لقد أسّس النبيّ ﷺ جميع صنوف العدل وسموّ الذات وكمال النفس .

لقد أعطى رسول الإنسانيّة القصاص من نفسه وهو في الساعات الأخيرة من حياته ليخرج من هذه الدنيا وليس لأي أحد عليه تبعة .. وانبرى إليه رجل من القوم فقال للنبيّ ﷺ :

« يا رسول الله ، لي عندك ثلاثة دراهم » .

فقابله النبيّ ﷺ بلطف قائلاً له :

« أَمّا أَنا فَلا أُكَذِّبُ قائِلاً ، وَلَا مُسْتَحْلِفُهُ عَلىٰ يَمِينٍ ، فَبِمَ كانَتْ لَكَ عِنْدِي ؟ » .

وسارع الرجل قائلاً :

« أما تذكر أنّه مرّ بك سائل فأمرتني أن أُعطيه ، فأعطيته ثلاثة دراهم » .

وأمر النبيّ ﷺ الفضل بإعطائه الدراهم ، فأعطاها له ، ثمّ عاد النبيّ ﷺ إلى خطابه قائلاً :

« مَنْ عِنْدَهُ مِنَ الْغُلُولِ شَيْءٌ فَلْيَرُدَّهُ » .

فقام إليه رجل فقال له :

« يا رسول الله ، عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله » .

فقال له النبيّ ﷺ :

« لِمَ غَلَلْتَها ؟ » .

« كنت محتاجاً إليها » .

فأمر النبيّ ﷺ بأخذها منه ، ثمّ عاد في خطابه :

« أَيُّها النَّاس ، مَنْ أَحَسَّ فِي نَفْسِهِ شَيْئاً فَلْيَقُمْ أَدْعُ اللهَ لَهُ » .

فقام إليه رجل فقال :

« يا رسول الله ، إنّي لمنافق ، وإنّي لكذوب ، وإنّي لشؤوم » .

فزجره عمر وصاح به :

« لقد سترك الله ، لو سترت على نفسك » .

والتفت النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عمر فقال له :

« صَهْ يابْنَ الْخَطَّابِ ! فُضُوحُ الدُّنْيا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ » .

ثمّ دعا النبيّ صلى الله عليه وآله للرجل قائلاً:

« اللّهُمَّ ارْزُقْهُ صِدْقاً وَإِيماناً ، وَأَذْهِبْ عَنْهُ الشُّؤْمَ »(١) .

وانبرى رجل من أقصى القوم يقال له سوادة بن قيس ، فقال :

« يا رسول الله ، إنّك ضربتني بالسوط على بطني ، وأنا أُريد القصاص منك » .

واستجاب النبيّ صلى الله عليه وآله له ، فقال لبلال :

« عَلَيَّ بِالسَّوْطِ لِيَقْتَصَّ مِنِّي سَوادَةُ » .

وذهل الحاضرون ، وساد عليهم صمت رهيب من هذ العدل ، وانطلق بلال رافعاً عقيرته قائلاً:

« أيّها الناس ، اعطوا القصاص من أنفسكم في دار الدنيا ، فهذا رسول الله قد أعطى القصاص من نفسه » .

ومضى بلال وهو خائر القوى إلى بيت النبيّ صلى الله عليه وآله فجاء بالسوط وناوله إلى سوادة ، فأخذه وأقبل به صوب النبيّ صلى الله عليه وآله الذي ألمّت به الأمراض ، وهو في الساعات

---

(١) البداية والنهاية : ٥ : ٢٣١ .

الأخيرة من حياته ، فقال للنبيّ ﷺ :

« يا رسول الله ، اكشف لي عن بطنك » .

وكشف الرسول ﷺ عن بطنه ، فقال له سوادة وهو غارق في البكاء :

يا رسول الله ، أتأذن لي أن أضع فمي على بطنك ؟ » .

« نَعَمْ » .

ووضع سوادة وجهه على بطن رسول الله ، ودموعه تتبلور على خدّيه ، وهو يقول بصوت حزين النبرات :

« أعوذ بموضع القصاص من رسول الله من النّار يوم النّار » .

والتفت إليه النبيّ ﷺ قائلاً :

« أَتَعْفُو يا سَوادَةُ أَمْ تَقْتَصُّ ؟ » .

« بل أعفو يا رسول الله » .

فشكره النبيّ ﷺ ورفع يديه بالدعاء له قائلاً :

« اللّٰهُمَّ اعْفُ عَنْ سَوادَةَ كَما عَفا عَنْ نَبِيِّكَ »[(١)] .

إنّ هذا الخلق النبوي أحقّ بالبقاء من هذا الكوكب الذي نعيش فيه ، فقد تجسّدت فيه جميع القيم الإنسانيّة التي سما بها النبيّ على جميع الأنبياء .

سرية أُسامة

واستبانت للنبيّ ﷺ التيارات الحزبية من صحابته الهادفة إلى صرف الخلافة عن أهل بيت النبوّة ومراكز العلم والحكمة ، فرأى خير ضمان يتدارك به الموقف أن يزجّ بجميع أصحابه لغزو الروم حتّى تخلو عاصمته منهم فيما إذا انتقل إلى حضيرة

---

(١) بحار الأنوار : ٢٢ : ٥٠٢ .

القدس ، ويتمّ بذلك تسلّم الإمام عليه السلام لمقاليد الحكم من دون منازع ، وأمر أعلام المهاجرين والأنصار بالالتحاق بالجيش ، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة الجرّاح ، وبشير بن سعد[١] ، وهؤلاء من أقطاب الحزب المعارض للإمام عليه السلام .

وعهد النبيّ صلى الله عليه وآله بإمارة الجيش إلى أُسامة بن زيد ، وهو في شرخ الشباب ، ولم يعهد بالإمارة إلى شيوخ الصحابة لأنّ في ذلك إشعاراً منه بأنّ القيادة العامّة لا تخضع لكبر السنّ ، وإنّما تخضع للمؤهّلات والقابليّات التي يتمتّع بها الشخص .

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله لأُسامة :

« سِرْ إلىٰ مَوْضِعِ قَتْلِ أَبِيكَ فَأَوْطِئْهُمُ الْخَيْلَ ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ هٰذَا الْجَيْشَ فَاغْزُ صَباحاً عَلىٰ أَهْلِ أَبنى[٢] وَحَرِّقْ عَلَيْهِم ، وَأَسْرِعِ السَّيْرَ لِتَسْبِقَ الْأَخْبارَ ، فَإِنْ أَظْهَرَكَ اللهُ عَلَيْهِم فَأَقْلِلِ اللَّبْثَ فِيْهِمْ ، وَخُذْ مَعَكَ الْأَدِلَّاءَ ، وَقَدِّمِ الْعُيونَ وَالطَّلَائِعَ مَعَكَ » .

وحفلت هذه الوصيّة بالمناهج العسكريّة الرائعة التي دلّت على مدى الخبرة المذهلة في الشؤون العسكريّة عند النبيّ صلى الله عليه وآله ، وفي اليوم التاسع والعشرين من صفر رأى النبيّ صلى الله عليه وآله جيشه قد مني بالتمرّد ، فلم يلتحق به أعلام الصحابة ، فساءه ذلك ، وخرج مع ما به من المرض ، فحثّهم على المسير ، وعقد بنفسه اللواء لأُسامة وقال له : **« اغْزُ بِسْمِ اللهِ ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ ، وَقاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ »** .

وخرج أُسامة معقوداً لواؤه ، فدفعه إلى بريدة وعسكر بالجرف[٣] ، وتثاقل بعض

---

(١) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ : ٨٥ . كنز العمّال : ٥ : ٣١٢ . الطبقات الكبرى / ابن سعد : ٤ : ٤٦ . تاريخ الخميس : ٢ : ٤٦ .

(٢) **أبنى** : ناحية بالبلقاء من أرض سوريا ، تقع بين عسقلان والرملة ، بالقرب من مؤتة التي استشهد فيها الشهيد الخالد جعفر الطيّار وزيد بن حارثة .

(٣) **الجرف** : موضع على ثلاثة أميال عن المدينة ، نحو جهة الشام ، كانت به أموال لعمر بن الخطّاب ولأهل المدينة ـ معجم البلدان : ٢ : ١٢٨ .

الصحابة من الالتحاق بالمعسكر، وأظهروا العصيان والتمرّد والطعن بقيادة أُسامة، يقول له عمر:

«مات رسول الله، وأنت عليَّ أمير؟».

ونقلت هذه الكلمات إلى النبيّ ﷺ، وقد ازدادت به الحمّى، فغضب، وخرج وهو معصب الرأس، قد دثّر بقطيفته، فاعتلى المنبر، وهو متبرّم، فأعلن سخطه البالغ على المتخلّفين عن جيش أُسامة، وقال:

«أَيُّها النَّاسُ، ما مَقالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْ بَعْضِكُمْ فِي تَأْمِيرِي أُسامَةَ؟ وَلَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي تَأْمِيرِي أَباهُ، وَأَيْمُ اللهِ إِنَّهُ كانَ لَخَلِيقاً بِالْإِمارَةِ وَإِنَّ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ لَخَلِيقٌ بِها»(١).

ثمّ نزل عن المنبر، وجعل يؤكّد على الالتحاق بالجيش، ويلعن مَن تخلّف عنه قائلاً:

«جَهِّزُوا جَيْشَ أُسامَةَ».

«نَفِّذُوا جَيْشَ أُسامَةَ».

«لَعَنَ اللهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْ جَيْشِ أُسامَةَ».

ولم تثر هذه الأوامر المشدّدة من رسول الله ﷺ حفائظ نفوسهم، ولم تدفعهم إلى الالتحاق بالجيش، فقد تثاقلوا واعتذروا للرسول ﷺ بشتّى المعاذير الواهية، وهو سلام الله عليه لم يمنحهم العذر، وإنّما أظهر لهم السخط وعدم الرضا.

أمّا الحكمة في تأمير أُسامة ـ وهو في شرخ الشباب ـ فهي ما يلي:

أوّلاً: سدّ جميع نوافذ الخلاف والطعن في خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باعتباره حدث السنّ، فإنّ أُسامة كان أصغر منه، وقد أسند إليه القيادة العامّة في جيشه.

---

(١) السيرة الحلبيّة: ٣: ٢٤٢.

ثانياً: إلغاء التقدّم في السنّ، وعدم الاعتناء به في استحقاق المناصب الرفيعة في الدولة مع الحرمان من القابليّات والمواهب، فإنّ إدارة شؤون الأُمّة إنّما يستحقّها ذوو الكفاءات والمعرفة بالشؤون الإداريّة.

وقد أعلن الإسلام ذلك. يقول صلى الله عليه وآله: **«مَنْ تَقَدَّمَ علىٰ قَوْمٍ مِنَ المُسْلِمِينَ وَهُوَ يَرىٰ أَنَّ فيهِم مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ فَقَدْ خانَ اللهَ وَرَسُولَهُ والمُسْلِمينَ»**[١].

وقال صلى الله عليه وآله: **«مَنْ تَقَدَّمَ عَلىٰ قَوْمٍ مِنَ المُسْلِمينَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ فيهِم مَنْ هُوَ أَوْلىٰ بِذلِكَ مِنْهُ، فَقَدْ خانَ اللهَ وَرَسولَهُ وَجَميعَ المُسْلِمينَ»**[٢].

إنّ الإسلام يحرص كلّ الحرص على تعيين خيرة الرجال في جهاز الدولة ليضعوا المصلحة العامّة نصب أعينهم، ويكونون أُمناءً فيما يجبونه من النّاس، وفيما ينفقونه على المرافق العامّة، وأن يسيروا بين النّاس بسيرة قوامها العدل الخالص، وليس لذلك أيّة علاقة بتقدّم السنّ.

ثالثاً: إنّ في تأمير الشاب أُسامة قد كبح جميع المناوئين للإمام أمير المؤمنين عليه السلام والحاقدين عليه.

هذه بعض البوادر التي تطلّ على المتأمّل في سريّة أُسامة، وهي صريحة الدلالة من قصد الرسول صلى الله عليه وآله في تأميره لأُسامة[٣].

رزيّة يوم الخميس

واستبان للرسول صلى الله عليه وآله بصورة مكشوفة تصميم بعض الصحابة على صرف الخلافة عن أهل البيت عليهم السلام، فرأى أن يعزّز بيعة يوم الغدير العامّة، ويدعمها بثبت خطّي،

---

(١) السنن الكبرى / البيهقي: ١٠: ١١١.

(٢) تمهيد الباقلاني: ١٩٠.

(٣) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ١: ١٢٤.

فقال : « ائْتُونِي بِالْكَتِفِ وَالدَّواةِ لِأَكْتُبَ لَكُمْ كِتاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَداً » .

يا لها من نعمة كبرى على المسلمين ، إنّ الكتاب يضمن للمسلمين سلامتهم من الغيّ والفتن والأزمات على امتداد التاريخ ، انّه التزام بذلك من سيّد الكائنات .

إنّه صيانة للأُمّة من الزيغ والانحراف ، والتردّي في مجاهل الحياة ، وعلم بعض الصحابة ما يريده النبيّ ﷺ من نصب الإمام عليه‌السلام خليفة على المسلمين ، فقال :

« حسبنا كتاب الله » .

إنّه مهاجمة صريحة لرسول الله ﷺ الذي قرن سعادة أُمّته بالتمسّك بالكتاب والعترة ، فقد حذف العترة وذكر الكتاب .

إنّ المتأمّل في هذا الكلام يطلّ على الغاية المنشودة لهذا القائل ، وهي صرف النبيّ ﷺ عن الكتابة في حقّ الإمام أمير المؤمنين عليه‌السلام ، فلو كان يعتقد أنّ النبيّ ﷺ يريد أن يوصي بالمحافظة على الطقوس الدينيّة لما ردّ عليه بهذه الجرأة ، ووقف بصلابة دون تنفيذ رغبته .

وعلى أي حال ، فقد كثر الجدل بين القوم ، فطائفة حاولت تنفيذ ما أمر به النبيّ ﷺ ، وطائفة أُخرى أصرّت على معارضتها للرسول ﷺ ، والحيلولة بينه وبين الكتابة ؛ وذلك خوفاً على فوات مصالحها وأطماعها .

وانطلقت بعض السيّدات من أُمّهات المؤمنين وغيرهنّ من وراء الستر ، فأنكرن على القوم هذا الموقف المتّسم بالجرأة على النبيّ ﷺ وهو في الساعات الأخيرة من حياته ، فقلن لهم :

« ألا تسمعون ما يقول رسول الله ؟ » .

« ألا تنفّذون ما يريد رسول الله ؟ » .

فثار عمر وهو بطل الموقف ، وزعيم المعارضة فصاح بالنساء قائلاً :

« إنّكنّ صويحبات يوسف إذا مرض عصرتن أعينكن ، وإذا صحّ ركبتن عنقه » .

فرمقه الرسول بطرفه غضباناً ، وصاح به :

« دَعُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ خَيْرٌ مِنْكُمْ » .

وبدا صراع رهيب بين القوم وكادت تفوز الجبهة التي أرادت الكتابة ، فانبرى شخص فسدّد سهماً لما أراده النبيّ ﷺ ، فقال ـ ويا لهول ما قال ـ :

« إنّ النبيّ لَيَهْجُر »[١] !

ما أعظم هذه الجرأة على النبي ﷺ !

ما أقسى هذا الاعتداء على مركز النبيّ ﷺ !

يالها من كلمة تحمل جميع ألوان الشرّ !

ألم يسمع هذا القائل كلام الله تعالى في شأن النبيّ العظيم ، قال تعالى :

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾[٢] ؟

ألم تمرّ عليه هذه الآية في سموّ مكانة النبيّ ﷺ :

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾[٣] ؟

بلى والله ! لقد سمع هذا القائل ما أنزل الله تعالى من آيات بيّنات في شأن رسوله الكريم ، ولكنّ الأطماع السياسيّة والتهالك على الإمرة والسلطان دفعت القائل إلى هذا الموقف الذي جرّ للمسلمين الفتن والأزمات وألقاهم في شرّ عظيم ، وكان ابن عبّاس إذا ذكر هذا الحادث الرهيب يذوب أسى ولوعة ، ويبكي حتّى تسيل دموع

---

(١) نصّ على هذه الحادثة المؤلمة جميع المؤرّخين ، ذكرها البخاري في صحيحه عدّة مرّات ، في : ٤ : ٦٨ و ٦٩ ، وكتم اسم القائل ، وفي نهاية ابن الأثير وشرح نهج البلاغة : ٣ : ١٩٤ ذكروا اسم القائل وأنّه عمر بن الخطّاب .

(٢) النجم ٥٣ : ٢ ـ ٥ .

(٣) التكوير ٨١ : ١٩ و ٢٠ .

عينيه على خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ وهو يقول:

« يوم الخميس، وما يوم الخميس؟ قال رسول الله ﷺ: **« ائْتُونِي بِالْكَتِفِ وَالدَّواةِ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتاباً لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبداً »**، فقالوا: إنّ رسول الله يهجر »[١].

ومن المؤكّد أنّ ابن عبّاس إنّما غرق بالبكاء لأنّه على علم بأنّ النبيّ ﷺ أراد أن ينصّ على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد اتّهموا النبيّ ﷺ بالهجر وعدم الوعي الذي فيه طعن صريح بشخصيّة الرسول ﷺ الأمر الذي دعاه أن يُعرض عن الكتابة حفظاً على قداسة النبوّة.

فجيعة الزهراء عليها السلام

منيت زهراء الرسول عليها أفضل الصلوات بكارثة مدمّرة حينما علمت أنّ أباها سيفارق الحياة، فقد نخب الحزن قلبها الرقيق، وهامت في تيّارات من الأسى واللوعة، وقد لازمت أباها وهي مذهولة كأنّها جثمان فارق الحياة، وقد أحدقت بوجهه الشريف، فسمعته يقول:

« وَاكَرْباه! ».

فأسرعت قائلة ـ ودموعها تتبلور على وجهها الشريف ـ:

« وَاكَرْبي! لِكَرْبِكَ يا أَبَتِ ».

وأشفق عليها أبوها وراح يسلّيها قائلاً:

« لا كَرْبَ عَلىٰ أَبيكِ بَعْدَ الْيَوْمِ »[٢].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ١: ٣٥٥.

(٢) حياة الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: ١: ١٢٨، نقلاً عن كنز العمّال: ٧: ١١٠، شرح نهج البلاغة: ٤: ٤.

وكانت هذه الكلمات أشدّ عليها من الموت ، ورآها النبيّ صلى الله عليه وآله وهي ولهى قد خطف الحزن لونها ، كأنّها تعاني آلام الاحتضار ، فأمرها بالدنوّ منه ، فأسرّ لها بحديث ففاضت عيناها بالدموع ، ثمّ أسرّ لها بحديث ثانياً فقابلته ببسمات فيّاضة بالبشر والرضا ، ورأت ذلك عائشة فبهرت وراحت تقول :

« ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن » !

وسألتها عمّا أسرّ إليها أبوها ، فأشاحت بوجهها عنها ، وأبت أن تخبرها ، ولمّا انصرفت أخبرت سلام عليها بعض السيّدات عن ذلك فقالت :

« أَخْبَرَنِي أَنَّ جَبْرَئيلَ كَانَ يُعارِضُني بِالْقُرآنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، وَإِنَّهُ عارَضَنِي بِهِ فِي هٰذَا الْعامِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَا أَراهُ إِلَّا قَدْ حَضَرَ أَجَلِي » .

وكان هذا هو السبب في لوعتها وبكائها ، أمّا السبب في سرورها وابتهاجها فقالت :

« أَخْبَرَنِي أَنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لُحُوقاً بِي ، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنا لَكِ ، أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِساءِ هٰذِهِ الْأُمَّة »(١) ؟

وكانت بضعة الرسول صلى الله عليه وآله إلى جانب أبيها تمرّضه ، وقد ذابت نفسها شعاعاً وحزناً ، وقد أخذ يصبّرها ويخفّف عنها لوعة الحزن قائلاً :

« يا بُنَيَّةُ ، لَا تَبْكِي ، وَإِذا مِتُّ فَقُولي : إِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ، فَإِنَّ فِيها مِنْ كُلِّ مَيِّت مَعُوضَةً » .

فتجيبه بدموع وصوت متقطّع حزين قائلة :

« وَمِنْكَ يا رَسُولَ اللهِ ؟ » .

---

(١) أنساب الأشراف ـ القسم الأوّل : ١ : ١٣٣ .

«نَعَم ، وَمِنّي»(١) .

واشتدّ الوجع بالنبيّ ﷺ فقالت له بضعته :

«أَنْتَ وَاللهِ ! كَما قالَ الْقائِلُ :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمامُ بِوَجْهِهِ ثِمالُ الْيتامىٰ عِصْمَةٌ لِلْأَرامِلِ»

فقال لها أبوها :

«هٰذا قَوْلُ عَمِّكِ أَبِي طَالِبٍ» ، وقرأ قوله تعالى : **﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾**(٢) .

النبيّ ﷺ يوصي بأهل بيته عليهم السلام

روى أنس بن مالك ، قال : جاءت فاطمة ومعها الحسنان إلى رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفيّ فيه فانكبّت عليه ، وألصقت صدرها بصدره وهي غارقة في البكاء ، ثمّ انطلقت إلى بيتها ، والنبيّ غارق في البكاء وهو يقول :

«اللّهُمَّ أَهْلَ بَيْتِي ، وَأَنا مُسْتَوْدِعُهُمْ كُلَّ مُؤْمِنٍ» .

وجعل يردّد ذلك ثلاث مرّات(٣) ، لقد استشفّ من وراء الغيب ما يجري عليهم من الكوارث والمحن والخطوب .

وصيّة النبيّ ﷺ بسبطيه عليهما السلام

وقبل أن ينتقل النبيّ ﷺ إلى حظيرة القدس بثلاثة أيام أوصى أخاه وباب مدينة

---

(١) أنساب الأشراف ـ القسم الأوّل : ١ : ١٣٣ .

(٢) و (٣) المصدر المتقدّم . آل عمران ٣ : ١٤٤ .

علمه أمير المؤمنين عليه السلام برعاية سبطيه قائلاً:

« يا أَبا الرَّيحانَتَيْنِ ، أُوْصِيْكَ بِرَيْحانَتَيَّ مِنَ الدُّنْيا ، فَعَنْ قَلِيلٍ يَنْهَدُّ رُكْناكَ ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ » .

ولمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله قال الإمام:

« هٰذا أَحَدُ رُكْنَيَّ الَّذِي قالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله » .

ولمّا توفّيت سيّدة نساء العالمين قال:

« هٰذا الرُّكْنُ الثَّانِي الَّذِي قالَ لِي رَسُولُ اللهِ »(١) .

إلى الفردوس الأعلى

وآن لسيّد الكائنات أن يلتحق بالفردوس الأعلى ، ويودّع الحياة ، فقد وفد عليه ملك الموت ، فاستأذن بالدخول عليه ، فأخبرته زهراء الرسول عليها السلام أنّه مشغول بنفسه عنه ، فانصرف ، وبعد قليل عاد طالباً الإذن ، فأفاق النبيّ صلى الله عليه وآله وقال لبضعته:

« أَتَعْرِفِينَهُ ؟ » .

« لَا ، يا رَسُولَ اللهِ » .

« إِنَّهُ مُعَمِّرُ الْقُبورِ ، وَمُخَرِّبُ الدُّورِ ، وَمُفَرِّقُ الْجَماعاتِ » .

وذهلت حبيبة النبيّ صلى الله عليه وآله ، واندفعت بألم وحزن تقول:

« وَا أَبَتاه ! لِمَوْتِ خاتَمِ الْأَنْبِياءِ ، وَامُصِيبَتاه ! لِمَماتِ خَيْرِ الْأَتْقِياءِ ، وَلِانْقِطاعِ سَيِّدِ الْأَصْفِياءِ ، واحَسْرَتاه ! لِانْقِطاعِ الْوَحِي مِنَ السَّماءِ ، فَقَدْ حُرِمْتُ الْيَوْمَ كَلامَكَ » .

---

(١) أمالي الصدوق: ١١٩.

وتصدّع قلب النبيّ ﷺ ، وراح يسلّي بضعته قائلاً :

« **لا تَبْكِي فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقاً بِي** »[١] .

وأذن النبيّ ﷺ لملك الموت بالدخول عليه ، ولمّا مثل أمامه قال له :

« **يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُطِيعَكَ فِي كُلِّ ما تَأْمُرُنِي بِهِ ، إِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْبِضَ نَفْسَكَ قَبَضْتُها ، وَإِنْ تَأْمُرْنِي أَنْ أَتْرُكَها تَرَكْتُها** » .

وبهر النبيّ ﷺ وقال :

« **أَتَفْعَلُ يا مَلَكَ الْمَوْتِ ذلِكَ ؟** » .

« **بِذٰلِكَ أُمِرْتُ أَنْ أُطِيعَكَ فِي كُلِّ ما أَمَرْتَنِي** » .

ولم يحظ أحد من أنبياء الله تعالى بهذه المنزلة بمثل ما حظي به سيّد الأنـبياء محمّد ﷺ ، وهبط عليه جبرئيل فقال له :

« **يا أَحْمَدُ ، إِنَّ اللهَ قَدِ اشْتاقَ إِلَيْكَ** » .

واختار النبيّ ﷺ جوار ربّه ، فإنّ الآخرة خير له من الدنيا وأبقى .

وأذن النبيّ ﷺ لملك الموت باستلام روحه المقدّسة ، ودعا وصيّه وباب مدينة علمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فلمّا مثل أمامه قال له :

« **ضَعْ رَأْسِي فِي حِجْرِكَ ، فَقَدْ جاءَ أَمْرُ اللهِ ، فَإِذا فاضَتْ نَفْسِي فَتَناوَلْها ، وَامْسَحْ بِها وَجْهَكَ .**

ثُمَّ وَجِّهْنِي إِلَى الْقِبْلَةِ ، وَتَوَلَّ أَمْرِي ، وَصَلِّ عَلَيَّ أَوَّلَ النّاسِ ، وَلَا تُـفارِقْنِي حَـتّىٰ تُوارِيَنِي فِي رَمْسِي وَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ » .

وأخذ الإمام عليه السلام رأس النبيّ فوضعه في حجره ، ومدّ يده اليمنى تحت حنكه ،

---

(١) درّة الناصحين : ٦٦.

وأخذ النبي يعاني آلام الموت وقسوته حتى فاضت روحه العظيمة إلى بارئها، فمسح بها الإمام عليه السلام وجهه الشريف(١).

لقد مادت الأرض، وخبا نور العدل، وانطفأت تلك الشعلة المشرقة التي أضاءت سماء الدنيا بالعدل والعلم والإيمان، ودمّرت معالم الجاهليّة وأوثانها.

يا لمدينة الرسول، وآل الرسول من هول هذه الكارثة.

يا له من يوم خالد في دنيا الأحزان، يوم ليس كمثله في الأيّام الحالكات التي عمّ فيها الظلام.

ووجم المسلمون، وطاشت أحلامهم، وهرعت السيّدات صوب دار الرسول ﷺ، وهن يلدمن الوجوه، قد علت أصواتهنّ بالبكاء، أمّا أمّهات المؤمنين فقد وضعن الجلاليب عن رؤوسهنّ، وهن يلدمن صدورهنّ، وأمّا نساء الأنصار فقد ذبحت حلوقهنّ من كثرة العويل(٢).

وكان أعظم أهل البيت لوعة وحزناً بضعة الرسول وريحانته، فقد وقعت على الجثمان المقدّس وهي تبكي أمرّ البكاء، وتقول بذوب روحها:

«وا أَبَتاه!».

«وا نَبِيَّ الرَّحْمَة».

«اَلْآنَ لَا يَأْتِي الْوَحي. اَلْآنَ يَنْقَطِعُ عَنّا جَبْرَئِيلُ، اللّٰهُمَّ أَلْحِقْ رُوحِي بِرُوحِهِ،

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ١: ٢٩، وتواترت الأخبار أنّ النبيّ ﷺ توفّي ورأسه في حجر الإمام.

جاء ذلك في: الطبقات الكبرى: ٢: ٥١. مجمع الزوائد: ١: ٢٩٣. كنز العمّال: ٤: ٥٥. ذخائر العقبى: ٩٤. الرياض النضرة: ٢: ٢١٩.

(٢) أنساب الأشراف ـ القسم الأوّل: ١: ٥٧٤.

وَاشْفَعْنِي بِالنَّظَرِ إِلىٰ وَجْهِهِ ، وَلَا تَحْرِمْنِي أَجْرَهُ وَشَفاعَتَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ »[١] .

وأخذت تجول حول الجثمان العظيم وهي ولهى قد أخرسها الخطب قائلة :

« وَا أَبَتاهْ ! إِلَى جَبْرَئِيلَ أَنْعَاهُ » .

« وَا أَبَتاهْ ! جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ » .

« وَا أَبَتاهْ ! أَجَابَ رَبّاً دَعَاهُ »[٢] .

ومادت الأرض ، وذهل المسلمون حتّى عن نفوسهم ، فيالهول الفاجعة الكبرى .

تجهيز الجثمان العظيم

وتولّى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تجهيز أخيه ؛ وذلك بأمر منه ، وهو يذرف أحرّ الدموع ، فغسّل الجسد الطاهر وهو يقول :

« بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يا رَسُولَ اللهِ ! لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ ما لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْإِنْباءِ وَأَخْبارِ السَّماءِ . خَصَّصْتَ حَتّىٰ صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِواكَ ، وَعَمَّمْتَ حَتّىٰ صارَ النّاسُ فِيكَ سَواءً . وَلَوْلا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ ، لَأَنْفَدْنا عَلَيْكَ ماءَ الشُّؤُونِ وَلَكانَ الدّاءُ مُماطِلاً ، وَالْكَمَدُ مُحالِفاً »[٣] .

وتحدّث الإمام عليه السلام عمّن أعانه على غسله ، فقال :

« وَلَقَدْ وَلِيتُ غُسْلَهُ ـ صلى الله عليه وآله ـ وَالْمَلائِكَةُ أَعْوانِي ، فَضَجَّتِ الدّارُ وَالْأَفْنِيَةُ ، مَلأٌ يَهْبِطُ

---

(١) تاريخ الخميس : ٢ : ١٩٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٢ : ٨٨ . سنن ابن ماجة : ١ : ٥١١ ، وجاء فيه :

عن حمّاد بن زيد ، قال : رأيت ثابتاً راوي الحديث حينما يحدّث به يبكي حتّى رأيتُ أضلاعَهُ تَخْتَلِفُ .

(٣) نهج البلاغة : ٢ : ٢٥٥ .

وَمَلأٌ يَعْرُجُ ، وَما فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ[١] يُصَلُّونَ عَلَيْهِ ».

وكان العباس عمّ النبيّ صلى الله عليه وآله وأُسامة يناولان الإمام الماء من وراء الستر[٢] ، وكان الطيب يفوح من الجسد الطاهر ، والإمام يقول :

« بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يا رَسُولَ اللهِ ، طِبْتَ حَيّاً وَمَيّتاً »[٣] ، أمّا الماء الذي غسّل به الجسد الطاهر فهو من بئر يقال لها الفرس ، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله يشرب منها[٤] .

وبعدما فرغ الإمام من غسل الجسد الطاهر أدرجه في أكفانه ووضعه على السرير .

الصلاة على الجثمان العظيم

وأوّل من صلّى على الجثمان العظيم هو الله تعالى من فوق عرشه ، ثمّ جبرئيل ، ثمّ إسرافيل ، ثمّ الملائكة زمراً زمراً[٥] ، وهرع المسلمون للصلاة على جثمان نبيّهم ، فقال لهم الإمام :

« لَا يَقُومُ عَلَيْهِ إِمامٌ مِنْكُمْ ، هُوَ إِمامُكُم حَيّاً وَمَيّتاً » ، فكانوا يدخلون عليه رسلاً رسلاً فيصلّون عليه صفّاً ليس لهم إمام ، وأمير المؤمنين واقف إلى جانب الجثمان وهو يقول :

« السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّها النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ . . اللّهُمَّ اشْهَدْ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ ما أُنزِلَ إِلَيْهِ ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ ، وَجاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتّىٰ أَعَزَّ اللهُ دِينَهُ وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ ، اللّهُمَّ فَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَتَّبِعُ ما أُنزِلَ إِلَيْهِ ، وَثَبِّتْنا بَعْدَهُ ، وَاجْمَعْ بَيْنَنا وَبَيْنَهُ » .

---

(١) **الهينمة** : الصوت الخفيّ .

(٢) البداية والنهاية : ٥ : ٢٦٣ .

(٣) الطبقات الكبرى : ٢ : ٦٣ .

(٤) البداية والنهاية : ٥ : ٢٦١ .

(٥) حلية الأولياء : ٤ : ٧٧ .

وكان المصلّون يقولون بعد ذلك: آمين[١]، وكانت جموع المسلمين بعد الصلاة تمرّ على الجثمان العظيم فتلقي عليه نظرة الوداع الأخيرة وهي مذهولة غارقة في تيّارات من الأسى والحزن، فقد مات المنقذ، ومات المعلّم، ومات من أسّس لهم دولة سيطرت على معظم أنحاء العالم.

مواراة الجثمان العظيم

وبعدما فرغ المسلمون من أداء الصلاة على الجثمان المقدّس قام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فحفر القبر، وبعد الانتهاء منه وارى جثمان سيّد الكائنات، وأسمى شخصيّة خلقها الله تعالى في هذا الكون، وأفضل داعية لله تعالى في الأرض، ووقف الإمام على حافّة القبر وهو يروي ترابه من ماء عينيه قائلاً:

إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ، وَإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ، وَإِنَّ الْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ، وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ»[٢].

وانطوت في ذلك اليوم الخالد في دنيا الأحزان ألوية العدل، وغاب ذلك النور الإلهي الذي أضاء سماء الكون وغيّر مجرى حياة الإنسان من واقع مظلم ليس فيه بصيص من النور إلى تاريخ مشرق بالوعي والفكر، قد غابت فيه آهات المظلومين وأنين المحرومين.

تأبين الإمام عليه السلام

وألقى الإمام عليه السلام كلمة تأبينيّة للرسول صلى الله عليه وآله وختمها بهذه الأبيات:

«ما فاضَ دَمْعِي عِنْدَ نـازِلَةٍ إِلَّا جَـعَلْتُكَ لِـلْبُكا سَـبَبا

---

(١) كنز العمّال: ٤: ٥٤.

(٢) نهج البلاغة: ٣: ٢٢٤.

فَإِذا ذَكَـرْتُكَ سـامَحَتْكَ بِـهِ مُقَلُ الْجُفُونِ فَفاضَ وَانْسَكَبا
إِنِّي أُجِـلُّ ثَـرىً حَـلَلْتَ بِـهِ مِنْ أَنْ أُرىٰ بِسِواهُ مُكْتَئِبا »[١]

فزع أهل البيت عليهم السلام

وفزع أهل البيت عليهم السلام كأشدّ ما يكون الفزع ، وداخلهم خوف رهيب من الأُسر القرشيّة الذين وترهم الإمام عليه السلام بسيفه ، وكانت تتربّص بالإمام عليه السلام الدوائر ، وتبغي له الغوائل ، وقد بات هو وأهل بيته بأطول ليلة قد حاطت بهم الهواجس والآلام ، وقد حكى الإمام الصادق عليه السلام مدى ذعرهم بقوله : « **لَمّا ماتَ النَّبِيُّ ﷺ باتَ أَهْلُ بَيْتِهِ كَأَنْ لَا سَماءَ تُظِلُّهُم ، وَلَا أَرْضَ تُقِلُّهُم ؛ لِأَنَّهُ وَتَرَ الْأَقْرَبَ وَالْأَبْعَدَ** »[٢] .

ومنذ وفاة النبيّ ﷺ تتابعت المحن والخطوب على أهل بيته ، يتبع بعضها بعضاً ، فقد انتقمت منهم قريش ، وأعلنت بصراحة : « لا تجتمع النبوّة والخلافة في بيت واحد » ، فأبعدتهم عن مراكزهم ، وحالت بينهم وبين ما أراده الله تعالى ورسوله لهم ، فلم تمض على انتقال النبيّ ﷺ إلى حظيرة القدس خمسون عاماً وإذا بهم في موكب جهير يطوف الأقطار حاملين رؤوس أبنائه على أطراف الرماح ، وبناته سبايا يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون .

وبهذا نطوي الصفحات الأخيرة من دراستنا لحياة الرسول الأعظم ﷺ ، سائلاً من الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد ، وأن ينتفع به اخواننا القرّاء ، إنّه تعالى وليّ ذلك والقادر عليه .

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله الطاهرين

---

(١) ربيع الأبرار : ٤ : ١٩٢ .

(٢) موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام : ٢ : ٩٦ ـ ٩٧ .

المَصَادِرُ



١ ـ **أبو طالب وبنوه**: عليخان، محمّد عليّ.

٢ ـ **اتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين**: الزبيدي = المرتضى = محمّد الحسيني (ـ ١٢٥١هـ): دار الفكر ـ بيروت.

٣ ـ **أثر التشيّع في الأدب العربي**: محمّد سيّد الكيلاني: دار الكتاب العربي ـ القاهرة / ١٩٤٧م.

٤ ـ **أحكام القرآن**: الجصّاص = أحمد بن عليّ (٣٥٠ ـ ٣٧٠هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٢م.

٥ ـ **إحياء علوم الدين**: الغزالي، محمّد بن محمّد (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ): المكتبة العصريّة ـ بيروت / ٢٠٠٠م.

٦ ـ **أخبار مكّة**: الأزرقي = محمّد بن عبدالله بن أحمد: دار الثقافة ـ مكّة المكرّمة / ١٩٦٥م.

٧ ـ **الأخلاق النبويّة**: محمّد ياقوت.

٨ ـ **أدب الدنيا والدين**: الماوردي = أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب البصري الشافعي (٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ): مكتبة الشرق الجديد ـ بغداد / ١٩٨٣م.

٩ ـ **الأدب المفرد**: البخاري، أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفيّ (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ): عالم الكتب ـ بيروت / ١٤٠٥هـ.

١٠ ـ **الأزريّة** : الأزري ، عبدالحسين (١٨٨٠ ـ ١٩٥٤م) : تحقيق : جابر الكاظمي ، دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

١١ ـ **أسباب النزول** : الواحدي النيسابوري ، عليّ بن أحمد (ـ ٤٦٨هـ) : نـي ـ طـهران / ١٣٨٣هـ . ش .

١٢ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** : ابن عبدالبرّ = أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد النمري القرطبيّ الأندلسي (٣٦٨ ـ ٤٦٣هـ) : دار الإسلام ـ عمّان / ٢٠٠٢م .

١٣ ـ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة** : ابن الأثير الجزري = عزّ الدين عليّ بن محمّد بن محمّد (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٦م .

١٤ ـ **الإسلاميّات** : العقّاد ، عبّاس محمود (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤هـ) : دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٩٧٤م .

١٥ ـ **أسنى المطالب في نجاة أبي طالب** : زيني دحلان ، نورالدين أحمد الشافعي (١٨١٦ ـ ١٨٨٦م) : نى ـ طهران / ١٩٩٠م .

١٦ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** : ابن حجر العسقلانيّ = شهاب الديـن أحـمد بـن عـليّ الشافعي (٧٣٣ ـ ٨٥٢هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ٢٠٠١م .

١٧ ـ **الأصنام** : ابن الكلبي : الأميريّة ـ القاهرة / ١٩١٤م .

١٨ ـ **إعجاز القرآن** : الباقلاني = أبو بكر بن الطيّب : دار المعارف ـ القاهرة .

١٩ ـ **أعلام السائلين** : ابن طولون الدمشقي ، شمس الدين .

٢٠ ـ **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام** : كحّالة ، عمر رضـا : مـؤسّسة الرسـالة ـ بيروت / ١٩٨٤م .

٢١ ـ **الاكتفاء** : ابن ربيع الكلامي : باريس / ١٩٣١م .

٢٢ ـ **الأمالي**: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ـ ٣٨١هـ): تحقيق ونشر: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ.

٢٣ ـ **الأمالي وذيله**: القالي البغدادي = إسماعيل بن القاسم (٢٨٨ ـ ٣٥٦هـ): ملتقى مصري ـ الاسكندريّة / ١٩٩٩م.

٢٤ ـ **أمالي المرتضى = غرر الفوائد ودرر القلائد**: الشريف المرتضى = علم الهدى أبي القاسم عليّ بن الحسين الموسوي (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ): دار الكتاب العربي ـ بيروت / ١٣٨٧هـ.

٢٥ ـ **إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع**: تقي الدين المقريزيّ، أحمد بن عليّ بن عبدالقادر (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ): تحقيق وتعليق: محمّد عبدالحميد النميسي، منشورات محمّد علي بيضون ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٦ ـ **الامتاع والمؤانسة**: أبو حيّان التوحيدي = عليّ بن محمّد: مكتبة الهلال ـ بيروت / ٢٠٠٢م.

٢٧ ـ **الأمثال والحكم**: الماوردي = أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب البصري الشافعي (٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ).

٢٨ ـ **أنساب الأشراف**: البلاذريّ، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ـ ٢٧٩هـ): تحقيق: د. سهيل زكار و د. رياض زكلي، دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٧هـ.

٢٩ ـ **الأنوار الساطعة في خديجة**: السيلاوي، غالب: الطبعة الأولى / ١٤٢١هـ.

٣٠ ـ **الإيمان**: ابن مندة الأصفهاني (ـ ٤٧٥هـ).

. . . .

٣١ ـ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**: العلّامة المجلسيّ = محمّدباقر بن محمّد تقي (١٠٣٧ ـ ١١١١هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٩م.

٣٢ ـ **البداية والنهاية في التاريخ = تاريخ ابن كثير**: ابن كثير الدمشقي = عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ): تحقيق: مكتب تحقيق التراث، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٣م.

٣٣ ـ **البلد الأمين**: الكفعميّ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العامليّ الحارثيّ (٨٤٠ ـ ٩٠٥هـ): مؤسّسة قائم آل محمّد عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٣٤ ـ **بلوغ الإرب**: العلّامة الشرنبلالي.

٣٥ ـ **بهجة المجالس وأُنس المجالس**: ابن عبدالبرّ = يوسف بن عبدالله النمريّ القرطبيّ: الدار المصريّة ـ القاهرة / ١٩٠٠م.

٣٦ ـ **البيان والتبيين**: الجاحظ، عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ): مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٦٨م.

٣٧ ـ **التذكرة السعديّة**: العبيدي، محمّد العبيدي.

٣٨ ـ **الترغيب والترهيب في الحديث الشريف**: زكي الدين المنذري، عبدالعظيم: دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت / ١٣٨٨هـ.

٣٩ ـ **تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر**: أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن عليّ بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب (٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ): تعليق: محمود ديوب، منشورات دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٤٠ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام**: شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ): دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٤م.

٤١ ـ **تاريخ بغداد**: الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ (٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ): تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٤٢ ـ **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**: الدياربكريّ = حسين بن محمّد بن حسن (ـ ٩٦٦هـ): مؤسّسة شعبان ـ بيروت / ١٩٩٠م.

٤٣ ـ **تاريخ الطبري = تاريخ الأُمم والملوك**: الطبري، أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن خالد (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ): مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٤٤ ـ **تاريخ اليعقوبيّ**: اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ـ ٢٧٨هـ): دار صادر ـ بيروت / ١٩٨٤م.

٤٥ ـ **تحف العقول عن آل الرسول**: ابن شعبة الحرّانيّ، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين (من أعلام القرن الرابع الهجري): دار الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة / ١٤٢١هـ.

٤٦ ـ **التذكرة الحمدونيّة**: ابن حمدون، أبو المعالي محمّد البغداديّ: دار صادر ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٩٩٦م.

٤٧ ـ **تذكرة خواص الأُمّة**: سبط ابن الجوزيّ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ): منشورات الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٤٨ ـ **تفسير الآلوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود الآلوسي البغدادي (١٢١٧ ـ ١٢٧٠هـ): دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م (٣٠ جزءاً في ١٦ مجلّداً).

٤٩ ـ **تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم**: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي القرشي (٧٠١ ـ ٧٧٤هـ): تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٥٠ ـ **تفسير الزمخشري = الكشّاف عن حقائق التنزيل**: جار الله الزمخشري = أبو القاسم محمود بن عمر (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ): مؤسّسة التاريخ العربي ـ بيروت / ٢٠٠٠م.

٥١ - **تفسير السيوطي = الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور**: جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ - ٩١١هـ): تصحيح وتخريج الأحاديث: الشيخ نجدت نجيب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م (٨ مجلّدات).

٥٢ - **تفسير الطبرسي = مجمع البيان**: أمين الإسلام، أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطوسي (٤٦٨ - ٥٤٨هـ): تحقيق: السيّد هاشم الموسوي المحلّاتي والسيّد فضل الله اليزدي الطباطبائي: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية / ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.

٥٣ - **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**: أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (- ٣١٠هـ): تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، (٢٤ مجلّداً + مجلّدا الفهارس).

٥٤ - **تفسير الفخر الرازي = التفسير الكبير = مفاتيح الغيب**: خطيب الريّ، فخر الدين أبي عبدالله محمّد بن ضياء الدين عمر بن الحسن بن الحسين (٥٤٤ - ٦٠٦هـ): تقديم: الشيخ خليل محيي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م (٣٢ جزءاً في ١٦ مجلّداً + مجلّد الفهرس).

٥٥ - **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن**: أبو عبدالله محمّد بن أحمد القرطبي الأنصاري (- ٦٧١هـ): التحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب - الرياض ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

٥٦ - **تمهيد الباقلاني**: الباقلاني، محمّد بن طيّب (٣٣٨ - ٤٠٣هـ): دار الفكر - بيروت / ١٩٨١م.

٥٧ - **التنبيه والإشراف**: المسعودي = أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (- ٣٤٥هـ): دار مكتبة الهلال - بيروت / ١٩٩٣م.

٥٨ ـ **تهذيب الأحكام** : شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : مكتبة الصدوق ـ طهران / ١٤١٧هـ .

٥٩ ـ **تهذيب الأسماء واللغات** : النووي = أبو زكريّا محيي الدين بن شرف (ـ ٦٧٦هـ) : طبعة دار الكتب العلميّة ـ بيروت .

٦٠ ـ **تهذيب تاريخ دمشق** : ابن عساكر = أبو القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعي الدمشقي (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ) : تحقيق : عبدالقادر بدران ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م .

٦١ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** : الحافظ المزّي ، جمال الدين أبي الحجّاج يوسُف (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ) : مراجعة : سُهيل زكار ، تحقيق : أحمد علي عبيد ، وحسن أحمد آقا ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م (٢٢ مجلّداً + مجلّدا الفهارس) .

٦٢ ـ **الثقات** : ابن حبّان السجستاني = الحافظ محمّد بن أحمد أبو حاتم السبتيّ التميميّ (٣٧٠ ـ ٣٥٤هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٩٩٨م .

٦٣ ـ **ثمرات الأوراق** : أبو بكر الحموي = أحمد بن محمّد (من أعلام القرن الحادي عشر) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٩٨٣م .

٦٤ ـ **ثورة الإسلام وبطل الأنبياء** : جمعة ، محمّد لطفي : لجنة البيان العربي ـ القاهرة / ١٩٥٨م .

٦٥ ـ **جامع السعادات** : النراقي ، مهدي بن أبي ذرّ (١١٢٨ ـ ١٢٠٩هـ) : تعليق : مؤسّسة السيّدة المعصومة عليها السلام ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٥م .

٦٦ ـ **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير** : جلال الدين السيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) : دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤٠١هـ .

٦٧ ـ **جمهرة خطب العرب** : صفوت ، أحمد زكي : مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ، الطبعة الأولى / ١٩٣٣م .

٦٨ ـ **جمهرة رسائل العرب** : زكي صفوت ، أحمد : مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ، الطبعة الأولى / ١٩٣٧م .

٦٩ ـ **جواهر البحار في فضائل النبيّ المختار** : النبهاني = يوسف بن إسماعيل : مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر .

....

٧٠ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** : أبو نعيم الاصفهانيّ = الحافظ أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الخامسة / ١٩٨٧م .

٧١ ـ **حياة الإمام الحسن بن عليّ ٨** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

٧٢ ـ **حياة الإمام الحسين بن عليّ ٨** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

٧٣ ـ **حياة الإمام موسى بن جعفر الكاظم ٨** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

٧٤ ـ **حياة الرسول المصطفى** : الحلّي ، باسم : دار الأثر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤٢٤هـ .

٧٥ ـ **حياة سيّدة النساء فاطمة الزهراء ٣** : القرشيّ ، باقر شريف (ـ ١٩٢٦م) : تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) دار المعروف ، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

٧٦ ـ **حياة محمّد**: الجندي، عبدالحليم.

٧٧ ـ **حياة محمّد**: هيكل، محمّد حسنين: السنّة المحمّديّة ـ القاهرة / ١٩٦٥م.

٧٨ ـ **الخراج**: أبو يوسف القاضي، يعقوب بن إبراهيم (١١٣ ـ ١٨٢هـ): دار المعرفة ـ بيروت / ١٣٩٩هـ.

٧٩ ـ **الخصائص الكبرى**: جلال الدين السيوطيّ = عبدالرحمن بن الكمال (٨٤٩ ـ ٩١١هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٤٠٥هـ.

٨٠ ـ **الخصال**: الشيخ الصدوق = أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ـ ٣٨١هـ): نشر وتحقيق: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين / ١٤٢٤هـ.

٨١ ـ **دائرة معارف القرن العشرين**: وجدي، محمّد فريد: دار المعرفة ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧١م.

٨٢ ـ **الدرّ المنثور في ربّات الخدور**: زينب بنت علي فوّاز.

٨٣ ـ **الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة**: صدر الدين المدني = عليّ خان بن أحمد الشيرازي الحسيني (١٠٥٢ ـ ١١٢٠هـ): مكتبة بصيرتي ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية / ١٣٩٧هـ.

٨٤ ـ **درّة الناصحين في الوعظ والإرشاد**: الخويري، عثمان بن حسن شاكر (القرن ١٣): مكتبة الثقافة ـ بيروت / ١٩٨٥م.

٨٥ ـ **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام**: القاضي التميميّ المغربيّ، أبو حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور (ـ ٣٦٣هـ): اسماعيليان ـ قم المقدّسة / ١٣٧٢هـ. ش.

٨٦ ـ **دلائل النُّبوّة** : أبو نعيم الأصبهاني = أحمد بن عبدالله (ـ ٤٣٠هـ) : تحقيق محمّد روّاس وعبد البرّ عباس ، دار النفائس ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م (جزءان في مجلّد) .

٨٧ ـ **دلائل النبوّة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة** : أبو بكر البيهقي = أحمد بن الحسين بن عليّ (٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ) : تحقيق : عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م (٧ مجلّدات) .

٨٨ ـ **ديوان الحميري** : الحميري ، إسماعيل بن محمّد (١٠٥ ـ ١٧٣هـ) : جمعه وحقّقه : هادي شاكر ، دار صادر ـ بيروت / ٢٠٠٥م .

٨٩ ـ **ديوان السيّد حيدر الحلّي** : ابن سليمان الحلّي ، حيدر (١٢٤٦ ـ ١٣٠٤هـ) : تحقيق : علي الخاقاني .

٩٠ ـ **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى** : محبّ الدين الطبريّ = أبو العبّاس أحمد بن عبدالله بن محمّد المكّي الشافعي (٦١٥ ـ ٦٩٤هـ) : تحقيق وتعليق : أكرم البوشي ، مكتبة الصّحابة ـ جدّة ، الطبعة الأُولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

....

٩١ ـ **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار** : جار الله الزمخشريّ = أبو القاسم محمود بن عمر (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ) : دار الذخائر ـ قم المقدّسة / ١٤١٠هـ .

٩٢ ـ **رسائل ابن أبي الدنيا** .

٩٣ ـ **الرياض النضرة في مناقب العشرة** : محبّ الدين الطبريّ = أبو العبّاس أحمد بن عبدالله بن محمّد المكّي الشافعي (٦١٥ ـ ٦٩٤هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت .

٩٤ ـ **زاد المعاد** : العلّامة المجلسي = محمّد باقر بن محمّد تقي (١٠٣٧ ـ ١١١١هـ) : تعريب وتعليق : علاء الدين الأعلمي ، مكتبة فدك ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤٢٣هـ.

٩٥ ـ **سراج الملوك** : الطرطوسي = أبو بكر محمّد بن وليد (٥٢٠ ـ ٤٥١هـ) : رياض الريّس ـ لندن / ١٩٩٠م.

٩٦ ـ **سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار** : الشيخ القمّيّ = عبّاس بن محمّد رضا (١٢٥٤ ـ ١٣٥٩هـ) : دار أُسوة للطباعة والنشر ـ قم المقدّسة ، الطبعة الرابعة / ١٤٢٧هـ.

....

٩٧ ـ **الروض الأنف في شرح السيرة النبويّة** : عبدالله السهيلي ، عبدالرحمان (ـ ٥٨١هـ) : تحقيق وتعليق وشرح : عبدالرحمان الوكيل ، دار إحياء التراث العربي ومؤسّسة التاريخ العربي ـ بيروت.

٩٨ ـ **سنن ابن ماجة** : ابن ماجة القزوينيّ = أبو عبدالله محمّد بن يزيد (ـ ٢٧٣هـ) : تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م (٤ مجلّدات + مجلّد الفهرس).

٩٩ ـ **سنن أبي داود** : الحافظ أبو داود السجستاني = سليمان بن الأشعث الأزدي (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ) : تحقيق : سعيد محمّد اللّحام ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

١٠٠ ـ **سنن البيهقي = السنن الكبرى** : أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ) : مكتبة دار الفكر ـ بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

١٠١ ـ **سنن الترمذي** : أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ) : الجمعيّة الإسلاميّة / ١٤٢١هـ.

١٠٢ ـ **السنن الكبرى = سنن النَّسائي** : أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ بن بحر (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ) : دار ابن حزم ـ بيروت / ١٩٩٩ م .

١٠٣ ـ **سير أعلام النبلاء** : شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤١٩هـ.

١٠٤ ـ **سيرة الرسول** .

١٠٥ ـ **السيرة الحلبيّة** : الحلبيّ = عليّ بن برهان الدين (٩٧٥ ـ ١٠٤٤هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ٢٠٠٦م .

١٠٦ ـ **السيرة النبويّة** : ابن كثير الدمشقي = عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ) : تحقيق : مصطفى عبدالرزّاق ، دار المعرفة ـ بيروت / ١٣٩٣هـ.

١٠٧ ـ **السيرة النبويّة** : ابن هشام = أبو محمّد عبد الملك بن هشام بن أيّوب الحميري (ـ ٢١٨هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ٢٠٠٠م .

١٠٨ ـ **السيرة النبويّة والآثار المحمّديّة** : زيني دحلان ، نورالدين أحمد الشافعي (ـ ١٣٠٤هـ) : دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثانية / ١٣١٠هـ.

١٠٩ ـ **شذرات الذهب في أخبار مَن ذهب** : ابن عماد الحنبلي = أبو الفلاح عبدالحيّ بن أحمد (١٠٣٢ ـ ١٠٨٩هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٦٧م .

١١٠ ـ **شرح السنّة** : البغوي ، الحسين بن مسعود (٤٣٨ ـ ٥١٦هـ) : المكتب الإسلامي ـ بيروت .

١١١ ـ **شرح الشفا** : الخفاجيّ الحنفيّ ، عليّ بن سلطان محمّد القاري : الأزهريّة المصريّة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت / ١٣٢٧هـ.

١١٢ ـ **شرح شواهد المغني** : جلال الدين السيوطي = عبدالرحمن بن أبي بكر (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) : تعليق : الشيخ محمّد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي : نشر أدب الحوزه ت قم المقدّسة .

١١٣ ـ **شرح معاني الآثار**: الطحاوي الحنفي = أبو جعفر أحمد بن محمّد بن سلامة (ـ ٣٢١هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

١١٤ ـ **المواهب اللدنية بالمنح المحمّديّة**: القسطلاني المصري، أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد (٨٥١ ـ ٩٢٣هـ): الدار العلميّة ـ بيروت / ١٩٩٦م.

١١٥ ـ **شرح نهج البلاغة**: ابن أبي الحديد، عزّ الدين أبي حامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين المدائنيّ المعتزليّ (٥٨٦ ـ ٦٥٦هـ)، قدّم له وعلّق عليه: الشيخ حسين الأعلميّ، الناشر: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١١٦ ـ **شعب الإيمان**: أبو بكر البيهقي = أحمد بن الحسين بن عليّ (٣٨٤ـ ٤٥٨هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت.

١١٧ ـ **الشفا بتعريف أحوال المصطفى**: القاضي اليحصبيّ، عياض بن موسى (٤٧٦ ـ ٥٤٤هـ): دار المكتبة العلميّة والمكتبة العصريّة ـ بيروت / ٢٠٠١م.

....

١١٨ ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: القلقشنديّ = أحمد بن علي بن أحمد (ـ ٨٢١هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٩٨٧م.

١١٩ ـ **صحيح البخاريّ**: البخاري = أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفيّ (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ): ضبطه ورقّمه: الدكتور مصطفى ديب البُغا، دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق. الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م (٦ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

١٢٠ ـ **صحيح الترمذي**: الترمذي = أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٥م.

١٢١ ـ **صحيح مسلم = الجامع الصحيح**: القشيريّ النيسابوريّ = أبو الحسين مسلم بن حجّاج (٢٠٦ ـ ٢٦١هـ): دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

١٢٢ ـ **الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم** صلى الله عليه وآله : مرتضى العاملي ، جعفر : دار الهدى للطباعة والنشر ـ بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

١٢٣ ـ **صحيفة الرضا** عليه السلام : ابن بابويه ، منتخب الدين : مدرسة ومؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام ـ قم المقدّسة / ١٤٠٨هـ .

١٢٤ ـ **الصحيفة العلويّة الثانية** : الطبرسي ، حسين : مكتبة نينوى ـ طهران / ١٣١٢هـ .

١٢٥ ـ **صفة الصفوة** : ابن الجوزيّ ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد (ـ ٥٩٧هـ) : دار المعرفة ـ بيروت / ١٩٧٩م .

١٢٦ ـ **الصواعق المحرقة على أهل الرّفض والضلاَل والزّندقة** : ابن حجر الهيتميّ ، أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عليّ (٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ) : تحقيق : عبدالرحمان التركي وكامل محمّد الخرّاط ، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م (مجلّدان) .

١٢٧ ـ **الطبقات الكبرى** : ابن سعد الواقدي = أبو عبدالله محمّد بن سعد بن منيع البصريّ الزهري (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ) : تحقيق : محمّد عبد القادر عَطا ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م (٨ مجلّدات + مجلّد الفهارس) .

١٢٨ ـ **الطرق الحكميّة في السياسة الشرعيّة** : ابن قيم الجوزيّة = شمس الدين أبي عبدالله محمّد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (٦٩١ ـ ٧٥١هـ) : تحقيق : محمّد حامد الفقي ، المحمّديّة ـ القاهرة / ١٩٣٥م .

١٢٩ ـ **العمل وحقوق العامل في الإسلام** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م) ، المطبعة : ستارة ، الناشر : الرافد ، سنة الطبع : ٢٠١١م .

١٣٠ ـ **عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرئاسة** : ابن هذيل الأندلسي ، حسن بن عليّ : مطبعة الاعتماد / ١٣٠٣هـ و ١٣١٨هـ بهامش غرر الخصائص الواضحة .

١٣١ ـ **عيون الأثر** : ابن سيّد الناس = محمّد بن محمّد (٦٧١ ـ ٧٣٤هـ) : دار الفكر ـ دمشق / ١٩٨٨م .

١٣٢ ـ **عيون الأخبار** : ابن قتيبة الدينوريّ ، عبدالله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ) : دار الكتب المصريّة ـ القاهرة / ١٩٩٦م .

. . . .

١٣٣ ـ **الغدير في الكتاب والسنّة والأدب** : العلّامة الأمينيّ ، عبدالحسين (١٢٨١ ـ ١٣٤٩هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٠م .

١٣٤ ـ **غرر الخصائص** : الوطواط .

. . . .

١٣٥ ـ **فاطمة والمفضّلات من النساء** : البغدادي ، عبداللطيف .

١٣٦ ـ **فتح الباري في شرح صحيح البخاري** : ابن حجر العسقلانيّ ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن عليّ الشافعي (٧٣٣ ـ ٨٥٢هـ) : تحقيق : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م (١٥ مجلّداً + مجلّدا المقدّمة والخاتمة) .

١٣٧ ـ **فتوح البلدان** : البلاذريّ ، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ـ ٢٧٩هـ) .

١٣٨ ـ **فتوح الشام** : الواقدي = محمّد بن عمر بن واقد (ـ ٢٠٧) : دار الجيل ـ بيروت .

١٣٩ ـ **الفضائل** : شاذان بن جبرئيل القمّي (ـ ٦٦٠هـ) : الحيدريّة ـ النجف الأشرف ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م .

١٤٠ ـ **فقه السيرة** : سيّد سابق .

١٤١ ـ **فيض القدير في شرح الجامع الصغير** : عبدالرؤوف المناويّ ، محمّد الشافعي (٩٥٢ ـ ١٠٣١هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ١٤٢٣هـ .

١٤٢ ـ **قاموس الرجال**: التستري، محمّد تقي بن كاظم: مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٩هـ (٤ مجلّدات).

١٤٣ ـ **قراءة جديدة في السيرة النبويّة**: دار البحوث العلميّة ـ الكويت، الطبعة الثانية / ١٩٨٤م.

١٤٤ ـ **الكافي**: ثقة الإسلام الكلينيّ، أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي (٣٢٨ـ ٣٢٩هـ): مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

١٤٥ ـ **الكامل في التاريخ**: ابن الأثير، عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن محمّد بن أبي الكرم الشيبانيّ (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م.

١٤٦ ـ **الكامل في ضعفاء الرجال**: الجرجاني، أبو أحمد عبدالله بن عَديّ بن عبدالله بن محمّد بن المبارك (ـ ٣٦٥هـ): تحقيق: عادل أحمد وعلي معوّض، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م (٩ مجلّدات).

١٤٧ ـ **كتاب الصلاة**: أحمد بن حنبل.

١٤٨ ـ **كشف الخفاء ومزيل الالتباس**: العجلوني، إسماعيل بن محمّد الجرّاحي (ـ ١١٦٢هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٤٩ ـ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**: حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ـ ١٠٦٧هـ): دار الفكر ـ بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

١٥٠ ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة**: الإربلي، أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (٤٦٧ـ ٥٣٨هـ): دار الأضواء ـ بيروت / ١٩٨٥م.

١٥١ ـ **كمال الدين وتمام النعمة** : الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : صحّحه وعلّق عليه : علي أكبر الغفّاريّ ، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة / ١٤٢٢هـ .

١٥٢ ـ **كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال** : المتّقيّ الهنديّ = علاء الدين عليّ بن حسام الدين (٨٨٨ ـ ٩٧٥هـ) : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ٢٠٠٤م .

....

١٥٣ ـ **اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة** : جلال الدين السيوطيّ = عبدالرحمن بن الكمال (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) : تحقيق : صلاح محمّد ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

١٥٤ ـ **اللمعة الدمشقيّة في فقه الإماميّة** : الشهيد الأوّل = محمّد بن مكّي العامليّ الجزينيّ (٧٣٤ ـ ٧٨٦هـ) : تحقيق : محمّد تقي وعلي أصغر مرواريد ، نشر دار التراث ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

١٥٥ ـ **المجروحين من المحدِّثين والضعفاء والمتروكين** : ابن حِبّان البستي التميمي = أبو حاتم محمّد بن حبّان بن أحمد (ـ ٣٥٤هـ) : تحقيق : محمود إبراهيم زايد ، دار المعرفة ـ بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م (٣ أجزاء في مجلّد) .

١٥٦ ـ **مجلّة الأزهر ـ العدد ٨ و ٩** .

١٥٧ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** : الهيثميّ ، الحافظ نور الدين عليّ بن أبي بكر المصري الشافعي (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٥٨ ـ **مجموعة الوثائق السياسيّة في العهد النبويّ والخلافة الراشدة** : حميدالله ، محمّد .

١٥٩ ـ **مجموعة ورّام = تنبيه الخواطر ونزهة النواظر** : المالكيّ الأشتريّ ، الأمير أبو الحسين ورّام بن أبي فراس (ـ ٦٠٥هـ) : دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ، الطبعة الثانية / ١٣٦٨هـ .

١٦٠ ـ **محاضرات الأبرار**: محيي الدين بن العربي.

١٦١ ـ **محاضرات الأُدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**: الراغب الأصفهانيّ = الحسين بن محمّد (ـ ٥٠٢): المكتبة الحيدريّة ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

١٦٢ ـ **المحبّر**: ابن حبيب الهاشمي البغدادي، محمّد: دار الغد العربي ـ القاهرة / ٢٠٠٠م.

١٦٣ ـ **محمّد المثل الكامل**: كاريل، توماس.

١٦٤ ـ **مختصر تاريخ مدينة دمشق**: ابن منظور الأفريقي المصري: محمّد بن مكرّم (ـ ٧١١هـ): تحقيق: سكينة الشهابي، دار الفكر ـ دمشق، الطبعة الأُولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

١٦٥ ـ **مسالك الأبصار**: ابن فضل الله العمري.

١٦٦ ـ **المستدرك على الصحيحين**: الحاكم النيسابوريّ، محمّد (ـ ٤٠٥هـ): تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

١٦٧ ـ **المستطرف**: شهاب الدين الأبشهيّ، أحمد: مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة / ١٩٤٢م.

١٦٨ ـ **مسند أبي عوانة**: ابن السكّيت = يعقوب بن إسحاق (١٨٦ ـ ٢٤٦هـ): دار المعارف ـ القاهرة / ١٩٥٦م.

١٦٩ ـ **مسند أحمد بن حنبل**: ابن حنبل، أحمد (١٦٤ ـ ٢٤١هـ): مؤسّسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٧٠ ـ **مسند شهاب**: القضاعي = محمّد بن سلامة بن جعفر الشافعي (ـ ٤٥٤هـ): مؤسّسة الرسالة ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤٠٥هـ.

١٧١ ـ **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار**: الطبرسي = عليّ بن حسن (من أعلام القرن السابع الهجري): مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة / ١٤٢٣م.

١٧٢ ـ **مشكل الآثار**: الطحاوي، أحمد بن محمّد بن سلامة بن سلمة (٢٣٩ ـ ٣٢١هـ): مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

١٧٣ ـ **المطالع النصيريّة في الأُصول الخطّيّة**: أبو الوفاء الهوريني المصري.

١٧٤ ـ **معاني الأخبار**: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): قدّم له: الشيخ حسين الأعلمي، تعليق: علي أكبر الغفّاري، نشر مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

١٧٥ ـ **المعجم الأوسط**: الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب اللخمي (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ): دار الفكر ـ عمان / ١٩٩٩م.

١٧٦ ـ **معجم البلدان**: ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبدالله الروميّ البغداديّ (ـ ٦٢٦هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٩٩هـ.

١٧٧ ـ **المعجم الكبير**: الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب اللخمي (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٦م.

١٧٨ ـ **معراج النبيّ للفضاء الخارجي**: شريف القرشي، كاظم.

١٧٩ ـ **معرفة الصحابة**: ابن مندة الأصبهاني.

١٨٠ ـ **مقاتل الطالبيّين**: أبو الفرج الأصفهاني، عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد (ـ ٣٥٦هـ): مكتبة الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

١٨١ ـ **المقاصد الحسنة**: عبدالرحمن السخاوي، محمّد: دار الأدب العربي / ١٩٥٦م.

١٨٢ ـ **مكاتيب الرسول**: الأحمدي الميانجي، علي (١٣٠٤ ـ ١٣٧٩هـ): دار الحديث ـ طهران، الطبعة الأولى / ١٩٩٨م.

١٨٣ ـ **مكارم الأخلاق**: أمين الإسلام، أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطوسي الطبرسي (٤٦٨ ـ ٥٤٨هـ): دار الفقه ـ قم المقدّسة / ١٤٢٥هـ.

١٨٤ ـ **مناقب آل أبي طالب**: ابن شهرآشوب، أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن عليّ السرويّ المازندرانيّ (٤٨٨ ـ ٥٨٨هـ): دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

١٨٥ ـ **مناقب خديجة الكبرى** : العلوي المالكي ، محمّد بن علوي : قام بنشره بعض طلبة العلم .

١٨٦ ـ **منهل الصفا في تحقيق الوفا والودّ لآل بيت المصطفى** : محمود المنوفي ، دار نهضة مصر ـ القاهرة .

١٨٧ ـ **المنتظم في تاريخ الأُمم والملوك** : ابن الجوزيّ =أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد (ـ ٥٩٧هـ) : تحقيق وتقديم : سهيل زكار ، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

١٨٨ ـ **مواقف حاسمة** : عبدالله عنان ، محمّد : دار الكتب المصريّة ـ القاهرة / ١٩٣٢م .

١٨٩ ـ **المواهب اللدنية بالمنح المحمّديّة** : القسطلاني المصري ، أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد (٨٥١ ـ ٩٢٣هـ) : الدار العلميّة ـ بيروت / ١٩٩٦م .

١٩٠ ـ **موسوعة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب** عليه السلام : القرشي ، باقر شريف (ـ ١٩٢٦م) : دار الهدى ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٢م .

١٩١ ـ **موسوعة العتبات المقدّسة** : الخليلي ، جعفر : دار التعارف ـ بغداد / ١٩٦٥م .

١٩٢ ـ **الموطّأ** : الإمام مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩هـ) : تحقيق : محمّد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت / ١٩٩٢م.

١٩٣ ـ **مهذّب الأغاني** : الخضري ، محمّد .

١٩٤ ـ **نثر الدرر** : منصور بن الحسين ، أبو سعد (ـ ٤٢١هـ) : الدار التونسيّة ـ تونس ، الطبعة الأُولى / ١٩٨٣م .

١٩٥ ـ **نظام الحكومة النبويّة** : عبد الحيّ الكناني ، محمّد .

١٩٦ ـ **نظام السياسي في الإسلام** : القرشي ، باقر شريف (١٩٢٦ م) : برنابا ـ بيروت / ١٩٩٠م .

١٩٧ ـ **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار** : الشبلنجيّ ، مؤمن بن حسن بن مؤمن : تحقيق : عبد الوارث محمّد عليّ ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

١٩٨ ـ **نهاية الإرب في فنون الأدب** : النويريّ ، أحمد بن عبدالوهاب (ـ ٧٣٣هـ) : طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسّسة المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية .

١٩٩ ـ **نهاية في غريب الحديث والأثر = نهاية اللغة** : ابن الأثير الجزريّ ، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمّد (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ١٩٩٠م .

٢٠٠ ـ **نهج البلاغة** (مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه‌السلام) : دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

٢٠١ ـ **نهج الفصاحة** : مجيدي ، غلام حسين : الصدر ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤٢١م .

٢٠٢ ـ **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة** : الحرّ العامليّ ، محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسين (١٠٣٣ ـ ١١٠٤هـ) : مؤسّسة آل البيت عليهم‌السلام ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤١٦هـ.

٢٠٣ ـ **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** : السمهودي ، نور الدين عليّ بن القاضي عفيف الدين عبدالله بن أحمد الحسيني الشافعي (٨٤٣ ـ ٩١١هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ١٩٨٠م .

علي بن أبي طالب

٢٠٤ ـ **آداب السلطانيّة والدول الإسلاميّة** : ابن طباطبا ، محمّد بن عليّ (٦٦٠ ـ ٧٠٩هـ) : دار صادر ـ بيروت / ١٩٩٠م .

٢٠٥ ـ **الآداب الشرعية والمنح المرعيّة** : شمس الدين الحنبلي = محمّد بن مفلح بن مفرج المقدسي الراميني الدمشقي (٧١٠ ـ ٧٦٣هـ).

٢٠٦ ـ **اتّجاهات الشعر العربي في القرن الثاني**: هدّارة، محمّد مصطفى: دار النـهضة ـ بيروت / ١٩٩٤م.

٢٠٧ ـ **أبو طالب وبنوه**: آل السيّد عليخان، محمّد عليّ.

٢٠٨ ـ **أحاديث اُمّ المؤمنين عائشة**: العسكري، مرتضى: منشورات الصدر، الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٢٠٩ ـ **احتجاج على أهل اللجاج**: الطبرسي = أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبـي طـالب (ـ ٥٦٠هـ): تحقيق: إبراهيم البهادري و محمّد هادي به، الناشر: دار اُسوة ـ ايران، الطبعة السادسة / ١٤٢٥هـ.

٢١٠ ـ **أحكام القرآن** (تفسير): الجصّاص = أحمد بن عليّ (٣٥٠ ـ ٣٧٠هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٢م.

٢١١ ـ **إحياء علوم الدين**: الغزالي، محمّد بن محمّد (٤٥٠ ـ ٥٠٥هـ): المكتبة العصريّة ـ بيروت / ٢٠٠٠م.

٢١٢ ـ **الأخبار الطوال**: ابن قتيبة الدينوري = أبو محمّد عبدالله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ): منشورات الشريف الرضي، قم المقدّسة / ١٤١٢هـ.

٢١٣ ـ **أخبار القضاة**: ابن حبّان، محمّد بن خلف (ـ ٣٠٦هـ): المكتب الإسلامي ـ بيروت / ١٤٢٠هـ.

٢١٤ ـ **أخبار المدينة النبويّة**: ابن شبّة النميري = أبو زيد عمر البصري: مركز الرسول ـ بيروت / ١٩٩٨هـ.

٢١٥ ـ **أخبار الموفقيّات**: الزبير بن بكّار بن عبدالله القرشي الأسدي (١٧٢ ـ ٢٥٦هـ): تحقيق: د. سامي مكّي العاني، انتشارات الشريف الرضي ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ.

٢١٦ ـ **أخلاق حملة القرآن**: أبو بكر الآجري = محمّد بن الحسين بن عبدالله (قبل ٣٣٠ ـ ٣٦٠هـ).

٢١٧ ـ **إدارة الإسلاميّة في عزّ العرب** : كرد علي ، محمّد : مطبعة مصر ـ القاهرة / ١٩٨١م.

٢١٨ ـ **أدب الدنيا والدين** : الماوردي = أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب البصري الشافعي (٣٦٤ ـ ٤٥٠هـ) : مكتبة الشرق الجديد ـ بغداد / ١٩٨٣م.

٢١٩ ـ **الأذكياء** : سبط ابن الجوزيّ = شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ) : دار صادر ـ بيروت / ١٩٩٠م.

٢٢٠ ـ **الإرشاد في أُصول الاعتقاد** : إمام الحرمين الجويني = عبدالملك بن عبدالله (٤١٩ ـ ٤٧٨هـ) : القاهرة / ١٩٩٠م.

٢٢١ ـ **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد** : الشيخ المفيد = أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ) : طبع وتحقيق : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٢٢٢ ـ **إرشاد القلوب** : الديلميّ ، أبو محمّد الحسن بن محمّد الواعظ (ـ ٨٤١هـ) : كمال الملك ـ قم المقدّسة / ١٤٢٦هـ.

٢٢٣ ـ **أسباب النزول** : الواحدي النيسابوري ، عليّ بن أحمد (ـ ٤٦٨هـ) : نى ـ طهران / ١٣٨٣هـ. ش.

٢٢٤ ـ **اسبوع الإمام عليّ عليه السلام** (مجموعة مقالات) : لجنة المجمع الثقافي الديني لمنتدى النشر ، تقديم : السيّد محمّد تقي الحكيم ، مطبعة الراعي / ١٩٣٩م.

٢٢٥ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** : ابن عبدالبرّ = أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد النمري القرطبيّ الأندلسي (٣٦٨ ـ ٤٦٣هـ) : دار الإسلام ـ عمّان / ٢٠٠٢م.

٢٢٦ ـ **أسرار آل محمّد** : ابن قيس الهلالي = أبو صادق العامري الكوفي (ـ ٧٦هـ) : تحقيق : محمّد باقر الأنصاري الزنجاني ، نشر الهادي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ.

٢٢٧ ـ **أُسد الغابة في معرفة الصحابة** : ابن الأثير الجزري = عزّ الدين عليّ بن محمّد بن محمّد (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٦م.

٢٢٨ ـ **الإسلاميّات** : العقّاد ، عبّاس محمود (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤هـ) : دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٩٧٤م .

٢٢٩ ـ **أسنى المطالب في نجاة أبي طالب** : زيني دحلان ، نورالدين أحمد الشافعي (١٨١٦ ـ ١٨٨٦م) : نى ـ طهران / ١٩٩٠م .

٢٣٠ ـ **الاشتقاق** : ابن دريد = أبي بكر محمّد بن الحسن الأزدي (٢٢٣ ـ ٣٢١هـ) : مكتبة المثنّى ـ بغداد / ١٣٩٩هـ .

٢٣١ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة** : ابن حجر العسقلانيّ = شهاب الدين أحمد بن عليّ الشافعي (٧٣٣ ـ ٨٥٢هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ٢٠٠١م .

٢٣٢ ـ **أُصول العامّة للفقه المقارن** : الحكيم ، محمّد تقي (١٣٠٥هـ ـ) : دار الأندلس ـ بيروت / ١٩٩٠م .

٢٣٣ ـ **أضواء على دعاء كميل** : بحر العلوم ، عزّ الدين : بى جا ـ بى نا ـ قم المقدّسة / ١٩٠٠م .

٢٣٤ ـ **أضواء على السنّة المحمّديّة** : أبو ريّة ، محمود (ـ ١٣٨٥هـ) : البطحاء ـ قم المقدّسة / ١٩٩٤م .

٢٣٥ ـ **إعانة الطالبين** : البكري الديماطي ، محمّد شطا (ـ ١٣١٠هـ) : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٢م .

٢٣٦ ـ **إعجاز والإيجاز** : أبو منصور الثعالبي النيسابوري = عبد الملك بن محمّد (ـ ٤٢٩هـ) : دار الثقافة ـ القاهرة / ٢٠٠٦م .

٢٣٧ ـ **الأعلام** : الزركليّ = خير الدين بن محمود بن محمّد (ـ ١٤١٠هـ) : دار العلم للملايين ـ بيروت ، الطبعة التاسعة / ١٩٩٠م .

٢٣٨ ـ **أعلام الدين في صفات المؤمنين** : الديلمي = أبو محمّد الحسن بن محمّد الواعظ (ـ ٨٤١هـ) : تحقيق ونشر : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، الطبعة الأُولى / ١٤٠٨هـ .

٢٣٩ ـ **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام** : كحالة ، عمر رضا : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٩٨٤م .

٢٤٠ ـ **إعلام الورى بأعلام الهدى** : الطبرسيّ = أبو علي الفضل بن الحسن (من أعلام القرن السادس) : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم المقدّسة / ١٤١٧هـ.

٢٤١ ـ **أعيان الشيعة** : الأمين العاملي ، محسن (١٨٦٥ ـ ١٩٥٢م) : دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت / ٢٠٠٠م .

٢٤٢ ـ **الأغاني** : أبو الفرج الاصفهانيّ ، عليّ بن حسين (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٤م .

٢٤٣ ـ **الإفصاح** : الشيخ المفيد = أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ـ ٤١٣هـ) : مؤسّسة البعثة ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

٢٤٤ ـ **إقبال الأعمال** : السيّد ابن طاووس = رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ) : تقديم وتعليق : الشيخ حسين الأعلمي ، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٢٤٥ ـ **الأمالي** : الشيخ الصدوق = أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ـ ٣٨١هـ) : تحقيق ونشر : قسم الدراسات الإسلاميّة ، مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٧هـ.

٢٤٦ ـ **الأمالي** : شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : تحقيق : قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسّسة البعثة ، دار الثقافة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٤هـ.

٢٤٧ ـ **الأمالي**: الشيخ المفيد = أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ـ ٤١٣هـ) : تحقيق : علي أكبر غفّاري ، الناشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة ، الطبعة الخامسة / ١٤٢٥هـ.

٢٤٨ ـ **الأمالي وذيله** : القالي البغدادي = إسماعيل بن القاسم (٢٨٨ ـ ٣٥٦هـ) : ملتقى مصري ـ الاسكندريّة / ١٩٩٩م .

٢٤٩ ـ **الإمام الحسين** عليه السلام : العلائليّ ، عبدالله (١٩١٤ ـ ١٩٩٧م) : دار مكتبة التربية ـ بيروت / ١٩٧٢م .

٢٥٠ ـ **الإمام عليّ بن أبي طالب** : عبدالمقصود ، عبدالفتّاح (١٩١٢ ـ ١٩٩٣هـ) : مكتبة العرفان ـ بيروت / ١٩٧١م .

٢٥١ ـ **الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة** : جرداق ، جورج (١٩٢٦ ـ م) : ذوي القربى ـ قم المقدّسة / ١٤٢٣هـ .

٢٥٢ ـ **الإمام عليّ في آراء الفقهاء** : فقيه ايماني ، مهدي : ترجمة : يحيى كمالي البحراني ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ـ قم المقدّسة / ١٤٢٠هـ .

٢٥٣ ـ **الإمامة والسياسة** : ابن قتيبة الدينوري = أبو محمّد عبدالله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ) : المكتبة الحيدريّة ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٧م .

٢٥٤ ـ **الامتاع والمؤانسة** : أبو حيّان التوحيدي = عليّ بن محمّد : مكتبة الهلال ـ بيروت / ٢٠٠٢م .

٢٥٥ ـ **الأموال** : القاسم بن سلام ، أبو عبيد (ـ ٢٢٤هـ) ، تحقيق : محمّد خليل هراس ، دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

٢٥٦ ـ **إنباه الرواة على أنباه النحاة** : القفطي ، عليّ بن يوسف : دار الكتب المصريّة / ١٣٧٤هـ .

٢٥٧ ـ **أنساب الأشراف** : البلاذريّ = أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ـ ٢٧٩هـ) : تحقيق : د. سهيل زكار و د. رياض زكلي ، دار الفكر ـ بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٢٥٨ ـ **إنسان العيون** : الحلبي ، عليّ بن إبراهيم (٩٧٥ ـ ١٠٤٤هـ) : الحلبي ـ القاهرة / ١٩٩٠م .

٢٥٩ ـ **الأنوار العلويّة** : النقدي ، جعفر (١٨٨٥ ـ ١٩٥١م) : يه نا ـ قم المقدّسة / ١٩٩٠م .

٢٦٠ ـ **الإيضاح** : النقدي ، جعفر (١٨٨٥ ـ ١٩٥١م) : بى نا ـ قم المقدّسة / ١٩٩٢م .

٢٦١ ـ **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّ وجلّ**: ابن الأنباري، محمّد بن قاسم بن بشّار (٢٧١ ـ ٣٢٨هـ).

٢٦٢ ـ **إيمان أبي طالب**: الشيخ المفيد = أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ): مؤسّسة البعثة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

. . . .

٢٦٣ ـ **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار**: العلّامة المجلسيّ = محمّدباقر بن محمّد تقي (١٠٣٧ ـ ١١١١هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٩م.

٢٦٤ ـ **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**: القاضي ابن رشد القرطبي (٥٣٠ ـ ٥٩٥هـ): دار ابن حزم ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٢٦٥ ـ **البداية والنهاية في التاريخ = تاريخ ابن كثير**: عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (٧٠٠ ـ ٧٧٤هـ): تحقيق: مكتب تحقيق التراث، نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٣م.

٢٦٦ ـ **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان (م)**: الأصفهاني، عماد الدين.

٢٦٧ ـ **البرهان في تفسير القرآن** (تفسير): البحراني، السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني التوبلي (ـ ١١٠٧هـ): مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢٦٨ ـ **بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمّد**: الصفّار، الثقة الجليل أبو جعفر محمّد بن الحسن بن فروخ (ـ ٢٩٠هـ): تعليق: التبريزي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، قم المقدّسة / ١٤٠٤هـ.

٢٦٩ ـ **البصائر والذخائر**: التوحيدي، أبو حيّان (ـ ٣٨٠ أو ٤٠٠هـ): دار صادر ـ بيروت، الطبعة الرابعة / ١٩٩٩م.

٢٧٠ ـ **بلاغات النساء** : ابن طيفور = أحمد بن أبي طاهر (٢٠٤ ـ ٢٨٠هـ) : تحقيق : د. يوسف البقاعي ، الناشر : دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٢٧١ ـ **البلد الأمين** : الكفعميّ ، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمّد العامليّ الحارثيّ (٨٤٠ ـ ٩٠٥هـ) : مؤسّسة قائم آل محمّد عجّل الله فرجه الشريف ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

٢٧٢ ـ **بهجة المجالس وأُنس المجالس** : ابن عبدالبرّ = يوسف بن عبدالله النمريّ القرطبيّ : الدار المصريّة ـ القاهرة / ١٩٠٠م .

٢٧٣ ـ **البيان والتبيين** : الجاحظ ، عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ) : مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٦٨م .

٢٧٤ ـ **بيت الأحزان في مصائب سيّدة النسوان** : القمّيّ ، الشيخ عبّاس (١٢٥٤ ـ ١٣١٩هـ) : دار الحكمة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٢هـ .

٢٧٥ ـ **تبيين الحقائق في شرح كنز الدقائق** (تفسير) : الزيلعي ، أبو محمّد عثمان بن عليّ (ـ ٧٤٣هـ) : دار المعرفة ـ بيروت .

٢٧٦ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس** : الزبيدي الحنفي = محبّ الدين أبي فيض السيّد محمّد مرتضى الحسيني الواسطي (١١٤٥ ـ ١٢٠٥هـ) : دراسة وتحقيق : علي شيري ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م (٢٠ مجلّداً) .

٢٧٧ ـ **تاريخ ابن خلدون = العبر** : ابن خلدون = أبو زيد ولي الدين عبدالرحمن بن محمّد الحضرمي الإشبيلي : (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ) : المكتبة العصريّة ـ بيروت / ٢٠٠٨م .

٢٧٨ ـ **تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر** : أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل بن عليّ بن محمود بن عمر بن شاهنشاه بن أيّوب (٦٧٢ ـ ٧٣٢هـ) : تعليق : محمود ديوب ، منشورات دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٢٧٩ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام**: شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ): دار الكتاب العربي ـ بيروت / ٢٠٠٤م.

٢٨٠ ـ **تاريخ بغداد**: الخطيب البغداديّ = أبو بكر أحمد بن عليّ (٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ): تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٢٨١ ـ **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**: الدياربكريّ = حسين بن محمّد بن حسن (ـ ٩٦٦هـ): مؤسّسة شعبان ـ بيروت / ١٩٩٠م.

٢٨٢ ـ **تاريخ الشعر العربى حتّى آخر القرن الثالث الهجري**: البهبيتي، نجيب محمّد، دار البيضاء ودار الثقافة ـ بيروت / ١٩٨٧م.

٢٨٣ ـ **تاريخ الطبري = تاريخ الأُمم والملوك**: أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ): مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الخامسة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

٢٨٤ ـ **تاريخ العراق في ظلّ الحكم الأموي**: حسن الخربوطلي، عثمان غالب بن محمّد (١٢٦١ ـ ١٣٣٨هـ).

٢٨٥ ـ **تاريخ مدينة دمشق**: ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعي الدمشقي (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ): دار الفكر ـ دمشق / ١٤١٩هـ.

٢٨٦ ـ **تاريخ اليعقوبيّ**: اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ـ ٢٧٨هـ): دار صادر ـ بيروت / ١٩٨٤م.

٢٨٧ ـ **تبصرة الأحكام**: ابن فرحون = برهان الدين إبراهيم بن عليّ المالكي (٧٢٩ ـ ٧٩٩): الرسالة ـ بيروت / ١٩٩٢م.

٢٨٨ ـ **تحف العقول عن آل الرسول**: ابن شعبة الحرّانيّ، أبو محمّد الحسن بن عليّ بن الحسين (من أعلام القرن الرابع الهجري): دار الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة / ١٤٢١هـ.

٢٨٩ ـ **تحفة الاحوذي في شرح سنن الترمذي**: محيي الدين ابن العربي = أبو عبدالله محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبدالله الحاتمي الطائي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٩٩١م.

٢٩٠ ـ **التحفة السنيّة بشرح مقدّمة الأُجروميّة** : محيي الدين عبد الحميد ، محمّد : دار الكتاب ـ بيروت / ١٩٠٠م .

٢٩١ ـ **تحفة المحتاج إلى أدلّة المنهاج** (شرح منهاج الطالبين للنووي) : ابن حجر الهيتميّ = أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عليّ (٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ) : بولاق ـ ١٢٩٠هـ .

٢٩٢ ـ **التحقيق في الإمامة وشؤونها** : البغدادي ، عبداللطيف : بيروت / ١٩٩٢م .

٢٩٣ ـ **تذكرة خواص الأُمّة** : سبط ابن الجوزيّ ، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن فرغلي بن عبدالله البغدادي (٥٨١ ـ ٦٥٤هـ) : منشورات الشريف الرضيّ ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

٢٩٤ ـ **التسهيل لعلوم التنزيل** : ابن جزي الكلبني = محمّد بن أحمد (٦٩٣ ٧٤١هـ) : دار الكتاب العربي ـ بيروت / ١٩٧٣م .

٢٩٥ ـ **التبيان في تفسير القرآن** : شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٤٠٩هـ .

٢٩٦ ـ **تفسير القرآن العظيم مُسنداً عن رسول الله ٩ والصّحابة والتابعين** : للحافظ ابن أبي حاتم الرّازي = عبد الرحمن بن محمّد بن إدريس (ـ ٣٢٧هـ) ، تحقيق : أسعد محمّد الطيّب ، المكتبة العصريّة صيدا ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م (١٠ مجلّدات + ٤ مجلّدات الفهارس) .

٢٩٧ ـ **تفسير الأصفى** : الفيض الكاشاني ، الملّا محسن بن مرتضى محمّد محسن (١٠٠٧ ـ ١٠٩١هـ) : اللوح المحفوظ ـ طهران / ١٤٢٣هـ .

٢٩٨ ـ **تفسير البغوي = معالم التنزيل** : البغوي = أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد الفرّاء (٤٣٨ ـ ٥١٦هـ) : دار الكتاب العلميّة ـ بيروت / ١٣٢٤هـ .

٢٩٩ ـ **تفسير البيضاويّ = أنوار التنزيل و أسرار التأويل** : ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمّد البيضاوي الشيرازي (ـ ٧٩١هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ٢٠٠٥م .

٣٠٠ ـ **تفسير الثعلبي = الكشف والبيان** : أبو إسحاق النيسابوري = أحمد بن محمّد بن إبراهيم (ـ ٤٢٧هـ) : دراسة وتحقيق : أبو محمّد بن عاشور ، مراجعة وتدقيق : نظير السّاعدي ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م (١٠ مجلّدات) .

٣٠١ ـ **تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن** : أبو عبدالله محمّد بن أحمد القرطبي الأنصاري (ـ ٦٧١هـ) : التحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ـ الرياض ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

٣٠٢ ـ **تفسير الجلالين** : جلال الدين السيوطيّ = عبدالرحمن بن الكمال (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) : مكتبة لبنان ـ بيروت / ٢٠٠٠م .

٣٠٣ ـ **جوامع الجامع** (تفسير) : الطبرسيّ = الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن (٤٦٨ ـ ٥٤٨هـ) : تحقيق ونشر : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٨هـ .

٣٠٤ **تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن** : للثعالبي المالكي = أبو زيد عبد الرحمن بن محمّد بن مخلوف (٧٨٦ ـ ٨٧٥هـ) : تحقيق : علي محمّد معوّض وعادل أحمد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التأريخ العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م (٥ مجلّدات) .

٣٠٥ ـ **تفسير ابن العربي = رحمة من الرحمن في تفسير وإشارات القرآن** : محيي الدين ابن العربي = أبو عبدالله محمّد بن عليّ بن محمّد بن عبدالله الحاتمي الطائي (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ) .

٣٠٦ ـ **تفسير الآلوسي = روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: أبو الفضل شهاب الدين السيّد محمود الآلوسي البغدادي (١٢١٧ ـ ١٢٧٠هـ): دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م (٣٠ جزءاً في ١٦ مجلّداً).

٣٠٧ ـ **تفسير القرآن = تفسير السمعاني**: أبو المظفر السمعاني = منصور بن محمّد بن عبد الجبّار التميمي المروزي الشافعي السلفي (ـ ٤٨٩هـ): تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم وأبي بلال غنيم بن عبّاس ، دار الوطن ـ الرياض ، الطبعة الأُولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م (٦ مجلّدات).

٣٠٨ ـ **تفسير الصافي**: الفيض الكاشاني ، الملّا محسن بن مرتضى محمّد محسن (١٠٠٧ ـ ١٠٩١هـ).

٣٠٩ ـ **تفسير القمّي**: القمّي ، أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم (ـ ٣٢٩هـ): تحقيق: السيّد طيّب الجزائري الموسوي ، الناشر دار السرور ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ. / ١٩٩١م (مجلّدان).

٣١٠ ـ **تفسير العيّاشيّ**: العيّاشيّ ، أبو النضر محمّد بن مسعود بن عيّاش السلميّ السمرقنديّ (ـ ٣٢٠هـ): تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة ، مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤٢١هـ (٣ مجلّدات).

٣١١ ـ **تفسير غريب القرآن**: فخر الدين الطريحي = محمّد بن عليّ (٩٧٩ ـ ١٠٨٥هـ): بيروت / ١٩٠٠م.

٣١٢ ـ **تفسير فتح القدير**: الشوكاني = محمّد بن علي بن محمّد (١١٧٣ ـ ١٢٥٠هـ): تحقيق: عبد الرّزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م (٥ مجلّدات + مجلّد الفهارس).

٣١٣ ـ **تفسير فُرات الكوفي**: فرات بن إبراهيم بن فرات (ـ ٣٥٢هـ): تحقيق: محمّد الكاظم ، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلاميّ ـ طهران ، الطبعة الأُولى / ١٤١٠هـ.

٣١٤ ـ **تفسير الرازي = التفسير الكبير = مفاتيح الغيب**: خطيب الريّ = فخر الدين أبي عبدالله محمّد بن ضياء الدين عمر بن الحسن بن الحسين (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ): تقديم: الشيخ خليل محيي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م (٣٢ جزءاً في ١٦ مجلّداً + مجلّد الفهرس).

٣١٥ ـ **تفسير الزمخشري = الكشّاف عن حقائق التنزيل**: جار الله الزمخشري = أبو القاسم محمود بن عمر (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ): مؤسّسة التاريخ العربي ـ بيروت / ٢٠٠٠م.

٣١٦ ـ **تفسير مجاهد**: أبو الحجّاج مجاهد بن جبر التابعي المكّي المخزومي (ـ ١٠٤هـ): برواية ابن أبي نجيح، قدّم له وحقّقه وعلّق حواشيه: عبدالرحمن الطاهر بن محمّد السورتي، مجمع البحوث الإسلاميّة ـ إسلام آباد.

٣١٧ ـ **مواهب الرحمن في تفسير القرآن (تفسير)**: السبزواري، السيّد عبدالأعلى الموسوي (١٢٨٨ ـ ١٣٧٢هـ): مؤسّسة المنار ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية / ١٤١٤هـ (١٠ مجلّدات، غير كامل).

٣١٨ ـ **التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري** عليه السلام (٢٦٠هـ): تحقيق ونشر: مدرسة ومؤسّسة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤٠٩هـ.

٣١٩ ـ **نور الثقلين** (تفسير): الحويزي، الشيخ عبد عليّ بن جمعة العروسي (ـ ١١١٢هـ): مؤسسة إسماعيليان ـ قم المقدّسة، الرابعة / ١٤١٥هـ.

٣٢٠ ـ **الميزان في تفسير القرآن** (تفسير): الطباطبائيّ، محمّد حسين (١٢٨١ ـ ١٣٦٠هـ): تحقيق: الشيخ حسين الأعلميّ، الناشر مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الأُولى المحقّقة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٣٢١ ـ **تقييد العلم**: الخطيب البغداديّ، أبو بكر أحمد بن عليّ (٣٩٢ ـ ٤٦٣هـ): دار إحياء السنّة النبوية ـ بيروت / ١٣٩٥هـ.

٣٢٢ ـ **تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون** : صلاح الدين الصفدي = خليل بن أيبك بن عبدالله (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ) : المكتبة العصريّة ـ بيروت / ١٤١٩هـ.

٣٢٣ ـ **التمثيل والمحاضرة** : أبو منصور الثعالبي النيسابوري = عبد الملك بن محمّد (ـ ٤٢٩هـ) : دار إحياء الكتب العربيّة ـ القاهرة / ١٩٦١م .

٣٢٤ ـ **التنبيه والإشراف** : المسعودي = أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (ـ ٣٤٥هـ) : دار مكتبة الهلال ـ بيروت / ١٩٩٣م .

٣٢٥ ـ **تنقيح التحقيق** : الحافظ ابن عبدالهادي .

٣٢٦ ـ **التوحيد** : الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : نشر وتحقيق : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثامنة / ١٤٢٣هـ.

٣٢٧ ـ **تهذيب الأحكام** : شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : مكتبة الصدوق ـ طهران / ١٤١٧هـ.

٣٢٨ ـ **تهذيب تاريخ دمشق** : ابن عساكر = أبو القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعي الدمشقي (٤٩٩ ـ ٥٧١هـ) : تحقيق : عبدالقادر بدران ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٨م .

٣٢٩ ـ **تهذيب التهذيب** : ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن عليّ بن محمّد (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ١٩٩٥م .

٣٣٠ ـ **تهذيب الكمال في أسماء الرجال** : الحافظ المزّي ، جمال الدين أبي الحجّاج يوسُف (٦٥٤ ـ ٧٤٢هـ) : مراجعة : سُهيل زكار ، تحقيق : أحمد علي عبيد ، وحسن أحمد آقا ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م (٢٢ مجلّداً + مجلّدا الفهارس).

٣٣١ ـ **الثقات** : ابن حبّان السجستاني = الحافظ محمّد بن أحمد أبو حاتم السبتيّ التميميّ (٣٧٠ ـ ٣٥٤هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٩٩٨م .

٣٣٢ ـ **ثمرات الأوراق** : أبو بكر الحموي = أحمد بن محمّد (من أعلام القرن الحادي عشر) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٩٨٣م .

٣٣٣ ـ **ثواب الأعمال وعقاب الأعمال** : الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : تعليق : الشيخ حسين الأعلمي ، الشريف الرضي / ١٤١٨هـ .

. . . .

٣٣٤ ـ **جامع أحاديث الشيعة** : المعزّي الملايري ، إسماعيل : بإشراف آية الله البروجردي ﷻ ، طبع المطبعة العلميّة ـ قم المقدّسة / ١٣٩٩هـ .

٣٣٥ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري** : أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (ـ ٣١٠هـ) : تحقيق : الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، (٢٤ مجلّداً + مجلّدا الفهارس) .

٣٣٦ ـ **جامع الأصول في أحاديث الرسول** : لابن الأثير الجزري = أبي السعادات المبارك بن محمّد (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ) : تحقيق وتعليق : عبد القادر الأرناؤوط ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، (١١ مجلّداً + مجلّدا الفهارس + مجلّدا التتمّة) .

٣٣٧ ـ **جامع بيان العلم وفضله** : ابن عبدالبرّ = أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد النمري القرطبيّ الأندلسي المالكي (٣٦٣ ـ ٤٦٣هـ) : تحقيق : أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ـ الدمّام ، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م (مجلّدان) .

٣٣٨ ـ **جامع السعادات** : النراقي ، مهدي بن أبي ذرّ (١١٢٨ ـ ١٢٠٩هـ) : تعليق : مؤسّسة السيّدة المعصومة عليها السلام ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٥م .

٣٣٩ ـ **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير**: السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (٨٤٩ ـ ٩١١هـ): دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأولى / ١٤٠١هـ.

٣٤٠ ـ **الجامع الكبير = تفسير الطبرسي = جمع الجوامع**: أمين الإسلام = أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطوسي (٤٦٨ ـ ٥٤٨هـ): تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة، الطبعة الأولى / ١٤١٨هـ.

٣٤١ ـ **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون = دستور العلماء**: الأحمدنگري: القاضي عبدالنبيّ عبدالرسول: نشر: محمّد عليّ بيضون ـ دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأولى / ١٤٢١هـ.

٣٤٢ ـ **جامع المدارك في شرح المختصر النافع**: الخوانساري، أحمد: تحقيق: علي أكبر غفّاري ـ مكتبة الصدوق ـ طهران، الطبعة الثانية / ١٤٠٥هـ.

٣٤٣ ـ **جامع المقاصد في شرح القواعد**: الكركي = المحقّق الثاني = أبو الحسن نور الدين عليّ بن الحسين (٨٦٨ ـ ٩٤٠هـ): تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم المقدّسة / ١٩٩١م.

٣٤٤ ـ **الجعفريّات** (المنسوب إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام): الحميريّ، عبدالله بن جعفر (ـ ٣١٠هـ): مؤسّسة الثقافة ـ قم المقدّسة / ١٤١٧هـ.

٣٤٥ ـ **جمال الأُسبوع بكمال العمل المشروع**: السيّد ابن طاووس = رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ): دار الذخائر ـ قم المقدّسة / ١٤١١هـ.

٣٤٦ ـ **الجمل**: الشيخ المفيد = أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ): دار الأنصار ـ قم المقدّسة / ١٤٣٠هـ.

٣٤٧ ـ **جمهرة أشعار العرب**: ابن شبّة = أبو زيد عمر النميري البصري، الطبعة الأميريّة / ١٣٠٨هـ.

٣٤٨ ـ **جمهرة رسائل العرب**: زكي صفوت، أحمد: مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة، الطبعة الأولى / ١٩٣٧م.

٣٤٩ ـ **جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام**: الشيخ النجفي، محمّد حسن ابن الشيخ باقر ابن الشيخ عبدالرحيم (١٢٠٠ ـ ١٢٦٦): حقّقه وعلّق عليه وأشرف على طبعه: الشيخ عبّاس القوچانيّ، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت / ١٤٠٠هـ.

٣٥٠ ـ **جواهر المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب**: الباعونيّ، شمس الدين محمّد بن أحمد الدمشقي الشافعيّ (٧٨٠ ـ ٨٧١هـ): مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة ـ قم المقدّسة / ١٤١٥هـ.

٣٥١ ـ **الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع**: متز، آدم: لجنة التأليف ـ القاهرة / ١٩٥٧م.

٣٥٢ ـ **الحضارة العربيّة الإسلاميّة**: حسن الخربوطلي، عثمان غالب بن محمّد (١٢٦١ ـ ١٣٣٨هـ): مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٩٤م.

٣٥٣ ـ **حقيقة الإسلام وأُصول الحكم**: بخيت المطيعي، محمّد (١٨٥٤ ـ ١٩٣٥م).

٣٥٤ ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**: أبو نعيم الاصفهانيّ، الحافظ أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران (٣٣٦ ـ ٤٣٠هـ): دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الخامسة / ١٩٨٧م.

٣٥٥ ـ **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة**: الزبيدي، محمّد حسين: المطبعة العالميّة ـ القاهرة / ١٩٧١م.

٣٥٦ ـ **حياة الإمام الحسن بن عليّ** ٨: القرشيّ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م): تحقيق: مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام): دار المعروف، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣٥٧ ـ حياة الإمام محمّد المهدي المنتظر عجّل الله فرجه الشريف: القرشيّ، باقر شريف (ـ ١٩٢٦م): تحقيق: مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) دار المعروف، الطبعة الأُولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣٥٨ ـ **حياة الإمام موسى بن جعفر الكاظم** عليه السلام : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م): تحقيق : مهدي باقر القرشيّ (ضمن موسوعة سيرة أهل البيت عليهم السلام) : دار المعروف ، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٣٥٩ ـ **حياة أمير المؤمنين** عليه السلام : صادق الصدر ، محمّد (١٩٤٣ ـ ١٩٩٩م) : بيروت / ١٩٨٨م.

٣٦٠ ـ **حياة الحيوان الكبرى** : الدميريّ ، كمال الدين محمّد بن موسى (٧٤٢ ـ ٨٠٨هـ) : ناصر خسرو ـ طهران (اوفسيت عن طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م).

٣٦١ ـ **حياة الصحابة** : الكاندهلوي ، محمّد يوسف (١٣٣٥ ـ ١٣٨٤هـ): دار الفكر ـ بيروت / ٢٠٠٢م.

٣٦٢ ـ **الخرائج والجرائح** : الراوندي = قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ـ ٥٧٣هـ): مؤسّسة النور للمطبوعات ـ بيروت ، الثانية / ١٤١١هـ .

٣٦٣ ـ **الخراج** : القرشي ، يحيى بن آدم : الحلبي ـ القاهرة / ١٩٥٤م.

٣٦٤ ـ **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب** : البغداديّ ، عبدالقادر بن عمر (١٠٣٠ ـ ١٠٩٣هـ): مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٨٣م.

٣٦٥ ـ **الخصائص الكبرى** : جلال الدين السيوطيّ = جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال (٨٤٩ ـ ٩١١هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٤٠٥هـ.

٣٦٦ ـ **خصائص الأئمّة** عليهم السلام : الشريف المرتضى = علم الهدى أبي القاسم عليّ بن الحسين الموسوي (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ): مجمع البحوث الإسلاميّة ـ مجمع البحوث الإسلاميّة ـ مشهد / ١٤٠٦هـ.

٣٦٧ ـ **خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب** : النسائيّ = أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ بن بحر (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ): تحقيق : السيّد جعفر الحسيني ، دار الثّقلين ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٤١٩هـ .

٣٦٨ ـ **خصائص الوحي المبين** : ابن البطريق = يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي (ـ ٦٠٠هـ) : تحقيق وتعليق : محمّد باقر المحمودي ، منشورات مطبعة وزارة الإرشاد الإسلامي ـ طهران ، الطبعة الأُولى / ١٤٠٦هـ .

٣٦٩ ـ **الخصال** : الشيخ الصدوق = أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ـ ٣٨١هـ) : نشر وتحقيق : مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين / ١٤٢٤هـ.

٣٧٠ ـ **الخطابة في صدر الإسلام** : درويش ، محمّد طاهر .

٣٧١ ـ **خطط الكوفة** : ماسينيون ، لويس : ترجمة : تقي المصعبي ، صيدا / ١٩٣٩م .

٣٧٢ ـ **الخلاف** : شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠هـ) : تحقيق : السيّد عليّ الخراساني والسيّد جواد الشهرستاني والشيخ محمّد مهدي نجف ، طبع ونشر : مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المشرّفة ، الطبعة الخامسة / ١٤١٨هـ.

٣٧٣ ـ **تفسير السيوطي = الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور** : جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) : تصحيح وتخريج الأحاديث : الشيخ نجدت نجيب ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م (٨ مجلّدات) .

٣٧٤ ـ **الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة** : المدني ، صدر الدين عليّ خان بن أحمد الشيرازي الحسيني (١٠٥٢ ـ ١١٢٠هـ) : مكتبة بصيرتي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٣٩٧هـ.

٣٧٥ ـ **الدرر اللامعة في الأحاديث الجامعة** : عبدالله شبّر = السيّد عبدالله بن محمّد رضا بن محمّد بن أحمد بن عليّ (١١٨٨ ـ ١٢٤٢هـ) : مؤسّسة الوفاء ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

٣٧٦ ـ **الدرّ النظيم في مناقب الأئمّة** : الشاميّ العاملي ، يوسف بن حاتم (من أعلام القرن السابع الهجري) : مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ.

٣٧٧ ـ **الدروس الشرعيّة في فقه الإماميّة** : الشهيد الأوّل = شمس الدين محمّد بن جمال الدين مكّي العامليّ الجزينيّ (٧٣٤ ـ ٧٨٦هـ) : تحقيق ونشر : مجمع البحوث الإسلاميّة ـ مشهد / ١٩٩٦م .

٣٧٨ ـ **درّة الناصحين في الوعظ والإرشاد** : الخويري ، عثمان بن حسن شاكر (القرن ١٣) : مكتبة الثقافة ـ بيروت / ١٩٨٥م .

٣٧٩ ـ **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام** : القاضي التميميّ المغربيّ ، أبو حنيفة النعمان بن محمّد بن منصور (ـ ٣٦٣هـ) : اسماعيليان ـ قم المقدّسة / ١٣٧٢هـ . ش .

٣٨٠ ـ **الدعوات** : الراونديّ ، أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ـ ٥٧٣هـ) : دليل ما ـ قم المقدّسة / ١٣٨٥هـ . ش .

٣٨١ ـ **دلائل الإمامة** : ابن رستم الطبريّ ، أبو جعفر محمّد بن جرير (ـ ٣١٠هـ) : مؤسّسة البعثة ـ قم المقدّسة / ١٤١٢هـ .

٣٨٢ ـ دلائل الصدق : المظفّر ، محمّد حسن (١٨٨٢ ـ ١٩٥٦م) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٢م .

٣٨٣ ـ **ديوان ابن المعتزّ** : ابن المعتزّ (٢٤٧ ـ ٢٩٦هـ) : دار صادر ـ بيروت / ١٩٨٥م .

٣٨٤ ـ **ديوان بولس سلامة** : سلامة ، بولس دار الكتاب ـ بيروت / ١٩٨٨م .

٣٨٥ ـ **ديوان الجواهري** : مهدي الجواهري ، محمّد (١٩٠٣ ـ ١٩٩٨هـ) : دار المعرفة ـ بيروت / ٢٠٠٥م .

٣٨٦ ـ **ديوان الحميري** : الحميري ، إسماعيل بن محمّد (١٠٥ ـ ١٧٣هـ) : دار صادر ـ بيروت / ٢٠٠٥م .

٣٨٧ ـ **ديوان العمري** : العمري ، عبدالباقي : صحّحه عثمان المولوي : الحجر الفاخرة ـ القاهرة / ١٢٨٧هـ .

٣٨٨ ـ **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى** : الطبريّ ، محبّ الدين أبو العبّاس أحمد بن عبدالله بن محمّد المكّي الشافعي (٦١٥ ـ ٦٩٤هـ) : تحقيق وتعليق : أكرم البوشي ، مكتبة الصّحابة ـ جدّة ، الطبعة الأُولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

٣٨٩ ـ **الذريعة إلى تصانيف الشيعة** : آقا بزرك الطهرانيّ ، محمّد محسن (١٢٥٥ ـ ١٣٨٩هـ) : دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الثالثة / ١٤٠٣هـ .

. . . .

٣٩٠ ـ **ربيع الأبرار ونصوص الأخبار** : جار الله الزمخشري = أبو القاسم محمود بن عمر (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ) ، دار الذخائر ـ قم المقدّسة / ١٤١٠هـ .

٣٩١ ـ **رجال الكشّي = اختيار معرفة الرجال** : شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : تحقيق : محمّد تقي فاضل الميبديّ والسيّد أبوالفضل الموسويان ، وزارة الثقافة والإرشاد ـ طهران ، الطبعة الأُولى / ١٣٨٢هـ. ش .

٣٩٢ ـ **رجال النجاشي** : أبو العبّاس الأسديّ الكوفيّ ، أحمد بن عليّ (٣٧٢ ـ ٤٥٠هـ) : جماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة / ١٤٠٧هـ .

٣٩٣ ـ **رسائل الجاحظ** : الجاحظ ، عمرو بن بحر (١٥٠ ـ ٢٥٥هـ) : اعتناء : السندوبيّ : دار مكتبة الهلال ـ بيروت / ١٩٩٥م .

٣٩٤ ـ **الرسائل العشر** : شيخ الطائفة ، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة / ١٣٦٣هـ. ش .

٣٩٥ ـ **رسائل الشريف المرتضى** : الشريف المرتضى = علم الهدى = أبو القاسم عليّ بن الحسين الموسوي (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ) : دار القرآن الكريم ـ قم المقدّسة / ١٤١٠هـ .

٣٩٦ ـ **روائح المصطفى** : صدر الدين البردواني ، أحمد .

٣٩٧ ـ **الروض المعطار** : الحميري = محمّد بن عبدالمنعم (٩٠٠هـ) : / ١٩٧٥م .

٣٩٨ ـ **الروضة المختارة** ـ شرح القصائد الهاشميّات والعلويّات للكميت بن زياد (٦٠ ـ ١٢٦هـ) : ابن أبي الحديد المعتزلي (ـ ٦٥٦هـ) ـ : مؤسّسة النعمان ـ بيروت ، الطبعة الأولى / ١٩٧٩م .

٣٩٩ ـ **روضة الواعظين وبصيرة المتعلّمين** : الفتّال النيشابوري ، محمّد بن أحمد (ـ ٥٠٨هـ) : دار الشريف الرضي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأولى / ١٣٨٦ش .

٤٠٠ ـ **الرياض النَّضرة في مناقب العَشرة** : محبّ الدين الطبريّ = أبي جعفر أحمد بن عبدالله الشافعي (٦١٥ ـ ٦٩٤هـ) : تحقيق عبدالمجيد الحلبي ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م (٤ أجزاء في مجلّد) .

٤٠١ ـ **الزينة في الكلمات الإسلاميّة والعربيّة** : أبو حاتم الرازي ، أحمد بن حمدان (ـ ٣٢٢هـ) : الحلبي ـ القاهرة / ١٤١٢م .

....

٤٠٢ ـ **سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار** : الشيخ القمّيّ ، عبّاس بن محمّد رضا (١٢٥٤ ـ ١٣٥٩هـ) : دار أُسوة للطباعة والنشر ـ قم المقدّسة ، الطبعة الرابعة / ١٤٢٧هـ .

٤٠٣ ـ **السقيفة وفدك** : أبو بكر الجوهري = أحمد بن عبدالعزيز البصري البغدادي (ـ ٣٢٣هـ) : تحقيق : د. محمّد هادي الأميني ، طبع ونشر : شركة الكتبي ـ بيروت ، الطبعة الثانية / ١٤١٣هـ .

٤٠٤ ـ **سموّ المعنى في سموّ الذات** : العلائليّ ، عبدالله (١٩١٤ ـ ١٩٩٧م) : بيروت / ١٩٧٢م .

٤٠٥ ـ **سنن ابن ماجة** : ابن ماجة القزوينيّ = أبو عبدالله محمّد بن يزيد (ـ ٢٧٣هـ) : تحقيق : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م (٤ مجلّدات + مجلّد الفهرس) .

٤٠٦ ـ **سنن أبي داود** : الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ ـ ٢٧٥هـ) : تحقيق : سعيد محمّد اللّحام ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٤٠٧ ـ **سنن الترمذي** : أبو عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٠٩ ـ ٢٧٩هـ) : الجمعيّة الإسلاميّة / ١٤٢١هـ .

٤٠٨ ـ **السنن الكبرى** : **الدارمي السمرقندي** ، أبو محمّد عبدالله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي (ـ ٢٢٥هـ) : تحقيق : محمّد عبد العزيز الخالدي ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م (مجلّدان) .

٤٠٩ ـ **السنن الكبرى** = **سنن النّسائي** : أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن عليّ بن بحر (٢١٥ ـ ٣٠٣هـ) : دار ابن حزم ـ بيروت / ١٩٩٩ م .

٤١٠ ـ **سنن البيهقي** = **السنن الكبرى** : أبو بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ) : مكتبة دار الفكر ـ بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٤١١ ـ **سير أعلام النبلاء** : شمس الدين الذهبيّ = محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤١٩هـ .

٤١٢ ـ **سيرة ابن إسحاق** = **السير والمغازي** : ابن إسحاق ، محمّد بن يسار (٨٥ ـ ١٥١هـ) : دار العلم للملايين ـ دمشق / ١٩٩٤م .

٤١٣ ـ **السيرة الحلبيّة** : الحلبيّ = عليّ بن برهان الدين (٩٧٥ ـ ١٠٤٤هـ) : دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ٢٠٠٦م .

٤١٤ ـ **السيرة النبويّة** : ابن هشام = أبو محمّد عبد الملك بن هشام بن أيّوب الحميري (ـ ٢١٨هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ٢٠٠٠م .

٤١٥ ـ **السيف والسياسة** : الورداني ، صالح : دار الجسام ـ القاهرة ، الطبعة الأولى / ١٩٩٦م .

٤١٦ ـ **الشافي في الإمامة**: السيّد المرتضى، عليّ بن الحسين الموسويّ (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ): مؤسّسة الصادق للطباعة والنشر ـ طهران / ١٤٢٦هـ.

٤١٧ ـ **شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار**: القاضي المغربيّ، أبو حنيفة النعمان بن محمّد التميميّ المصري (ـ ٣٦٣هـ): تحقيق: السيّد محمّد الحسيني الجلالي، مؤسّسة النشر الإسلاميّ ـ قم المقدّسة / ١٤٠٩هـ.

٤١٨ ـ **شرح الأُزريّة**: محمّد معتوق، أحمد.

٤١٩ ـ **شرح الخريدة العينيّة في شرح القصيدة العينيّة**: أحمد الدردير، أبو البركات.

٤٢٠ ـ **شرح الشفا**: الخفاجيّ الحنفيّ، عليّ بن سلطان محمّد القاري: الأزهريّة المصريّة ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت / ١٣٢٧هـ.

٤٢١ ـ **شرح نهج البلاغة**: عبدة، محمّد (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥م): مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / ١٩٨٥م.

٤٢٢ ـ **شرح نهج البلاغة**: ابن أبي الحديد = عزّ الدين أبي حامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين المدائنيّ المعتزليّ (٥٨٦ ـ ٦٥٥هـ)، قدّم له وعلّق عليه: الشيخ حسين الأعلميّ، الناشر: مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٤٢٣ ـ **شواهد التنزيل لقواعد التفضيل**: الحاكم النيسابوري، عبيدالله بن عبدالله بن أحمد الحسكاني (ـ ٤٩٠هـ): محمّد إحياء الثقافة الإسلاميّة ـ بيروت / ١٤٢٧م.

٤٢٤ ـ **شيخ المضيرة أبو هريرة**: أبو ريّة، محمود (ـ ١٣٨٥هـ): دار المعارف ـ القاهرة / ١٩٦٩م.

....

٤٢٥ ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**: القلقشنديّ = أحمد بن علي بن أحمد (ـ ٨٢١هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت / ١٩٨٧م.

٤٢٦ ـ **الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربيّة** : الجوهريّ ، إسماعيل بن حمّاد (قيل : ٣٣٢ ـ ٣٩٢هـ) : تحقيق : أحمد عبد الغفور عطّار ، دار العلم للملايين ـ بيروت ، الطبعة الرابعة / ١٩٩٠م .

٤٢٧ ـ صحيح ابن حبّان (بترتيب ابن بلبان) : محمّد بن أحمد (٢٧٤ ـ ٣٥٤هـ) : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٩٩٧م .

٤٢٨ ـ **صحيح ابن خزيمة** : ابن خزيمة ، محمّد بن إسحاق (٢٢٣ ـ ٣١١هـ) : المكتب الإسلامي ـ بيروت / ١٤١٢هـ .

٤٢٩ ـ **صحيح البخاريّ** : أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة الجعفيّ البخاري (١٩٤ ـ ٢٥٦هـ) : ضبطه ورقّمه : الدكتور مصطفى ديب البُغا ، دار ابن كثير ودار اليمامة ـ دمشق . الطبعة الخامسة ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م (٦ مجلّدات + مجلّد الفهارس) .

٤٣٠ ـ **صحيح مسلم = الجامع الصحيح** : أبو الحسين مسلم بن حجّاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ ـ ٢٦١هـ) : دار ابن حزم ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

٤٣١ ـ **الصحيفة العلويّة الأُولى** : السماهيجي = عبدالله بن صالح بن جمعة بن عليّ بن أحمد البحراني (ـ ١١٣٥هـ) :

٤٣٢ ـ **الصحيفة العلويّة الثانية** : الطبرسي ، حسين : مكتبة نينوى ـ طهران / ١٣١٢هـ .

٤٣٣ ـ **الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم** : العاملي ، عليّ بن يونس : الحيدريّة ـ طهران ، الطبعة الأُولى / ١٣٨٢هـ . ش .

٤٣٤ ـ **صفة الصفوة** : ابن الجوزيّ ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد (ـ ٥٩٧هـ) : دار المعرفة ـ بيروت / ١٩٧٩م .

٤٣٥ ـ **الصناعتين في الكتابة والشعر** : أبو الهلال العسكري ، الحسن بن عبدالله (ـ ٣٩٥هـ) : تحقيق : محمّد علي البجاوي و محمّد أبو الفضل إبراهيم .

٤٣٦ ـ **الصواعق المحرقة على أهل الرّفض والضلال والزّندقة** : ابن حجر الهيتميّ = أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد بن عليّ (٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ) : تحقيق : عبدالرحمان التركي وكامل محمّد الخرّاط ، مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م (مجلّدان) .

٤٣٧ ـ **ضحى الإسلام** : أحمد أمين : نشر دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة العاشرة .

٤٣٨ ـ **طبقات فحول الشعراء** : ابن سلام ، محمّد الجمحي (ـ ٢٣٢هـ) : شرح : محمود محمّد شاكر ، مطبعة المدني ، المؤسّسة السعوديّة بمصر / ١٩٧٣م .

٤٣٩ ـ **الطبقات الكبرى** : ابن سعد الواقدي ، أبو عبدالله محمّد بن سعد بن منيع البصريّ الزهري (١٦٨ ـ ٢٣٠هـ) : تحقيق : محمّد عبد القادر عَطا ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م (٨ مجلّدات + مجلّد الفهارس) .

٤٤٠ ـ **الطرق الحكميّة في السياسة الشرعيّة** : ابن قيم الجوزيّة = شمس الدين أبي عبدالله محمّد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (٦٩١ ـ ٧٥١هـ) : تحقيق : محمّد حامد الفقي ، المحمّديّة ـ القاهرة / ١٩٣٥م .

٤٤١ ـ **عبقريّة الإمام عليّ** : العقّاد ، عبّاس محمود (١٨٨٩ ـ ١٩٦٤هـ) : دار المعارف ـ بيروت / ١٩٩٠م .

٤٤٢ ـ **عبقريّة الشريف الرضي** : د . زكي مبارك ، محمّد (١٨٦١ ـ ١٩٥٢م) : مكتبة مصر ـ القاهرة / ١٩٩٦م .

٤٤٣ ـ **عجائب أحكام أمير المؤمنين** عليه‌السلام : الأمين العاملي ، محسن (١٨٦٥ ـ ١٩٥٢م) : تحقيق : فارس حسّون كريم ، مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة ـ قم المقدّسة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م .

٤٤٤ ـ **عدّة الداعي** : ابن فهد الحلّيّ ، جمال الدين أبو العبّاس أحمد بن شمس الدين محمّد بن فهد (٧٥٧ ـ ٨٤١هـ) : تحقيق : فارس حسّون كريم ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ـ قم المقدّسة / ١٤٢١هـ .

٤٤٥ ـ **العصبيّة القبليّة وأثرها في الشعر الأموي** : د. النصّ ، إحسان : دار اليقظة العربيّة ـ بيروت / ١٩٦٤م .

٤٤٦ ـ **العقد الفريد** : ابن عبدربّه الأندلسيّ ، أبو عمر أحمد بن محمّد (٢٤٦ ـ ٣٢٨هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٨٩م .

٤٤٧ ـ **العقد المفصّل** : الحلّي ، حيدر (١٨٣١ ـ ١٨٨٦هـ) : المكتبة الحيدريّة ـ قم المقدّسة / ١٣٧٩م .

٤٤٨ ـ **العقيدة والشريعة في الإسلام** : جولد زيهر ، أجناس : ترجمة : محمّد يوسف ، دار النهضة ـ بيروت / ١٩٩٠م .

٤٤٩ ـ **علل الشرائع** : الشيخ الصّدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : دار الحُجّة للثقافة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ (جزءان في مجلّد) .

٤٥٠ ـ **العلم** : أبو خيثمة النسائي (ـ ٢٣٤هـ) .

٤٥١ ـ **عليّ بن أبي طالب بقيّة النبوّة وخاتم الخلافة** : عبدالكريم الخطيب .

٤٥٢ ـ **عليّ والخلفاء** : العسكري ، نجم الدين : مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف ، الطبعة الأُولى .

٤٥٣ ـ **عليّ وبنوه** : د. حسين ، طه (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م) : دار المعارف ـ القاهرة / ١٩٨٩م .

٤٥٤ ـ **عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب الأبرار** : ابن البطريق = يحيى بن الحسن الأسدي الحلّي (٢٣٠ ـ ٦٠٠هـ) : نشر جماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة / ١٤٠٧هـ .

٤٥٥ ـ **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب** : ابن عنبة = جمال الدين أحمد بن عليّ بن الحسين الحسينيّ (٧٤١ ـ ٨٢٨هـ) : المكتبة الثقافيّة ـ قم المقدّسة / ٢٠٠٤م .

٤٥٦ ـ **عمدة القارئ**: بدرالدين العيني، أبو محمّد محمود بن أحمد (٧٦٣ ـ ٨٥٥هـ): مصطفى الحلبي ـ القاهرة / ١٩٧٣م.

٤٥٧ ـ **عوالي اللآلئ العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة**: ابن أبي جمهور الأحسائي، محمّد بن عليّ بن إبراهيم (ـ ٨٨٠هـ): دار سيّد الشهداء عليه السلام ـ قم المقدّسة، الطبعة الأولى /١٤٠٥هـ.

٤٥٨ ـ **عيون الأثر**: ابن سيّد الناس = محمّد بن محمّد (٦٧١ ـ ٧٣٤هـ): دار الفكر ـ دمشق / ١٩٨٨م.

٤٥٩ ـ **عيون الأخبار**: ابن قتيبة الدينوريّ، عبدالله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ): دار الكتب المصريّة ـ القاهرة / ١٩٩٦م.

٤٦٠ ـ **عيون أخبار الرضا عليه السلام**: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): تحقيق: الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت، الطبعة الأولى / ١٤٠٤هـ.

٤٦١ ـ **الغارات**: ابن هلال الثقفيّ، إبراهيم بن محمّد الكوفي (ـ ٢٨٣هـ): دار الكتاب الإسلامي ـ قم المقدّسة / ١٤١١هـ.

٤٦٢ ـ **غاية الاختصار في البيوتات العلويّة المحفوظة من الغبار**: الحسينيّ الحلبيّ، ابن زهرة (٥٦٥ ٦٢٩هـ): المكتبة الحيدريّة ـ النجف الأشرف / ١٣٨٢هـ.

٤٦٣ ـ **غاية المرام وحجّة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاصّ والعامّ**: البحراني = السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني التوبلي (ـ ١١٠٧هـ): تحقيق: السّيّد علي عاشور، مؤسّسة التّاريخ العربي ـ بيروت / ١٤٢٢هـ.

٤٦٤ ـ **الغدير في الكتاب والسنّة والأدب**: العلّامة الأمينيّ، عبدالحسين (١٢٨١ ـ ١٣٤٩هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٠م.

٤٦٥ ـ **الغرر والدرر**: الشريف المرتضى = علم الهدى أبي القاسم عليّ بن الحسين الموسوي (٣٥٥ ـ ٤٣٦هـ): مجمع الذخائر الإسلاميّة ـ قم المقدّسة / ١٤٢٥م.

٤٦٦ ـ **غريب الحديث**: أبو عبيد = قاسم بن سلام (١٥٤ ـ ٢٢٤هـ): تحقيق: محمّد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانيّة ـ حيدرآباد، الطبعة الأُولى ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

٤٦٧ ـ **الغلوّ والفرق الغالية في الحضارة الإسلاميّة**: سلوّم السامرّائي، عبدالله: دار الحرّيّة، ـ بغداد / ١٩٨٥م.

٤٦٨ ـ **الغَيبة**: شيخ الطائفة = أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسيّ (ـ ٤٦٠هـ): تحقيق: الشيخ عبدالله الطهراني والشيخ عليّ أحمد صالح، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ـ قم المقدّسة، الثالثة / ١٤٢٥هـ.

٤٦٩ ـ **الفائق في غريب الحديث**: جار الله الزمخشريّ = أبو القاسم محمود بن عمر (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤١٧هـ.

٤٧٠ ـ **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**: ابن حجر العسقلانيّ = شهاب الدين أحمد بن عليّ الشافعي (٧٣٣ ـ ٨٥٢هـ): تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار الفكر ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م (١٥ مجلّداً + مجلّدا المقدّمة والخاتمة).

٤٧١ ـ **الفتنة الكبرى**: د. حسين، طه (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣م): دار المعارف ـ القاهرة / ٢٠٠٣م.

٤٧٢ ـ **الفتنة ووقعة الجمل**: الضبيّ، سيف بن عمر (ـ ٢٠٠هـ): تحقيق: أحمد راتب عرموش، دار النفائس ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٩٧٢م.

٤٧٣ ـ **الفتوح**: ابن أعثم الكوفي = أحمد بن محمّد بن عليّ (ـ ٣١٤هـ): دار الفكر ـ بيروت / ١٩٩٢م.

٤٧٤ ـ **الفتوحات المكّيّة**: ابن العربي، محيي الدين (٥٦٠ ـ ٦٣٨هـ): دار الفكر ـ بيروت / ٢٠٠٢م.

٤٧٥ ـ **فتوح البلدان**: البلاذريّ ، أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ـ ٢٧٩هـ): المطبعة المصريّة ـ القاهرة ، الطبعة الأُولى / ١٩٣٢م.

٤٧٦ ـ **فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والأئمة من ذُرّيتهم** عليهم السلام: الجوينيّ الخراسانيّ ، إبراهيم بن محمّد بن المؤيد بن عبدالله بن علي بن محمّد (٦٤٤ ـ ٧٣٠هـ): تحقيق: محمّد باقر المحموديّ ، مؤسّسة المحمودي للطباعة والنشر ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٤٧٧ ـ **الفروسيّة**: ابن قيم الجوزيّة = شمس الدين أبي عبدالله محمّد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (٦٩١ ـ ٧٥١هـ): دار الشؤون الثقافيّة العامّة ـ بغداد / ١٩٨٧م.

٤٧٨ ـ **فصل الخطاب**: المحدّث النوريّ =الحاج الميرزا حسين بن محمّد تقي بن تقيّ الطبرسيّ (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠هـ).

٤٧٩ ـ **الفصول المختارة من العيون والمحاسن**: الشيخ المفيد =أبو عبدالله محمّد بن محمّد النعمان العكبري البغدادي (٣٣٦ ـ ٤١٣هـ): تحقيق: السيّد علي ميرشريفي ، دار المفيد ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

٤٨٠ ـ **الفصول المهمّة في معرفة أحوال الأئمّة**: ابن الصَبّاغ = عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي (ـ ٨٥٥هـ): دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

٤٨١ ـ **الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة**: الحرّ العامليّ = محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسين (١٠٣٣ ـ ١١٠٤هـ): مؤسّسة المعارف الإسلاميّة / ١٤١٨هـ.

٤٨٢ ـ **الفضائل**: شاذان بن جبرئيل القمّي (ـ ٦٦٠هـ): الحيدريّة ـ النجف الأشرف ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.

٤٨٣ ـ **فضائل آل البيت**: محمّد بن موسى آل نصر.

٤٨٤ ـ **فضائل الخمسة من الصحاح الستّة**: الحسينيّ الفيروزآباديّ ، مرتضى (١٢٨٩ ـ ١٣٦٨هـ) ، مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٤٨٥ ـ **فضائل الصحابة**: ابن حنبل الشيباني، أحمد (١٦٤ ـ ٢٤١هـ): دار الثقافة ـ الرياض / ١٩٩٠م.

٤٨٦ ـ **فقه الرضا ٧** (المنسوب للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام): ابن بابويه القمّي، عليّ بن الحسين (ـ ٣٢٩هـ): تحقيق: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام ـ مشهد المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤٠٦هـ.

٤٨٧ ـ **فلاح السائل ونجاح المسائل في عمل اليوم والليلة**: السيّد ابن طاووس، رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ): تحقيق: غلام حسين المجيدي، نشر مكتب الإعلام الإسلامي ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤١٩هـ.

٤٨٨ ـ **فوات الوفيات**: ابن شاكر الكتبي = محمّد بن شاكر (٦٨١ ـ ٧٦٤هـ): تحقيق: علي محمّد بن يعوض الله و عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ٢٠٠٠م.

٤٨٩ ـ **فيض القدير شرح الجامع الصغير**: عبدالرؤوف المناويّ، محمّد الشافعي (٩٥٢ ـ ١٠٣١هـ): تحقيق: أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ.

٤٩٠ ـ **القاموس الإسلامي**: وضع: أحمد عطيّة: مكتبة النهضة المصريّة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

٤٩١ ـ **قرب الإسناد**: الحميريّ، أبو العبّاس عبدالله بن جعفر (ـ ٣١٠هـ): مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٤٩٢ ـ **قضاء أمير المؤمنين عليه السلام**: محمّد تقي التستري = نور الله بن شريف الدين الحسيني المرعشي الشوشتري (٩٥٦ ـ ١٠١٩هـ): المطبعة الحيدريّة ـ النجف الأشرف.

٤٩٣ ـ **الكافي** : ثقة الإسلام = أبو جعفر محمّد بن يعقوب بن إسحاق الرازي الكليني (٣٢٨ ـ ٣٢٩هـ) : مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

٤٩٤ ـ **الكامل في اللغة والأدب** : المبرّد = أبو العبّاس محمّد بن يزيد (٢١٠ ـ ٢٨٦هـ) : دار الفكر العربي ـ القاهرة / ١٩٩٧م .

٤٩٥ ـ **كامل الزيارات** : ابن قولويه ، الشيخ أبو القاسم جعفر بن محمّد القمّي (ـ ٣٦٨هـ) : نشر : الفقاهة ـ قم المقدّسة / ١٤٢٠هـ .

٤٩٦ ـ **الكامل في التاريخ** : ابن الأثير = عزّ الدين أبي الحسن عليّ بن محمّد بن أبي الكرم الشيبانيّ (٥٥٥ ـ ٦٣٠هـ) : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٩م .

٤٩٧ ـ **الأربعين** : الشيخ البهائي = بهاء الدين محمّد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي (٩٥٣ ـ ١٠٣٠هـ) : نويد اسلام ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ .

٤٩٨ ـ **كشف الغمّة في معرفة الأئمّة** : الإربلي = أبو الحسن عليّ بن عيسى بن أبي الفتح (٤٦٧ ـ ٥٣٨هـ) : دار الأضواء ـ بيروت / ١٩٨٥م .

٤٩٩ ـ **الكشكول = أنيس المسافر وجليس الحاضر** : البحراني = الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الدرازي (١١٠٧ ـ ١١٨٦هـ) : بومباي / ١٢٩١هـ .

٥٠٠ ـ **كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب** : الحافظ الكنجيّ الشافعيّ = أبو عبدالله محمّد بن يوسف القرشي ، (ـ ٦٥٨هـ) : تحقيق : محمّد هادي الأمينيّ ، دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام ـ طهران ، الطبعة الثانية / ١٤٠٤هـ .

٥٠١ ـ **الكفاية في علم البداية** : الصابوني ، نور الدين : بيروت / ١٩٨٨م .

٥٠٢ ـ **الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء** : الإمام شرف الدين = عبدالحسين الموسوي العاملي (١٨٧٣ ـ ١٩٥٨م) : الدراسات الإسلاميّة / ١٩٩٦م .

٥٠٣ ـ **كمال الدين وتمام النعمة**: الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المقدّسة / ١٤٢٢هـ.

٥٠٤ ـ **كميل بن زياد النخعي**: الهاشمي الخطيب = السيّد عليّ بن الحسين (ـ ١٣٩٦هـ): دار المفيد ـ بيروت / ١٤١١هـ.

٥٠٥ ـ **كنز الدقائق وبحر الغرائب** (تفسير): ابن المشهدي = الميرزا محمّد بن محمّد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمّي (القرن ١٢ الهجري): دار الغدير ـ قم المقدّسة / ١٤٢٣هـ.

٥٠٦ ـ **كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال**: المتّقيّ الهنديّ = علاء الدين عليّ بن حسام الدين (٨٨٨ ـ ٩٧٥هـ): مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ٢٠٠٤م.

٥٠٧ ـ **كنز الفوائد**: أبو الفتح الكراجكي، محمّد بن علي بن عثمان الطرابلسي (ـ ٤٤٩هـ): مكتبة المصطفوي ـ قم المقدّسة، الطبعة الثانية / ١٤١٠هـ.

٥٠٨ ـ **كنوز الحقائق**: عبدالرؤوف المناويّ، محمّد الشافعي (٩٥٢ ـ ١٠٣١هـ): المكتبة الإسلاميّة ـ القاهرة / ١٩٨٦م.

٥٠٩ ـ **الكنى والألقاب**: الشيخ القمّي، عبّاس (١٢٥٤ ـ ١٣١٩هـ): مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين ـ قم المشرّفة، الطبعة الأولى / ١٤٢٥هـ.

٥١٠ ـ **لسان العرب**: ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمّد بن مكرم بن عليّ بن أحمد الأنصاري الأفريقي المصري (٦٣٠ ـ ٧١١هـ): تنسيق وتعليق: علي شيري، دار صادر ـ بيروت / ١٩٩٥م.

٥١١ ـ **لسان الميزان**: ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن عليّ (٧٧٣ ـ ٨٥٣هـ): تحقيق: عادل أحمد وعلي معوّض، دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م (٧ مجلّدات).

٥١٢ ـ **لطائف المعارف**: أبو منصور الثعالبي =عبد الملك بن محمّد (٣٥٠ ـ ٤٢٩هـ): الحلبي ـ القاهرة / ١٩٨٨م.

٥١٣ ـ **اللمعة الدمشقيّة في فقه الإماميّة**: الشهيد الأوّل: محمّد بن مكّي العامليّ الجزينيّ (٧٣٤ ـ ٧٨٦هـ): تحقيق: محمّد تقي وعلي أصغر مرواريد، نشر دار التراث ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٥١٤ ـ **مآثر الإنافة في معالم الخلافة**: القلقشندي =أحمد بن عليّ (٧٥٦ ـ ٨٢١هـ): دار الثقافة ـ القاهرة / ١٩٨٥م.

٥١٥ ـ **مالك الأشتر**: جعفر الحكيم، محمّدرضا: الوليد ـ بيروت / ٢٠٠١م.

٥١٦ ـ **المبسوط في فقه الإماميّة**: شيخ الطائفة =أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ـ ٤٦٠هـ): تحقيق: محمّد باقر البهبودي، مؤسّسة النشر الإسلامي / ١٤٢٢هـ.

٥١٧ ـ **المبين في إثبات إمامة الأئمّة الطاهرين**: البحراني = السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني التوبلي (ـ ١١٠٧هـ).

٥١٨ ـ **مجالس ثعلب**: ابن يسار الشيباني المعروف بـ« ثعلب » =أبو العبّاس أحمد بن يحيى (٢٠٠ ـ ٢٩١هـ): دار المعارف ـ القاهرة / ١٩٤٨م.

٥١٩ ـ **المجالس السنيّة**: الأمين العاملي، محسن (١٨٦٥ ـ ١٩٥٢م): دار المعارف ـ بيروت / ١٩٩٢م.

٥٢٠ ـ **مجمع الأمثال**: أبو الفضل الميداني، أحمد بن محمّد النيسابوري (ـ ٥١٨هـ): عيسى البابي ـ القاهرة / ١٩٨٢م.

٥٢١ ـ **مجمع البحرين ومطلع النيّرين**: فخر الدين الطريحي = محمّد بن عليّ (٩٧٩ـ ١٠٨٥هـ): تحقيق: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة ـ طهران، الطبعة الأُولى / ١٤١٤هـ (٣ مجلّدات).

٥٢٢ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: نور الدين الهيثميّ = الحافظ عليّ بن أبي بكر المصري الشافعي (٧٣٥ ـ ٨٠٧هـ): دار الكتب العلميّة ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٥٢٣ ـ **المجموع** (شرح المهذّب للشيرازي): محيي الدين النووي = أبو زكريّا يحيى بن شرف (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ): دار الفكر ـ بيروت / ١٩٦٩م.

٥٢٤ ـ **المحاسن**: البرقيّ، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن خالد (ـ ٢٧٤هـ): المجمع العالمي لأهل البيت عليهم‌السلام ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٥٢٥ ـ **محاضرة الأوائل**: عليّ دده، علاء الدين: مطبعة الميريّة ـ القاهرة / ١٣٥٩هـ.

٥٢٦ ـ **محاكمة في القضاء**: الحسيني، محمّدحسين.

٥٢٧ ـ **المحبّر**: ابن حبيب الهاشمي البغدادي، محمّد: دار الغد العربي ـ القاهرة / ٢٠٠٠م.

٥٢٨ ـ **المحرّر الوجيز**: ابن عطيّة الأندلسي، أبو محمّد عبدالحقّ بن غالب (٤٨١ ـ ٥٤٢هـ): الحلبي ـ القاهرة / ١٩٩٨م.

٥٢٩ ـ **المحصول في علم أُصول الفقه**: خطيب الريّ = فخر الدين أبي عبدالله محمّد بن ضياء الدين عمر بن الحسن بن الحسين (٥٤٤ ـ ٦٠٦هـ): المكتبة العصريّة ـ بيروت / ١٩٩٩م.

٥٣٠ ـ **المحلّى**: ابن حزم الأندلسي = أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد الظاهري (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ): تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار الفكر ـ القاهرة / ١٣٨٣هـ.

٥٣١ ـ **المختار من كتاب عيون الأخبار**: عبد الحليم البردوي، أحمد: بيروت / ٢٠٠٢م.

٥٣٢ ـ **مختصر البصائر**: ابن سليمان الحلّي، الحسن (القرن التاسع الهجري): قم المقدّسة / ٢٠٠٣م.

٥٣٣ ـ **مختصر تاريخ العرب والتمدّن الإسلامي**: علي، أمير: دار الآفاق ـ القاهرة / ٢٠٠١م.

٥٣٤ ـ **مدينة معاجز الأئمّة الاثنى عشر ودلائل الحجج على البشر**: البحراني = السيّد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني التوبلي (ـ ١١٠٧هـ): تحقيق: لجنة بإشراف فارس كريم، مؤسّسة المعارف الإسلامية ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٥٣٥ ـ **المراجعات**: الإمام شرف الدين، عبدالحسين الموسوي العاملي (١٨٧٣ـ١٩٥٨م): دار الأنصار ـ قم المقدّسة / ١٣٨٦هـ.

٥٣٦ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: المسعوديّ، أبو الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ (ـ ٣٤٦هـ): تحقيق: عبدالأمير المهنّا، نشر مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٥٣٧ ـ **المزار**: للشهيد الأوّل، محمّد بن مكّي العاملي الجزيني (٧٣٤ـ ٧٨٦هـ): تحقيق ونشر مؤسّسة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف ـ قم المقدّسة / ١٤١٠هـ.

٥٣٨ ـ **المزار الكبير**: ابن المشهدي، الشيخ أبو عبدالله محمّد بن جعفر بن عليّ الحائري (ـ ٦١٠هـ): تحقيق: جواد القيّومي الأصفهاني، نشر دار القيّوم، الطبعة الأُولى / ١٤١٩هـ.

٥٣٩ ـ **المستدرك على الصحيحين**: الحاكم النيسابوريّ، محمّد (ـ ٤٠٥هـ): تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

٥٤٠ ـ **مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل**: المحدّث النوريّ، الحاج الميرزا حسين بن محمّد تقي بن تقيّ الطبرسيّ (١٢٥٤ ـ ١٣٢٠هـ): مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم المقدّسة، الطبعة الأُولى / ١٤٠٨هـ.

٥٤١ ـ **مسند أبي داود الطيالسيّ**: الحافظ ابن داود البصريّ الفارسيّ = سليمان بن داود بن الجارود، (٢٠٣ ـ ٢٧٥هـ): مكتبة الأزهريّة ـ القاهرة / ١٩٧٩م.

٥٤٢ ـ **مسند أبي عوانة**: ابن السكّيت = يعقوب بن إسحاق (١٨٦ ـ ٢٤٦هـ): دار المعارف ـ القاهرة / ١٩٥٦م.

٥٤٣ ـ **مسند أبي يعلى**: أبو يعلى التميمي الموصلي، أحمد بن عليّ بن المثنّى (٤٥١ـ ٥٢٦هـ): تحقيق حسين سليم، دار الثقافة العربية ـ دمشق، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م (١٣ مجلّداً + مجلّدا الفهارس).

٥٤٤ ـ **مسند أحمد بن حنبل** : ابن حنبل ، أحمد (ـ ٢٤١هـ) : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

٥٤٥ ـ **مسند زيد بن عليّ** : زيد بن عليّ رضي الله عنه (٧٩ ـ ١٢٢هـ) : مكتبة اليمن الكبرى ـ صنعاء / ١٩٨٧م .

٥٤٦ ـ **مسند الشاميّين** : الطبرانيّ = أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب اللخمي (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ) : تحقيق : أحمد عبدالمجيد السلفي ، مؤسّسة السرسالة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .

٥٤٧ ـ **مسند شهاب** : القضاعي = محمّد بن سلامة بن جعفر الشافعي (ـ ٤٥٤هـ) : مؤسّسة أمّ القرى ـ الرياض / ١٩٩٥م .

٥٤٨ ـ **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار** : الطبرسي = عليّ بن حسن (من أعلام القرن السابع الهجري) : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة / ١٤٢٣م .

٥٤٩ ـ **مشكل الآثار** : الطحاوي ، أحمد بن محمّد بن سلامة بن سلمة (٢٣٩ ـ ٣٢١هـ) : مؤسّسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

٥٥٠ ـ **مصابيح السنّة** : البغويّ ، أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد الفرّاء (ـ ٥١٦هـ) : تحقيق : د . يوسف عبدالرحمن المرعشلي ومحمّد إبراهيم سمارة وجمال حمدي الذهبي ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

٥٥١ ـ **مصادر نهج البلاغة وأسانيده** : الحسيني ، عبدالزهراء : دار الأضواء ـ بيروت / ١٩٨٥م .

٥٥٢ ـ **مصباح البلاغة** (مستدرك نهج البلاغة) (م) : ميرجهانى ، حسن (١٢٨٠ ـ ١٣٨٨هـ.ش) .

٥٥٣ ـ **مصباح المتهجّد** : شيخ الطائفة ، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٣٨٥ ـ ٤٦٠هـ) : مؤسّسة فقه الشيعة ـ بيروت ، الطبعة الأُولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

٥٥٤ ـ **مصباح الزائر**: السيّد ابن طاووس = رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ): تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم المقدّسة / ١٤١٧هـ.

٥٥٥ ـ **المصنّف في الأحاديث والآثار**: ابن أبي شيبة ، عبدالله بن محمّد بن إبراهيم (١٥٩ ـ ٢٣٥هـ): تحقيق: حمد بن عبدالله الجمعة ومحمّد بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ـ الرياض ، الطبعة الأُولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ١٤ مجلّداً + مجلّد الفهارس.

٥٥٦ ـ **مطالب السؤول في مناقب آل الرسول**: القرشيّ ، كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد بن الحسن الشافعي (٥٨٣ ـ ٦٥٢هـ): مؤسّسة أُمّ القرى ـ قم المقدّسة / ١٤٢٠هـ.

٥٥٧ ـ **المعارف**: ابن قتيبة الدينوريّ ، أبو محمّد عبدالله بن مسلم (٢١٣ ـ ٢٧٦هـ): دار المعارف ـ وزارية الثقافة ـ دمشق / ٢٠٠٠م.

٥٥٨ ـ **معاني الأخبار**: الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ): قدّم له: الشيخ حسين الأعلمي ، تعليق: علي أكبر الغفّاري ، نشر مؤسّسة الأعلميّ ـ بيروت ، الأُولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٥٥٩ ـ **معاني القرآن الكريم**: النحّاس = أحمد بن محمّد (ـ ٣٨٤هـ): جامعة أُمّ القرى ـ مكّة المكرّمة / ١٩٨٩م.

٥٦٠ ـ **المعتبر في شرح المختصر**: المحقّق الحلّيّ ، أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الهُذَلي (٦٠٢ ـ ٦٧٦هـ): مؤسّسة سيّد الشهداء عليه السلام ـ قم المقدّسة / ١٤٠٦هـ.

٥٦١ ـ **معجم الأُدباء**: ياقوت الحمويّ ، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الروميّ البغداديّ (٥٧٤ ـ ٦٢٦هـ): دار المأمون ـ القاهرة / ٢٠٠١م.

٥٦٢ ـ **المعجم الأوسط**: الطبرانيّ ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب اللخمي (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ): دار الفكر ـ عمان / ١٩٩٩م.

٥٦٣ ـ **معجم البلدان**: ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبدالله الروميّ البغداديّ (ـ٦٢٦هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٣٩٩هـ.

٥٦٤ ـ **معجم رجال الحديث**: السيّد الخوئيّ، السيّد أبوالقاسم الموسوي (ـ ١٤١٣هـ): الثقافة الإسلاميّة ـ قم المقدّسة الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

٥٦٥ ـ **المعجم الكبير**: الطبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيّوب اللـخمي (٢٦٠ ـ ٣٦٠هـ): دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / ١٩٩٦م.

٥٦٦ ـ **معجم ما استعجم**: البكري الأندلسي، عبدالله بن عبدالعزيز (٤٣٢ ـ ٤٨٧هـ): مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٩٦م.

٥٦٧ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة**: دشتي، محمّد(١٣٣٠ ـ ١٣٨٠هـ): مشهور ـ قم المقدّسة / ١٣٨٠هـ. ش.

٥٦٨ ـ **معرفة السنن والآثار**: أبو بكر البيهقي = أحمد بن الحسين بن عليّ (٣٨٤ ـ ٤٥٨هـ): مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٨٠م.

٥٦٩ ـ **معرفة الصحابة**: أبو نعيم الأصفهاني = أحمد بن عبدالله (ـ ٤٣٠).

٥٧٠ ـ **المغازي**: الواقدي، محمّد بن عمر بن واقد (١٣٥ ـ ٢٠٧): مركز النشر ـ قم المقدّسة / ١٤١٨هـ.

٥٧١ ـ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**: طاش كبرى زاده، أحمد بـن مـصطفى (٩٠١ ـ ٩٦٨هـ): مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٨٠م.

٥٧٢ ـ **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**: عليّ، جواد: مكتبة النهضة ـ بغداد / ١٩٧٨م.

٥٧٣ ـ **مقاتل الطالبيّين**: أبو الفرج الأصفهاني، عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ): مكتبة الحيدريّة ـ قم المقدّسة / ١٤٢٣هـ.

٥٧٤ ـ **مقتل الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب** عليه السلام: ابن أبي الدنيا، عبدالله: نيلو برگ ـ طهران / ١٣٨٣هـ. ش.

٥٧٥ ـ **مقتل الحسين** عليه السلام : الخوارزميّ = أخطب خوارزم ، موفّق بن أحمد بن محمّد البكري الحنفي المكّي (٤٨٤ ـ ٥٦٨هـ) : تحقيق : محمّد السماوي ، أنوار الهدى ـ قم المقدّسة / ١٤١٨هـ.

٥٧٦ ـ **المقنع والهداية** : الشيخ الصّدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : تحقيق ونشر : مؤسّسة الإمام الهادي عليه السلام ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ.

٥٧٧ ـ **مكاتيب الرسول** : الأحمدي الميانجي ، علي (١٣٠٤ ـ ١٣٧٩هـ) : دار الحديث ـ طهران ، الطبعة الأُولى / ١٩٩٨م.

٥٧٨ ـ **مكارم الأخلاق** : أمين الإسلام ، أبو عليّ الفضل بن الحسن بن الفضل الطوسي الطبرسي (٤٦٨ ـ ٥٤٨هـ) : دار الفقه ـ قم المقدّسة / ١٤٢٥هـ.

٥٧٩ ـ **المكاسب المحرّمة** : الشيخ الأعظم = مرتضى بن محمّد أمين الدزفولي الأنصاري (١٢١٤ ـ ١٢٨١هـ) : دار الحكمة ـ قم المقدّسة / ١٤١٦هـ.

٥٨٠ ـ **ملحمة أهل البيت** : الفرطوسي ، الشيخ عبدالمنعم النجفي : دار الزهراء عليها السلام ـ بيروت ، الطبعة الأُولى / ١٩٧٧م.

٥٨١ ـ **الملل والنحل** : الشهرستاني ، أبو الفتح محمّد بن عبدالكريم (٤٧٩ ـ ٥٤٨هـ) : مؤسّسة الصادق عليه السلام ـ طهران / ١٣٨٧هـ.

٥٨٢ ـ **مناقب آل أبي طالب** : ابن شهرآشوب ، أبو جعفر رشيد الدين محمّد بن عليّ السرويّ المازندرانيّ (٤٨٨ ـ ٥٨٨هـ) : دار الأضواء ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

٥٨٣ ـ **مناقب أبي حنيفة** : أخطب خوارزم = الموفّق بن أحمد بن محمّد البكري الحنفي المكّي الخوارزمي (٤٨٤ ـ ٥٦٨هـ) : مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٨٨م.

٥٨٤ ـ **مناقب أحمد بن حنبل** : ابن الجوزيّ = أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ) : دار ابن خلدون ـ الاسكندريّة / ١٩٨٦م.

٥٨٥ ـ **مناقب أهل البيت** : أبو الفرج الاصفهانيّ =عليّ بن حسين (٢٨٤ ـ ٣٥٦هـ) : قم المقدّسة / ١٤٢٠هـ.

٥٨٦ ـ **المناقب** : الخوارزميّ =أخطب خوارزم ، الموفّق بن أحمد بن محمّد البكري الحنفي المكّي (٤٨٤ ـ ٥٦٨هـ) : تحقيق : مالك المحمودي ، مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثالثة / ١٤١٧هـ.

٥٨٧ ـ **المناقب والمثالب** : القاضي المغربيّ ، أبو حنيفة النعمان بن محمّد التميميّ المصري (ـ ٣٦٣هـ) : المعارف ـ القاهرة / ١٩٨٠م.

٥٨٨ ـ **المنتقى** : الباجي ، سليمان بن خلف.

٥٨٩ ـ **منتهى المطلب في تحقيق المذهب** : العلّامة الحلّي =أبو منصور الحسن بن يوسف المطهّر الأسدي (٦٤٨ ـ ٧٢٦هـ) : مجمع البحوث الإسلاميّة ـ مشهد المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ.

٥٩٠ ـ **من لا يحضره الفقيه** : الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (٣١١ ـ ٣٨١هـ) : مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ، الطبعة الأُولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٥٩١ ـ **منهاج الصالحين** : السيّد الحكيم ، محسن (١٢٦٧ ـ ١٣٤٨هـ) : النجف ـ النجف الأشرف / ١٣٨٧هـ.

٥٩٢ ـ **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة** : الميرزا الهاشمي الخوئي ، حبيب الله بن محمّد هاشم (١٢٦٨ ـ ١٣٢٤هـ) : عني بتصحيحه وتهذيبه : السيّد إبراهيم الميانجي ، بنياد فرهنگى امام المهدى ، المطبعة الإسلاميّة ـ طهران ، الطبعة الرابعة / ١٣٦٤هـ. ش.

٥٩٣ ـ **منية المريد** : الشهيد الثاني =الشيخ زين الدين بن عليّ بن أحمد بن جمال الدين العاملي الجعبي (٩١١ ـ ٩٦٥هـ) : مركز النشر الإسلامي ـ قم المقدّسة / ١٤١٨هـ.

٥٩٤ ـ **المواقف** : عضد الدين

٥٩٥ ـ **المواهب اللدنية بالمنح المحمّديّة** : القسطلاني المصري ، أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن محمّد (٨٥١ ـ ٩٢٣هـ) : الدار العلميّة ـ بيروت / ١٩٩٦م .

٥٩٦ ـ **الموضوعات** : ابن الجوزيّ ، أبو الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن عليّ بن محمّد (٥٠٨ ـ ٥٩٧هـ) : أضواء السلف ـ الرياض / ١٩٩٧م .

٥٩٧ ـ **الموطّأ** : الإمام مالك بن أنس (ـ ١٧٦هـ) : تحقيق : محمّد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربيّ ـ بيروت / ١٩٩٢م.

٥٩٨ ـ **مؤلّفو الشيعة في صدر الإسلام** : السيّد الصدر ، حسين.

٥٩٩ ـ **مهج الدعوات في منهج العبادات** : السيّد ابن طاووس ، رضيّ الدين أبي القاسم عليّ بن بن سعد الدين إبراهيم بن موسى بن جعفر (٥٨٩ ـ ٦٤٤هـ) : دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران ، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ.

٦٠٠ ـ **ميزان الاعتدال في نقد الرجال** : الذهبيّ ، الذهبيّ ، شمس الدين محمّد بن أحمد بن عثمان (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ) : دار الفكر ـ بيروت / ١٤٢٠هـ.

٦٠١ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** : الأتابكيّ ، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (٨١٣ ـ ٧٨٤هـ) : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ـ القاهرة / ١٩٧٢م .

٦٠٢ ـ **النزاع والتخاصم فيما بين بني أُميّة وبني هاشم** : تقي الدين المقريزي ، أحمد بن عليّ (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ) : قم المقدّسة / ١٤١٩هـ.

٦٠٣ ـ **نزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء (م)** : ابن الأنباري ، عبدالرحمن بن محمّد (٥١٣ ـ ٥٧٧هـ) : مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ٢٠٠٣م .

٦٠٤ ـ **نزهة المجالس ومنتخب النفائس** : الصفوري الشافعي ، عبدالرحمان بن عبدالسلام (ـ ٨٩٤هـ) : المعارف ـ الاسكندريّة / ٢٠٠١م .

٦٠٥ ـ **نزهة الناظر وتنبيه الخاطر**: الحلوانيّ، أبو عبدالله الحسين بن محمّد (القرن الخامس الهجري): مدرسة ومؤسّسة الإمام المهدي عجّل الله فرجه الشريف ـ قم المقدّسة، الطبعة الأولى / ١٤٠٨هـ.

٦٠٦ ـ **النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية**: العلويّ، محمّد بن عقيل بن عبدالله بن عمر (١٨٦٣ ـ ١٩٣١م): مؤسّسة الفجر ـ بيروت / ١٩٩١م.

٦٠٧ ـ **نصب الراية**: جمال الدين الزيلعي = عبدالله بن يوسف الحنفي (ـ ٧٦٢هـ: دار الأزهر ـ القاهرة / ١٩٩٨م.

٦٠٨ ـ **نصرة الثائر على المثل السائر**: صلاح الدين الصفدي = خليل بن أيبك بن عبدالله (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ).

٦٠٩ ـ **النصّ والاجتهاد = الاجتهاد في مقابل النصّ**: الإمام شرف الدين = عبدالحسين الموسوي العاملي (١٨٧٣ ـ ١٩٥٨م): مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الحادية عشر ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٦١٠ ـ **نظام الحكم والإدارة في الإسلام**: القرشيّ، باقر شريف (١٩٢٦ ـ م)، المطبعة: ستارة: الناشر: الرافد، سنة الطبع ٢٠١١م.

٦١١ ـ **النظم الإسلاميّة**: موريس گود فروا، ديمومين (١٨٦٣ ـ ١٩٥٧م): دار المعارف ـ القاهرة / ١٩٨٢م.

٦١٢ ـ **نَظم دُرر السِمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين**: الزرندي الحنفي، جمال الدين محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد المدني (٦٩٣ ـ ٧٥٠هـ): المجمع العالمي للتقريب ـ طهران / ٢٠٠٩م.

٦١٣ ـ **نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن**: الشرواني، أحمد بن محمّد الأنصاري اليمني (ـ ١٢٥٠هـ): بيروت / ١٩٨٠م.

٦١٤ ـ **النوادر**: الراوندي، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ـ ٥٧٣هـ): بيروت / ١٩٨٨م.

٦١٥ ـ **نور الأبصار في مناقب آل بيت النبيّ المختار** : الشبلنجيّ ، مؤمن بن حسن بن مؤمن : تحقيق : عبد الوارث محمّد عليّ ، دار الكتب العلميّة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

٦١٦ ـ نور القبس المختصر من المقتبس : المرزباني ، محمّد بن عمران (٢٩٧ ـ ٣٨٤هـ) : مكتبة الخانجي / ١٩٧٥م .

٦١٧ ـ **نهاية الإرب في فنون الأدب** : النويريّ ، أحمد بن عبدالوهاب (٦٧٧ ـ ٧٣٣هـ) : مكتبة الخانجي ـ القاهرة / ١٩٨٧م .

٦١٨ ـ **نهج الإيمان** : ابن مجاهد ، جبر (من أعلام القرن السابع) : تحقيق : السيّد أحمد الحسيني ، مجتمع الإمام الهادي عليه السلام ـ مشهد ، الطبعة الأولى / ١٤١٨هـ .

٦١٩ ـ **شرح نهج البلاغة** : ابن أبي الحديد = عزّ الدين أبي حامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن الحسين المدائنيّ المعتزليّ (٥٨٦ ـ ٦٥٥هـ) ، قدّم له وعلّق عليه : الشيخ حسين الأعلميّ ، الناشر : مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات ـ بيروت ، الطبعة الأولى / ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م .

٦٢٠ ـ **نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة** : المحمودي ، محمّد باقر : وزارة الثقافة والإرشاد ـ طهران / ١٤١٨هـ .

٦٢١ ـ **نيل الأوطار** : الشوكاني ، محمّد بن عليّ بن محمّد (ـ ١٢٥٠هـ) : المكتبة العصريّة ـ بيروت .

٦٢٢ ـ **الوافي بالوفيات** : صلاح الدين الصفدي = خليل بن أيبك بن عبدالله (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ) : تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ـ بيروت ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

٦٢٣ ـ **واقعة صفّين** : زكريّا ، محمّد .

٦٢٤ ـ **وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة** : الحرّ العامليّ = محمّد بن الحسن بن عليّ بن محمّد بن الحسين (١٠٣٣ ـ ١١٠٤هـ) : مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤١٦هـ.

٦٢٥ ـ **وضوء النبيّ** صلى الله عليه وآله : الشهرستاني ، عليّ : ستارة ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٥هـ.

٦٢٦ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : ابن خلّكان = أبو العباس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن أبي بكر (ـ ٦٨١هـ) : تحقيق : د. إحسان عباس ، منشورات الشريف الرضي ـ قم المقدّسة ، الطبعة الثانية / ١٤٠٦هـ.

٦٢٧ ـ **وقعة الجمل** : زكريّا ، محمّد.

٦٢٨ ـ **وقعة صفّين** : المنقريّ ، نصر بن مزاحم (٢١٢هـ) : طبع مكتبة المرعشي النجفي ـ قم المقدّسة / ١٤٠٤هـ (بالأفسيت عن الطبعة الثانية للمؤسّسة العربيّة الحديثة ـ القاهرة / ١٣٨٢هـ).

٦٢٩ ـ **الولاة والقضاة**: الكندي = أبو عمر محمّد بن يوسف ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة /١٩٨٨م.

٦٣٠ ـ **الهداية الكبرى** : الحضيني الجنبلائي ، أبو عبدالله الحسين بن حمدان (ـ ٣٣٤هـ): بيروت / ١٤١٧هـ.

٦٣١ ـ **هذه هي الشيعة** : القرشيّ ، باقر شريف (١٩٢٦ـ م) ، المطبعة : ستارة ، الناشر : ماهر ، سنة الطبع ٢٠١١م.

٦٣٢ ـ **ينابيع المودّة لذوي القربى** : القندوزيّ ، سليمان بن إبراهيم الحنفي (ـ ١٢٩٤هـ): تحقيق : السيّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ ، الناشر : دار الأُسوة للطباعة والنشر ـ قم المقدّسة ، الطبعة الأُولى / ١٤١٦هـ.

المحتويات

الوصايا التربوية

١١ ـ ٩٥

المواعظ والنصائح

٩٧ ـ ١١٠

من خطب النبيّ

١١١ ـ ١٣٢

روائع الحكم والآداب

١٣٣ ـ ١٦٨

واقعة أُحُد

٢٤٥ ـ ٢٧٧

واقعة الخندق

٢٧٩ ـ ٢٨٩

بنو قريظة وفتح خيبر

٢٩١ ـ ٣٠٣

الغزوات

٣٠٥ ـ ٣٦١

السّرايا

٣٦٣ ـ ٣٧٣

طلائع الرحيل

٣٧٥ ـ ٣٩٢

المأساة الخالدة

٣٩٣ ـ ٤١٤